شؤون فلسطينية

رئيس التحرير: محمود درويش
سكرتير التحرير : اليامن خوري

٨٣ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٨

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين ٠

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص٠ب ١٦٩١ ٠ تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت ٠

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل٠ل٠ في اوروبا ، ١٢٥ ل٠ل٠ في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل٠ل٠ في جميع الدول غير العربية ٠

الغلاف للفنان
ضياء العزاوي

المحتويات

الصفحة

٤ محمود درويش : المعنى والمبنى ٠

٧ نزيه قوره : من يخاف كامب ديفيد ؟

١٨ معن بشور : الانعزالية اللبنانية، تحقيق المشروع ام مواجهة المأزق؟

٢٦ كريم مروة : ثلاث ظاهرات ، وثلاثة اتجاهات للتطور في حركة التحرر الوطني العربية ٠

٤٢ عبدالحفيظ محارب: حركة « السلام الان » ، اي سلام تريد ؟ ٠

٦٣ ايلان هليفي : بعد كيننغ والان : لا سلام في الجليل ٠

٧٤ خيرية قاسمية : تويتبي وقضية فلسطين ٠

٩٤ هادي العلوي : اليهود العرب والفلسفة الاسلامية ٠

١١٠ سمير كرم : النتائج السياسية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ : نتائج ٦٧ ٠٠٠ بعد ٧٣ ٠

١٢٦ محجوب عمر : الكلمة والبندقية ٠

الصفحة

١٣٥ **وثائق** : **بدو صقر في بيسان ٠**

١٤٥ **تقارير** : **اسرائيل والقنبلة الذرية ٠**

١٥٠ **شهادات** : **مع عز الدين قلق ٠**

١٥٢ **شهريات** : ١ ـ **المقاومة الفلسطينية** ، بلال الحسن ٠ ٢ ـ **المناطق المحتلة** ، ع٠م ٠ ٣ ـ **اسرائيليات** ، ٤ ـ حنة شاهين ، II ـ توفيق فياض ٠ ٤ ـ **قضايا دولية** ، س٠ك ٠ ٥ ـ **قضايا عسكرية** ، محمود عزمي ٠

شؤون ادبية

١٩٦ الياس خوري : **٠٠٠ او كهزيع من الليل (قصة) ٠**

٢٠٨ احمد دحبور : **ساعتان من الكهولة على حساب الولد الفلسطيني ٠**

٢١٥ بطرس الحلاق : **الدائرة في نجمة اغسطس ٠**

٢٣٢ مروان كريم : **جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ١٥/٦ـ١٦/٩/١٩٧٨ ٠**

المعنى والمبنى

هل ادركت العرب الان ان الطريق الى واشنطن تؤدي الى تل ابيب ؟ وان حروبا كثيرة ستندلع من جنين هذا السلام الطاحن ، الذي ولد في ساعة متاخرة من ليلة اميركية اعدت لتكون فجر العرب ؟ ٠

شيء من المسرح ، واشياء كثيرة من الواقع ٠ ولا احد يستطيع ان يقف خارج الحلبة ٠ لا احد يبريء نفسه من الواقعة ٠ ولا احد يسلم من انهيار ما ٠ لان لحمنا هو النص ، ولان الثلاثة قد يكثرون ٠ ذكريات وانقلابات ٠ هل كنا بعيدين عن تلك العبارات الحماسية انى هذا الحد ؟ ، وهل الفنا هذه اللغة الرائحة ؟ ٠ سقطت بنايات كثيرة في القاهرة بسبب الغش في كمية العلاقة بين الاسمنت والحديد ودم الشهداء ، فتساءلنا : هل البناية معنى ام مبنى ؟٠ وقال آخر : متى يكون النيل الازرق ازرق ؟ هل كانت دير ياسين حادثة سير دون ان ندري ؟ وهل كانت سيناء اسرائيلية ليتم شراؤها بالعروبة ؟ ٠ الدخان الابيض سيخرج من النافذة ، واكثر من ذلك : ان للاهرام بناة آخرين ٠ ومن سيصحو على اكتشاف الخطا : الذي قال ان اسرائيل لن تشتري الصلح بالرمل ، ام الذي قال ان فرعون الصغير لن يرتكب النصف الآخر من الخيانة ؟٠ غدا نعرف ، ولكن الحاكم المصري يستولي على الجمعة ويصلي ٠ والحاكم الاسرائيلي يستولي على السبت ويصلي ٠ والحاكم الاميركي يستولي على الاحد ويصلي ٠ ولا احد يسال : لماذا يؤمن القتلة بالله ! ثلاثة عشر يوما محاطا بكاميرات المسرية ، وصلوات البابا الجديد ، واميركا ، وباعة الكاز ، والصامتين من فرط الامل ، واليمين المتحفز للنجاة ٠ معادلة النجاح والفشل تلعب بالناس كالمباراة ، ولا يخرج من كامب ديفيد الا هدير السكون ، وافتتاح يقول : « على العرب ان ينسوا القومية العربية ، وعلى الفلسطينيين ان يدركوا انهم بلا مستقبل » ٠ يزدحم الصمت ، ويثرثر المذيعون ، واعلانات البضائع الاستهلاكية ، وهي دائما اميركية او يابانية ، ولا يفعل احد شيئا غير فضيلة الانتظار ٠ وفي اللحظة الاخيرة ، حين استطاع كل من الحاكم المصري والاسرائيلي ان يضمن حب اميركا [او صداقتها] هجم عليهما كارتر بتحديد موعد النهاية ٠ ويقول شهود عيان ان ذلك قد جرى بسبب هطول الامطار ، وعدم تمكن الحكام الثلاثة من ركوب الدراجات ، وانخفاض درجة الاستمتاع بالطبيعة في كامب ديفيد ٠ عندها ٠٠ انحلت عقدة النص ، وانتهى الصراع المصري ـ الاسرائيلي ، اذ تعانق السادات وبيغن طويلا طويلا ، وفي حرارة العناق ذابت الخلافات الشخصية ، وضحى كل منهما بكرامته في سبيل الوطن [كان السادات قد وصف بيغن بانه مر ٠ وكان بيغن قد وصف السادات بانه سوقي ورخيص] ٠ وسافر الثلاثة الى واشنطن ليعلن كارتر ، وهو يمشي كالطاووس كما تقول وكالات الانباء ، انتصاره الشخصي ، وليعلن بيغن

انتصار الصهيونية في هذه الجولة بقطف الثمار الاولى لنتائج الخامس من حزيران، وليعلن السادات تعهده بسحب مصر من العروبة ومن دائـــرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وليوحي الثلاثة بقيام حلف جديد في المنطقة ، وبأنهم سيكثرون ٠

فهل ادركت العرب الآن ان الطريق الى واشنطن تؤدي الى تل ابيب ؟ وان حروبا كثيرة ستندلع من جنين هذا السلام الطاحن ، الذي ولد في ساعة متاخرة من ليلـــة اميركية أعدت لتكون فجر العرب ؟٠

يرقص الاسرائيليون حتى الفجر ٠ كان الهيكل اليهودي الثالث القائم على جماجم الآخرين قد توطد هذه المرة بقيامه على دعائم الاهرام ، بعدما انجز الوعد بتحويل سيوف مصر الى محاريث لدفن العروبة في الرمل ، وبتحويل رماحها الى مناجـــل لحصاد السراب في سيناء ، وبتحويل ما تبقى من السلاح الى قمع الجائعين فـي مصر ، والمتمردين على اميركا ، وعلى العنصرية في افريقيا ٠ [ولا تكون حـــروب بعد اليوم] كما قالت التوراة مرة ، وقالت ثانية : [لا سلام ـ قال الهي ـ للاشرار] ٠ يرقص الاسرائيليون حتى الفجر ٠ سيرقصون قبل ان يمتحنوا قدرة هذا الفرح على الاستهتار باحتمالات مصر والشرق العربي ، وقبل ان يختبروا مدى شرعية الحاكم المصري في تمثيل مصر ٠ فهل يستطيع هذا الفرد الذي لا يشبـــه احدا في تاريخ التنازل ، ان ينزع مصر من ذاتها ومن عروبتها ، وان يبيع جسدها مقابل اصبع واحدة من قدمها ؟ وهل يستطيع ان ينقل القدس من تاريخها وصخورها المقدسة الى رسالة ضائعة في بريد الاحلاف الجديدة ؟ وهل يستطيع ان يخمد معجزة الانبعاث الفلسطيني التي تجاوزت مذابح لا نهايات لها ، ووصايات لا تحصى ، حتى استقرت كاحد عناصر الطبيعة في هذا العالم ؟ وهل يستطيع ان يلجم روح الامـة التي صاغتها التجارب والحروب لتصقل ارادتها وتبدع ذاتها من جديد ؟ ٠ اسئلة لا تطرح على ايقاع الرقص الاسرائيلي ، ولا على نشوة الحاكم المصري بالقاب حسنة اسبغها عليه الصليبيون الجدد ، بل تطرح علينا ، وعلى الامة ، وعلى قوى الصمود، وعلى النبض والارض والرفض ، لنجتاز امتحان الكارثة ، ونعرف كيف يتم عزل النظام المصري بواسطة شعب مصر ، وبدعم شعب مصر ، ونعرف كيف نهيء انفسنا لحرب دينهد المعلنة ٠ ويرقص الاسرائيليون حتى الفجر ، لانهم دائما يعرفون كيف يعبدون تماثيل الوهم ، ويعرفون كيف يحتفلون بفتات من يعطي بلا ملكية ، فتاريخهم الجديد سلسلة من الرقص حول هدايا قدت من لحمنا ، وكنا نخرج في وجوههم ٠ وسيرقصون لمعنى آخر للسلام ، هو خروج مصر من المعركة ، وتوفر شروط افضـل لحروبهم القادمة ضد الشرق العربي ، فالجبهة الجنوبية تنتهي بسفارة اسرائيلية في القاهرة ٠ ولهم في افريقيا حليف جديد ٠ وبغداد بعيدة عن دمشق ٠ وفي لبنان لهم

جنود · وسيرقصون حتى الفجر ، لان رئيسهم قال لهم : لا ترقصوا حتى الفجر · وقال ايضا : « لن يرفرف بعد الآن أي علم عربي فوق القدس · لن ننسحب من الضفة الغربية وقطاع غزة ، ولن تعود الجولان ابدا الى سوريا · وستبقى القدس عاصمة اسرائيل ما دام الشعب اليهودي حيا · هذه هي اتفاقية كامب ديفيد » ·

·· وهذه هي اميركا ، وهذه هي التسوية التي تطرحها موازين القوى الراهنة ، وهذه هي فضيحة قرار ٢٤٢ في التفسير الاميركي · هل يستطيع العرب ، الآن ، البرهنة على استقلالهم الوطني ؟ · ان قدرة اتفاقيات كامب ديفيد على التطبيق هي التي تشكل تحدي هذا السؤال ، والسؤال الذي يليه : هل يستطيع العرب صياغة جبهتهم الثورية وعلاقاتهم الدولية في مواجهة الحملة الصليبية الجديدة ؟· ان مئات من الاسئلة يطرحها صلح كامب ديفيد على الحرب الوطنية ، وعلى الصراع الاجتماعي ، ولا يطرح سؤالا حقيقيا على السلام · هل سيحل العلم الاسرائيلي المرفرف على ضفاف النيل ، بعد قليل ، المسألة الاجتماعية في مصر ، ويؤمن لفقراء مصر مزيدا من الخبز والفول ؟· لم يتمكن كامب ديفيد من مجرد الاحتيال على فلسطين والارض العربية المحتلة ، فلم يطرح امامنا الا الحرب · لقد هتك هذا الطراز من التسويات · هتك الطريق الى سلام بلا سلاح وبلا عدل وبلا فلسطين · هتك البدايات والاجتهادات واحتمالات تحييد اميركا بلا قوة · وعرف عبيد الاستهلاك الاميركي على ابجدية الامبريالية · وكشف للجميع الدور التدميري الذي مارسته اللغة السياسية العربية الجديدة المتحررة من لغة التحرير ، مستعيضة عنها بلغة « التسوية العادلة » فتم اختراق وجدان الامة ليتسلل اليها بعض القنوط وعادة تعميم الشك والشبه ، فكان الشارع هادئا ، والجريمة في الشارع · هل نستحق الحياة ؟ هكذا يسأل المواطن العاجز عن الحركة والاعتراض ، ويضيف : لماذا لا نضرب اميركا الموجودة فينا ، على الارض وفي النفوس ؟ لماذا لا نقاطع اميركا ؟ لماذا لا نسحب احلامنا ، قبل سفرائنا ، من اميركا وهي ام اسرائيل ؟ · كل الاسئلة مطروحة على الحرب ، ولا سؤال واحد يميل الى السلام · ومن الذي تدهشه نتائج كامب ديفيد ؟· الم تكن زيارة السادات واضحة ، من قبل ومن بعد ؟· وسيبقى السؤال القديم ـ الجديد واقفا ، كالندم ، على اكثر من بلد ، وعلى اكثر من قارة : من اية ثغرة ياتينا هذا الغياب الذي يجعل ارادة فرد ، طائش او خائن ، قادرة على مقايضة اوطان دون ان تهتز اعمدة الهيكل ؟ ومن اي خداع يقاد الضحايا الى طريق المطار للتصفيق لقاتلهم ؟ هل سألنا عن الحرية ؟ نعم ، لانها شرط لخوض حرب التحرير · هل قلنا حرب التحرير ؟ نعم ، لانها الخيار الوحيد الوحيد · فاما ان يتحول العرب الى حرس للاحتلال ، واما ان يخوضوا الحرب حتى النهاية · لقد اعلنت حرب ديفيد على من يرفض الاستسلام ، وعلى من يحلم بالوطن، وعلى من يتحرر بالثورة · وعاد الثلاثة من كامب ديفيد بحلف جديد . ويوعد سيناء وبالحرب · اما الارض المحتلة فستبقى محتلة ، والمقدس في الرسائل · فهل تغير شيء ؟· بالحرب وحدها نستطيع السير الى السلام · وبتحرير فلسطين نجد الفارق بين الاستسلام والسلام · والذين ما زالوا يحلمون بامكانية احلال السلام تحت حراب الاحتلال ، محكومون بالسير الى واشنطن ·

فهل ادركت العرب الآن ان الطريق الى واشنطن تؤدي الى تل ابيب ؟ وان حروبا كثيرة ستندلع من جنين هذا السلام الطاحن ، الذي ولد في ساعة متاخرة من ليلة اميركية اعدت لتكون فجر العرب ! ·

محمود درويش

نـــزيـــه قـــوره

من يخاف كامب ديفيـــد ؟

يحفل تاريخ المنطقة التي نعيش فيها بالمؤتمرات التي تعقد من أجل « حـل » مشكلاتها ، وباللجان التي يجري تشكيلها من أجل تقديم تقارير حول واحدة من مشكلاتها · وسواء كان الحديث يتعلق بالقرن التاســع عشــر او بالقــرن العشرين ، فأن انعقاد مؤتمر ، او انتهاء لجنة من اللجان من اعداد تقريرها ، شكلا اهم معالم تاريخ هذه المنطقة ·

ولان منطقتنا توقفت منذ عدة قرون عن تقرير مصيرها ، فقد تولى الاخرون صناعة تاريخنا نيابة عنا ، وتصديره الينا معلبا جاهزا للاستعمال ، بالسفــن أو بالطائرات ·

مؤتمر لندن ، مؤتمر باريس ، مؤتمر برلين ··· ومؤتمر كامب ديفيد · منذ عام ١٨٤١ وحتى عام ١٩٧٨ وتاريخنا ومصيرنا يتقرران خارج الارض التــي نعيش عليها · وسوف لا نجد ان بنود جدول الاعمال في عام ١٨٤١ تختلــف كثيرا عن بنود جدول الاعمال في عام ١٩٧٨ ·

وفي أواسط القرن التاسع عشر كان السياسيون الاوروبيون يجدون علتيــن رئيسيتين في المجتمع الشرقي : الزواج المبكر ، وتعدد الزوجات · اما فــي النصف الثاني من القرن العشرين فتتحدث غولدة مئير عن قلقها من عــدد الاطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل ليلة ، ويتحدث الخبراء الامريكيون عن النتائج المدمرة لولادة مليون طفل مصري كل عام ·

وفي منتصف القرن التاسع عشر كان القناصل الاوروبيون في مدن الشــرق

يقدمون تفاصيل وافية عن آثار اجتياح وباء الكوليرا لاحدى المناطق ، وعن عدد الضحايا ، وعدد المهاجرين الذين فروا مذعورين ، وكم بقي في المدينة ، ومن الذي بقي ٠

وفي أيامنا هذه يبسط الامريكيون كفهم للحاكم الذي يطلب المساعدة في تخفيض معدل التزايد السكاني الطبيعي ٠

في القرن التاسع عشر كانت الامتيازات الاجنبية وحماية الاقليات والسلطة العثمانية والكوليرا ، بالاضافة الى الزلازل والفيضانات ، هي أدوات التسلط الاوروبي على هذه المنطقة من العالم ، المستهدف منع اي شكل من أشكال التطور والنمو فيها ٠

كانت هذه المنطقة معبرا ، واكثر المعابر أمنا هي تلك الاكثر خلوا من العنصر الانساني ٠ ثم جاء النفط ٠ والنفط أيضا يكره العنصر الانساني ٠ فالمضخات والانابيب والناقلات لا تحتاج سوى للحد الادنى من الطاقة البشرية٠ واذا لم يكن بد من استخراج النفط في المناطق المكتظة نسبيا بالعنصر الانساني ، فلتكن هناك مدن كبيرة يسكنها الحكام والعساكر والمجندون وموظفو الصحة والتعليم والتجار والمقاولون ٠ وهناك مكان في المدينة لكل من يملك موهبة يحتاجها اصحاب المدن ٠ اما ما زاد على ذلك فلا ضرورة له ٠

الوضع الامثل يتجسد في غياب العنصر الانساني ٠ واذا وجد الانسان فليكن وجوده أقرب الى العدم ٠ وحيث ضرورات العيش تقضي اكتساب صفات الانسان ، اي بتفجير طاقات الابداع والخلق والانتاج ، وتنظيم المجتمع ليكون عطاؤه اكبر ، وتطوره اسرع ، وقدرته على سد احتياجاته مما تنتجه الايدي وما تنتجه الروح اكمل ، فليس هناك من طريقة للوقوف في وجه هذا كله سوى القهر الدائم والخوف الدائم والاحساس بالعجز ٠ يجب أن يكون هناك ما يسد مسد الاوبئة وكوارث الطبيعة ٠ اي يجب ان تكون هناك صهيونية ٠ ولكي تؤدي الصهيونية وظيفتها لا بد ان تتصف بما يلي :

١ ــ يجب ان تكون قوة غير قابلة للفهم ، مثل اي قوة خارقة للطبيعة ٠ هي موجودة منذ الازل ، وستظل موجودة الى الابد ٠ وهي غير خاضعة لاي قانون من قوانين المجتمع والاقتصاد ، او اي علم من العلوم ٠

٢ ــ هي اخطبوط عالمي يملك اجهزة تتحكم بمختلف انواع الدول والنظم والطبقات ٠

٣ ــ هي غير قابلة للهزيمة ، وتفصل بينها وبين خصومها هوة نوعية غير قابلة للتضييق ، وهي على العكس تزداد ٠ فخصومها يزدادون ضعفا ، وهي تزداد قوة ٠

لا مكان للعقل في محاربة الصهيونية ! ولا مكان للعقل في محاولة اكتساب وسائل الدفاع عن الذات ضد الصهيونية · وحتى الاستسلام لا يجدي في دفع أذاها ! وعندما تعلن الصهيونية عن حاجتها لقطعة ارض من بلاد العرب فيمكنها استعمال اية حجة · ويمكن دائما التذكير بالنبوءات التوراتية وبالوعود الالهية : « لنسلك اعطي هذه الارض : من نهر النيل الى النهر الكبير » · وهناك الحق التاريخي · وهناك الاضطهاد الاوروبي واللاسامية · ومهما اجتهدنا في صياغة الردود فان « الرأي العام العالمي » لا يأبه بنا ، فالصهيونية تسيطر على كل وسائل الاعلام ·

ويتطور اعلامنا فنصبح عقلانيين ونصبح معتدلين نخاطب العالم بالمصالح ، ونكف عن الحديث عن مبادىء القانون الدولي وشرعة حقوق الانسان · ايها الامريكيون ، ان مصالحكم في بلاد العرب وليس في اسرائيل · فاذا لم تساعدوا اصدقاءكم المعتدلين فسيسقطون ويحل محلهم المتطرفون والقوى الراديكالية · وهكذا ندخل في مرحلة اعلامية « ارقى » : نعلم الامريكيين كيف يحافظون على « مصالحهم » في بلادنا · نبين لهم الاخطار على مصالحهم اذا لم يمارسوا الضغط على الصهيونيين المتعصبين الغلاظ الرقاب ·

واسرائيل لا تعلن ضم الضفة الغربية وقطاع غزة اليها · وترفض في الوقت نفسه اي حديث عن الانسحاب منهما · وترفض الاعلان عن ضم الجولان وترفض الانسحاب منه · وهي لا تضم سيناء ولا تنسحب منها · وما دامت اسرائيل لم تعلن ضم هذه المناطق تظل الامم المتحدة تناقش قضية النزاع في الشرق الاوسط ، ويظل وزراء الخارجية الاميركيون ومساعدوهم يتجولون في عواصم الشرق الاوسط ، ويظل مندوبو حكومات الشرق الاوسط يجتمعون بالمسؤولين الاميركيين · واسرائيل لا تنسحب من المناطق المحتلة ولا تضمها · وما دامت اسرائيل لم تعلن ضم المناطق ، فان النشاط المنطقي الوحيد هو النشاط الذي يستهدف عدم جعل الحرب أمرا محتوما ، وما دامت لم تنسحب فأن الضرورة تقتضي السعي لتسوية تنسحب بموجبها اسرائيل ·

ان الظروف السائدة في منطقتنا حاليا توصل الى النتيجة التالية : اذا قامت اسرائيل بالانسحاب من الاراضي المحتلة فسيكون بالامكان عقد تسوية سلمية بين البلدان العربية واسرائيل ، حسب الدلائل المتوفرة والسياسات المعلنة · وسيترتب على هذه التسوية اقامة علاقات طبيعية بين اسرائيل والدول العربية · واذا قامت اسرائيل بالاعلان رسميا عن ضم الاراضي المحتلة ، فسيترتب على ذلك اشتعال حرب دائمة لا تتوقف الا عند الهزيمة الكاملة والاستسلام الكامل لاحد الطرفين · وفي الحالتين ينتهي ما يسمى بالنزاع في الشرق الاوسط · اما رفض الانسحاب ورفض الضم فلا يمكن الا ان يعني شيئا واحدا : حالة دائمة من اللاسلم واللاحرب · فما الذي تريده الاطراف المعنية بهذا النزاع ؟ هل

تريد له ان ينتهي ؟ ام تريده ان يبقى نزاعا دائما بلا نهاية ؟ وبالضبط ماذا تريد الولايات المتحدة ؟ وهل صحيح ان « المعتدلين » من اصدقاء أميركا يعرفون ماذا تريد ؟ هل يعرفون ما الذي تعتبره الولايات المتحدة خطرا على مصالحها وما الذي تعتبره نافعا لمصالحها ؟

يوجد هناك من يقدم نصائح للقادة الصهيونيين ، ولا يكتفي بتقديم النصائح للقادة الاميركيين : اذا قبلت اسرائيل بتسوية سلمية مع العرب فانها ستتخفف من اعباء الانفاق العسكري الباهظ ، وستتمكن من تكريس « مواردها » لحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ، وستصبح سنغافورة الشرق الاوسط الذي سيزدهر ازدهارا هائلا بعد احلال السلم فيه · وكما ترفض الولايات المتحدة نصائح اصدقائها ، كذلك يرفض الاسرائيليون النصائح ·

وينتقد يوجين روستو الذي كان مساعدا لوزير الخارجية الامريكية للشؤون السياسية في الفترة ما بين ١٩٦٦ و ١٩٦٩ ، اي خلال فترة حدوث حرب حزيران عام ١٩٦٧ ، والذي يشغل الان منصب رئيس فريق السياسة الخارجية التابع لتحالف الاغلبية الديموقراطية ورئيس منظمة المعاهدة الاطلسية ، ينتقد الطريقة التي عالج بها كيسنجر نتائج حرب تشرين · ففي دراسة نشرت ترجمة لها جريدة السفير البيروتية في ٧ و ٨ ايلول ١٩٧٨ ، يعرب عن رغبته في رؤية « ١٢٥ الف اسير ··· [من] الجنود العرب وهم يسيرون حفاة في الصحراء »· فبهذه الطريقة وحدها لا يفرض حظر نفطي ، ولا تتجدد العداوات ، ولا تبرز اسطورة « النصر » العربي · ويتحدث روستو عن العوامل الدفينة في العالم العربي التي « تصبح قوة عدوانية ضخمة اذا لم تكبح بواسطة القانون والسياسة » · ويعرض روستو فهمه لمعنى الصراع في الشرق الاوسط بالنسبة للولايات المتحدة : « انها جبهة ذات اهمية استراتيجية وتكتيكية في آن معا · انها جبهة يمكن ان نخسر فيها ليس مجرد معركة فحسب ، كما حدث في فيتنام، بل الحرب نفسها ، لان ما هو في خطر في الشرق الاوسط ليس فقط وجود اسرائيل ولبنان والاردن ومصير دول عديدة اخرى ، بل استقلال اوروبا ، وتبعا لذلك موازين القوى العالمية · واذا ما طردنا من أوروبا وحوض البحر الابيض المتوسط ، واذا ما تم « فنلدة » ، (من فنلندا) او « بولدة » (من بولندا) أوروبا – وفق تعابير جيمس شليسنغر – فأن اليابان والصين ستحققان بالضرورة توافقهما الخاص مع الاتحاد السوفياتي ، وسنكون وحدنا في عالم غريب كما حدث لبريطانيا بعد سقوط فرنسا العام ١٩٤٠ » ·

وسيظل هناك من يتحدث عن اللوبي الصهيوني الذي يضع مثل هذه المخاوف في رؤوس واضعي السياسة الامريكيين · وسيظل هناك من يذهب الى الولايات المتحدة ليدلها على أسلم الطرق للحفاظ على مصالحها في المنطقة العربية · وسيظل هناك من ينصح الاسرائيليين بالتخفيف من اعباء الانفاق العسكري ،

وعقد معاهدة سلم مع العرب · واذا ما اقام الامريكيون وزنا للناصحين ، فسيطلبون منهم وصفة تتيح لهم رؤية ١٢٥ الف اسير عربي يسيرون حفاة في الصحراء ، وسيطلبون منهم ارشادهم الى **قانون** يكبح « العوامل الدفينة » في العالم العربي · واذا ما اطمأن الامريكيون الى حاملي النصائح فسيسألونهم كيف يمكن ان تظل ارض العرب صحراء ، وكيف يمكن ان يظل العرب « رجل امريكا المريض » كما كانت الامبراطورية العثمانية « رجل اوروبا المريض » في القرن التاسع عشر · وكيف يمكن ان تظل اسرائيل قوية ومتفوقة ، بحيث لا يكون هناك مكان للوهم « بأنه يمكن تدمير اسرائيل عن طريق القوة العسكرية»، وبالتالي لا يكون هناك وهم بأنه يمكن الدفاع عن الذات في وجه القوة الاسرائيلية ، وبالتالي لا يكون هناك من يتجرأ على اتخاذ خطوات سياسية لا يرضى عنها الاقوياء المتفوقون ·

حتى لا تكون هناك فرصة لعمل « العوامل الدفينة » يجب ان تحكم المنطقة بقانون · والقواعد العسكرية الامريكية ليست قانونا ، سواء كانت هذه القواعد في سيناء او في الضفة الغربية او في كل بلد عربي · والحلف العسكري بين اسرائيل والولايات المتحدة ليس قانونا · فالقاعدة العسكرية هدف نموذجي للتحريض ، والجنود الامريكيون هدف نموذجي للاغتيال ، والحلف العسكري بين اسرائيل والولايات المتحدة يجعل اي صدام في المنطقة صداما تشكل الولايات المتحدة احد اطرافه · وهذا يحرمها من دور الوسيط والحكم ، اي من دور حامي القانون · والقانون لا يصبح قانونا اذا لم تكن هناك هيئة يعترف لها الاطراف بحيادها ، تتولى صيانته ويرجع اليها الاطراف ·

العوامل الدفينة في أرض العرب يجب ان تظل دفينة لا ترى النور ·

واذا لم تكن الكوليرا فهناك آلة الحرب الاسرائيلية تفعل في المنطقة فعل الكوليرا : الموت والتهجير · وبدل الاستبداد العثماني ينمو استبداد اخر · الطائفة التي جرى تجميعها في فلسطين ، واعطيت مالا وسلاحا وكلف الشعراء والفنانون والفلاسفة والمؤرخون بصياغة تاريخ وأناشيد وفولكلور وثقافة لها ، رفعت الى مرتبة أمة · ولا تنجح هذه الامة في البقاء الا اذا اعادت خلق ذاتها فيما حولها · وهكذا نجد انفسنا محاطين بوباء الامم ـ الطوائف مع كل مستلزماتها : مال وسلاح واناشيد واساطير وفولكلور · وباء الامم ـ الطوائف يفعل ـ حيث يحل ـ فعل الكوليرا : الموت والتهجير ·

علينا نحن ان نوفر الامن لاسرائيل ، وعلينا نحن ان نعترف بحدود آمنة لاسرائيل ، وعلينا ان نقيم علاقات طبيعية معها · ليس مطلوبا من اسرائيل ان توفر الامن لنا ، ولا ان تعترف بحدودنا ، ولا ان تقيم علاقات طبيعية معنا · فنحن نتمتع بالامن والحدود المصانة وبالعلاقات الطبيعية بيننا وبين أنفسنا ·

وسننجح اذا اكتشفنا طريقة لاقامة علاقات طبيعية مع الكوليرا ، واذا نجحنا في اكتشاف طريقة تؤمن لها الامن والحدود المعترف بها ، القابلة للدفاع عنها ٠

فيكامب ديفيد يبحث كارتر وبيغن عن طريقة يؤمنون بها موافقة العرب على الامتناع عن اكتساب الحصانة ضد الكوليرا ٠ ويبحث الزعيم العربي عن طريقة يدفع بها غضب الالهة ٠ وفي التاريخ القديم كانوا يقدمون اجمل بنات مصر لنهر النيل حتى لا يكون فيضانه مهلكا ٠ واجمل بنات العرب الان لم تعد قابلة للذبح ٠ والجميلة في بنات العرب تملك سلاحا سريا ضد الوباء ، اي ضد الموت والتهجير ٠ وهي تعلم الناس ان الطريق لمواجهة الوباء هي الفتك به وليس تقديم الاضاحي له ٠ وتعلم الناس ايضا ان الطريق لا يتمثل في شتيمة الوباء من بعيد ٠

الولايات المتحدة تريد قانونا تحكم به المنطقة ٠ ويسميه السياسيون قانون اللاحرب واللاسلم مع حرب كامنة ٠ يفتقد العرب السلاح المضاد للوباء ، ولا يستطيع الوباء الا ان يعيش على جثثهم ، يظل كامنا حتى تحين الفرصة ٠ وليس لنا الا ان نمسح الاساطير من عقولنا ٠

ان الكيان الصهيوني يستمد مبرر وجوده من أمتلاكه تلك الالة العسكرية الضخمة ، وليس صحيحا ان تلك الالة العسكرية تستمد مبرر وجودها من احتياجات الكيان الصهيوني لرد التهديد الخارجي ٠ وعلى عكس الفهم الشائع، فان كافة وقائع التاريخ المعاصر تشير الى ان الالة العسكرية الاسرائيلية استعملت دائما للتهديد الخارجي ، ونفذت هذا التهديد في مناسبات عديدة ، وليس لرد التهديد الخارجي ٠

ان الامكانات المادية لم تكن ، في أي يوم من الايام ، هي المحرك الحقيقي وراء الرغبة في اغتصاب فلسطين واقامة الكيان الصهيوني على أرضها ٠ فهذه الامكانات ، مهما تكثفت عملية استغلالها ، تظل عاجزة في ذاتها عن تلبية احتياجات تجمع بشري كبير ذي منشأ اوروبي او حتى ذي منشأ شرق أوسطي منتم الى فئات الطبقة الوسطى ٠ فلنتأمل الوقائع التالية :

١ ــ منذ بدأ العمل الجدي لتحقيق المشروع الصهيوني وحركة المال والثروات تجري باتجاه واحد : من خارج فلسطين الى داخلها ٠

٢ ــ خلال السنوات الثلاثين الاخيرة جرى صب عشرات المليارات من الدولارات في الكيان الصهيوني ، من مختلف المصادر ٠

٣ ــ تبلغ مديونية الكيان الصهيوني حاليا اكثر من عشرة مليارات دولار بالعملة الصعبة ٠

٤ ـ منذ عام ١٩٧٤ يجري صب مبلغ يتراوح بين ٣ ـ ٤ مليارات دولار سنويا في الكيان الصهيوني ٠

٥ ـ خلال السنوات الاربع الماضية تراوح العجز في الميزان التجاري للكيان الصهيوني بين ٣ ـ ٤ مليارات من الدولارات ٠ اي ان استهلاك هذا الكيان يزيد عن انتاجه بهذا المبلغ ٠ ولا يتوقع اي من الاقتصاديين الاسرائيليين الجديين ان يهبط العجز عن هذا الرقم ٠

٦ ـ تبين دراسة القطاعات الاقتصادية داخل الكيان الصهيوني ان القسم الاعظم من مشروعات هذه القطاعات لا يقوم على اسس اقتصادية ، في حالة تطبيق مقاييس اقتصادية بحتة على هذه المشروعات ٠ وتستمر هذه المشروعات في البقاء بسبب صب المال الحكومي فيها باستمرار ٠ وهذا المال يأتي اساسا من المصدر الخارجي ٠

هذه الوقائع تبين ان المشروع الصهيوني ليس مشروعا اقتصاديا ٠ وليس لدينا شك في ان واضعي تصميمات هذا المشروع لم يكونوا غافلين عن هذه الوقائع ٠ ان هذه الوقائع ، بالضبط ، هي التي تؤكد ، يوما وراء يوم ، ان اصحاب المشروع الصهيوني ، اي اولئك الذين يدفعون تكاليف صيانته وبقائه ، مطمئنون الى عدم مجيء يوم يخرج فيه الكيان الصهيوني عن طاعتهم ٠

وبما ان الوقائع المذكورة آنفا قابلة للاكتشاف ، وبالتالي الى اثارة التساؤلات حول الاسباب الحقيقية الكامنة وراء اقامة المشروع الصهيوني ، ومن ثم الى البحث عن المبررات خارج فلسطين لا داخلها ، فقد جرى قطع الطريق على مثل هذا التفكير ، عن طريق ترويج مبررات مستقبلية ، اخذت شكل الحديث عن اطماع الصهيونية في السيطرة على المنطقة واستغلال ثرواتها وطاقاتها البشرية٠ وقد جرى اعطاء تلك المبررات المستقبلية عنوانا مثيرا هو « التوسع » ٠ فاذا كان الكيان الصهيوني محتاجا للمساعدات الخارجية الضخمة فلانه لم يحقق كل مطامعه حتى الان ٠ ولكنه متى استطاع ان يفرض الاستسلام على كل المنطقة العربية فانه سيصل الى مرحلة « الاستقلال » عن القوى التي تموله وتسلحه ٠

هذا « المنطق » يتجاهل ما يلي :

أ ـ حتى يستطيع الكيان الصهيوني الوصول الى السيطرة على الثروات الحقيقية في المنطقة يجب ان يسلك احدى طريقين : اما ان يصل الى وضع السيطرة على المنطقة قبل زوال السيطرة الاستعمارية عليها ، او بعد زوال هذه السيطرة ٠ فاذا اراد ان يسيطر عليها قبل زوال السيطرة الاستعمارية فان عليه ان يعمل على ازالتها بنفسه ، ومعنى هذا ان يقود حركة الكفاح ضد السيطرة الاستعمارية لكي يضمن وراثتها ٠ وذلك في الوقت الذي يتعيش فيه

على المال الامريكي ويتسلح بالسلاح الامريكي · اما الطريق الثاني الذي يمكن للكيان الصهيوني ان يصل بواسطته الى السيطرة على الثروات العربية فهي ان ينتظر نجاح القوى الوطنية العربية في طرد الاستعمار وتحرير ثرواتها من سيطرته ، ثم يأتي فيهزم تلك القوى وينجح حيث فشل الاستعمار ·

ب ـ ان السيطرة على ثروات المنطقة تعني اساسا السيطرة على منابع النفط وعلى انابيب النفط وعلى موانىء تصدير النفط · وهذه العملية تتطلب مرابطة ما لا يقل عن نصف مليون جندي في المناطق النفطية مزودين بأحدث الاسلحة · وابسط النتائج المترتبة على مثل هذا التفكير هي ان ينتقل الجيش الاسرائيلي بكامل اسلحته ، ومعه الاحتياط ، للمرابطة في مناطق النفط ، والدخول في حرب دائمة مع المتضررين من هذا الاحتلال العسكري لمنابع النفط · وذلك في وضع يؤدي فيه وضع لغم صغير تحت احد انابيب النفط الى تعطيل تصدير النفط لعدة اشهر · لقد ناقش عسكريو الحلف الاطلسي احتمال اللجوء الى الخيار العسكري في حالة نشوب أزمة نفط ، وتوصلوا الى ان السيطرة العسكرية المباشرة على منابع النفط هي أمر مستحيل ، حتى لو استخدم الجيش الامريكي ذاته في العملية ·

جـ ـ اذا استثنينا مناطق النفط من احتمالات التوسع الاسرائيلي ، فأن المناطق الوحيدة التي يستطيع الكيان الصهيوني التوسع فيها هي مناطق تفتقر الى المغريات المادية · فألى الشمال والشرق من فلسطين لا توجد سوى مناطق ضعيفة الموارد ولا تستطيع في أحسن الحالات سوى توفير الحد الادنى من المستوى المعيشي · وحتى هذا المستوى المتدني لا يمكن توفيره الا بتوفير طاقة بشرية من النوع المستعد لبذل الجهد الشاق والمضني · وهو شرط لا يتوفر في الطاقة البشرية المتوفرة للكيان الصهيوني ·

اما اذا كان الغرض هو اقامة مشروعات صناعية ، فأن هذه المشروعات لا تتطلب التوسع الاقليمي وانما تتطلب ، قبل كل شيء ، توفير احتياطي ضخم من الطاقة البشرية القابلة للاستخدام في الصناعة · وهذا الاحتياطي لا يمتلكه الكيان الصهيوني ؛ وليس من المتوقع ان يمتلكه · وليس من المنطقي ان نفترض ان هم الكيان الصهيوني وقادته محصور في تصنيع المنطقة وتوسيع حجم القاعدة الانتاجية فيها ·

د ـ في حالة اقتصار طموح قادة الكيان الصهيوني على تحويل هذا الكيان الى مركز مالي تجاري للمنطقة ، فان هذا الطموح يلغي دور الفئات الحاكمة في المنطقة العربية ، التي لا تطمح الى اكثر من ان تلعب دور المركز التجاري المالي · ان هذا الوضع يدخل الكيان الصهيوني في تناقض جدي مع الفئات الحاكمة في المنطقة بسبب سعيه الى اخذ دورها · وهذا التناقض سوف يضاف الى التناقض الاساسي بين الكيان الصهيوني وجماهير المنطقة · وليس هناك

أساس للافتراض بأن تقوم الفئات الحاكمة بتسليم دورها عن طيب خاطر للكيان الصهيوني ، كما ليس هناك اساس للافتراض بأن الكيان الصهيوني يستطيع ان يفرض على هذه الكيانات التسليم له بهذا المركز · فالمراكز النشطة في المجالات التجارية والمالية ، ابتداء من بيروت وانتهاء بالبحرين ، ليست في حاجة الى وسيط بينها وبين الدول الاوروبية ، سواء في مجال الاستيراد او في مجال استثمار الفوائض المالية ·

ان هذه الوقائع تبين بوضوح ان المبرر الاقتصادي غائب غيابا تاما عن المشروع الصهيوني ·

اذا انتفت المبررات الاقتصادية ، سواء منها المبررات الحاضرة او المبررات المستقبلية ، فان المبرر الوحيد الذي يبقى للكيان الصهيوني هو المبرر العسكري· ان انفاق الولايات المتحدة ودول حلف الاطلسي ما يقرب من أربعة مليارات دولار سنويا على الكيان الصهيوني لا يمكن ان يجد تفسيره الا في الدور الذي تقوم به الالة العسكرية الاسرائيلية في ضبط النظام العام في المنطقة · والنظام العام السائد في المنطقة هو نظام التجزئة الذي يحول دون تطور القوى المنتجة في أي من الكيانات العربية ، وفي مجموع هذه الكيانات · وبما ان تطور القوى المنتجة يتعارض مع مصالح الفئات الحاكمة ذات الطابع الطفيلي واللصوصي ، التي تضطر ، بسبب طابعها الطفيلي واللصوصي الى الانضواء تحت مظلة النظام العام، فإن هذا التطور يجد نفسه متعارضا مع نظام التجزئة، ومضطرا الى مصادمته وتجاوزه ·

ان الكيانات المنضوية تحت نظام التجزئة اضعف من ان تصمد طويلا في المواجهة مع حركة نمو القوى المنتجة ومع مستلزمات نموها ، وخاصة ان القوى المنتجة تنمو داخلها وخارجها في آن واحد · وهذا الوضع يتطلب قوة خارجية لوقف زحف القوى المنتجة ونخرها في جدران التجزئة · هذه القوى الخارجية كانت فيما مضى تتشكل من القوى الاستعمارية التي تحكم مباشرة ، وتعين الحدود ، وتمارس عملية منع نمو القوى المنتجة بالقوة المجردة · لكن هذا لم يعد ممكنا الان ، وصار من الضروري زرع آلية محلية تعمل ذاتيا ضد التطور ، وتتلقى دعما مستمرا من الخارج ·

ان القوة المحلية التي تجد نفسها في وضع التضاد المطلق مع نمو القوى المنتجة في المنطقة ، بسبب طبيعة تكوينها وبسببضرورات وجودها ، هي القوة المتمثلة في الكيان الصهيوني والمتجسدة في الالة العسكرية الاسرائيلية · فبسبب تواجدها الجغرافي أصبحت قوة محلية تعترف لها قوى عالمية كبيرة بمصالح « مشروعة » · فاذا كانت هذه القوى قد اعترفت وعملت على ان لا يندمج اليهود بمجتمعاتهم السابقة ، فحري بها ان تعترف للكيان الصهيوني بحقه في عدم الاندماج والذوبان في المنطقة العربية · واذا كان « عدم الذوبان »

هو حق من حقوق الكيان الصهيوني ، فأن ضمانة هذا الحق تكمن في حرمان المنطقة من تشكيل « اناء صهر » لتذويب التجمعات البشرية التي تتشكل منها جماهير المنطقة · واناء الصهر هذا هو الذى اشتهر باسم « القومية العربية » · التجزئة تصبح قانونا · والقانون يجب ان يكون شاملا · وحيث لا تكون هناك ضرورات موضوعية يتم خلق مبررات وهمية او نصف وهمية · وتستمد التجمعات ذات المبررات الوهمية قوتها من التجمع الذي يمتلك مبررات موضوعية · الكيان الصهيوني يكون خارج النظام وداخله في الوقت نفسه · هو وحده الذي يستطيع حراسة النظام العام · فحراسة النظام العام بالنسبة له تشكل حراسة للذات ·

الامن بالنسبة للكيان الصهيوني هو محور كل نشاط · ومن غير المجدي له ان يهتم بموضوع اخر · والامن للشعب الذي « يسكن وحيدا » ان يظل وحيدا : الاندماج هو العدو وليس الكراهية · في بلدان العالم يظل وحيدا حتى يمكن فرزه وتهجيره الى فلسطين · وفي فلسطين يظل اليهود الاوروبيون وحيدين ولا يمتزجون بالشرقيين حتى لا « تتمشرق » اسرائيل · ويحكم الاوروبيون (الاشكناز) الشرقيين (السفاراديم) بالخوف من العرب · ويحكم الامريكيون العرب بتخويفهم من اسرائيل ومن توسعها واستيطانها وصناعتها وزراعتها ونبوغ ابنائها ·

ويتحدث القادة الصهيونيون عن مشروعات لعشرين سنة قادمة ، عن الحكم الذاتي للضفة الغربية وغزة ، وعن الحق في الاستيطان في سيناء والجولان ، وعن توطين مليوني يهودي في الضفة الغربية ·

وخلال العشرين سنة القادمة ، يتحدث الخبراء في علم السكان عن التطورات التالية : يصبح تعداد الفلسطينيين ثمانية ملايين نسمة ، يعيشون في فلسطين وحولها · ويصبح تعداد سكان مصر ٧٠ مليونا ، وبسببهم ستضطر اية حكومة في مصر الى خلق عشرة ملايين فرصة عمل اضافية عما هو موجود الان · وهذا لا يتحقق الا اذا صبت المنطقة امكاناتها في مصر ، او صبت مصر طاقتها البشرية في المنطقة · وفي لبنان سيكون هناك ما لا يقل عن سبعة ملايين نسمة · والزيادة لن تستوعبها الفنادق والمصارف الجديدة · وفي سوريا سيزيد تعداد السكان عن ١٥ مليون نسمة ·

وفي مقابل هذا كم سيصبح تعداد الجيش الاسرائيلي اللازم للاحتفاظ بالهوة النوعية وبالتفوق على ما يحيط به ؟ وهل سيزداد اليهود الامريكيون رغبة في الهجرة الى اسرائيل ، ام سيزداد الاسرائيليون رغبة في الهجرة الى امريكا ، او الى غيرها من البلدان ؟·

اية حلول يملكها المؤتمرون في كامب ديفيد ؟ المنطقة التي نعيش فيها تحتاج

الى وقف الموت والتهجير • واذا ركزنا تفكيرنا على ايجاد حلول لمشكلات كل من يقيم في هذه المنطقة ، واستثنينا الولايات المتحدة الامريكية ، فسنجد ان مشكلات الاطراف المعنية ستزداد تفاقما اذا لم يتم الاسراع في ايجاد طريقة لتصفية الكيان الصهيوني • فبهذه الطريقة وحدها ، وليس هناك من طريق غيرها ، يمكن لجميع سكان المنطقة ، بما في ذلك اليهود القاطنون في فلسطين، الخروج من دائرة الموت والتهجير ، ويمكن للمنطقة ان تبدأ بتعلم صناعة التاريخ •

معـــن بشـور

الانعزالية اللبنانية
تحقيق المشـروع أم مواجهة المـأزق ؟

في اللحظة التي كان فيها منظرو ومفكرو « الجبهة اللبنانية » في الكسليك ، وغيرها من مراكز البحوث والدراسات التابعة لاطراف هذه الجبهة ، والتي تـم انشاؤها في السنوات الاخيرة ، يفرغون من اكمال رسم الملامح « الايديولوجية » و « النظرية » للنهج الطائفي الانعزالي الفاشي ، ويحددون له اطره الدستوريـة والسياسية والقانونية في (اوراق العمل) الشهيرة والمتتالية ، كـان المشروع السياسي لهذه الجبهة يصاب في الصميم ·

ذلك ان القوة التاريخية لهذا المشروع (الانعزالي الفاشي المستمر) كانـت تكمن على الدوام في غموضه وفي قدرته الفائقة على التكيف بالشكل المناسب في الظرف المناسب ·

فهو امام جمهوره ومحازبيه والمتأثرين به مشروع طائفي متعصب يريد الحفاظ على امتيازات طائفة معينة « كضمانة » وحيدة في وجه الاخطار التي تهددها ، ويبرر حقه بهذه الامتيازات بمجموعة من الاسباب والمبررات التي تعطيه تفوقا حضاريا واجتماعيا و « عرقيا » على الاخرين الذين يسترسل في وصف تخلفهم و « همجيتهم » وتعصبهم الاعمى · ولكي يضمن هذا المشـروع وصوله الـــى جمهوره بشكل محدد وعدم خروج حقيقته الى جهات اخرى ، يعمد الى ولوج اقنية محددة معروفة من خلال الاديرة والرهبانيات والحلقات الطائفية المقفلة ·

وبالمقابل يحرص هذا المشروع على ان يقدم نفسه للجمهور اللبناني الاخـــر والقوى والفئات الطائفية غير المارونية على انه مشروع لبناني معتدل يقوم على فكرة التعايش ، وينطلق من « الخصائص اللبنانية » ويحاول الحفاظ عليها لما فيها

من مصلحة لعموم اللبنانيين ، بغض النظر عن انتماءاتهم الطائفية او الاجتماعية ٠

كما يحرص امام الاوساط المحافظة في البلدان العربية ان يظهر نفسه وكأنه مشروع محافظ ومناوىء لكل الافكار والاتجاهات اليسارية والتغييرية و « الهدامة » ، ويعمل على تجنيد كل الطاقات لمقاومتها ٠

وهو رابعا امام كل نظام او حاكم عربي ، سواء كان من الانظمة القديمة او الجديدة ، مشروع للحفاظ على « الامن والاستقرار » ليس في لبنان فقط بل في المنطقة عموما ، وبالتالي فهو يقدم نفسه كجهة مستعدة لمنع اي عمل او تحرك يستهدف الامن والاستقرار في لبنان او في الاقطار الاخرى انطلاقا من لبنان ٠

وهو خامسا يقدم نفسه للغرب بحكوماته وشركاته ، كما بمثقفية واوساط الرأي العام فيه ، على انه مشروع « ديمقراطي حضاري » صامد في وجه موجة عاتية من التخلف والارهاب والاستبداد تعصف بالمنطقة العربية بأسرها ٠

وبهذا المعنى ، تمكن هذا المشروع من خلال « غموضه » ، وبتلاؤمه الشديد مع المخططات الامبريالية والصهيونية العامة الموضوعة لمستقبل المنطقة والقائمة على تفتيتها وشرذمتها ، ان يحقق من دون شك نجاحا كبيرا طيلة العقود الماضية ، وان يحقق بشكل خاص نجاحا ملحوظا ابان الحرب الاهلية (٧٥ـ٧٦) حين استطاع ان يكتل الى جانبه ، وان يحرك لانقاذه ، قوى عديدة ومتباينة بل ومتناقضة في بعض الاحيان ، وبالتالي ان يخرج من ذلك الفصل من الحرب اللبنانية في خريف ١٩٧٦ ، بنظر نفسه وجمهوره على الاقل ، منتصرا مزهوا بهذا الانتصار ، معتقدا انه قد آن الاوان ان يكشف كامل مشروعه وحقيقته واهدافه ونواياه ٠ وان يتصرف كالحركات التاريخية الكبرى في هذه المنطقة والعالم ، التي لا تقبل لنفسها صورة الحركات السياسية العابرة ، بل تصر على ان تكون من تلك الحركات ذات الجذور العقائدية والفكرية العميقة والتي لا تشكل السياسة سوى انعكاس بسيط او تطبيق عملي لها ٠

ورأى هذا المشروع في الحركة الصهيونية داعما له ، ومثالا يحتذى به في آن ، فاعجب بنجاحاتها واعجبت باستعداداته ليكون اداة لها ٠ اراد ان يبني دولته على مثالها وصورتها ، وارادت ان تستخدم طموحه لتحمي بناءها ودولتها لا سيما وقد اصيبا بشرخ كبير بعد تشرين ١٩٧٣ ٠

وهكذا اعتقد المشروع الانعزالي انه ببلورة صورته « العقائدية » وتحالفاته العسكرية والسياسية مع اسرائيل ، قد دخل بر الامان وانه قد اصبح في موقع منيع لا يطاله فيه احد ، وانه قد آن الاوان له كي يتخلص من بعض الاثقال والتحالفات « العارضة » التي فرضتها عليه ظروف الحرب الاهلية ، سواء على الصعيد العربي او على الصعيد المحلي ذاته ، بل انه قد آن الاوان للعصب الفاشي

في صلب هذا المشروع ، ممثلا بالادارة العسكرية الكتائبية ، ان يحكم سيطرته الكاملة على الحزب ، والجبهة ، والبلد بأسره ٠

لكن هذا الشعور بالاطمئنان الكاذب ، والتصرف وفق انتصار وهمي مزعوم ، سرعان ما اخذا يصطدمان بالحقائق الواضحة البسيطة ، محاولين تجاوزها باللجوء المتزايد الى قوة المؤامرة الخارجية في حين تزداد يوما بعد يوم العزلة الداخلية لاصحاب هذا المشروع ٠

وبدأ المأزق الحقيقي ينكشف ، وبدأ الضعف العقائدي والسياسي والبنيوي يظهر ، وكان واضحا ان اصحاب هذا المشروع قد ارتكبوا خطأين في آن واحد : الخطأ العقائدي والخطأ الاستراتيجي ، ضمن المسيرة الحتمية لهذا المشروع التي تقوده باستمرار من الجريمة الى الانتحار ٠

اما جوهر الخطأ العقائدي فيقوم على عدم ادراك الفروق الجوهرية بين الحركة الانعزالية الكيانية في لبنان والحركة الصهيونية التوسعية في فلسطين ، تلك الفروق التي جعلت من الثانية مشروعا ناجحا الى حين ، في حين تجعل من الاولى مشروعا خائبا بلا ريب ٠

اول هذه الفروق هو ان الحركة الصهيونية هي حركة « عقائدية » بالدرجة الاولى ، بمعنى ان « عقيدتها » القائمة على ثنائية من الميثولوجيا والعنصرية كانت اداتها الكبرى في حشد طاقات وامكانات اليهود في العالم ، بينما (الكيانية اللبنانية) ، التي تستند عليها الحركة الانعزالية الطائفية ، هي في اساسها فكرة تقوم على « التسوية » وليس على « الايديولوجيا » ، وعلى « التعايش » وليس على « التماثل » او « الوحدانية » الفكرية والاجتماعية والسياسية ، بل لان « المخاوف المسيحية » التي تستند اليها هذه الحركة ، في جانبها الطائفي ، هي في جوهرها ملاحظات على ما تعتقده « طغيان » عقيدة اخرى او « تسلط » اكثرية معينة ، وبالتالي لا يمكن لهذه المخاوف ان تتحول الى (عقيدة لطغيان) او نظرية تبرر تسلط الاقلية ٠ فالحركة الصهيونية عقائدية تقوم على حق ديني مزعوم يعتبر اليهود « شعب الله المختار » ، بينما الحركة الكيانية اللبنانية تنطلق من اعتبارات سياسية بحتة تحرص على حق اقلية دينية في حماية نفسها وحقوقها ٠ الاولى هجومية مضطرة الى التقدم والتوسع ، والثانية دفاعية قوتها في الانغلاق والتوقع ٠

ان هذا الفرق الجوهري الاول يقود الى الفرق الثاني ، وهو انه في حين ان الحركة الصهيونية اما ان تكون حركة توسيعية عدوانية او لا تكون ، فان الحركة الكيانية اللبنانية تفقد مبرر وجودها التاريخي في اللحظة التي تتحول فيها الى حركة تطمح الى التوسع والعدوان ليس فقط خارج حدود لبنان ، وانما داخله

ايضا ، من خلال فرض تسلط ظاهر ، واستبداد معلن ، من فئة لبنانية معينة على الفئات الاخرى ٠

فاليهودي الذي يسلم بمنطلقات الحركة الصهيونية الاساسية مضطر ان يسير وفقها الى النهاية فيحارب من اجل التوسع واقامة (اسرائيل الكبرى) ، يدفعه في ذلك (الحافز الديني المزعوم) و (الحافز الاقتصادي الحقيقي) على حد سواء ، بينما المسيحي اللبناني او الماروني الذي يسلم بمنطلقات الحركة الانعزالية القائمة على مبدأ حماية الاقلية المسيحية من « طغيان الاكثرية » وبالدفاع عن هذا المبدأ ، لا يجد نفسه مضطرا للسير مع هذه الحركة في مشروعها السياسي اذا كان توسيعيا وعدوانيا ، لا سيما وان الحافز الديني مفقود والحاجز الاقتصادي يدفع بالاتجاه الاخر ، اتجاه التفاهم والتعاون مع المحيط الاسلامي والعربي ٠

اما الفرق الجوهري الثالث الذي لا يتمكن من استيعابه اصحاب المشروع الانعزالي ، بسبب انتمائهم الى مدارس فكرية يمينية غير قادرة على مواكبة حركة التاريخ ، فهو ان الحركة الصهيونية ولدت وترعرعت وشكلت دولتها في مراحل صعود الاستعمار القديم وانتصاراته ، فكانت الى حد كبير ثمرة من ثمراته ، واداة من ادواته ، ولم يكن لها ان تقيم دولتها في فلسطين بجدها الذاتي ، وامكاناتها الخاصة لولا « العطف الخاص » من دول الاستعمار القديم والجديد على حد سواء ٠ بينما تجد الحركة الانعزالية الفاشية نفسها تحاول ان تبني دولتها ، وان تحقق مشروعها الخالص ، في مرحلة يشكل تراجع الامبريالية الجديدة طابعها الاساسي ، رغم كل المظاهر المؤقتة والمعاكسة ، وفي ظروف تظهر فيه الاوساط الامبريالية على الدوام استعدادها غير المحدود ، للتضحية بكل ما تعتبره هامشيا او ثانويا من ادواتها لا سيما تلك الادوات التي يحركها الترف الايديولوجي او الشهوات السياسية الجامحة من اجل الحفاظ على مصالحها الكبرى ، ووجودها الاساسي ، ومركزها الرئيسي ، لاطول فترة ممكنة ٠

فالامبريالية ليست في مرحلة تحقيق المشاريع الخاصة لادواتها ، بقدر ما هي في مرحلة استغلال هذه الادوات لتحقيق مشاريعها الخاصة بها ٠

ان الامبريالية ، وغيرها من القوى ، راغبة من دون شك في استخدام المشروع الانعزالي لاستنزاف الثورة الفلسطينية ، ولتهديد البنيان الموحد للمجتمع العربي ، ولارهاق الجيش السوري ، لكنها غير قادرة على مجاراة هذا المشروع حتى نهايته اذا كانت هذه المجاراة تهدد مصالحها الاساسية والكبرى في المنطقة العربية بأسرها ٠

ومن هنا نصل الى الاخطاء الاستراتيجية الكبرى التي وقع فيها المشروع الانعزالي ، بل التي كان لا بد له من ان يقع فيها ، في مسيرته المستحيلة ٠

اول هذه الاخطاء الاستراتيجية ـ السياسية الكبرى التي وقع فيها اصحاب المشروع الانعزالي الفاشي هي عدم التمييز بين قوة اسرائيل الذاتية الكبرى ، وبين قدرة اسرائيل على استخدام هذه القوة للانتصار لحلفائها وعملائهـا · فالقوة الاسرائيلية الكبيرة هي قوة لذاتها وبذاتها ، وليست قوة كبرى لغيرها · بمعنى ان هناك ظروفا دولية وعربية وداخلية تحد الى درجة كبيرة من قـــدرة اسرائيل على استخدام قوتها استخداما غير محدود في كل الظروف ، وفي كل الاتجاهات ، وكل الساحات · واسرائيل التي خاضت معظم حروبها الناجحة ضد العرب ، انما خاضتها وبنجاح بعد ان استطاعت ومن ضمن تعبئة سياسية واعلامية ، ان تصور هذه الحروب بانها حروب دفاعية في وجه قرار عربـــي « بسحق » اسرائيل و « رمي اليهود في البحر » · ورغم ذلك فان اسرائيل اخذت تعاني من عزلة دولية متزايدة نتيجة اصرارها على السياسة التوسيعية العدوانية لا سيما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ·

ان هذا الواقع السياسي الذي بدأ يحيط بالكيان الصهيوني يجعله يتردد كثيرا قبل ان يتخذ قرارا بالتدخل المباشر لنصرة حلفائه او عملائه ، لا سيما حين ينظر الى هؤلاء العملاء كادوات يتم استهلاكها والتخلي عنها بمجرد الانتهاء من دورها · ان هذا التردد الاسرائيلي عن التدخل المباشر لا يعنـي ابـدا ان اسرائيل لن تلجأ في نهاية المطاف الى المغامرة المجنونة بشن حرب لتحقيق عدة اهداف ليس ابرزها بالتأكيد نصرة عملائها في لبنان ، ولكن هذا التردد يعبـر عن مخاطر جدية ينطوي عليها مثل هذا القرار ، سواء لجهة قدرته على النجاح او لجهة التفاعلات والنتائج التي قد تنجم عنه ·

وحرب الجنوب مع الثورة الفلسطينية هي اوضح دليل على مدى تراجع حرية العدو في الحركة والمرونة والمناورة وبالتالي مدى تراجعه عن القدرة علـــى الانتصار على حد سواء ·

وثاني هذه الاخطاء الاستراتيجية والسياسية هي عجز المشروع الانعزالـي الفاشي عن فهم روح المرحلة بعد حرب تشرين ١٩٧٣ · فتلك الحرب المجيدة في حياة العرب استطاعت ، رغم كل محاولات اجهاض نتائجها وعدم القدرة علـى الارتفاع الى مستواها ، ان تدخل الصراع العربي ـ الصهيوني في مرحلة جديدة اصبح طابعها على المستوى العربي ان الانتصار على العـدو قـد اصبـح احتمالا ولم يعد محالا ، وان التكافؤ في القوة والقدرة مع العدو اصبح امرا ممكنا ولم يعد مستحيلا ·

بعد حرب تشرين لم تعد التهديدات الاسرائيلية اوامر في العواصم العربية ، ولم يعد الصمود في وجه العدو الصهيوني ضربا مـن الانتحـار او النـزوات « الثورية » العارضة ، بل اصبح حتى الحديث عن امكان التوازن الاستراتيجي بين قطر كسوريا وبين الكيان الصهيوني مسألة ينظر اليها الكثير من المراقبين

بدرجة عالية من الجدية والاهتمام ٠

وعلى الصعيد الاخر فان مرحلة ما بعد تشرين اصبحت تمثل بداية العـــد العكسي لكافة المشاريع القائمة على المفاهيم العنصرية والطائفية والفاشية ٠ ان نظرة الى تفاعلات تشرين في قلب المجتمع الصهيوني ، والى ما يجري في جنوب افريقيا من تطورات ، والى الارتباكات التي تعاني منها انظمة التمييز والاضطهاد في كافة ارجاء العام ، يظهر ان افصاح المشروع الانعزالي عن هويته وحقيقته قد جاء في غير الوقت المناسب لمثل هذا الافصاح ٠ وان اصحابه قد ارتكبوا خطأ تاريخيا واستراتيجيا على حد سواء ٠

لقد اخطأ دعاة المشروع الانعزالي كثيرا حين تصوروا ان جو التسوية الذي تلا حرب تشرين ١٩٧٣ هو جو مماثل لجو الهزيمة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وان اجواء تلك الهزيمة التي سمحت لهم بتشكيل « حلفهم الثلاثي » وتحقيـــق انتصارهم السياسي في انتخابات ١٩٦٨ ، لن تكون بعيدة عن اجواء التسوية التي هي ثمرة من ثمار حزيران ، وبالتالي ستسمح لهم باعلان مشروعهـــم الحقيقي في ظل « جبهتهم اللبنانية » الامتداد التاريخي للحلف الثلاثي والقائمة على الثنائي الشمعوني والكتائبي ٠

وخطؤهم في هذا التصور ليس نابعا من تبدل الظروف والاوضاع بيـــن الحربين فحسب وانما بالدرجة الاولى نابع عن عدم فهمهم لحقيقة الاسباب التي ادت الى انتصارهم السياسي انذاك ، او بالاحرى الى هزيمة النهج والمكتـب الثاني انذاك ٠

فقد هزم (النهجيون) سنة ١٩٦٨ وبعدها سنة ١٩٧٠ ، ليس بسبب اجواء الهزيمة التي انعشت اسرائيل وحلفاءها في المنطقة فحسب ، وانما ايضا بسبب تصاعد المد الديمقراطي في لبنان والمنطقة بعد تلك الهزيمة ، والذي كان من نتيجته ايضا نمو المقاومة الفلسطينية واشتداد ساعدها حتى قال رجل كرئيس المكتب الثاني في لبنان سنة ١٩٧١ ان « مظاهرات ٢٣ نيسان ١٩٦٩ (المؤيدة للعمل الفدائي) هي التي قصمت ظهر حكم المكتب الثاني في لبنان » ٠

فاذا كان حزيران بكل ثقله وعنفه لم يكن قادرا على تحقيق انتصار كامل للمشروع الانعزالي في لبنان ، بل قاد ايضا وبشكل غير مباشر الى نمو متصاعد للحركة الشعبية في لبنان المرتبطة بالثورة الفلسطينية (كما تجلى ذلك فـــي التظاهرات والاضرابات والانتفاضات المسلحة طيلة سنوات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠) فكيف يمكن لتشرين ان يقود الى انتصار هذا المشروع وقد انتقل الى اخطـــر مراحله واشدها وضوحا وخطرا على لبنان والمنطقة بأسرها ؟٠

ان المراهنة الانعزالية على التسوية بين العرب واسرائيل ليست بالضرورة مراهنة رابحة ، كما ان مراهنتهم على الحرب بين الطرفين هي بالتأكيد مراهنة

خاسرة · وذلك هو جوهر المأزق الانعزالي منذ ان ربط وجوده بالعدو الصهيوني وتحول الى اداة له يستخدمها في سعيه نحو الحرب او التسوية السياسية ·

ففي حال قيام تسوية شاملة كاملة بين العرب واسرائيل تتضاءل الحاجة الصهيونية اليهم ، وتزداد المنافسة بين الصهاينة وبين هؤلاء على كسب ثروات العرب وخيراتهم ·

وفي حال قيام حرب واسعة بين العرب واسرائيل تشتد عزلتهم العربية الى ابعد حدود ، ويسهل استفرادهم لا سيما مع وجود القوات العربية في لبنان ، في حين يكون العدو الصهيوني مشغولا بحماية كيانه او تحقيق طموحاته التوسعية · فاذا صمد العرب في وجه اسرائيل دفع الانعزاليون الثمن ، واذا انتصر الصهاينة على العرب ، وهذا احتمال يتضاءل باستمرار ، سيطروا على الانعزاليين وعطلوا مشروعهم الخاص خدمة للمشروع الصهيوني التوسعي ·

وهذا ما يدفعنا الى مناقشة الخطأ الاستراتيجي الثالث الذي وقع فيه الانعزاليون بعد مبادرة السادات ·

فلقد التقط كبار قادتهم ، منذ اللحظة الاولى ، المخاطر التي تنطوي عليها زيارة السادات بالنسبة لمستقبلهم الخاص كمشروع انعزالي في المنطقة ، وادركوا ان تلك الزيارة اذا نجحت ستجعلهم يتراجعون في سلم الاهتمامات الاسرائيلية ، اما اذا فشلت فسيقوى ذلك من إلتماسك العربي بوجه الصهاينة الامر الذي سينعكس بشكل سلبي على وضعهم في لبنان ·

لكن هذا الالتقاط السريع لهذه الحقيقة ما لبث ان تراجع امام عمق الارتباط الانعزالي بالسياسة الاسرائيلية في المنطقة التي عملت فورا على استخدام حلفائها الانعزاليين في معركة غير متكافئة مع قوات الردع العربية سرعان ما تحولت الى معركة داخل أركان الجبهة اللبنانية ذاتها (مجزرة اهدن) ، وبدأ الخناق يشتد حول اصحاب هذا المشروع وهم بانتظار تدخل اسرائيلي مباشر لا تسمح به الظروف الدولية والعربية بشكل دائم ، واذا سمحت فهو غير مضمون النتائج (لا سيما بعد حرب الجنوب وبعد تصاعد الاستعدادات العسكرية السورية المدعمة من الاتحاد السوفياتي على امتداد سهل البقاع وسلسلتي الجبال الغربية والشرقية في لبنان) ·

ان هذه الاخطاء العقائدية والاستراتيجية والسياسية التي وقع بها ـ وكان لا بد ان يقع فيها ـ اصحاب المشروع الانعزالي ـ الفاشي ـ الطائفي في لبنان قد جعلهم يواجهون احد احتمالين لا ثالث لهما · اما الانتحار السريع في حال اصرارهم على متابعة النهج ذاته والسياسات ذاتها ، او اجراء (انكفاء تكتيكي) على الاصعدة الايديولوجية والسياسية يخفون خلاله حقيقة نواياهم ويعودون الى الاختباء خلف شعارات معتدلة ومقبولة محليا وعربيا ·

وهذا الانكفاء التكتيكي هو الذي يفسر سلوك فريق من قيادة حزب الكتائب وبعض التعديلات التنظيمية (هيئة الطوارىء الحزبية برئاسة امين الجميل) والسياسية (بيان اجتماع المكتب السياسي في خلوة سيدة البير في ٢ ايلول الماضي) محاولا التنصل من سياسة المجلس الحربي الكتائبي الذي يرئسه بشير الجميل والذي يتردد ان خبراء اسرائيليين يشاركون في اجتماعاته والتخطيط له ٠

لكن السؤال الحقيقي يبقى : هل تستطيع هذه الحركة الانعزالية ـ الفاشية ـ الطائفية ان تنجو من خيار الانتحار ؟ وهل يمكن ان يكون هذا الانكفاء والتراجع اكثر من موت بطيء ونهائي لهذه الظاهرة الخطيرة التي عبثت طويلا في حياة لبنان ؟٠

ان مثل هذا التكتيك الانكفائي قد يبقي بعض الزعامات على قيد الحياة السياسية بعض الوقت ، لكن هذا التكتيك ، بعد كل التعبئة التي مارسها هؤلاء بين جماهيرهم وقواعدهم ، لا بد وان ينعكس تصدعا مصيريا وحقيقيا للفكرة التي يقوم عليها هذا المشروع التاريخي لصهينة لبنان ٠

كريم مروة

ثلاث ظاهرات وثلاثة اتجاهات في حركة التحرر الوطني العربية

البحث في ما آلت اليه حركة التحرر الوطني العربية يصبح اليوم امرا في غاية الصعوبة ، في غاية التعقيد · ويكاد يشعر الباحث ان الاحداث تتوالى بسرعة وبكثافة بحيث يكاد يعجز التحليل العلمي عن اللحاق بها ، والامساك باطرافها ، والاستناد اليها والى النتائج المترتبة عليها من اجل استخلاص الاستنتاجات الصحيحة · الا ان العالم العربي لا ينفرد بهذه الظاهرة · بل هي ، في عصرنا الراهن ظاهرة عامة لا تقتصر على منطقة دون سواها · فتفاقم الصراع بين ما هو قديم وماهو جديد ، بين الطموح الى التقدم والتشبث بالماضي ، يولدا هذا التنوع في الاحداث ، باتجاهات متعاكسة ، كما يعقد مجرى تطور العملية الثورية · ان التقدم والتراجع ظاهرة ملازمة لهذا المستوى المتقدم الذي بلغه الصراع الدائر بين الرأسمالية والاشتراكية ، على الصعيد العالمي ، والذي يتخذ اشكالا متعددة متجددة على الدوام · وكل ما نشهده من صراع ، هنا وهناك ، في هذه المنطقة وتلك من مناطق العالم ، في هذا البلد او ذاك ، يدخل بالضرورة ، اية كانت اطرافه ، في نطاق الصراع العالمي الآنف الذكر ، الصراع الطبقي ، بالمعنى الواسع للكلمة ، الشديد التفاقم والاحتدام ، بين الرأسمالية والاشتراكية ، بين البرجوازية والطبقة العاملة ·

لقد مر ما يزيد عن ربع قرن على اول تغيير نوعي في حركة التحرر الوطني العربية من حيث البرنامج الذي تصدت لتحقيقه · ومع ذلك فان ما يتسم به وضعها في الوقت الراهن يتناقض ، من حيث الشكل على الاقل ، مع ما كان ينبغي ان يؤدي اليه هذا التغيير من تأثير في مجرى التطور · ويبدو ذلك في الظاهر امرا غير طبيعي · الا ان النظرة العلمية الى ما يجري في حركة

التحرر الوطني العربية ـ برغم ما فيه من تناقض ـ تؤكد اننا امام ظاهـــرة طبيعية · فالتغيير النوعي الذي حصل منذ اكثر من ربع قرن في حركة التحرر الوطني العربية هو تغيير نوعي في اطار القوى الطبقية ذاتها ، في اطـــار البرجوازية التي ظلت تنفرد بقيادة هذه الحركة فكرا وبرنامجـــا ووسائـــل نضال · وما نعنيه هنا بالتغيير النوعي يتلخص في ان فئات دنيا من البرجوازية حلت في قيادة حركة التحرر محل فئات عليا ، من نفس الطبقة ، المتحالفة مـــع الاقطاع ، طرحت ، من موقعها الاقتصادي والاجتماعي ، الذي يقترب من موقع الطبقة العاملة ، موضوعيا ، برنامجا ادخلت فيه مهمات متقدمة مما لا يمكـــن انجازه الا بوجود سلطة تتبنى ايديولوجية الطبقة العاملة ، ولكن دون ان تقطع مع اصولها البرجوازية ومع ايديولوجيتها · ولذلك ظل التغيير ، برغم نوعيته الجديدة ، غير التغيير النوعي الذي يبدل نظاما بنظام ، وطبقة بطبقة ،وبرنامجا ببرنامج ، وايديولوجية بايديولوجية ·

اذن ، ما نشهده في عالمنا العربي هو وليد طبيعي لهذا المجرى من تطـــور العملية الثورية في ربع القرن الاخير · ففي احشائه ولدت الظاهرات السلبية والايجابية في حركة التحرر وتفاقمت · ولذلك لن نفتش عن تفسـير لما نشهد من احداث وتطورات في غير هذا المجرى من تطور العملية الثورية في مراحلهـــا المختلفة · ولكي نستطيع تحديد الاتجاهات العامة للتطور في الوقت الراهن لا بد من رؤية وتحليل الظاهرات الاساسية في حركة التحرر الوطني العربيـــة · وفي تقديرنا ان ابرز هذه الظاهرات ثلاث :

الاولى ، هي ظاهرة التحول الذي بدأ في مصر بالارتداد عن الانجـــازات ، وانتهى بزيارة السادات الى اسرائيل ·

الثانية ، هي ظاهرة الحرب الاهلية في لبنان ·

الثالثة ، هي ظاهرة التحول النوعي الجديد في اليمن الديمقراطية ، وقيـام اول سلطة للطبقة العاملة على ارض عربية ·

لماذاهذه الظاهرة بالذات ؟ ماذا تعني ؟ ما هي دلالاتها ؟ ما هو موقعهـــا الحقيقي في مجرى تطور العملية الثورية في المنطقة العربية ؟ ·

الجواب على هذه الاسئلة يطرح المشكلة من اساسها · والمشكلة هنا هـــي ما واجه ، في الماضي ، وما يواجه اليوم ، حركة التحرر الوطني العربية مـــن ازمة · وهذا يتطلب ، بالضرورة ، القيام بعملية تشريح لهذه الحركة ، من اجل استخلاص ما هو عام ، في قوانين تطورها ، ينطبق على مجمل حركة التحـــرر الوطني العالمية ، وما هو خاص ، تنفرد به هي ، في اطار خصائصها ومميزاتها التي تحددها خصائص ومميزات البلدان العربية ، منفردة بلدا بلدا ، ومجتمعـــة كوحدة بشرية على اساس الرابط القومي او الجامع القومـــي · ومـــن دون

الدخول في بحثهذه المشكلة يتعذر الجواب على الاسئلة المطروحة · فالسؤال الاول يبحث في الاسباب التي ادت الى بروز هذه الظاهرات · في حيـــن ان السؤالين الاخرين يطرحان قضية الافاق ، اي قضية الى اين وكيف وعلى ايـة اسس سيستمر تطور العملية الثورية ·

والجواب السريع على السؤال الاول هو ان الازمةالتي تتفاقم في حركـــة التحرر الوطني العربية هي السبب المباشر ، هي المولد لهذه الظاهرات · فهي ، اي هذه الظاهرات ، الناتج الطبيعي لهذه الحركة ، في وضعهـــا الراهـن · ووضعها الراهن هذا ، هو استمرار ، باشكال مختلفة ، لوضعها السابق ، اي لتركيبها الاجتماعي ، لقيادتها الطبقية ، لبرنامجها ، لاشكال نضالها ، لموقعها في الصراع العام ، داخل قطبي التناقض الاساسيين ، لمجرى تطورها ·

والجواب السريع على السؤالين الاخرين هو ان هذه الظاهرات تشير الـى ان الصراع المتفاقم والذي يزداد احتداما على صعيد المجتمعات العربية ، وداخل حركة التحرر الوطني العربية ، بدأ يولد نتائججديدة في تعميق الاستقطـاب ، كما بدأ يخلق في داخل الحركة ، وكرد على تفاقم الازمة فيها ، عناصر التصدي لهذه الازمة وخلق الظروف الموضوعية لايجاد الحلول الجذرية لها ·

ان الاجوبة السريعة هذه ، كما اشرنا الى ذلك ، لا تغني عن تعميق البحـث في جوهر المشكلة · هنا لا بد من العودة الى جذور حركة التحرر الوطنـــي المعاصرة ، ظروف نشأتها وتطورها · فان هذه الحركة قد اتخذت ، في عصـر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، محتوى اكثر تقدما واصبحت، كما تؤكد ذلك اللينينية ، جزءا من الثورة الاشتراكية ، بحكم كونها توجه نضالها ضد الامبريالية العالمية ، ولان مصالحها تلتقي ، موضوعيا ، مـــع اهداف الثورة الاشتراكية ، ولان هذه الثورة ، في ظروف عصرنا ، هي حليفها الوحيد لتحقيق مطامحها في التحرر والتقدم · الا ان هذه الحركة ، خـــلال تطورها ، قد مرت من حيث الاساس في مرحلتين ، منذ انتصار ثورة اكتوبـر حتى الان :

المرحلة الاولى ، هي مرحلة النضال ضد الحكم الكولونيالي المباشر وتحقيق الاستقلال السياسي ·

المرحلة الثانية ، هي المرحلة التي تبدأ منذ تحقيق الاستقلال السياســـي والخروج من تحت النير الكولونيالي المباشر · وهما مرحلتانمختلفتان نسبيا، متمايزتان من حيث المهمات ومن حيث الدور المباشر الذي تلعبه هذه الحركة في مجرى النضال العالمي ضد الامبريالية ، اي في الصراع العالمي بين الرأسمالية والاشتراكية · ومن اهم ما يميز المرحلتين احداهما عن الاخرى انفصال فئـات عليا من البرجوازية المتحالفة مع الاقطاع عن الحركة بعد تحقيق الاستقلال ،

اي في بداية المرحلة الثانية · وتعميق ارتباطها بالاحتكارات العالمية ، اي بالامبريالية · وانفصال هذه الفئات من البرجوازية عن حركة التحرر الوطني في المرحلة الراهنة لم يغير من طبيعة الحركة ، اي من تركيبها الطبقي ومن محتواها · الا انه فتح امامها ، من الناحية الموضوعية ، آفاقا فعلية للتحول النوعي على طريق الاشتراكية · وفي الواقع فقد تنوعت نماذج هذه الحركة ، في كلا مرحلتيها ، في العديد من بلدان ومناطق العالم · ويمكن التوقف عند اربعة نماذج منها :

النموذج الاول ، هو الذي تصدت فيه الطبقة العاملة للقيادة ، منذ البدء · في هذا النموذج ادى انتصار الحركة في نضالها من اجل الاستقلال الى وضع برنامج انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، والانتقال الى الاشتراكية ، كمهمة للتحقيق ·

النموذج الثاني ، هو الذي لم تتمكن فيه الطبقة العاملة ، لاسباب موضوعية وذاتية من اتخاذ الموقع الذي يعود لها في القيادة · الامر الذي دفع فئات من البرجوازية الصغيرة الى التصدي لقيادة الحركة · في هذا النموذج ادى تفاقم الصراع وتعقد العملية الثورية الى تحول في الموقع الطبقي لهذه العناصر الثورية من البرجوازية الصغيرة ، وسط عملية صراع وتمايز ، بانتقالها الى تبني ايديولوجية الطبقة العاملة ، والسير بحركة التحرر الوطني على طريق الاشتراكية ·

النموذج الثالث ، هو الذي لم تحسم فيه عملية الصراع والتمايز بين عناصر البرجوازية الصغيرة في السلطة باتجاه ثوري ديمقراطي وظلت قيادة حركة التحرر في يد العناصر المتأرجحة التي لم تتخل عن ايديولوجية البرجوازية · في هذا النموذج لم تستطع حركة التحرر الوطني ان تحقق انتقالة نوعية · بل انها لم تتمكن في حالات كثيرة ،من المحافظة على المكاسب التي حققتها · الا انها لم تخلق الادوات لذلك وحسب ، بل ان انجازاتها التقدمية لم تستند الى تدابير جذرية تعطيها طابع الثبات والاستمرارية · ولذلك فان الحركة ظلت تراوح ، من حيث الاساس ، في مكانها ، اي دون ان تحدث اي تغيير جوهري في علاقات الانتاج الرأسمالية في الداخل ، وفي التبعية للسوق الرأسمالية العالمية · ويعود ذلك في الجوهر الى ان البرنامج الذي طرحته ، والذي تتشابك فيه مهمات التحرر الوطني بمهمات التحرر الاقتصادي والاجتماعي قد أصطدم بالطبيعة والموقف الطبقيين البرجوازيين للسلطة · وبدلا من ان تؤدي التحولات الاقتصادية الاجتماعية الى تغيير في البنية الاجتماعية باتجاه خلق الظروف الموضوعية في انجاز البرنامج المطروح ، وانعكاس ذلك على التغيير في طبيعة السلطة ، حصلت عملية عكسية · فان طبيعة السلطة التي لم يجر عليها اي تغيير في الجوهر جعلت من هذه التحولات الاقتصادية الاجتماعية ، برغم

اصطدامها عند اجرائها مع الفئات العليا من البرجوازية ، اساسا لتولـــد وانتشار افقي للرأسمالية رافقه نمو عددي للطبقة العاملة مع تزايد في وعيهـا الطبقي ، الامر الذي ادى الى تفاقم في الصراع الطبقي ، في المدينة والريـف ، والى استقطاب جديد على صعيد المجتمع بين البرجوازية ، من جهة ، وبيـــن الطبقة العاملة وسائر الفئات الكادحة ، من جهة ثانية ٠

النموذج الرابع ، هو الذي لا تزال فيه حركة التحرر الوطني في المعارضة في موقع الصراع من البرجوازية وبقايا الاقطاع ٠ في هذا النموذج تتعـــدد الامثلة الى حد انها تكاد تختلف من بلد لاخر بنسبة الاختلاف في ظروف البلد المعين وتركيبه السياسي والاقتصادي والاجتماعي وفي مستوى تطوره ٠ فضلا عن ذلك يتميز هذا النموذج بأربعة أمور :

الامر الاول ، هو ان حركة التحرر الوطني تقوم على اساس تحالف ممثلين سياسيين لفئات اجتماعية مختلفة ٠

الامر الثاني ، هو ان الطبقة العاملة ، ايا كان مستوى حجمها ووعيهـــا ، تصبح ، من حيث برنامجها وايديولوجيتها ، وعلى اساس التجربة ، الطبقـة الوحيدة القادرة على قيادة هذا التحالف الى السلطة وانجاز برنامج الثـورة الوطنية الديمقراطية على طريق الاشتراكية ٠

الامر الثالث ، هو ان البرجوازية الصغيرة المتأرجحة وغير المستقرة وغيـر المنسجمة فكرا وبرنامجا تتحول فئات منها ، بأشكال متفاوتة من حيث العمـق والجذرية ، وبقدر ما يكون لحزب الطبقة العاملة من دور في التأثير ، الـــى مواقع الطبقة العاملة ٠

الامر الرابع ، هو ان البرجوازية الوطنية في موقعها ، وبرغم تخليها تاريخيا عن راية النضال الوطني ، تلعب في بعض الاحيان ، نتيجة التناقض المباشـــر بين بعض مصالحها والامبريالية ، دور حليف موضوعي مؤقت لحركة التحـرر الوطني ٠

ان هذه النماذج الاربعة لحركة التحرر الوطني المعاصرة التي توقفنا عندها تؤكد ، برغم ما بينها من اختلافات اساسية ، الموضوعة اللينينية حول امكانية تحول الثورة الوطنية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ٠ والشرط الاساســـي لذلك هو احتلال الطبقة العاملة مواقع القيادة فيها ٠

الحلقة الاساسية اذن هي مسألة الطبيعة الطبقية للقيادة في حركة التحـرر الوطني ٠ فعندما تحسم هذه المسألة تتوفر الشروط للحسم في المسائل الاخرى، وفي مقدمتها مسألة البرنامج ، مسألة انجاز مهام الثورة الديمقراطية والانتقال الى الاشتراكية ٠

وهذا ما ينطبق على حركة التحرر الوطني العربية · وهو ما يهمنا في هذا البحث ·

هناك ثلاثة نماذج في حركة التحرر الوطني ، من بين النماذج الاربعة التي اشرنا اليها ، باستثناء النموذج الاول ، تتمثل في حركة التحرر الوطني العربية · وهذه النماذج الثلاثة تعبر عن جوهر الظاهرات الثلاث التي توقفنا عندها في مطلع البحث : ظاهرة الارتداد في مصر ، وظاهرة الحرب الاهلية في لبنان ، وظارة التحول الجذري في اليمن ·

لقد قلنا في محاولة الاجابة السريعة على الاسئلة التي تثيرها هذه الظاهرات ، بان السبب المباشر والمولد لهذه الظاهرات هو الازمة التي تتفاقم في حركة التحرر الوطني العربية ·

فما هي هذه الازمة ؟ ما هي عناصرها ؟ ما هي تجلياتها ؟ كيف تجري مواجهتها ؟ ما هي الحلول المقترحة في معالجتها ؟

الا ان البحث في الازمة ، في حركة التحرر الوطني العربية ، يطرح بالضرورة قضية الازمة التي تجتازها البرجوازية بكافة فئاتها · وهذه الازمة هي جزء من الازمة العامة التي تجتازها الرأسمالية على النطاق العالمي · انها ازمة تاريخية بدأت مع انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية وتعمقت مع قيام اول نظام اشتراكي عالمي · ولكونها تاريخية نشأت مع قيام اول النظام الاشتراكي عالمي . فهي ازمة عامة ودائمة ولا تحل الا بانتصار النظام الاشتراكي على الصعيد العالمي ، اي بزوال النظام الرأسمالي ، اي بحل التناقض التناحري بين الرأسمال والعمل ، بين البرجوازية والطبقة العاملة ، لصالح العمل والطبقة العاملة · الا ان ازمة البرجوازية في بلدان حركة التحرر الوطني ، وبينها البلدان العربية ، التي هي احدى تجليات الازمة العامة للرأسمالية ، تتميز بان البرجوازية لم تنجز الثورة البرجوازية الوطنية وانها محكومة بالتبعية لبرجوازية البلدان الرأسمالية المتطورة وللاحتكارات العالمية ، وانها بحكم هذا الوضع الذي تكون تاريخيا والذي يزداد تعمقا ، اصبحت عاجزة عن تحقيق التطور المستقل كبرجوازية وطنية · والازمة هنا تشمل كافة فئات البرجوازية · فالفئات العليا منها ارتبطت ارتباطا تبعيا كاملا بالاحتكارات العالمية ومثلت في بلادها مصالح هذه الاحتكارات وخانت بالتالي المصالح الوطنية لبلدانها وشعوبها · في حين ان فئات اخرى من البرجوازية المرتبطة بالانتاج الوطني وبالسوق الوطنية ظلت تتارجح بين طموحها الى الاستقلال الاقتصادي وبين التبعية التاريخية المحكومة بها للاحتكارات العالمية · وفي موقعها المتارجح هذا ، وبالاستناد الى تناقضات تنشأ بينها وبين الاحتكارات الامبريالية ، شكلت وتشكل ، حول قضايا معينة وفي معارك وظروف معينة ، حليفا موضوعيا للطبقة العاملة والفئات

الكادحة في النضال ضد الامبريالية ومن اجل التحرر الوطني والاستقلال الاقتصادي · الا ان ميلها الفعلي هو نحو التناقض والتناحر مع الطبقة العاملة والفئات الاجتماعية الكادحة المتحالفة معها ، تناقضا وتناحرا قائمين على اساس موقف طبقي واضح · ويتجلى هذا في خوفها من حركة الجماهير وبالتخلي عن مظاهر الديمقراطية البرجوازية واتخاذ تدابير قمعية بأساليب واشكال مختلفة · هذا من جهة · ومن جهة ثانية ، يزداد ميلها للمساومة مع الامبريالية وسعيها لربط مصالحها بالاحتكارات وعدم ترددها في ارتكاب الخيانة الوطنية ، انطلاقا من موقعها الطبقي · اما البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وهي في هذه البلدان تشكل اكثرية السكان في المدينة والريف ، فانها تتميز بعدم استقرارها وبتذبذبها وبكونها تتشكل من فئات مختلفة ، ليس فقط من حيث موقعها في الانتاج ، وانما ايضا من حيث موقعها الوسطي بين العمل ورأس المال · الا انها ، بحكم كونها في هذه البلدان ، من حيث وضعها الاجتماعي ، تقترب باكثريتها الساحقة من وضع الطبقة العاملة ، فانها تلتقي معها في المعارك الاساسية الى الحد الذي تصبح معه القاعدة الواسعة للنضال الوطني والاجتماعي · علما بانها ، في ظروف الازمات ، تصبح اكثر ترددا وارتباكا وتشوشا · وهذا ما يشكل ، في بعض الظروف ، خطر تحولها الى الموقع النقيض ، الى قاعدة تستند اليها البرجوازية الكبيرة في قمع حركة الطبقة العاملة والجماهير الكادحة فيالنضالات الوطنية والاجتماعية · من هنا الاهمية الكبيرة التي يرتديها توجه الطبقة العاملة ، وحزبها السياسي بصورة خاصة ، من اجل اكتسابها الى جانب الثورة ومنع تأثيرات البرجوازية الكبرى عليها · وهذه الاهمية تبرز ، بشكل خاص ، بعد ان استقرت عناصر منها في السلطة في بعض بلدان حركة التحرر الوطني ، ومن ضمنها بعض البلدان العربية · وهي مهمة تاريخية لا تنتهي الا بحسم الصراع بين البرجوازية والطبقة العاملة لصالح الاخيرة وانتصار الثورة الاشتراكية وتوطدها ·

لقد رافقت الازمة في حركة التحرر الوطني العربية ، هذه الحركة ، في مرحلتي ما قبل الاستقلال وبعده ولكن بنسب مختلفة · فاذا كانت الازمة في المرحلة الاولى قد تجلت ، من حيث الاساس ، بالتناقض بين ما تمثله الحركة في اطار النضال ضد الامبريالية في عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وبين قيادتها الاقطاعية ـ البرجوازية ، فان هذه الازمة تفاقمت في المرحلة الثانية ، مرحلة ما بعد الاستقلال ، التي تشابكت فيها مهمات التحرر الوطني بمهمات التحرر الاقتصادي الاجتماعي · لقد كانت المهمات المطروحة امام حركة التحرر الوطني العربية في المرحلة الاولى ذات طابع وطني تتحدد بانجاز الاستقلال السياسي · الا ان ذلك لم يغير من محتوى الحركة الذي يحددها طابع العصر بانها جزء من الثورة الاشتراكية · وهنا بالضبط مصدر نشوء الازمة في الحركة · ذلك ان وجود القيادة في يد البرجوازية جعل

العملية الثورية تتوقف عند انجاز الاستقلال السياسي كمرحلة من مراحل الثورة الوطنية الديمقراطية · وهذا ما يؤكد الموضوعة اللينينية حول عجز البرجوازية في بلدان حركة التحرر الوطني عن انجاز برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية · علما بان تحقيق الاستقلال السياسي كان بذاته انجازا ثوريا شكل جزءا من الضربة التي وجهت للامبريالية بعد انتصار ثورة اكتوبر وقيام النظام الاشتراكي العالمي ، بانهيار نظام الحكم الكولونيالي ·

في المرحلة الثانية التي تخلى فيها تحالف الاقطاع والبرجوازية عن النضال الوطني ، بحكم ارتباط مصالحه بمصالح الامبريالية واحتكاراتها ، تعقدت العملية الثورية بفعل تشابك المهمات الوطنية بالمهمات الاقتصادية الاجتماعية · وقد شهدت هذه المرحلة بروز فئات جديدة من البرجوازية ، متوسطة وصغيرة ، تصدت لقيادة الحركة حتى الوصول الى السلطة واقامة انظمة وضعت برامج للتحرر الاقتصادي والاجتماعي عجزت هي نفسها عن انجازها وعن الاحتفاظ بما حققته منها · وهذاما ادى الى تفاقم الازمة في حركة التحرر الوطني العربية الناتج اساسا عن التناقض بين البرنامج المتقدم ، رغم عدم انسجامه ، والقيادة البرجوازية الصغيرة التي تصدت لانجازه ، وهي عاجزة ، بحكم وضعها الطبقي ، عن انجازه ·

الا ان العوامل البنيوية في حركة التحرر الوطني العربية قد اسهمت في اعطاء هذا الطابع المتفاقم والمتجدد للازمة · فهي حركة تحرر وطني تقوم في بلدان تتميز بالتخلف الاقتصادي الموروث تاريخيا · كما تتميز بالبطء في عملية التطور الاقتصادي ، بفعل تبعية هذه البلدان الاقتصادية للسوق الرأسمالية العالمية ، وبسبب علاقة التبعية التي تربط برجوازية هذه البلدان ببرجوازية البلدان الرأسمالية المتطورة ، بالاحتكارات العالمية · وهي لهذه الاسباب كلها ، تتميز بتركيب طبقي متخلف يتجلى بضعف عددي ونوعي نسبي للطبقة العاملة وللبرجوازية كطبقة ، وبطغيان الفئات الوسيطة والهامشية (برجوازية صغيرة ومتوسطة وبروليتاريا رثة ، في المدينة والريف ـ الفلاحون على اختلاف فئاتهم) · وينتج عن ذلك بطء في عملية التمايز الاجتماعي والاستقطاب الطبقي ، وضعف في الوعي الطبقي لدى الطبقة العاملة ،بشكل خاص ، ينعكس في ضعف دورها وفي بطء حركتها وضيق انتشار هذه الحركة افقيا بين الجماهير · كما ينعكس في ضعف الميل نحو التنظيم ، بشكل عام ، الامر الذي يؤدي الى رجحان العفوية في حركة الجماهير واكتساب الافراد (الزعماء) المتحدرين من اوساط البرجوازية او بقايا الاقطاع ، دورا استثنائيا ، برغم ما للافراد ، في كل الظروف ، وفي كل المجتمعات ، اية كانت درجة تطورها ، من دور ملحوظ · غير ان العفوية هنا في حركة الجماهير ، اسيرة ارادة الافراد ـ الزعماء ، تتحرك حسب « مشيئتهم » ، بما يذكر بنظام « الاستبداد الاسيوي » ، نظام تمركز

السلطة الى الحد الاقصى وخضوع الجماهير لهاحتى العبودية ،نظام القراعنة في مصر والاباطرة في ممالك الفرس ، وسواها ٠

ان هذه الجذور البنيوية للازمة في حركة التحرر الوطني العربية تتجلى ، بشكل خاص ، في الطبيعة الطبقية للقيادة في هذه الحركة ٠ وهي من اصول برجوازية صغيرة ومتوسطة ، معظم عناصرهاينتمي الى عائلات متوسطة الدخل او فقيرة ٠ وما نصطلح على تسميته « قيادة » حركة التحرر الوطني العربية هو هذه العناصر من الضباط الذين تحركوا بتأثير العامل القومي وكردة فعل على خيانة تحالف الاقطاع والبرجوازية للقضية الوطنية ، بعد تحقيق الاستقلال السياسي ، والتي تجلت بالتآمر على القضية الفلسطينية وتسليم فلسطين للحركة الصهيونية والاسهام باقامة « دولة اسرائيل » وتشريد الشعب الفلسطيني كما تجلت في المحاولات التي بذلها هذا التحالف لاعادة ربط البلدان العربية باشكال جديدة ، عن طريق الاحلاف والمعاهدات والقواعد العسكرية والاتفاقات الاقتصادية ، ببلدان المتروبول واحتكاراتها ، واحكام تبعيتها المطلقة للامبريالية ٠ ان هذه العناصر التي استولت على السلطة واستأثرت بها في اكبر البلدان العربية واكثرها وزنا ودورا وتأثيرا ، عن طريق الانقلابات العسكرية ، قد استطاعت ان تفرض نفسها قيادة على مجمل حركة التحرر الوطني العربية ، وان تستأثر بهذه القيادة لانها طبعت تطور هذه الحركة ، بكافة فصائلها ، في السلطة وخارجها ، بطابعها الخاص ، وحولتها في الواقع ، الى حركة موحدة تحت قيادتها ٠

لقد طرحت هذه القيادة برنامجا لحركة التحرر الوطني العربية ، ركزت فيه على المهمات الاساسية التالية :

١ ـ تحرير البلدان العربية من اي وجود كولونيالي فيها ، سواء بشكل احتلال مباشر او بشكل قواعد عسكرية او بصيغة احلاف او معاهدات او اتفاقات ذات طابع سياسي او عسكري ، اي انجاز المرحلة الاولى من برنامج الثورة الوطنية الديمقراطية بتحقيق الاستقلال السياسي وتوطيده والانفصال بشكل كامل عن نظام الحكم الكولونيالي ٠

٢ ـ تحقيق الاصلاح الزراعي وتصفية الاقطاعية كشكل لعلاقات الانتاج يتناقض مع تطور القوى المنتجة ٠ وهو تدبير برجوازي وثوري في آن معا ، لانه في الوقت الذي يحرر فيه الفلاحين ، وهم الاكثرية الساحقة من السكان ، من علاقات الانتاج المتخلفة ، يساعد في انتشار افقي للرأسمالية ويوسع السوق المحلية ٠

٣ ـ تحرير فلسطين ، كقضية قومية اولى للشعوب العربية ، وتحقيق الوحدة العربية ، كمطمح تاريخي ناضلت من اجله عشرات السنين ، وتحويل البلدان

العربية الموحدة الى قوة سياسية واقتصادية وعسكرية لها مكانها ودورها في المجتمع الدولي ٠

٤ ـ تحرير الثروات الوطنية الاساسية من سيطرة الاحتكارات العالمية ، مما يوفر مصادر لزيادة الدخل الوطني ، ويخلق الاساس المادي لسياسة التنمية والتصنيع ٠

٥ ـ تأميم المؤسسات الكبرى التابعة للاحتكارات الاجنبية وللشركات البرجوازية المحلية ، وانشاء قطاع عام بالحجم الذي يعطي للدولة دورا مباشرا في ادارة الاقتصاد وتوجيهه ٠ وبرغم الحصة الكبيرة للقطاع العام ظلت علاقات الانتاج السائدة علاقات رأسمالية ٠ كما ظلت هذه البلدان في شبكة العلاقات الاقتصادية الرأسمالية العالمية ولم يجر قطعها ولا محاولة قطعها وفق قرار سياسي ٠

٦ ـ اتخاذ تدابير اجتماعية تساعد في رفع المستوى المعاشي للطبقة العاملة وجماهير الفلاحين وسائر الفئات الكادحة وخلق ظروف ملائمة لتطور القوى المنتجة ٠

٧ ـ اقامة علاقات سياسية واقتصادية وثقافية مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية على اساس تحالف يجري الاستناد اليه في مجالات التنمية والتصنيع ، وفي المعارك الكبرى ضد الامبريالية على طريق تحقيق هذا البرنامج ٠

ان هذا البرنامج الذي يعبر عن طموح حقيقي للتقدم ، لم يكن برنامجا جذريا ، ولم يكن من الممكن ان يكون كذلك ٠ فالقوى الطبقية التي طرحته ، من موقعها في السلطة في عدد من البلدان العربية وفي قيادة حركة التحرر الوطني العربية برغم ثوريتها ، لم تقطع مع اصولها البرجوازية ٠ ولكنها حاولت ان تتميز عن ايديولوجية البرجوازية وايديولوجية الطبقة العاملة على السواء ، وان تشق لها طريقا خاصا بها ، على اساس فكر انتقائي ، وبالاعتماد على تجربة الخطأ والصواب ٠ فتميزت في الواقع عن الطبقة العاملة وايديولوجيتها ، ولم تتميز عن البرجوازية وايديولوجية ٠ وظل « طريقها الخاص » طريقا خاصا في اطار الطريق البرجوازي ، بشكل عام ، مع استمرار طموحها للتقدم ٠ وقد تجلى ذلك بالممارسة ، في المواقف والاتجاهات التالية :

١ ـ الخوف من الطبقة العاملة ومن ايديولوجيتها ومن الجماهير وحركتها ، بشكل عام ، وقمع تنظيماتها او مصادرتها ٠

٢ ـ العداء للديمقراطية ، بكل اشكالها ، سواء فيما يتعلق بتنظيم الجماهير وبالدور الذي ينبغي ان يعطي لها ، او بالنسبة للعلاقة بين اطراف

التحالف الطبقي الوطني ، الضروري موضوعيا ، في اطار المهمات المطروحة امام حركة التحرر الوطني ٠

٣ ـ عدم الحزم في الموقف من الامبريالية ، الذي يصل الى مستوى المهادنة والمساومة معها ٠

٤ ـ الاوهام في امكانية التحكم بالصراع الطبقي وفي ازالة الفوارق بين الطبقات ٠

٥ ـ عدم القدرة على الاستفادة بشكل صحيح ، من المساعدات الاقتصادية التي قدمتها البلدان الاشتراكية ، في دفع عملية التطور الاقتصادي الى الامام والعجز عن التحكم بالعلاقات الاقتصادية مع السوق الرأسمالية العالمية بالشكل الذي كان من الممكن فيه للمساعدات الاشتراكية ان تقوم بدورها في تدعيم الاستقلال الاقتصادي الوطني ٠

٦ ـ الابقاء على جهاز الدولة القديم ـ بدل تحطيمه كشرط لقيام سلطة من نوع جديد ، سلطة الطبقة العاملة ـ مما ادى الى المحافظة بفضل هذا الجهاز كممثل للسلطة السياسية ، على العلاقات الرأسمالية باشكالها الجديدة ، ونمو هذه العلاقات واتساعها ٠ فالدولة ، كما تحددها الماركسية اللينينية ، هي الجهاز الذي تقيمه طبقة اجتماعية معينة ، في مجتمع معين ، من اجل بسط هيمنتها ، والمحافظة على سلطتها ، ولقمع الطبقة الاجتماعية النقيضة لها ٠

٧ ـ نشوء بيروقراطية عسكرية ومدنية في داخل السلطة تكونت لها مصالح جديدة التقت موضوعيا مع مصالح الطبقة البرجوازية التي لم يجر القضاء عليها بفعل استمرار علاقات الانتاج الرأسمالية ، في الداخل ، واستمرار التبعية للسوق الرأسمالية العالمية ٠

ان الجذور الايديولوجية لهذه التجليات في موقف هذه القوى ، على رأس السلطة في عدد من البلدان ، وفي قيادة حركة التحرر الوطني ، هو ما اصطلحنا على تسميته بالفكر الانتقائي ، اي بمحاولة الوقوف في المجتمع خارج الطبقات القائمة فيه وخارج الصراع الطبقي بينها ، والاستناد الى ايديولوجية لا اساس موضوعيا لاستقلالها عن قطبي الصراع ، الطبقتين ، البرجوازية والطبقة العاملة ، ولذلك جاء تبنيها للاشتراكية بالشكل الانتقائي نتيجة طبيعية لعوامل وظروف عديدة اهمها :

١ ـ التناقض القائم بين ما تمثله من مصالح جماهير واسعة من البرجوازية الصغيرة وبين الفئات العليا من البرجوازية ٠

٢ ـ طموحها للتقدم وحاجتها لاجراء تغيير في بنية المجتمع يتلائم مع الصورة التي رسمتها لمستقبل البلدان العربية ، بعد ان تحقق وحدتها السياسية

وتتحول الى دولة قوية متطورة ٠

٣ ـ حاجتها لايجاد حلول للمعضلات التي واجهتها ، على الصعيد الداخلي لكل بلد، وعلى صعيد البلدان العربية ، معضلات ذات طابع اقتصادي ـ اجتماعي وذات طابع سياسي قومي ٠

٤ ـ تأثرها باشعاع الاشتراكية على الصعيد العالمي والانتصارات الكبيرة التي حققتها في كافة المجالات وبما ادت اليه في البلدان العربية نضالات الاحزاب الشيوعية ، من نشر الفكر الاشتراكي في اوساط الطبقة العاملة والفئات الكادحة وبين المثقفين ٠

٥ ـ استنادها الى الاتحاد السوفياتي وسائر البلدان الاشتراكية في تلبية حاجاتها المادية المباشرة وفي سياستها الانمائية ، والاعتماد على تأييد ومساندة هذه البلدان في المعارك الكبرى التي تصدت فيها للهجوم الامبريالي الصهيوني الذي تعرضت له واستهدف قمع حركة التحرر الوطني العربية واخضاعها للسيطرة الامبريالية ٠

الا ان هذه الصيغة في تبني الاشتراكية ، لم تنقل هذه القوى الى مواقع الطبقة العاملة وايديولوجيتها الاشتراكية العلمية ٠ وقد لعب دورا اساسيا بقاؤها في الموقف الطبقي نفسه والايديولوجية نفسها واستمرار تأثرها بالفكر الديني وبقائها اسيرة اوهام فكرية غيبية محافظة ، معادية للعلم ، قبل ان تكون معادية للشيوعية ، للماركسية ، كايديولوجية للطبقة العاملة ٠ وفي هذا يكمن التناقض بين طموحها للتقدم على اساس تبني الاشتراكية ، والموقع الطبقي والفكري البرجوازي الذي ظلت اسيرته ٠ وفي هذا يكمن السبب في ان الصراع والتمايز داخل حركة التحرر الوطني ، كتعبير عن الواقع الموضوعي للصراع الطبقي بكافة تجلياته ، بين الطبقات المتناقضة نفسها ، وبين شرائح وفئات البرجوازية بعضها مع بعض ، لم يؤد ، في المرحلة السابقة ، الى انتقال القوى الثورية من البرجوازية الصغيرة ، في مكانها على رأس السلطة في عدد من البلدان وفي قيادة حركة التحرر الوطني العربية ، الى موقع الطبقة العاملة ٠ بالاضافة الى ان الطبقة العاملة لم تكن مهيئة سواء من الناحية الموضوعية ام من الناحية الذاتية ، لاحتلال الموقع الذي يعود لها في قيادة العملية الثورية ٠ وفي هذا يكمن التفاقم الذي شهدناه في الازمة على صعيد حركة التحرر الوطني العربية ، وفي قيادتها بشكل خاص ، وادى الى انتصار القوى المحافظة في السلطة ، والى التفكك في قيادة حركة التحرر والى انكفاء الحركة ، بشكل عام ٠ ان ذلك يؤكد ، ليس فقط من حيث المبدأ ، من حيث المنطلق النظري العلمي ، بل من حيث التجربة ، ان البرجوازية الصغيرة كفئة من طبقة ، غير مستقرة اقتصاديا ، لا يمكن ان تشكل سلطة مستقلة مستقرة ٠ فالسلطة هي سلطة طبقة وليست سلطة فئة من طبقة ٠ والمرحلة الانتقالية سرعان ما تنتهي

وتنتهي السلطة بعدها الى احدى الطبقتين الاساسيتين المتناقضتين : البرجوازية او الطبقة العاملة ، اللتين يتم الى احدهما الانتقال اليومي من اوساط البرجوازية الصغيرة ، وهنا بالذات جوهر الصراع والتجاذب بين البرجوازية والطبقة العاملة ، حول البرجوازية الصغيرة من اجل اكتسابها · وهنا بالذات تكمن المسألة الاساسية حول اي اتجاه تسلكه حركة التحرر الوطني العربية في مرحلتها الراهنة ·

وفي الواقع فقد برز في الحركة نهجان اساسيان متمايزان متعارضان : نهج ثوري متقدم بالمعنى الواسع للكلمة ، ونهج يميني محافظ بالمعنى الواسع للكلمة ايضا · وجرى بين هذين النهجين ويجري صراع حاد ، تدخل فيه البرجوازية طرفا مؤثرا ، كما تدخل فيه طرفا شديد التأثير ، الهجمة الامبريالية الصهيونية الرجعية على حركة التحرر الوطني العربية · وقد شمل هذا الصراع جميع القضايا التي واجهتها وتواجهها حركة التحرر الوطني العربية بدون استثناء · وهو يستمر ويتفاقم ، في الظرف الراهن ، ويتخذ اشكالا مختلفة · ولا يستثنى من هذه الاشكال اكثرها عنفا بما في ذلك القمع الدموي والحروب · انه صراع حول الموقف من الامبريالية ، بين الحزم في مواجهتها وبين المساومة ، وحول الموقف من الديمقراطية ، بين توسيعها وقمعها ، وحول الموقف من التحالفات بين تعميقها على اساس ديمقراطي وبين استصغار دورها حتى الانفراد بالقيادة ، وحول الموقف من انجازات حركة التحرر الوطني ، بين المحافظة عليها وتطويرها وبين تصفيتها ، وحول الموقف من القضايا القومية . قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية وقضية الثروة البترولية ، وقضية التنمية والتكامل الاقتصادي ، بين تعميق اشكال النضال لحلها ، وبين العمل بالاتجاه المعاكس ، وحول الموقف من الحركات الوطنية الملتهبة ، الحركة الوطنية الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وحول التغيرات التي جرت في اليمن الديمقراطية ، بين دعمها وبين العمل على اضعافها ، وحول الموقف من العلاقة مع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية والحركة الثورية العالمية ، بشكل عام ، بين العمل على تطويرها وبين العمل على تقليصها · وهو صراع طبقي في محتواه ، حتى ولو كان صراعا بين فئات من طبقة واحدة ، البرجوازية او حتى بين فئات من شريحه طبقية واحدة ، البرجوازية الصغيرة · وفي اطار هذا الفهم لمجمل هذه القضايا يمكن رؤية التمايز المستمر داخل الحركة بين النهجين المتصارعين فيها ، الذي يؤدي ، من جهة الى تعزيز مواقع الطبقة العاملة وتحول فئات من البرجوازية الصغيرة الى ايديولوجيتها ، ويؤدي من جهة ثانية الى خروج قوى من الحركة تنتقل الى مواقع البرجوازية وتتخلى عن كل ما كان يربطها بهذه الحركة ، وصولا بقسم منها الى الخيانة الوطنية · ومحتوى هذا الصراع بين النهجين قائم في كل منهما · وهكذا فان عملية التمايز تجري باستمرار لتؤدي الى ما اشرنا اليه من تحول في مواقع القوى باتجاهين

متعاكسين ، اتجاه اكثر تقدما واتجاه اكثر محافظة ٠

ان المرحلة التي تجتازها اليوم حركة التحرر الوطني العربية ، المرحلة التي تتم فيها تصفية انجازاتها ، في اهم البلدان العربية ، وتعود فيها البرجوازية بفئاتها العليا ، الى مواقع التقرير ، هي مرحلة جديدة معقدة ، تشكل مفترق طرق بالغ الاهمية في تطور هذه الحركة ٠ وتشهد قيادة هذه الحركة ، بعد ان بلغت ذروة ازمتها ، حالة تفكك عامة ٠ ذلك ان هذه القيادة التي حددنا اصولها الطبقية بانها اصول برجوانية صغيرة ومتوسطة ، انما تجسدت عمليا ، منذ الخمسينات بالناصرية ، واستمرت باستمرارها واستمرار وهجها ٠ ثم بدأت هذه القيادة تتفكك ، بعد وفاة عبد الناصر بتفكك الناصرية وضعف وهجها ، وعدم وجود استمرارية لنهجها ، وغياب ممثلين لها ، وعجز مدعي ورثتها عن ان يكونوا بديلا ثوريا لها في القيادة فضلا عن ذلك فان التحول الذي جرى في مصر باتجاه الارتداد الكامل عن الناصرية والتخلي عن انجازاتها ، وسلوك نهج نقيض لها وللبرنامج الذي طرحته ، مصريا وعربيا ، في كافة المجالات ، النهج الذي بلغ حد الخيانة القومية في الزيارة التي قام بها السادات لاسرائيل وتقديم كل التنازلات امامها ، حد بيع مصر للاحتكارات وتجربتها ووهجها ، كتجسيد للقيادة في حركة التحرر الوطني العربية ، وتعبير عنها ، فكرا وتركيبا طبقيا ، وبرنامجا وانجازات وازمة ٠

ماذا يعني هذا التفكك في القيادة في مرحلة تبلغ فيها ازمة القيادة ذروتها كتعبير عن تفاقم الازمة في حركة التحرر الوطني العربية ؟

ان التفكك في القيادة من حيث الشكل الذي تجسدت به لا يعني زوالها بالمطلق ٠ فوهج فترة النهوض والمعارك الكبرى التي ترافقت معها والانجازات التي تحققت فيها ، كل ذلك يشكل استمرارا لوجودها المعنوي من حيث هي حاجة موضوعية لحركة التحرر الوطني العربية الى ان يتكون البديل ٠

الا ان الظاهرات التي تفرزها الحركة في هذه الفترة بالذات ، تؤكد للازمة وجهين ، وجها يعبر عن الصعوبات التي تواجهها الحركة في تطورها ، ووجها يعبر عن النمو الذي تحققه والذي يترافق بتكون ظروف موضوعية للانتقال بها الى مرحلة اعلى ٠ التفكك هو اذن من اشكال تفجر الازمة ، شكل من اشكال حل التناقض بين الوضع الذي تراوح فيه الحركة والحاجات الموضوعية لتطورها وانتقالها الى مرحلة اعلى ليس فقط من حيث طبيعة المهمات ، بل من حيث اشكال مواجهتها ، وادوات هذه المواجهة وطبيعتها الطبقية ، بين ديناميكية الحركة كتعبير عن احتدام الصراع فيها ، بين الاتجاه الثوري والاتجاه اليميني فيها ، وبين القوى الداخلية والخارجية اللاجمة لتطورها ٠

ولكن التفكك لا يشكل حلا للازمة ٠ بل هو يصبح بذاته ازمة اذا ظل يعبر

عن الغياب الفعلي للقيادة ، اي لقيادة العملية الثورية على صعيد حركة التحرر الوطني العربية ككل · اذ ان للحركة على صعيد كل بلد ازمتها الخاصة ومشكلاتها الخاصة · وهي تختلف باختلاف البلدان العربية ، من حيث مستوى التطور الذي بلغه البلد المعين ، ومن حيث الاوضاع الخاصة بالطبقات وبمستوى تطور المجتمع بشكل عام ، ومن حيث ، موقع الطبقة العاملة وحزبها فيه ، ومن حيث المهمات الملموسة المطروحة امام الحركة الوطنية فيه ، ومن حيث الموقع الذي تحتله هذه الحركة في مجمل حركة التحرر الوطني العربية ·

ان ازمة القيادة في حركة التحرر الوطني العربية ، ليست جمعا كميا بسيطا لمجمل الازمات في الحركات الوطنية في البلدان العربية بل هي ، الى جانب كونها تعبيرا بشكل عام عن هذه الازمات ، تتمتع باستقلالية نسبية ، هي الاستقلالية النسبية التي تتمتع بها حركة التحرر الوطني العربية ، كمحصلة لمجمل فصائلها ، بالنسبة لكل فصيل من هذه الفصائل ·

ولذلك فان حل الازمة في احد فصائل حركة التحرر الوطني العربية ، لا يعني ، بالضرورة ، حلا للازمة في الحركة ككل ، ولا في قيادتها · ان مدى التأثير هنا يقرره الموقع الذي يحتله هذا الفصيل في مجمل الحركة ، من الناحية الموضوعية ، ومن ناحية قدرته الفعلية على ممارسة التأثير في المجرى العام لتطور الحركة ·

ان التفكك في القيادة ، اذن ، ينبغي ان يترافق بالبحث عن البديل · والبديل لا يمكن ان يكون تكرارا للماضي · فتكرار الماضي هو احد اشكال تكرار الازمة وتجددها بشكل مستمر ، في حركة التحرر الوطني العربية ، وفي قيادتها على وجه الخصوص ، الذي يعود ، في الاساس ، الى البنية الطبقية للحركة والطبيعة الطبقية للقيادة · لا بد ان يكون البديل تطويرا نوعيا للتجارب الماضية · فالناصرية ، مثلا ، تجربة تاريخية ذات اهمية بالغة في حركة التحرر الوطني العربية ، قادت تطورها في مرحلة من اصعب المراحل وحققت لها انجازات كبرى · ولكنها لم تستطع ، لاسباب موضوعية وذاتية اشرنا اليها ، في مستهل هذا البحث ، لم تتمكن من انجاز مهام الثورة الوطنية والديمقراطية ، ولم تتمكن من المحافظة على ما انجزته من هذه المهام · ان الحاجة الموضوعية تتطلب بديلا من نوع جديد ، بديلا يستند الى تجربة الناصرية ، ويأخذ منها ، وينتقل الى ما هو ارقى ، من حيث الانجازات ومن حيث الادوات ، اي من حيث الطبيعة الطبقية للقيادة · والبديل الوحيد للقيادة في تفككها الراهن ، هو التحالف الطبقي الوطني ، الذي تحتل فيه الطبقة العاملة موقعا متقدما ، من حيث الوجود السياسي الفعلي لحزبها ، ومن حيث البرنامج الذي تطرحه ، من حيث الجرأة في اختيار اشكال النضال الملائمة لكل ظرف ·

ان هذا التحالف الطبقي الوطني الواعي هو ارقى من التحالف الموضوعي

الذي انفردت فيه عناصر البرجوازية الصغيرة والمتوسطة بالقيادة ، وحالت دون تحويله الى تحالف عملي ، تحالف ديمقراطي ، يمارس فيه اطراف التحالف الدور الذي يعود لكل منهم في قيادة العملية الثورية · ان اية من الطبقات التي يتشكل منها التحالف الطبقي الآنف الذكر عاجزة وحدها عن قيادة الثورة الوطنية الديمقراطية الى نهايتها ، الى الانتقال الى الاشتراكية ، باستثناء الطبقة العاملة فهي الوحيدة القادرة والمؤهلة لقيادة هذه العملية ·

في هذه المرحلة من تطور حركة التحرر الوطني العربية التي تفاقمت فيها الازمة وتعاظمت فيها الصراعات ، واشتد ضغط الرجعية والصهيونية والامبريالية وتآمرها عليها ، وتفككت فيها القيادة ، بفعل ازمتها ، حتى الانعدام ، برزت ظاهرات عديدة وضعت الحركة على مفترق طرق حقيقي بين التقدم نحو الاعلى والتراجع نحو المزيد من التردي والانحسار · ولكن جميع المؤشرات ، واهمها ما تؤكده هذه الظاهرات نفسها ، تشير الى ان الظروف تنضج نحو تحقيق تحولات نوعية جديدة في مسار الحركة · ابرز هذه الظاهرات ، كما اشرنا الى ذلك ، في مطلع البحث ثلاث : ظاهرة الارتداد في مصر وظاهرة الحرب الاهلية في لبنان وظاهرة التحول النوعي في اليمن الديمقراطية * ·

---

* يصدر هذا المقال في « شؤون فلسطينية » و « الطريق » في آن واحد ·

عبـــد الحفيظ محـارب

حركة "السلام الآن" ، أي سلام تريد ؟

« الصراع مع الاغيار هو احد مكونات هويتنا ، منه تستمد هويتنا المعنى والجوهر · وقد نجد انفسنا فارغين في حال استتباب السلام·»

الكاتب الاسرائيلي أ·ب· يهوشواع
(هارتس ، ١٠/٥/١٩٧٨)

قبل التحدث حول « حركة السلام الآن » ، التي افرزها « المجتمع الاسرائيلي» عقب عملية مخاض استغرقت قرابة اربعة شهور بعد زيارة رئيس اكبر دولـــة عربية الى اسرائيل ، يجدر بنا التوقف حول نظرة « المجتمع الاسرائيلي » الى السلام ·

لسنا مبالغين في القول ان مجتمع المهاجرين والمستوطنين الاسرائيليين يعتبر من اكثر المجتمعات تداولا لكلمة السلام والتغني بها ، وابعدها عن الرغبة فـي تحقيقها كمضمون · ان سبب التغني بالسلام الى درجة الاسفاف يرمي الـــى هدفين ، الاول ، اظهار الطرف الاسرائيلي تواقا الى السلام اكثـر من الطـرف الآخر المعادي ، والثاني ، تغليف عدم الرغبة في تحقيق السلام الكامنة بيـــن نفوس شرائح كبيرة في « المجتمع الاسرائيلي » بالتوق اليه ، وقد ساعدت فترة الصراع الطويلة بين النقيضين في المنطقة ـ الحركة الصهيونية ممثلة فـــي

اسرائيل ، وحركة التحرر العربي ممثلة في القوى الوطنية والتقدمية في العالم العربي ـ بالاضافة الى عامل هيمنة الحركة الصهيونية على كثير من وسائل الاعلام العالمية ، في طمس العلاقة الزائفة بين مجتمع المهاجرين والمستوطنين والسلام ، الى ان جاءت رحلة السادات الى اسرائيل وكشفت ـ على الرغم من كونها طعنة موجهة الى حركة التحرر العربي التي تمر اصلا في حالة جزر ـ عن هذا الزيف · فقد حطم السادات اللاءات الثلاث ، لا اعتراف ولا صلح ولا مفاوضات ، حين توجه الى الكنيست الاسرائيلي حاملا معه على مرأى ومسمع الجميع ، الاعتراف والصلح والمفاوضات ، مضيفا اليها بندا اخر ، ضمان امن اسرائيل ضمن حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ · الا ان « المجتمع الاسرائيلي » الذي اذهلته المفاجأة واستقبل السادات باحاسيس الفرح بانتزاعه الاعتراف من اكبر دولة عربية ، اخذ يصحو على مخاطر الاعتراف ، والمتمثلة بالسلام وسلبياته على المجتمع · فما هي « سلبيات » السلام على « المجتمع الاسرائيلي » او على الاقل على شرائح معينة منه ؟.

يندر ان يجد المرء مجتمعا او شرائح اجتماعية في مجتمع ما في العالم وسلبياته على هذا المجتمع · فما هي « سلبيات » السلام على « المجتمع الاسرائيلي » او على الاقل على شرائح معينة منه ؟.

هنالك فئتان في « المجتمع الاسرائيلي » ، واحدة لا تخشى السلام وفق شرطين : التوسع بقدر المستطاع فيما يسمى بـ « ارض ـ اسرائيل » اي التوسع في مزيد من الاراضي العربية ، والحفاظ على النقاء اليهودي للكيان الصهيوني، وثانية تخشى السلام حتى في حال توفر هذين الشرطين ، وتفضل بقاء حالة اللاحرب واللاسلم سائدة في المنطقة ، وترى بكل بساطة ، ان محصلة سلبيات السلام ، وحتى السلام الذي تريده هي ، تفوق محصلة ايجابياته ·

ويمكن تلخيص « سلبيات » السلام التي تخيف هذه الفئة بالتالي :

١ ـ **اعاقة بلورة وصناعة الشعب** : يرى كثير من الاسرائيليين ان من بين سلبيات السلام تعطيل مسار بلورة وجهد يهود « الشتات » الوافدين الى مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين ، والعائدين الى اصول حضارية وثقافية مختلفة في شعب واحد ، ويعتقدون ، كما يؤكد ذلك البروفيسور يشعياهو ليفوفيتش (١) ان حالة اللاسلم تطمس الفوارق القائمة بين الفئتين الرئيسيتين في هذا المجتمع ، اليهود المتدينون او غير المتدينين ، كما وتطمس الهوة بين الطوائف المختلفة · كذلك يعتقدون ان التهديد بالحرب هو « العامل الموحد الوحيد الذي يصنع منا شعبا ، واذا ما انتفى ذلك فان الشعب معرض للتفكك ، وهذا هو مصدر الخوف ، « واما الحديث حول الرغبة في السلام فهو مجرد ثرثرة ، والذين يرغبون في السلام هم قلة ، واما الباقين فيخشونه ، لانه اذا

ما حدث السلام سيتضح لنا انه لا يوجد اي شيء مشترك بيننا » ٠

وكان بن ــ غوريون من اوائل من نظر ، خلال سني الخمسينات ، لوجهة النظر هذه ، التي اخذت تترسخ ببطء في « المجتمع الاسرائيلي » وتتعزز مع المسار المستقيم لهذا المجتمع لجهة التطرف القومي الديني ٠

٢ ــ **الاندماج والذوبان :** يرى عدد من الاسرائيليين ان من بين سلبيات السلام « خطر » الاندماج والذوبان في المنطقة ، خاصة وان اكثر من نصف سكان مجتمع المهاجرين والمستوطنين قدموا من البلدان العربية ٠ واذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان من بين اهداف الحركة الصهيونية التمرد على الاندماج والذوبان ، وان « المجتمع الاسرائيلي » لم يفلح بعد في عملية صهر اليهود الوافدين اليه ، سيتضح لنا مدى انعكاس « خطر » الاندماج والذوبان على شرائح واسعة في حال احلال السلام ٠ وقد عبر العقيد في الاحتياط عوزي نركيس ، مدير قسم الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية ، عن تخوف تلك الشرائح الاجتماعية من السلام بقوله : « يجب ان يكون واضحا لنا ، هنا في البلاد ، اننا لا نزال محاطين بمحيط عربي قد يحاول الحصول عن طريق السلام ، على ما فشل في الحصول عليه عن طريق الحرب ، واذا كان لم يفلح في القائنا في البحر ، فانه سيحاول تذويبنا في المنطقة » (٢) .

اما عن كيفية محاولة التذويب فان نركيس يتحاشى الخوض فيها ، ويكتفي بالتحذير ، ادراكا منه لحساسية التحذير عند شرائح معينة ٠ ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية حفلت بعدد من المقالات حول موضوع يكاد لا يخطر على البال : الفرق بين تصرف ومسلكية ابناء الطوائف الشرقية وبين ابناء الطوائف الغربية من الصحفيين الذين اتيح لهم تغطية مفاوضات السلام في القاهرة اثناء وجودهم هناك ، للوصول الى استنتاج بان ابناء الطوائف الشرقية اكثر قابلية وميلا للاندماج في المجتمعات العربية ٠

٣ ــ **خطر التأثير الحضاري :** تعتقد اوساط من الاسرائيليين ان السلام يحمل خطر تحويل اسرائيل الى مجتمع حضاري شرق ــ اوسطي ٠ ومن المعروف ان « المجتمع الاسرائيلي » خلال فترة الحروب المتتالية مع العالم العربي ووسط الانغلاق على ذاته ، قد بذل جهودا كبيرة للابتعاد عن حضارة المنطقة المحيطة به والتنكر لها ٠ ولم تحد من هذه المحاولات الهجرات اليهودية من العالم العربي عقب قيام الدولة ، بل يمكن القول انها اذكتها ٠ وقاد الابتعاد والتنكر فئة الاشكناز الحاكمة من خلال نظرة استعدائية معتبرة نفسها قطعة من الحضارة الاوروبية في المنطقة تقف في وجه « الهمجية الشرقية » ، حسب تعبير زعيم الحركة الصهيونية تيودور هرتسل ٠ وكان من نتيجة ذلك ان ازدادت انغلاقية « المجتمع الاسرائيلي » على ذاته ، واصبح اليهود من ابناء الطوائف الشرقية

باستثناء النزر اليسير منهم ، يعملون جاهدين للتخلص من جلدهم وثقافتهم السابقة ، مدفوعين الى ذلك بفعل عامل الاحساس بالدونية تجاه الاشكناز ، اباء الحركة الصهيونية من جهة ، والرغبة في الحصول على مكاسب اجتماعية في المجتمع الذي تقوده فئة الاشكناز من جهة اخرى · ولذا فان الطوائف الشرقية لم تعمل ولم يكن بمقدورها العمل والمساهمة في تقريب « المجتمع الاسرائيلي » الى حضارة وثقافة المجتمعات الشرق اوسطية او على الاقل تفهم هذه الحضارات · ونجم عن ذلك ، بالاضافة الى احكام انغلاقية « المجتمع الاسرائيلي ، امر اخر خطر بالنسبة لهذا المجتمع ، يتمثل في الجهل الذي يكاد يكون تاما عن البلدان المحيطة به ، اذ يمكن القول ان الانسان العادي فيه لا يعرف عن هذه المجتمعات الا « الخطر » الذي تشكله بالنسبة له ، اما لغتها وادابها وتطلعاتها ومآسيها وانجازاتها فهي مواضيع تطرح في الجامعات او تثار بين اروقة المخابرات ·

ولا شك بان المتابع لطروحات اولئك الداعين لبناء سور قوي بين ثقافة مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين وبين حضارة المنطقة سيتقزز ، ليس فقط من الروح العنصرية الاستعلائية التي تفوح من تلك الطروحات وانما ايضا من كيل التهم جزافا لـ « الذهنية العربية » او « العقلية العربية » او « العمل العربي » · وخير وسيلة لحماية « العقلية اليهودية » من خطر التلوث بالعقلية العربية هي الاستمرار في الحفاظ على انغلاق المجتمع على ذاته عن طريق ديمومة حالة اللاسلم ·

٤ ـ **التأثير على النظرة تجاه « الاغيار » :** خلال سنين طويلة وبفضل عوامل عدة توارث اليهود نظرة معينة تجاه « الاغيار » سمتها الاساسية الاستخفاف بهم · ويرى الاستاذ الاسرائيلي الوف هار ـ ايبن (٣) ان هذه النظرة تولد ، لدى اوساط يهودية ، الخوف من عملية السلام ، الذي « يتغذى بواسطة تقاليد قديمة تتمثل في الاستخفاف بالاغيار ، وتعزز في سياق المسار التاريخي عقب الاضطهادات والكراهية تجاه اليهود · وهذا الاستخفاف اصبح علاقة مميزة من خصوصيتنا القومية » · ومفهوم « الغير » او « الاغيار » حسب رأي هار ـ ايبن ليس مفهوما حياديا بل « مشحون بالاحاسيس السلبية ، فالغير هو بشكل عام ، جاهل ، عنيف وخطر ، بينما صورتنا الذاتية في المقابل ، هي صورة مثقفين ، لطفاء ومحبي سلام · ومن المرجح ان انماط هذه النظرة قد تقررت في معظمها خلال الاف السنين من النفي ، مع ان الاستخفاف في الغير موجود في المكراه [شروح التوراة] ··· » ·

اذن ، هذه النظرة المترسخة في ذهنية اوساط من « المجتمع الاسرائيلي » ،

والمتوارثة جيلا بعد جيل في « الشتات » والمحاطة باصول دينية والتي اصبحت من « خصوصيتنا القومية » ، تتناقض والسلام ، وتجد مناخا ملائما لها في حالة اللاسلم ٠

لهذه الاسباب مجتمعة يحتضن « المجتمع الاسرائيلي » شرائح معينة تتخوف من السلام ـ ليس السلام الذي يريده هذا الطرف العربي او ذاك ، وانما السلام بحد ذاته ٠ وعلق على ذلك الكاتب الاسرائيلي موشيه دور (٤) بقوله : « يوجد بيننا ـ ولنتحدث بكل صراحة ـ اناس يخشون السلام ليس لانهم مثيرون للحروب ومتعطشون لسفك الدماء ، بل لان فتح الابواب المنتظر يردعهم ، فهم يتخوفون من التأثيرات الخارجية ، ومن فقدان الخصوصية ، ومن الاندماج ، ويجدون راحة في الجلوس داخل القلعة المحصنة المغلقة في وجه المنطقة » ٠

وقد ساعد على تبلور اصحاب هذا الفريق وحرص على الانغلاق حالة العداء في فترة البيشوف وحالة الحرب وما استتبعها من حصار في عهد الدولة ٠ وادى الحصار وكذلك الحروب المتتالية الى اذكاء المشاعر الشوفينية الدينية بين صفوف مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، الامر الذي ساعد على تطوير بعض القيم فيه لجهة التطرف اليميني ، وانعكس ذلك في فوز الليكود في انتخابات ايار ١٩٧٧ ٠

اما الفئة الاخرى التي لا تعير « سلبيات » السلام آنفة الذكر اهتماما كبيرا ، فانها تعمل لتحقيق السلام وفق شروطها هي ومنظورها نحوه ، وترى في تحقيق السلام ايجابيات كثيرة للمشروع الصهيوني ، من بينها انتزاع الاعتراف العربي بشرعية الكيان الاسرائيلي وبالتالي بشرعية الفكرة الصهيونية ، ووضع حد للعزلة السياسية التي تعيشها اسرائيل ، والتسريع في عملية نفي « المنفى » وجلب معظم يهود العالم الى مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين « كملجأ آمن » ، كما دعا الى ذلك اباء الحركة الصهيونية ، وازدهار الاقتصاد الاسرائيلي من خلال ارساء قواعد جديدة مع العالم العربي تضمن له ذلك ٠ الا ان هذه الفئة التي تركز على ايجابيات السلام ، وان كانت تشارك الفئة الاخرى احساسها تجاه « السلبيات » ، تضع شرطين اساسين امام تحقيق السلام : عدم العودة الى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، والحفاظ بقدر الامكان على « نقاء » مجتمع المهاجرين ، اي ضم اكبر قدر مستطاع من الاراضي العربية غير المكتظة بالسكان العرب ، ويعبر عن ذلك سياسيا في برنامجي الليكود الحاكم والتجمع العمالي المعارض (وليس هنا مجال الخوض فيها) ٠

خلاصة القول ان مجتمع المهاجرين والمستوطنين تتنازعه وجهتا نظر تجاه السلام : واحدة تخشى السلام لتبعاته « السلبية » وتفضل الاستمرار في العيش داخل الغيتو الكبير بعد ابتعادها عن مجموعة الغيتوات الصغيرة ، وتجد خير

من يكفل لها ذلك حالة اللاسلم · وثانية لا تعير اهتماما كبيرا « لسلبيات » السلام ، وينصب تفكيرها على ايجابياته وشروطه التي تكفل لها مزيدا من التوسع في الاراضي العربية بهدف النهوض بالمشروع الصهيوني · وتكمن الخلافات بين التيارات السياسية الاسرائيلية حول مسالة شروط السلام ، فالبعض يشترط ضم اراض عربية واسعة ، بينما يطالب الاخرون ضم اراض « غير واسعة » ، اي انها تتفق جميعها حول مناهضة الانسحاب الى حدود الرابع من حزيران ، ناهيك عن اجتماعها على محاربة قيام دولة فلسطينية **مستقلة** ، حتى لو افترضنا جدلا امكانية استبعاد م·ت·ف ، وتوفر اعتراف هذه الدولة **المستقلة** بالكيان الاسرائيلي ·

وفي ضوء هذه المقدمات والاستنتاجات التي اشرنا اليها ، يطرح السؤال نفسه : **ما هي المكانة التي تحتلها « حركة السلام الان » في الفهم الاسرائيلي للسلام وما هي « مبادىء » السلام التي تطرحها ؟·**

تعبر « حركة السلام الان » عن تطلعات اوساط شعبية معينة من بين الفئة التي لا تخشى السلام ، وتثق بقدرة « المجتمع الاسرائيلي » على التكيف مع الوضع الجديد لصالح المشروع الصهيوني ، مع اشتراط بعدم الانسحاب الى حدود الرابع من حزيران وعدم قيام دولة فلسطينية ·

ربما يتبادر الى الاذهان ان الحركة الجديدة لا تختلف عن الليكود او التجمع العمالي في هذين الاشتراطين ، والاستنتاج ان لا مبرر لولادتها ما دامت لم تطرح شيئا جديدا · والحقيقة هي ان هذين الاشتراطين وان بديا للوهلة الاولى متطابقين ، الا ان فهم كل طرف لهما مغاير للاخر ، ويتمحور الخلاف حول حجم الانسحابات داخل الاراضي العربية ، وحول مصير الفلسطينيين وليس حول دولتهم المستقبلية المستقلة ·

ظهرت حركة السلام الان عقب مضي قرابة اربعة شهور على زيارة السادات الى اسرائيل ، وساعد على ظهورها عاملان :

١ ـ **تداعي فلسفة اللاخيار :** من المعروف ان فلسفة اللاخيار (اين بريراه) التي درج قادة « المجتمع الاسرائيلي » ، وحذا حذوهم في ذلك جميع التيارات السياسية الصهيونية ، على ترسيخها في ذهنية الجمهور الاسرائيلي ضد تحقيق السلام ، بحجة ان الطرف الاخر لا يريد السلام ، ويقف ضد المفاوضات والصلح والاعتراف ، قد تصدعت عقب حرب ١٩٦٧ ، حين قبلت الاطراف العربية مشاريع عدة تنم عن قبولها غير المباشر للمفاوضات والصلح والاعتراف · وقد تداعت هذه السياسة اكثر عقب حرب ١٩٧٣ ، ووصل ذلك المسار الى نهايته حينما فاجأ رئيس اكبر دولة عربية مجتمع المهاجرين والمستوطنين بزيارته المشهورة ، حاملا اليه وبشكل مباشر المفاوضات والصلح والاعتراف والامن

ايضا · وكان من نتيجة ذلك التصدع ان برزت من وسط الشقوق ـ في حينه ـ حركة احتجاج طلابية في اسرائيل عبرت عن نفسها في « رسالة الثانويين » التي ارسلها طلبة يقفون على عتبة الخدمة العسكرية الى رئيسة الحكومة انـــذاك غولده مئير ، وهي الرسالة التي هدد فيها مرسلوها بعدم خدمة العلم في حـال استمرار السياسة الاسرائيلية بـ « تفويت فرص السلام » · كما ونتج عـــن التداعي الذي حدث عقب حرب تشرين ان تداعت فلسفة اللاخيار بشكل شبـــه كلي ، وبرزت من وسط الانقاض حركة احتجاج طلابية وعسكرية عبرت عـــن نفسها في « رسالة الضباط » الى رئيس الحكومة مناحيم بيغن تحتج على تفويت الحكومة لفرص السلام · وما لبثت تلك الحركة ان اصبحت حركة شعبية تحمل اسم « السلام الان » ·

٢ ـ **التعنت في المواقف السياسية :** لم يرافق مفهوم فلسفـــة اللاخيار اي تغيير يذكر في سياسة وبرامج الاحزاب الاسرائيلية تجاه السلام سواء برامـج الاحزاب اليمينية او العمالية ، وربما يكون التغيير البسيط الذي حدث هـــو تقارب التيارين الاساسيين ، الليكود والتجمع العمالي ، بشكل اكثر من السابـق في فهمهما للسلام ، من حيث الاتفاق على ضرورة احراز مكاسب اقليمية ، اي تكريس احتلال اجزاء من المناطق المحتلة مقابل السلام · وكان من نتيجة هـــذا التقارب في الفهم بالاضافة الى استمرار الليكود الحاكم باتخاذ اجراءات لا تنم عن ان القائمين بها يرغبون في تحقيق السلام ـ كاقامة مزيد من المستوطنـــات في هذه المنطقة العربية او تلك ، والعمل الحثيث للتنقيب عن البترول والغاز في الاراضي المصرية المحتلة ـ ان ادركت اوساط في « المجتمع الاسرائيلي » بعـد تعثر المفاوضات ان مشروع السلام ، الذي قدمته الحكومة الاسرائيلية ليســـ فيه ما يتماثل مع ما قدمه السادات ، واصبح السؤال المسيطر على ذهنيـــة هذه الاوساط هو هل قدمت الحكومة الاسرائيلية تنازلات بما فيه الكفاية للحيلولة دون تفويت فرص السلام ؟ وهذا السؤال الذي اخذ يتسلل الى الاذهان أفرز في نهاية الامر حركة احتجاج عبرت عن نفسها في البداية بين اوساط التلاميـــذ وبعد ذلك بين اوساط الجيش ومن ثم تبلورت على شكل « حركة السلام الان » ·

عقب تعثر المفاوضات المصرية الاسرائيلية ووقف مباحثات اللجنة السياسية في القدس ارتسمت بوادر الاحتجاج بين اوساط التلاميذ الثانويين ، حين اقدمت مجموعة منهم على ارسال مذكرة الى بيغن (تعيد الى الاذهان مذكرة التلاميـذ السابقة الى غولده مئير) يحتجون فيها على موقف الحكومة من مفاوضـــات السلام · وتعتبر هذه الرسالة التي وقع عليها ٨٠ تلميذا اجرأ بكثير من رسالة الضباط وان تكن اقل جرأة من المذكرة السابقة المقدمة الى غولده مئير ·

ولا شك بأن هذه الرسالة كانت من العوامل الدافعة للضباط لارسال مذكرتهم الى رئيس الحكومة ٠

تقول رسالة التلاميذ الموجهة الى بيغن (٥) : « لقد عشنا كل حياتنا في دولة تعيش حالة حرب ٠ ومنذ نعومة اظفارنا عشنا على امل ان تعيش اسرائيل بسلام مع جيرانها ٠ لقد اتفقنا على ان دولة اسرائيل تبذل قصارى جهدها للتوصل الى هذا الهدف العظيم ٠ وفي اعقاب اعلان الرئيس السادات القائل بامكانية التوصل الى اتفاق سلام كنا على يقين ان الحلم تحول الى واقع ٠ هنالك ، امكانيتان امام اسرائيل : (أ) اعادة المناطق التي احتلت في حرب حزيران ١٩٦٧ وتوقيع اتفاق سلام مع الدول العربية ٠ (ب) الاستمرار في الاحتفاظ بالمناطق المحتلة واضطهاد سكانها واستمرار الحرب ٠

« ان حكومة اسرائيل ، لسوء حظنا ، تتجه نحو الطريق الثاني ، وتعمل على استدامة الحرب ٠ ان اخواننا الذين سقطوا في الحروب الاربع السابقة ، كانوا يدركون ان لا خيار وان ليس هنالك من نحاوره ٠ ولكن كيف يتوقع رئيس الحكومة منا نحن الذين تثقفنا على ان السلام قيمة عليا ، الخروج لحرب ونحن غير واثقين من عدالة طريقنا ؟ »٠

« وكقرابين محتملة للحرب القادمة ، نتوجه الى رئيس الحكومة للسير في الطريق الصحيح ، طريق السلام ، وابداء استعداده للتوقيع على سلام شامل يتضمن : ضمان الحقوق القومية لكل شعوب المنطقة بما فيها الشعب العربي الفلسطيني والاعتراف بحقه في تقرير المصير ٠ واذا لم ينتهج رئيس الحكومة هذا الطريق فستكون يداه ملطختين بدمائنا ، دم الذين سيتساقطون في الحرب » ٠

بعد تلقي رئيس الحكومة مناحيم بيغن رسالة التلاميذ هرع للرد عليها ، وجاء في رده (٦) : « لقد تقدمتم لي بطلب ، الا وهو ان توافق الحكومة المنتخبة في اسرائيل على مطلبي اعدائنا وهما : (١) انسحاب قوات اسرائيل الى الخطوط التي سبقت الحرب الدفاعية ، حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ، (٢) اقامة الدولة المسماة فلسطينية ٠ وتحملوننا ، نحن ممثلي اسرائيل المنتخبين ، في حال عدم خضوعنا مسؤولية « دمائكم ودماء الذين سيسقطون في المعارك » ٠ لن ابحث في الاسلوب والادب واختيار الكلمات التي لا يوجد افظع منها ٠ سانتقل الى صلب الموضوع ٠ عليكم ان تعلموا ٠٠٠ اننا لو قبلنا بهذين المطلبين لكانت الموافقة عليهما هي المسؤولة عن الخنوع ، والتي سينتج عنها سقوط الاف من الشيوخ والشباب رجالا ونساء واطفالا ٠٠٠ » ٠

وتطرق بيغن الى اشارة التلاميذ الى الموضوع الفلسطيني قائلا : « هذه المرة انتم انفسكم تتحدثون عن « الدولة الفلسطينية » ، التي ستكون مرارة من قبل

منظمة القتلة المسماة منظمة التحرير الفلسطينية · وقد سبق لهذه المنظمة ان اعلنت بشكل واضح عن اهدافها وهي القضاء على دولة اليهود · والخص بجملة واحدة : ان الشروط التي تقبلون بها من اجل اي سلام ستكون نتيجتها معكوسة ، وليس فقط اننا لن نحصل على السلام ، بل سنحصل ايضا على سفك دماء » ·

من الملاحظ ان رئيس حكومة اسرائيل تعمد ان ينسب الى التلاميذ موقفا لم يتبنوه في رسالتهم ، كزعمه انهم يدعون الى قيام دولة فلسطينية ، وذلك في محاولة منه « لتلطيخ » سمعة التلاميذ في نظر الاكثرية في مجتمع المهاجرين والمستوطنين بتصويره اياهم كأنهم يريدون دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة بقيادة م·ت·ف ، في الوقت الذي اقتصر فيه حديث التلاميذ عن القضية الفلسطينية على الدعوة لمنح الشعب الفلسطيني « حق تقرير المصير » دون الاشارة الى دولة فلسطينية او الى م·ت·ف·

كانت رسالة الاحتجاج هذه قائمة لـ « حرب رسائل » بين صفوف الطلبة ، فقد اخذ الطلبة المعارضون رسالة زملائهم ينشطون في الرد عليها ، ووقع غداة نشر الرسالة الاولى قرابة ١٥٠٠ طالب ثانوي من القدس على مذكرة ارسلوها الى بيغن يشجبون فيها ما ورد في « رسالة الثانويين » ناعين اياهم باوصاف بذيئة ، ومركزين على ان السلام هو قيمة مهمة بينما دولة اسرائيل هي « قيمة عليا » · وجاء في الرسالة ايضا (٧) : « ··· اننا على اعتقاد ان للسلام ايضا ثمنا محددا · لقد تثقفنا على ان السلام قيمة هامة ، واستحوذت علينا طوال الوقت الرغبة في السلام ، بيد ان القيمة العليا التي تثقفنا عليها هي : وجود اسرائيل وشعب اسرائيل · اننا لسنا على استعداد لبيع هذا الوجود مقابل ثمن بخس ··· آن الاوان ليتنازل السادات قليلا من اجل السلام · لقد اثبتت حكومة اسرائيل رغبتها في السلام وقدمت تنازلات اكثر من اللازم ، وسيؤدي اي تنازل آخر الى تدمير اسرائيل وشعبها » ·

وبعد مضي قرابة شهر على رسائل الطلبة واحتدام النقاش حول موضوع السلام ، واستمرار تصلب اسرائيل في مواقفها مع القيام باجراءات تتعارض في جوهرها مع الرغبة في تحقيق السلام وتجعل منه امكانية بعيدة المنال ورهن المستقبل البعيد ، اخذت تظهر بين الاوساط التي ترجع مسؤولية عدم امكان تحقيق السلام في هذه الفترة الى المواقف المتعنتة لحكومة الليكود ، دعوات لضرورة تحقيق السلام « الان ، في هذه الفترة وليس في المستقبل البعيد · وفي هذا الجو بعث حوالي ٣٠٠ ضابط وجندي من قوات الاحتياط المقاتلة برسالة الى رئيس الحكومة ، ما لبثت ان تحول الموقعون عليها الى حركة احتجاج تحمل اسم « حركة السلام الآن » ·

وتنص الرسالة على التالي (٨) :

« حضرة رئيس الحكومة مناحيم بيغن ،

« السيد المحترم ٠

« هذا الكتاب مرسل اليك من مواطنين اسرائيليين ، جنود وقادة في الاحتياط ٠

لا نكتب اليك بقلب مستريح ٠ ولكن في هذه الايام ، حيث تتفتح لاول مرة امام اسرائيل افاق جديدة لحياة سلام وتعاون في المنطقة ، فاننا نرى من واجبنا ، ان ندعوك للامتناع عن القيام بخطوات قد تتحول الى بكاء شعبنا ودولتنا على مدى الاجيال ٠ نكتب اليك بقلب عميق ٠

« ان الحكومة التي تفضل وجود دولة اسرائيل داخل ارض ـ اسرائيل الكبرى على وجودها في سلام وعلاقات حسن جوار ، تثير لدينا تساؤلات قاسية ٠ والحكومة التي تفضل قيام مستوطنات خارج الخط الاخضر على تصفية النزاع التاريخي والتوصل الى ترتيب شبكة علاقات عادية في منطقتنا تثير لدينا تساؤلات بشأن عدالة طريقنا ٠ ان حكومة تتسبب في الابقاء على السيطرة على حوالي ربع مليون عربي قد تلحق الضرر بالطابع اليهودي الديمقراطي للدولة ، وتجعل من الصعب علينا التماثل مع دولة اسرائيل ٠

« اننا كجنود ، ندرك الحاجات الامنية لدولة اسرائيل والصعوبات التي تعترض طريق السلام ، ولكننا نعرف ايضا ان الامن الحقيقي يتحقق فقط عند تحقيق السلام ٠ ان قوة الجيش الاسرائيلي تكمن في تضامن جنوده على الطريق الذي تسير عليه دولة اسرائيل ٠ اننا ندعوك لاختيار طريق السلام ، فتعزز بذلك ايماننا بعدالة طريقنا » ٠

ورد بيغن على رسالة الضباط بالرسالة التالية (٩) :

« حضرة السيد أونغر :

«اسمك هو اول اسم في قائمة المواطنين الذين بعثوا الي برسالة لم يوقعوا عليها ، وارجوك نقل موضوع كلامي الى زملائك الذين اشتركوا في رسالتك الي ٠

« ملاحظتي الثانية هي بخصوص نشر الرسالة قبل تسليمها لي ، وهاتان الظاهرتان ليستا لائقتين : ارسال الرسالة دون التوقيع عليها ونشرها قبل وصولها الى المرسل اليه ٠ ومن الصعب ان لا استغرب تصرفا كهذا في هذا العصر المسمى بعصر العلاقات العامة ٠ والآن الى صلب الموضوع ٠

« ايها المواطنون ، انتم اصدقاء ومقربون ، ويفضل ان تحملوا هذا اللقب ٠

ان الحكومة التي ينبع تحملها المسؤولية من انتخاب الشعب لها ، قد عملت وستمضي في العمل بجهود عظيمة من اجل منع الحرب واحلال السلام ٠ و قول بقلب مطمئن ان هناك من بين أعز اصدقائي من يدعون ، وحتى يحتجون ، على ان حكومتي قد قطعت شوطا بعيدا في اقتراحاتها وخطتها الموضوعة بادق تفاصيلها من اجل السلام ٠ حقيقة هي ان الاردن ومصر ، دون ان اذكر دولا عربية اخرى ، تطلب منا ان نعطيها منذ البداية تعهدا بالانسحاب ؟ الكامل حتى الملمتر الاخير من حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ، وكذلك ما يسمى تقرير المصير للعرب من سكان يهودا والسامرة وغزة ، او بكلمات بسيطة : اقامة دولة فلسطينية في غزة وعلى سفوح وقمم الجبال التي تسيطر من كل النواحي على السهل الساحلي حيث تتركز غالبية شعبنا رجالا ونساء واطفالا ٠ ارجو من كل واحد منكم ان يرد برسالة شخصية اذا كان يوافق على هذين المطلبين العربيين ٠ لا حاجة لاضيف ان قبول هذين المطلبين لا يشكل سلاما وانما عكس ذلك ، سفك دماء دائم ، واستمرار الاضرار بمواطنينا ، وتعريض كيان دولتنا للخطر ٠ ولكن الحقيقة هي أن أي اتفاق مهما كان اسمه بيننا وبين العرب مرتبط ومرتهن اليوم بقبول هذين الشرطين ٠ وارجو ان تقولوا لي : هل تقبلون او لا تقبلون ؟ .

« ليس علي ان ارد بالنيابة عنكم ٠ واذا كنتم كالاغلبية الساحقة من هذا الشعب ، ترفضون هذا الطلب المزدوج ، فدعوا حكومتكم المنتخبة تدير المفاوضات من اجل السلام على اساس قراراتها ومهمتها » ٠

من الواضح ان رسالة الضباط تختلف من حيث المضمون عن رسالة التلاميذ ٠ فبينما تعرضت رسالة التلاميذ الى ما ينبغي عمله تجاه السلام ، اكتفت رسالة الضباط بالاشارة الى ما لا ينبغي عمله ، وذلك على شكل نقد للحكومة ودعوة لها بعدم تفضيل ثلاثة امور على السلام ، وهي : ارض ـ اسرائيل الكبرى ، واقامة مستوطنات خارج « الخط الاخضر » ، أي حدود اسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ ، وابقاء السيطرة الاسرائيلية على اعداد كبيرة من السكان العرب في المناطق المحتلة ٠

وبسبب وعي رئيس الحكومة مناحيم بيغن لتهرب المبادرين بالرسالة من اتخاذ موقف محدد تجاه النقاط التي يتطلب السلام الانسحاب اليها من هذه المنطقة العربية او تلك ، وكذلك تجاه مصير الشعب الفلسطيني ، لم يجد نفسه بحاجة الى نسب امور اليهم لم يدعوها لانفسهم ، كما فعل مع التلاميذ الذين كانوا اوضح بكثير في تحديد مواقفهم تجاه السلام ٠ ولذلك لجأ الى اسلوب الاحراج بتحديه اياهم بأبداء موقف محدد تجاه الانسحاب الى حدود الرابع من حزيران وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، ادراكا منه ان اصحاب

الرسالة يعارضون من حيث المبدأ العودة الى حدود ١٩٦٧ ، ويتخبطون تجاه موضوع حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، ويقفون ضد قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

لم يعر المبادرون بالرسالة ، بسبب هذا الواقع ، اهتماما كبيرا للرد على الاسئلة المحرجة لرئيس الحكومة ، وتمسكوا بموقفهم الفضفاض تجاه موضوع السلام على امل كسب مزيد من الشرائح الاجتماعية الى جانبهم للضغط على الحكومة لتقديم تنازلات اكثر تستجيب للفرصة التاريخية السانحة لتحقيق السلام مع اكبر دولة عربية ٠ وقد لجأ الضباط المبادرون بالرسالة الى طرق عدة من اجل بلوغ الهدف ، من بينها :

١ ـ جمع التواقيع على العريضة : انهمك المبادرون بالرسالة عقب تلقي رد بيغن عليها بجمع التواقيع على رسالتهم ، بغرض الترويج لمبادرتهم وتحويلها الى حركة احتجاج باكسابها رصيدا شعبيا ٠ وتمكنوا خلال فترة قصيرة من جمع الاف التواقيع ، الامر الذي شجعهم على الاستمرار في عملية الجمع هذه ، حيث حصلوا بعد مضي قرابة خمسة اشهر على اكثر من مئة الف توقيع ٠ وساعدهم في ذلك عوامل عدة من بينها (أ) واقع كون اصحاب الرسالة من العسكريين (الاحتياط) في الوحدات المقاتلة ، (ب) التماثل بين « المبادىء » الضبابية الواردة في الرسالة وفكر شريحة واسعة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين ٠

٢ ـ التظاهرات : عقب نجاح اصحاب المذكرة في بداية عملية جمع التواقيع ، اعتمدت « حركة السلام الان » التي انبثقت عن المبادرين بالرسالة الى اسلوب التظاهرات والمسيرات ونشر الملصقات في المدن بهدف ترسيخ حركة الاحتجاج في الخريطة السياسية الاسرائيلية ، للضغط على حكومة بيغن للتوصل الى سلام مع مصر ٠ فعند مطلع نيسان قامت الحركة باول تحرك جماهيري على شكل مظاهرة في ساحة « ملحني يسرائيل » في تل ابيب اشترك فيها قرابة ٤٠ الفا تظللهم شعارات الحركة « السلام افضل من ارض ـ اسرائيل الكاملة » ، « حل وسط من اجل السلام الآن » ، « انضم الى دعوتنا ـ السلام الآن » ٠ واحتلت هذه التظاهرة الاحتجاجية الاولى مكانة مرموقة في الصحافة العالمية وبعض وسائل الاعلام العربية ، الامر الذي أكسب الحركة الوليدة مزيدا من الثقة ، ودفعها للاستمرار في التبشير « بمبادئها » ٠ وعند اواخر نيسان قامت الحركة بمسيرة سلام من تل ابيب الى القدس ، حتى مكتب رئيس الحكومة لتسليمه العريضة التي تحمل الاف التواقيع الجديدة ٠ وفي العشرين من ايار تظاهر حوالي الف شخص من مناصري الحركة امام مقر بيغن في القدس حاملين تمثالا لعجل اسموه « عجل المناطق » متهمين الحكومة بـ « السجود له » (١٠) ٠

الى جانب · ذلك نشط ايبي ناثان ، صاحب « سفينة السلام » الذي يتزعم حركة سلامية جديدة تطلق على نفسها « عطشى السلام » ، بالدعوة ايضا لحركة السلام الان ، واعلن انه اتخذ قرارا بالصوم عن الطعام الى ان تقرر الحكومة « عدم اقامة مستوطنات في المناطق المحتفظ بها طالما ان احتمالات المفاوضات السلمية مع مصر لم تستنفذ » (١١) ·

٣ ـ الاجتماع بالزعماء السياسيين : نظم اعضاء الحركة سلسلة من اللقاءات مع عدد من اعضاء الحكومة وبعض زعماء التجمع العمالي المعارض ، في محاولة منهم لكسب اوساط حكومية ومعارضة الى جانبهم ، لحمل رئيس الحكومة مناحيم بيغن على تغيير سلم الافضليات الذي ينطلق منه تجاه السلام ، وفي حال تعذر ذلك اخلاء مكانه لشخص آخر من داخل او خارج حزبه · وكان بيغن اول مسؤول يجتمعون به دون التوصل معه الى اي تفاهم · وفي الثامن من ايار اجتمع خمسة اشخاص يمثلون الحركة بوزير الاقتصاد سمحا آرليخ رئيس الجناح الليبرالي في الليكود على امل كسبه الى جانب الحركة ، بيد انهم خرجوا بخيبة امل وشعروا « بعدم توفر استعداد لدى آرليخ لمواجهة المشكلة ، هذا على الرغم من اعتقادنا انه وقسم من اعضاء الحزب الليبرالي لا يشاطرون بيغن سياسته » (١٢) ·

وفي اواخر ايار اجتمع المسؤولون في الحركة مع غولده مئير من التجمع العمالي المعارض ، واسفر الاجتماع عن نقاط لقاء ونقطة خلاف · وتتمحور نقاط اللقاء حول المواضيع التالية (١٣) :

١ ـ حل وسط اقليمي في الجبهات الثلاث ، ب ـ عدم السيطرة على مليون ونصف مليون عربي ، جـ ـ تعيين الحدود وفق الاعتبارات الامنية فقط والاستيطان في حدود الامن ، د ـ عدم الاقدام على اقامة اية مستوطنة اثناء المفاوضات ·

ومن الجدير بالذكر ان هذه البنود الاربعة تستقطب مؤيدين كثيرين من معظم التيارات السياسية في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين كونها قابلة لشتى التفسيرات التوسعية ، فالبند الاول ، الحل الاقليمي الوسط ، يشبع رغبات كبار وصغار التوسعيين ، ولا يوجد خلاف حوله ، وانما الخلاف حول « نقطة الوسط » التي يراها كل فريق في هذه الارض العربية او تلك كحدود لخريطة السلام · وفيما يتعلق بعدم السيطرة على التجمعات العربية ، فان هذا الامر يستهوي جميع التيارات الصهيونية بدرجات متفاوتة ، انطلاقا من الحرص على الطابع اليهودي لمجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين ، الا ان هذا البند لا يعني على الاطلاق عدم السيطرة على الاراضي العربية · وفيما يتعلق بالبندين الاخيرين ، فانهما يحظيان ايضا بتأييد معظم التيارات السياسية ·

اما نقطة الخلاف مع غولده مئير فتكمن في تفسيرها لحدود الامن ، حيث

ترى الزعيمة العمالية ضرورة مرور حدود الامن في حال السلام في هضبة الجولا ن وغور الاردن ومشارف رفح ، بينما يرى زعماء حركة السلام الان ان الحدود « يجب ان تثبت في المفاوضات وفق الاعتبارات الجوهرية » · ومما يجدر ذكره ان غولده مئير اتهمت زعماء الحركة بالدعوة الى الانسحاب الى حدود الرابع من حزيران واقامة دولة فلسطينية ، الا ان احد المسؤولين في الحركة رد على التهمة بالقول « اننا على استعداد لاجابة غولده مئير باننا لم نقل ابدا انه من الضروري الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ، ولم نحبذ ابدا اقامة دولة فلسطينية في الضفة » (١٤) ·

الى جانب اجتماعهم بزعماء الحكومة والمعارضة في اسرائيل ، يعمل رؤساء حركة السلام الآن للاتصال بالرئيس انور السادات وارسال مذكرة اليه ، يشكرونه فيها على امتداحه لحركتهم ويدعونه للقيام بـ « تنازلات متبادلة ، والعودة الى المفاوضات ، مع التحلي بالصبر ، ودون تقديم انذارات » (١٥) ·

« حركة السلام المضمون »

كان من نتيجة ظهور حركة السلام الآن في الخريطة السياسية في اسرائيل ، وسرعة التفاف جمهور من الاسرائيليين حولها ، ان بدأ التكتل اليميني الحاكم محاربتها بوسائل عدة ، من اهمها اقامة حركة شبيهة ، تعتمد على اوساط جماهيرية وتدعو ايضا الى السلام ، تحمل اسم « حركة السلام المضمون » · والحقيقة ان الليكود لم يجد عناء كبيرا في خلق وبلورة هذه الحركة ، لسبب بسيط : توفر خميرة الرفض وسط شرائح اجتماعية واسعة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين لطروحات « حركة السلام الآن » · ولذا لم يجد الليكود نفسه بحاجة للقيام بنشاط سياسي محموم لاقامة الحركة المناوئة واقتصر دوره في هذا المجال على رعايته ودعمه لها ، رغبة منه في اضفاء صفة الاستقلالية عليها ، مع الحرص على عدم الاعلان عن الدعم والرعاية ، لكونها تضم بين صفوفها عناصر من مختلف الاحزاب الصهيونية ·

اخذ اسم « حركة السلام المضمون » يتردد في الشارع السياسي الاسرائيلي عقب التظاهرة الاولى « لحركة السلام الآن » · وكرد على تلك التظاهرة ، وفي محاولة منها لاظهار التأييد الشعبي لسياسة الحكومة تجاه المفاوضات مع مصر ، نشطت اوساط الليكود في تنظيم ولادة « حركة السلام المضمون » التي ما لبثت ان عقدت في الخامس عشر من شهر نيسان اجتماعا جماهيريا في تل ابيب حضره قرابة ٤٠ الف شخص ، وسط شعارات مؤيدة لسياسة الحكومة مثل « نؤيد حكومة اسرائيل ونعتمد على بيغن » ، « اسرائيل قدمت ما فيه الكفاية، والآن دور العرب » ، « مع السلام وليس مع الاحلام » ·

ويمكن لنا استشفاف المنطلقات السياسية لهذه الحركة من خلال الوقوف على كلمتين في احدى الاجتماعات التي عقدتها الحركة · وتعبر الكلمة الاولى عن وجهة نظر انصاره من الليكود ، والثانية عن رأي انصار من التجمع العمالي · فقد جاء في كلمة عوفيد بن ـ عامي احد زعماء الحركة : « لقد اجتمعنا لنعبر عن صوت ارض ـ اسرائيل ، صوت شعب اسرائيل المقيم في صهيون · ومن حسن حظنا ان يكون على رأس حكومتنا مناحيم بيغن الذي حرر ارض اسرائيل من الحكم البريطاني ، هذا الانسان القادر على الوقوف في واشنطن والقول للرئيس الاميركي ، نحن لا نقبل الافتراءات » · أما مردخاي شورير ، العضو في حزب العمل ، فقد أعلن في الاجتماع : « اننا نؤيد وندعم الحكومة في سياستها الخارجية · ان بيغن وطني حقيقي يرى مصلحة الشعب امامه ··· ويحزنني ان لا يكون حزب العمل شريكا في الحكم · ان بيغن وبيريس ووايزمان وشارون هم افضل اطار سياسي في الوقت الراهن » (١٦) ·

ومن الجدير بالذكر ان المحتشدين شاهدوا في نهاية الاجتماع حفلا فنيا وفيلما عن زيارة السادات لاسرائيل ، وكان من بين الحضور عدد من مشايخ بدو النقب بزعامة الشيخ عودة ابو معمر الذي ادلى هو الآخر بدلوة قائلا « اننا نقف وراء بيغن » ·

عقب ظهور « حركة السلام المضمون » بدأت حرب التواقيع على المذكرات تشتد بين الحركتين ، وسط جو من الندوات والاجتماعات والتظاهرات السياسية المحتدمة بين الفريقين · ووضعت الحرب بصماتها في عمق مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، حيث افرز من جوفه تيارين شعبيين متصارعين حول عملية صناعة السلام وصياغته ، تتحكم في كليهما نزعة التوسع ، ويختلفان حول حجم التوسع الذي يراه كل منهما ضروريا لتحقيق السلام · ومن الملاحظ ان عامل الانتماء الحزبي لم يكن له تأثير كبير في عملية استقطاب الحركتين للشرائح الاجتماعية المختلفة ، فقد جرت عملية الاستقطاب على صعيد فردي بالاساس ، على الرغم من وجود كثرة لهذا الحزب او ذاك في احدى الحركتين · وتحتضن الحركتان افرادا غير حزبيين وحزبيين من جميع التيارات السياسية الصهيونية · فحركة السلام الآن التي يخيل انها اقرب الى التيارات العمالية ، تضم اعضاء من الليكود ومن حركة حيروت بالذات ، وكذلك الحال بالنسبة لحركة السلام المضمون المتعاطفة مع الليكود فانها تضم عناصر من التجمع العمالي · وربما يعود هذا الواقع الى التقارب القائم في فهم كل من التيارين الاساسيين في « المجتمع الاسرائيلي » ، التكتل اليميني والتجمع العمالي تجاه موضوعة السلام ·

طالت عملية الاستقطاب الشرائح الاجتماعية المختلفة ، وقسمتها على نفسها ، فالوسط الطلابي انقسم على نفسه مع هذه الحركة او تلك ، وكذلك الحال

بالنسبة للاكاديميين وذوي الفعاليات الاقتصادية وسائر الفئات الاجتماعية الاخرى · الا انه من الملاحظ على الصعيد الاثني ان الاكثرية الساحقة من الموقعين على رسالة الضباط وكذلك معظم مؤيدي حركة السلام الآن هم من ابناء طائفة اشكناز · وقد دفع هذا الواقع بعض وسائل الاعلام المتعاطفة مع حركة السلام الآن الى وصف الوسط المؤيد للحركة بانه يمثل « علية القوم » ويعكس صورة « اسرائيل الجميلة » ·

ومما يلفت النظر ان حدة المعركة بين الحركتين وشمولها لمعظم الشرائح الاجتماعية دفعت مجتمع المهاجرين والمستوطنين للعيش في جو حوار حاد شبيه الى حد كبير بالاجواء التي تسبق عملية الانتخابات · ووقعت وسط هذه الاجواء المشحونة سلسلة من الاعتداءات من جانب انصار حركة السلام المضمون وعناصر يمينية متطرفة ضد حركة السلام الآن ، تمثلت في المحاولات المتكررة لتخريب عملية جمع التواقيع والاعتداء على اعضاء الحركة بالضرب ، وسط تهديدات تطلقها حركة يمينية متطرفة تحمل اسم « دوف » ضد حركة السلام الان ، واعدة انصارها بالعواقب الوخيمة : « اذا لم تكفوا فورا عن اعمالكم الخيانية ، وتعودوا الى الطريق السليم ، فاننا سنذبحكم جميعا كالخنازير »(١٧).

قبل التطرق الى « مبادىء » الحركة التي اثارت حفيظة حركة « دوف » ، لتذبح بسببها اعضاء حركة السلام الآن « ذبح الخنازير » ، يجدر بنا الوقوف قليلا حول طبيعة العلاقة القائمة بين التيارات السياسية الاسرائيلية وحركة السلام الآن .

من الطبيعي ان تحكم العلاقة بين الليكود الحاكم وحركة السلام الآن الخصومة السياسية بسبب واقع كون « السلام الآن » حركة احتجاج ضد السياسة الاسرائيلية تجاه السلام التي يمارسها الليكود · بيد ان هذه الخصومة لا تتسم بالشدة والانفعال بفضل عامل اساسي وهو حرص الحركة على عدم الدعوة لاسقاط حكومة الليكود والتركيز على الدعوة لاحداث تغييرات في السياسة الاسرائيلية سواء من داخل الحكومة او خارجها ·

وفيما يخص العلاقة مع الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) التي ولدت عقب حرب اكتوبر كحركة احتجاج ومن ثم تبلورت كحزب ، فانها تتسم بالبرودة والعداء ، ذلك ان حركة داش ترى في حركة الاحتجاج الجديدة صورتها القديمة، المغايرة تماما لصورتها الحالية : صورة حركة احتجاج ظهرت عقب حرب تشرين على اكتاف الضابط موتي اشكنازي وعدد من مناصريه في الجيش ، تتشكل باكثريتها الساحقة من فئة الاشكناز ومن رجال « النخبة » ، وتدعو الى تنقية الخريطة السياسية من الفساد والى « الاعتدال » السياسي · وهذه الصورة مغايرة تماما لصورة داش اليوم ، اذ اصبحت الحركة من صلب المؤسسة الحاكمة التي ادت مواقفها السياسية تجاه السلام الى ظهور حركة احتجاج

جديدة تعيد الى الاذهان مـــدى انحراف حركة الاحتجـــاج الاولى داش عن مواقفها · ولعل هذا الواقع هو الدافع لامنون روبنشتاين ـ الزعيم « المعتـدل » في حركة داش ـ الى وصف ولادة حركة السلام الآن عقب التظاهرة الاولى في تل ابيب بمثابة « حماقة سياسية » ·

اما فيما يتعلق بالعلاقة مع التجمع العمالي فتتسم بالبرودة دون العـــداء ، وذلك على الرغم من اتهام اوساط الليكود ـ كالوزير شارون ـ التجمع العمالي بانه يقف وراء حركة السلام الان « بهدف ضمان سلام واحد فقط ، ســـــلام لمقاعدهم ··· » (١٨) ·

من الطبيعي ان يكيل التكتل اليميني ، سواء من خلال اقلام كتابه او علـــى لسان مسؤوليه ، التهم جزافا لحركة السلام الآن ومن بينها تهمة الارتباط بالتجمع العمالي · ومن الطبيعي ايضا ان ينفي المسؤولون عن الحركة اية ارتباطـــات سواء مع المجتمع العمالي او غيره من التيارات السياسية · بيـد ان هنالـك حقائق تتحكم في العلاقة بين الطرفين تتمثل في نظرة كل طرف تجاه الاخـر : فعلى الرغم من حقيقة كون حركة السلام الآن حركة احتجاج موجهة اساسا ضد سياسة الليكود الحاكم ، وعلى الرغم من عدم وجود هوة كبيرة بين مواقـف الحركة ومواقف التجمع العمالي ، فان التجمع لم يغتنم الفرصة ، كحـــزب معارضة ، لدعم الحركة لاضعاف خصمه التقليدي الليكود ، بل ان التجمـــع العمالي اتخذ تجاه حركة « السلام الآن » موقفا لا يتسم بالحماس ، ان لم يتسم بالنقد ، يحكمه في ذلك عامل عـــدم التخلص حتى الآن من صدمة هزيمته في الانتخابات الاخيرة والتي نجمت الى حد ما ، عن نشاط حركات الاحتجاج التي تبلورت عقب حرب تشرين ، وعامل التخوف من امكانية تبلور الحركة مستقبلا كحزب · وقد يؤثر ذلك على التجمع العمالي اكثر من تأثيـــره على الليكود ، خاصة وان معظم المؤيدين للحركة هم من الفئـــات الاقرب الى التجمع ومـن منتخبيه المحتملين · اما نظرة الحركة الى التجمع فيحكمها عامل الحرص على عدم الارتباط بأي حزب ، وذلك لحشد اكبر عدد من التيارات السياسية المختلفة الى صفوفها ، وماضي الحزب القريب المليء بالفضائح السياسية والاجتماعيـة التي كانت وراء ظهور حركات الاحتجاج · زد على ذلك رفض اوساط كبيـــرة داخل التجمع لـ « المبادىء » التي تطرحها الحركة · ولهذه العوامل مجتمعة فان العلاقة بين التجمع والحركة المنضوين تحت قاسم مشترك ، معارضة الليكود ، تتسم بالبرودة والنقد المتبادل ·

« مبادىء » الحركة

تفتقر حركة « السلام الآن » الى مبادىء واضحة والى اي برنامج سياسي ، وربما كان هذا الواقع من اهم العوامل لبقائها على قيد الحياة حتى الآن ، فلو افترضنا جدلا انها صاغت برنامجا سياسيا او حتى مبادىء عامة واضحة ، فمن

المشكوك فيه ان تنجح في تنظيم مظاهرة صغيرة او جمع تواقيع معدودة · ولعل في وصف احد المسؤولين لواقع الحركة ما يساعد على فهم سبب تهربها من صياغة برنامج واضح ، أذ وصفها بسيارة باص « فيها مكان للجميع ، ولكن عندما نصل الى المحطة النهائية في رحلتنا ، ويحين الوقت لشرح جوهر ومضمون المباديء العامة ، ستجد كل جماعة نفسها مضطرة لتغيير السيارة لتواصل طريقها السياسي في الجهة التي تريدها · والآن وبسبب مشاعر الاحباط العظيمة التي تلم بالجمهور ، فاننا بمثابة قشة تتمسك بها عشرات الالوف » (٢٠) ·

اذن كان لا بد للحركة من اجل كسب قطاع واسع من الجمهور الاسرائيلي في دعوتها لتحقيق السلام في هذه الفترة من رفع « قشة » هشة على شكل «مبادىء» لتلائم نفسها مع رغبات اوساط في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين · وقد تمثلت هذه المباديء في « سلم الافضليات » التالي الوارد في رسالة الضباط ، والذي ترتكز عليه في نقاشاتها السياسية وتدعو حكومة الليكود تبنيه في سياستها :

١ ـ السلام افضل من تحقيق الحقوق التاريخية على « ارض ـ اسرائيل الكاملة » ·

٢ ـ السلام افضل من استمرار السيطرة على مليون ونصف مليون عرّبي ·

٣ ـ السلام افضل من اقامة المستوطنات ·

ربما يكون « المبدأ » الثالث اوضح المباديء ، وتلتف حوله معظم التيارات السياسية في اسرائيل ، بما في ذلك اوساط من الليكود ، ذلك ان اقامة المستوطنات اثناء المفاوضات السياسية لا تعرقل السلام فحسب ، وانما تسيء ايضا الى صورة اسرائيل لدى الرأي العام العالمي · اما « المبدأ » الثاني فلا نعتقد ان فريقا ما في الحركة الصهيونية باجنحتها الدينية واليمينية والعمالية يعارضه ، فهذه الاجنحة ترعرت على ضرورة الاستيلاء على الارض دون السكان وان اختلفت في تقويماتها حول مدى خطورة « بقاء » السكان ·

على الرغم من ان هذين البندين ليس فيهما من حيث المضمون ما يقدم السلام فانهما يتسمان بالوضوح · اما البند الثالث فهو اقرب الى السخافة منه الى « القشة » الهشة · اذ كيف يطلب من الحكومة تفضيل السلام على تحقيق الحقوق التاريخية على « أرض ـ اسرائيل الكاملة » في الوقت الذي تتنازل فيه الحكومة من اجل تحقيق السلام عن مناطق عربية محتلة تعتبر من « ارض ـ اسرائيل الكاملة » · زد على ذلك ان اسرائيل لا تسيطر على كامل « ارض ـ اسرائيل الكاملة » بل تسيطر في الوقت الحاضر على اجزاء من هذه «الارض» ، ولم يصل الى علم احد انها طالبت السادات بتحقيق الحقوق التاريخية على شرق الاردن او جنوب سوريا ومناطق اخرى عربية تجمع التيارات الصهيونية

المختلفة على انها اجزاء « ارض ـ اسرائيل الكاملة » · ان المطالبة بتفضيل السلام على تحقيق الحقوق التاريخية على « أرض ـ اسرائيل الكاملة » تتطلب من التنظيم الافصاح عن فهمه لحدود هذه « الارض » وتتطلب ايضا رسم خريطة للمناطق التي يرى ضرورة عدم تحقيق الحقوق التاريخية عليها مقابل السلام · واذا اخذنا في الحسبان عدم وجود اجماع بين التيارات الصهيونية حول حدود « ارض ـ اسرائيل الكاملة » فاننا ندرك مدى تخبط اعضاء حركة السلام الآن تجاه مفهوم هذه الخريطة الوهمية التي تعمل الصهيونية جاهدة على تكريسها في ذهنية مجتمع المهاجرين والمستوطنين الصهيونيين دون تحديد لمعالمها · ربما يتسلل الى ذهن البعض ان الحركة تعني في بندها مدار الحديث ، تفضيل السلام على المشروع الصهيوني ، وتسعى لاقامته على انقاضه ، باعتبار ان السلام افضل من تحقيق الحقوق التاريخية على « ارض ـ اسرائيل الكاملة » واسرائيل هي جزء من هذه الارض · بيد ان هذا التفكير غير وارد على الاطلاق ، اذ يجمع المسؤولون في الحركة على مبدأ عدم انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ مقابل السلام · والسؤال الذي يلح على طرح نفسه ، ولا شك انه السبب الحقيقي وراء متاهة الحركة في صياغة تتسم بالغموض والسخف : ما هو حجم الارض العربية التي تراها الحكومة ضرورية لضمها الى اسرائيل كشرط للسلام ما دامت تجمع على مبدأ عدم العودة الى حدود ١٩٦٧ ؟ ومن الطبيعي ان يبقى السؤال عائما دون اجابة ، الا انه يمكن للمرء معرفة حدود الحجم عند نقطة « ما » داخل الاراضي العربية ، تقع بين ما يسمى « الخط الاخضر » وخطوط وقف اطلاق النار · وحول هذا ال « ما » تختلف وتتصارع التيارات السياسية الاسرائيلية ، بما فيها حركة السلام الآن ·

واذا كان رؤساء الحركة قد تعمدوا تبني العموميات الغامضة في سلم الافضليات ، فانهم لم يحصوا في احاديثهم ومقابلاتهم الصحفية على احاطة انفسهم بغيوم سميكة · وربما يكون في الوقوف عليها ما يزيل بعض الضباب المحيط بمبادئهم تجاه السلام ·

يتطرق رؤساء الحركة في احاديثهم الى جميع القضايا ، مع الحرص على الوضوح في بعضها والغموض في البعض الآخر · فالبنسبة للموقف من احتمال نشوب حرب قادمة ، يؤكد الجميع على الاستعداد لخوضها ، ويركز البعض الى جانب ذلك ، على القول بعدم وجود مبرر لنشوب اية حرب قادمة ، وبالنسبة للموقف من الصهيونية يؤكد الجميع التزامهم بالايديولوجية الصهيونية ويرون أن السلام في هذه الفترة يخدم المشروع الصهيوني ، ويربطون بين السلام والامن ، ويركزون على ان السلام افضل وسيلة لامن اسرائيل ، وينفون وجود اي تناقض بينهما · أي أنهم يعارضون العودة الى حدود الرابع من حزيران ١٩٦٧ ويدعون الى تثبيت الحدود النهائية في المفاوضات بين الاطراف المعنية ·

اما موقف زعماء الحركة من القضية الفلسطينية فيتفاوت بين الاعتـــراف بوجود القضية وبين ضرورة ايجاد حلول لها بالتنسيق مع الاردن· وسنقف على رؤية ثلاثة من زعماء الحركة حول هذا الموضوع ·

يقول يوسف ايتان (ضابط الاحتياط ، عمره ٢٥ سنة) : « يبـــدو لي ان هذه مشكلة شعب وصل الى قرار بانه يريد تحديد مستقبله ومصيره ، ومن حقه المطالبة بهذا · والاعتراف بذلك خطوة مهمة في طريق الحل ·· ان قيام دولة مستقلة مسألة مشكوك فيها · وفي الحقيقة لا املك حدا محددا ، ولكن مـــا استطيع قوله هو : لا يجوز ان يكون هنالك وضع يجد فيه شعب نفسه محكومـا من شعب آخر ·وبالنسبة للارهاب يجب استئصاله من الجذور ، ولكن كمـــا تحارب ظواهر الجريمة في المجتمع سواء بواسطة القاء القبض على المجرمين وتقديمهم للمحاكمة او بواسطة دراسة الدافع والقضاء عليه ، يجب ايضا دراسة دافع الارهاب » ·

ويفصح يفتاح يعقوب (طالب في الجامعة وضابط احتياط في سلاح المدرعات، ٢٦ سنة ، عن رأيه بقوله : « لا يمكن التغاضي عن القضية الفلسطينية · ولكن ينبغي معالجة منظمات التخريب كما تعالج الجريمة · ومن الواضح ان قيـــام دويلة اخرى بيننا وبين الاردن او قيام حكم ذاتي ، ليس حلا حقيقيا · يجـــب منح الفلسطينيين البت في شكل العلاقة المستقبلية بينهم وبين المملكة الاردنية » ·

ويستكمل عمير بار ــ أور (طالب في الجامعة وضابط احتياط ، ٢٩ سنة ، رسم موقف زعماء الحركة بقوله « مع ان لب الصراع بيننا وبين العالم العربي كان كامنا في رفض العالم العربي لحقنا في الوجود ، فان القضية الوطنية الفلسطينية اخذت بالتفاقم منذ حرب الايام الستة · ان الطريق الافضل لحل المشكلة هـــو ضم الاردن للضفة الغربية بشكل شامل او جزئي : لا اعتقد ان عرفات يشكـــل بالنسبة لنا طرفا في المفاوضات » ·

وبعد ، فان السؤال المطروح هو اي سلام تريد « حركة السلام الآن » ، التي خرجت من جوف « المجتمع الاسرائيلي » كردة فعل على عدم رغبة شرائح منه في تحقيق السلام ، بينما تفضل فئة اخرى تحقيقه في المستقبل البعيد ليكـــون « مضمونا » اكثر · يقول احد المسؤولين في الحركة (٢٢) : « هدفنا هو ان تتبنى الحكومة مبادئنا · اننا نتخبط الآن في مسألة كيفية القيام بذلك كيـــف نترجم هذه الامور الى اصطلاحات عملية · لسنا سياسيين ، ولا نملك الوسائل لذلك ··· » ·

من الطبيعي ازاء هذا الاعتراف بـ « التخبط » ان يجد المرء صعوبة في فهم السلام الذي تريده الحركة ، ولكن ، وعلى الرغم من ذلك كله ، يمكن الوقوف على السلام الذي تريده ، اذا اجزنا لانفسنا تشبيه الحركة بسيارة باص ، كما فعـــل

زعماؤها ، وتصورنا ان السادات اقام ثلاث محطات : الاعتراف والمفاوضات والسلام · سنجد سيارة الباص المليئة بالانصار تهرع نحو المحطة الاولى وسط جو غامر من الفرح ، وتقف عند الثانية بشيء من الفرح الممزوج بالشكوك · وبالنسبة للاخيرة ، محطة السلام ، فلن تصل اليها ، بل ستعود القهقرى في حال الاقتراب منها لاصطدامها بلافتتين رفعهما صاحب المحطة ، الاولى تطالب بـ « العودة الى حدود الرابع من حزيران » والثانية فضفاضة ضبابية « اعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني » · ولا شك بان انتظار صاحب المحطة سيطول وسط الصحراء ، ولن يجد امامه احدا الا اذا حطم اللافتتين ، كما فعل مع لافتات اخرى كانت شبه مقدسة عند ١٥٠ مليونا من البشر ·

الحواشي

(١) ـ ملحق هآرتس ، ١٢/٥/١٩٧٨ ·

(٢) ـ معاريف ، ٥/٢/١٩٧٨ .

(٣) ـ معاريف ، ١٠/٥/١٩٧٨ ·

(٤) ـ معاريف ، ١١/١/١٩٧٨ .

(٥) ـ هآرتس ، ٢٩/١/١٩٧٨

(٦) ـ هآرتس ، ١/٢/١٩٧٨ ·

(٧) ـ معاريف ، ٣٠/١/١٩٧٨ .

(٨) ـ دافار ، ٩/٣/١٩٧٨ ·

(٩) ـ دافار ، ٩/٣/١٩٧٨ ·

(١٠) ـ دافار ٢٠/٥/١٩٧٨ ·

(١١) ـ معاريف ، ٣١/٥/١٩٧٨ ·

(١٢) ـ يديعوت احرونوت ، ٩/٥/١٩٧٨ .

(١٣) ـ دافار ، ٢٨/٥/١٩٧٨ ·

(١٤) ـ يديعوت احرونوت، ٢٦/٥/١٩٧٨

(١٥) ـ معاريف ، ١٣/٦/١٩٧٨ ·

(١٦) ـ معاريف ، ٦/٤/١٩٧٨ ·

(١٧) ـ الاتحاد ، ٩/٤/١٩٧٨ ·

(١٨) ـ حوتام ، ٧/٤/١٩٧٨ ·

(١٩) ـ يديعوت احرونوت ، ٩/٥/١٩٧٨ ·

(٢٠) ـ ملحق هآرتس ، ٢٨/٧/١٩٧٨ ·

(٢١) ـ حوتام ، ١٧/٣/١٩٧٨ ·
ومعاريف ، ١٦/٥/١٩٧٨ .

(٢٢) ـ يديعوت احرونوت، ٢٦/٥/١٩٧٨

ايـلان هليـفي

بَعـد كيننغ .. والآن :
لا سَـلام في الجليـل

لم ترضخ * الحكومة الاسرائيلية الى القبول بمناقشة تقرير كيننغ امام البرلمان او بدعوة من الاحزاب السياسية ، الا على مضض · وهي عندما اضطرت الى ابداء الرأي حول هذه الوثيقة التي كادت تتحول الى « قضية جديدة » فانها اختارت ان تجعل منها مجرد مـا يسمى « بوثيقة ادارية » نافية عنها اي طابع رسمي ، ومنكرة اطلاع وزير الداخلية عليها ، رغم انها بقيت على طاولة هذا الاخير ما لا يقل عن ستة اشهر ، قبل ان ينفضح الامـر بنشرها · اذن ، فالوثيقة لا تلزم الحكومة وهو ما يجعلها في حل من اتخـاذ اي موقف حيالها · رسميا ، يقوم موقف الحكومة الاسرائيلية على هذه القاعدة : ان التقرير الذي كتبه موظف متفان في عمله من أجل لفت نظر وزارته الى وضع معين من وجهة نظـر « المصلحة القومية اليهودية » ـ اي المصلحة التي توصف بـ « العامة » في اسرائيل ـ لم يكن منذ كتابته محل اي رد فعل ، ويظهر ان الوزارة لم ترد ابدا على هذا التقرير ، بل يعتقد انه لم يقرأ ، حتى قرر المابام ـ « يسار » الائتلاف العمالي الحاكم ـ في ايلـول ١٩٧٦ ـ ان يسرب محتواه الى صحيفة الحزب الرسمية « عل همشمار » ·

وفي حين كانت المعارضة اليمينية ، تشجب المابام منظم عملية التسريب والمستفيد منها ، بقيت الحكومة ملتزمة جانب الصمت ، لكن كيننغ ، ممثل وزارة الداخلية في منطقة الشمال بقي في منصبه · مما دفع « باليسار » الصهيوني الى تنظيم حملة تطالب باستقالته · لكن الحملة لم تطل · وثبت كيننغ في مهامه ، وفي حقه « الديموقراطي » في كتابة تقاريـر عنصرية لا تلزم الحكومة التي تشغله · وقد استقال عوضا عنه شموال توليدانو مستشار الحكومة للقضايا العربية منذ ١٢ سنة ·

وتوليدانو يهودي شرقي من « اليشوف » ومن اصل فلسطيني ، وهو يجسد ما حـاول كيننغ ان يصفه عندما ندد باحتقار بـ « الروابط والشبه » بين السكان العرب ومن « كلفوا

* فصل من كتاب « تحت اسرائيل ··· فلسطين » ، الذي ستصدر ترجمته الى العربية قريبا ·

بمسؤولية التعاطي مع هؤلاء السكان » وهو الانموذج الذي اتخذه كيننغ لفضح نظام التحالف مع القيادة التقليدية للمجتمع العربي ، واستغلال العلاقات العائلية والعشائرية في خدمة مختلف الاحزاب الصهيونية وعمليات « بيع » الاراضي والتعاون السايسي – البوليسي · انها سياسة توليدانو التي كتب حولها تقرير مسؤول منطقة الشمال ·

في مقابلة طويلة اجرتها معه صحيفة هآرتس «الليبرالية» ونشرت يوم ٢٨ كانون الثاني ، عرض توليدانو رأيه في المشكلة ، وهو على كل قد سبق له ان صرح قبيل حرب ١٩٦٧ ،انه « لا يوجد اي حل وطني للمشكلة الوطنية لعرب اسرائيل ، وان جعلهم ينضوون تحت الاهداف اليهودية القومية للدولة امر مستحيل » · وبالنسبة لتوليدانو ، لا يمكن ان تتوفر شروط الامل في هكذا حل الا بالحل الشامل للنزاع مع العرب ، وهو ما لا يرى حتى مؤشراته · وفي انتظار ذلك فبصدد هذه المشكلة ، لا وجود لاي حل يمكنه ان يكون افضل من غيره ، ولكن توجد حلول أقل سوءا من غيرها · ويمكنني ان اتصور مثلا عشرة اسباب تجعل من ظاهرة ان يعيش العرب في اسرائيل في تجمعات مختلفة امرا سيئا · ولكن يمكنني ان اتصور « سببا يجعل الحياة المشتركة في مدن مختلطة امرا اكثر سوءا · وكذلك الامر بالنسبة للتربية ، وغير ذلك من ميادين · لذا ، فانه مهما فعلنا لا يمكنهم (العرب في اسرائيل) الانخراط في المجتمع اليهودي ، حتى بنفس درجة انخراط السود في المجتمع الاميركي · والحل الحالي ، حيث لا يطالبون بكل واجبات ولا يتمتعون بكل حقوق المواطن ، هو شر لا بد منه » ·

ويرى توليدانو ان تقرير كيننغ خطير وبالغ الضرر · وقد كانت استقالته من جراء عدم اقدام الحكومة على انكار ما قدمه كيننغ · لكنه من الخطأ الانخداع بهذه الاستقالة · فما هو محل الخلاف بين كيننغ وتوليدانو انما هي الطرق وليست الاهداف · فقد رد هذا الاخير على سؤال وجهه له احد الصحافيين حول لماذا لا يشغل عربي مركز مستشار الشؤون العربية بقوله : « لا اعتقد انه يمكن لعربي ان يتصور سلم اولويات تكون فيه مصالح السكان العرب ثانوية بالقياس الى مصالح الدولة · ولاضرب لك مثلا على ذلك اثناء النزاع مع « ادارة اراضي – اسرائيل » حول موضوع انتزاع ملكية الاراضي في الجليل تمكنت من ان اؤجل هذا الامر مدة تسعة اشهر ، ولكني عندما اطلعت على ذلك ميدانيا ، فهمت ان كرمئيل ، وغيرها من مستوطنات الجليل ، لا يمكنها ان تتطور ، اي بعبارة اخرى لا يمكن استجلاب المزيد من اليهود الى الجليل دون نزع ملكية هذه الاراضي ، ولو كان فيمكاني رجل عربي لما امكنه ان يقوم بذلك · والسبب الثاني ان صاحب هذا المنصب لا بد له من ان يكون على اتصال مباشر مع مختلف الوزارات لتحقيق مطالب العرب ·· وقد رأيت اكثر من مرة كيف يستقبل مساعدي ، وهو عربي ، في هذه الوزارات · ان مستشارا عربيا لا يمكنه ان يحصل ابدا على الدالة التي يمكن ليهودي ان ينالها على مراكز السلطة اليهودية » ·

وقد اشار كذلك ، الى « انه من السخرية الى حد ما ان نرث نحن الاقلية منذ الفي سنة ، احد اكثر مشاكل الاقليات صعوبة · « وختم بقوله على اية حال ، لست اود ابدا ان اكون في مكان عربي اسرائيلي في هذه الايام »·

اما بالنسبة للمابام ، فان تقرير كيننغ لا يعبر عن حالة قائمة موضوعيا ولكن فقط عن مفاهيمه هو العنصرية · فكيننغ حسب ما يقوله المابام لم يرتكب الا خطأ التحليل · اما فيما عدا ذلك فكل شيء على ما يرام في الجليل حيث اليهود والعرب يتحابون ويتبادلون

المساعدات الا فيما ندر من الحالات الهامشية ، ويقول الناطقون باسم « اليسار » الصهيوني، ان العرب في اسرائيل هم مواطنون صالحون · وانطلاقا من هنا ، فانه لا يجب وضعهم تحت الحراسة كما يقترح كينغ ، ولكن يجب العمل على انخراطهم اكثر فأكثر على الصعيد الاقتصادي لجعلهم يستفيدون من « تنمية الجليل » ·

وعلى مستوى المنطق الشكلي فان هذه البراهين تعد نموذجية لما يسميه يوسف وايتز باستخفاف « بجدلية » المابام · فبالنسبة لهؤلاء « الماركسيين ـ الصهيونيين » الفريدين من نوعهم ، فان « الاقتصاد » هو الذي يفسر كل شيء بطبيعة الحال · وهكذا ، فان يعقوب حزان قال في سنة ١٩٤٨ بأن العرب لا يريدون أن يغادروا فلسطين بسبب الرخاء الذي جلبه اليهود معهم الى البلاد ، لا لان الفلاحين متشبثون باراضيهم ولا لان المشاعر الوطنية تحركهم · ذلك أن هذه المعطيات كانت في نظر « المادي » حزان في ذلك الوقت تعود الى « السيكولوجيا البورجوازية » الحقيرة ، ونظرا لانه يعلم ، او يتوهم انه يعلم معنى المشاعر الوطنية ، فان حزان قد اقترح في سنة ١٩٧٦ بأن يضمن وفاء العرب لاسرائيل بأن يتم الحاقهم اقتصاديا · ويمكننا ان نشير هنا ، بأن الادوار قد انقلبت ، فاذا بكينغ عضو الحزب القومي الديني ، يدافع عن مصالح صغار ومتوسطي المستوطنين ضد المنافسة العربية ، بينما المابام الذي اصبحت كيبوتزاته في الجليل وفي غيرها تشغل اعدادا كبيرة من اليد العاملة العربية ، يدافع اليوم عن الرأسمالية العربية (التابعة) وعن الالحاق الاقتصادي · فالمابام وهو الحزب الصهيوني ورأس حربة الاستيطان والتهويد في الجليل كما في الاراضي المحتلة ، لا يطالب بامتداد هذا الالحاق الى مختلف الميادين ، فعرب اسرائيل حسب هذا المنظور لا بد ان يواصلوا تكوين كيان بعيد عن « المجتمع اليهودي » على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية · اذن المابام يطالب بالالحاق الاقتصادي (اي « بالعمل العربي » وان تيسر بشيء من « الرأسمال العربي ») واختلاف اجتماعي ، انها حقيقة العنصرية الاسرائيلية · مختلفون لكن متساوون ذلك ما كان يقوله انصار التمييز العنصري في اواخر الحرب الاهلية الاميركية ، وهو شعار كان يقدم على انه مساومة بين الغاء العنصرية والمطالب العنصرية لسكان ولايات الجنوب من البيض ، انها الرد الوحيد الذي يمكن « لليسار الصهيوني » ان يصوغه في مواجهة التهديد الوطني العربي الذي يعبر عن نفسه من خلال المد الذي يشهده الحزب الشيوعي او في وجه عدوانية كينغ المرضية · فهي طالما انها تبحث عن « حل للمشكلة العربية في اطار المشروع الصهيوني للدولة اليهودية ، فانها لا يمكنها ان تقترح حلا ديموقراطيا ، اي بنزع الصهيونية عن الدولة وجعل هذه الاخيرة علمانية ودون تمييز ديني · لان الدولة اليهودية بنيويا ، سواء على صعيد الايديولوجيا او على صعيد مؤسساتها لا يمكنها ان تتلاءم مع هكذا تحول من شانه ان يجعل منها ، ومهما كانت الحدود التي تقوم عليها ، دولة سكانها من العرب واليهود · ولهذا السبب فان اليسار الصهيوني الذي يؤكد على ما يسميه الكاتب الاسرائيلي ا·ب· يهوشواع بـ « حق الشعوب في الحياة بمفردها » ، لا يمكنه ان يقدم الا صيغة طوباوية للتعايش « السلمي » يقبل فيه العرب بملء ارادتهم بعدم المساواة والتكافؤ ·

وعمليا ، وكما جرت العادة ، فان المناقشة لم يعد لها اي علاقة بموضوعها · فالنقاشات الاستراتيجية الكبرى داخل الحركة الصهيونية ، والتي تدل على اختيارات ممارساتية مختلفة حيال العرب ، لا تتأتى الا نادرا عن اختلاف مبدئي يتعلق بالاهداف ، بل ان الامر يتعلق ، كما راينا ذلك اثناء تاريخ الاستيطان الطويل ، بتقييم مختلف لميزان القوى والامكانيات تنبني على مواقف تقوم على سيكولوجيا واسلوب وايديولوجيا العمل السياسي·

ففي سنة ١٩٢٠ وفي حين كان يرى « التحريفيون » ان التصادم مع العرب لا مفر منه، كان « الاشتراكيون » يفكرون بان هؤلاء قد يغادرون بملء ارادتهم · فالمعتدلون كانوا متفائلين، في حين كان المتطرفون غير متوهمين ، فالاوائل كانوا ـ كما يهمهم مثلهم الاعلى ـ يعيدون في اذهانهم وفي اقوالهم خلق واقع خيالي او يتماشى مع « اعتدالهم » · والاخيرين كانوا « واقعيين » · حتى ان اسحاق بن اهارون الذي كان امين عام الهستدروت ، والذي كان يدشن الذكرى الخمسين لهذه المنظمة في القدس سنة ١٩٧٠ ، لم يتمالك عن تقديم تحية الى قوة الرؤية لدى هؤلاء الرواد الذين تجرأوا على تجاهل الشروط التي كانت تحيط بهم ·· لان الايديولوجية الصهيونية التي كانت تجمع حركة الهجرة والاستيطان اليهوديين في فلسطين قبل ايجاد دولة اسرائيل ، كانت تقوم على يوتوبيا عملية تجمع بين التطوع المندفع والبراغماتية الباردة · حتى ان التطوع والبراغماتية يجتمعان ويتقاطعان ، مولدتين الاعتدال والبحث عن المساومات احيانا ، والعناد والعزم على المواجهة احيانا اخرى · وهذه الصورة تبرز اليوم بمناسبة كل مناقشة عامة في اسرائيل ، حول موضوع العلاقة مع العرب : اذ يتواجه نوعان متناقضان من « الواقعية » · من يوافقون على ان الصهيونية هي اجحاف بحق العرب ولكنهم يلوذون بقانون الغاب والانانية المقدسة للنوع ، وهم « الصقور » · وفي مواجهتهم يقف « الواقعيون » الذين يشيرون باصابعهم الى ميزان القوى في المنطقة وفي العالم ، ويستنتجون بان المساومة ضرورية · واخيرا يوجد من هم غير مبالين بهذه « الخناقات » وهم « المثاليون » المواهمون ، وهم من ينكرون ببساطة وجود حقوق عربية ، وان يكون الاستيطان قد حرمهم اياها ·

والمابام وهو جناح يوصف بالماركسية في الصهيونية العمالية ، ينتمي لهذه المفصيلة الاخيرة · خاصة وان هاشومير ـ هاتسعير ، وهي الحركة التي خرج منها المابام « تنظر » لهذا الموقف منذ سنة ١٩١٠ · ففي حين كان الاستيطان « العمالي » في المدن او في الارياف، يلحق الاضرار الفادحة بالفلاحين وبالمحرومين من الارض ، وفي حين كان كبار ملاك الاراضي يضاربون ، كانت هاشومير ـ هاتسعير تقول بأنه لا يوجد اي تناقض بين الصهيونية « العمالية » والمصالح « الحقيقية » للجماهير العربية · لذلك فان النزاع من هذه الزاوية ، هو نزاع بين « اشتراكية » المستوطنين و « الاقطاعية الرجعية » لقادة العرب · وهذا الرأي بالكاد يقبل بأن يكون اليمين الصهيوني ، والرأسماليين الذين يشغلون اليد العاملة العربية « اعداء » طبقيين لمستخدميهم ، وان كان الامر كذلك ، فما على هؤلاء الا الانضمام الى صفوف المابام ، ليدافع عن مصالحهم ! ·

ذلك ان المابام يرى ، كما يقول دوف بارنير ، (الازمنة الحديثة ، حزيران ٦٧) ان الصهيونية ليست فقط الحركة القومية للشعب اليهودي « ولكنها » الحل الماركسي للمسألة اليهودية · ومن هنا ، فكل كل عربي « ماركسي » حقيقي لا بد له من مناصرة الصهيونية· ومن هنا ايضا فان الصراع مع العرب ليست له ايضا اية قاعدة موضوعية وهو لا يمكنه ان يفسر الا بالكراهية الشوفينية والمعادية للسامية تجاه العرب · او بمحاولة الاستغلال السياسي البوليسي للعرب ·

وما يميز هذه الخرافات ، هو هذه العنصرية التي تحرم العرب ، وعرب فلسطين بالذات ، من هذا البعد ـ الوعي القومي ـ الذي لا ينفك الصهاينة من التغني به فيما يخصهم · فالقومية العربية ، تقدم على انها مرض عقلي في حين ان كل شيء يفسر بالاقتصاد · اما « التطلعات اليهودية » فانها في الان نفسه ماديا ممكنة ومعنويا راقية ·

حتى انه يمكننا ان نتساءل هل ان هذه الميثولوجيا الابوية ، هي افضل من دموية « الصقور» الواضحـــة ٠

فمن يحتقر عرب الجليل اكثر : كينغ الذي يحذر وزارته من مد وطني يعتقد هو ان لـه معطياته الموضوعية ، ام المابام الذي يمتشق كذبة اعلامية اكثر حقارة ، حينما يدعي ان عرب اسرائيل مواطنون صالحون ، وهم في اغلبيتهم راضون ، وانه لا يوجد غير العنصريين من نوع كينغ الذين يدفعون بهم الى احضان الحزب الشيوعي ؟ انه سؤال لا جواب له ٠ ولكن لا بد من ان نشير الى ان احدا من معارضي كينغ من الصهاينة ، لم يطرح للنقاش جذور براهينه ، اي ان الجليل « يهودي » ويجب ان يبقى كذلك ٠ اي « باغلبية يهودية »٠ ان النقاش يدور فقط حول صحة التشخيص وحول مجموعة من الاقتراحات الملموسة ،وليس حول الهدف ٠

الا يوجد اذن خلف الحملة التي يقودها « اليسار » الصهيوني ، وعلى رأسه المابام ٠ ضد مسؤول الجليل الا المنطق الشكلي لشيء من الخطابة المدرسية ؟ لا شك ان لا ٠ فخلف هذه الخصومة يبتدىء الخلاف التقليدي بين « العمل العربي » و « العمـــل اليهودي » ٠ والنقاش القديم بين المستوطنين الرأسماليين مستغلي اليد العاملة المحلية ، وبين المستوطنين العمال الذين يطردون اصحاب البلاد ٠ وانه لذو دلالة ان نلاحظ ان المابام الذي تتكون ٩٥٪ من قاعدته الانتخابية والاجتماعية من الحركة « الكيبوتزية » ٠ هو الان بصدد تبني برنامج الاوائل ٠ فالعمال المهاجرين سنة ١٩٢٠ و ١٩٣٠ ، الذين كانوا يقاومون المنافسة العربيـة على سوق العمل حيث جاءوا يقدمون اذرعهم ، اصبحوا ملاك بالشراكة لبعض المؤسســات الصناعية والزراعية الكبيرة ويشغلون الاف الاجراء من اليهود والعـــرب ٠ ولهم الآن مخططهم لجعل السكان العرب الذين انتزعت اراضيهم بروليتاريين ، اذن تغيـــرت موازين القـــوى ٠

والمؤشرات عديدة ، في الساحة الاجتماعية للجليل خلال السنوات الاخيرة ، وكلهـــا تدل على اعادة نظر في التصور التقليدي « للصهيونية العمالية » ٠

من ذلك ، الممارسة التي كشفت عنها الصحافة في نهاية سنة ١٩٧٥ ٠ والتي مؤداهـــا ان « التجمعات الزراعية » اليهودية (كيبوتزيم او موشافيم) اصبحت تؤجر او تسلـــم بالمحاصصة قطعا من «اراضيها» الشاسعة لبعض العرب ٠ وعندما انـــذرت المؤسســات الصهيونية المركزية ، اقامت ضد المستوطنات الـ ١٢ التي تورطت في هذه الفضيحة ، مـا يشبه المحاكمة التأديبية ، مع جعلها تدفع بعض التعويضات ٠ في حين ان قادة الوكالـــة اليهودية استاؤوا من الامر لان هذه الاراضي قد أجرت في بعض الاحيان الى عرب كانـــوا اصحابها الشرعيين قبل ١٩٤٨ ! » ، اذن يمكن للخلافات ان تنشأ حول المستقبل والاستراتيجية والتكتيك ، وتحليل الامور ٠ لكن هنالك مطلب مبدئي يجمع اليوم بين مختلف اجنحـــة الحركة الصهيونية : الوضع القائم مقدس ، وما اخذ اخذ ، ومن ذهبوا لا يجب ان يعودوا والاراضي التي اغتصبت لا ترد الى اصحابها ٠

وقد رأينا ذلك في سنة ١٩٧٢ ٠ عندما طالب لاجئو قرى اقرت وكفر برعم ، بأدب ولكن باصرار بان تحترم حقوقهم ٠ تذرع « اليسار » الصهيوني الذي كان يساند شرعية رغبتهم في العودة الى قراهم ٠ بما اسماه بخصوصية اقرت وكفر برعم ، بالقياس الى مجمـــوع القرى الفلسطينية التي ابيدت او افرغت من سكانها ٠ وهكذا فان « اليسار » الصهيوني لم يقترح ابدا رد هذه الاراضي الى اصحابها ، خصوصا تلك الاراضي التي يستثمرها يهـود

المنطقة او التي تقع ضمن كيبوتزات تابعة للمابام · وقد ردت حكومة غولدا مائير وموشي دايان آنذاك « بأنه لا يوجد اي فرق بين هاتين القريتين وبقية القرى العربية ، واذا مـــا تركنا هؤلاء يعودون فانه يجب ان نترك البقية كذلك » · وقد قبلت الحكومة ببحث الموضوع واتخذ قرار : « لاجئو اقرت وكفر برعم لن يعودوا » ·

ولكن اذا كان من السهل على الدولة الصهيونية منع حفنة من القرويين المسالمين من اعادة بناء بيوتهم التي قصفت ، فان ايقاف العملية الاقتصادية ، هي مسالة اقل سهولة ·

وفي (الناصرة ،العليا) مثلا ، برز سنة ١٩٧٥ ، هذا التناقض · فهذه القرية بنيت في بداية الستينات على اراض انتزعت من القرى العربية المحيطة بمدينة الناصرة العربية · فالناصرة العليا كانت مدينة « تنمية » اي انها مدينة تريد السلطات ان تجتذب اليهـــا مستوطنون يهود من المهاجرين والمواطنين الاسرائيليين · وهكذا بدأت الدولة في الانفاق لايجاد بنية تحتية لمدينة في قلب صحراء النقب او في قلب الجليل حيث الكثافة السكانيـة العربية الكبيرة · وحتى تكون هذه المدينة « يهودية » فانه يكفي ان يسلم امر تسييرهـــا بالكامل الى الصندوق القومي اليهودي · وقد منحت تسهيلات ضريبية وفي القروض لليهود الذين يريدون الاستقرار في هذه المدن الجديدة · في حين يدعى الصناعيون الى تشغيل عمال تباع لهم شقق يبلغ سعرها عشر ما هو عليه الحال في تل ابيب او في اية مدينة « حقيقية » اخرى (حيث الملكية العقارية خاصة ، وتخضع لقانون العرض والطلب) ·« مدن التنمية » هذه هي عبارة عن مستوطنات مدينية ، هي لتهويد اما مناطق صحراوية ، او مناطق يسميها وايتز « صحراوية انسانيا » اي سكانها اليهود اقلية · هكذا كان الامر بالنسبة للناصرة – العليا ، التي اقيمت كشقيقتها كرمئيل ، لايجاد توازن ديموغرافي مع العـــرب الكثيـري الولادة · في قلب هذا الجليل الذي تنبأ كل من يادين ووايتز منذ ١٩٤٨ بأنه سيكون مركز كثافة السكان العرب مما سيوجد مشكلة غير قابلة للحل ·

وفي كرمئيل كشفت صحيفة هآرتس عن الحادثة التالية في شباط ١٩٧٢ :

« توجه محمد معروف وهو ضابط درزي سابق في حرس الحدود ، بطلب الى احد المجالس البلدية طالبا السماح له بتكوين معمل للاجر يشغل ٥٠ عاملا ، على ان يستثمر فيه مليون ونصف المليون ليرة اسرائيلية · وشيئا فشيئا بدأت الشائعات تروج : العـرب قادمون · العرب قادمون ! مما جعل العمال والقادة والموظفين وصغار المستخدمين يحملون لـــواء التمرد متهمين الشخصيات المحلية بضرب مخطط تهويد الجليل » ·

والحال ان محمد معروف متعاون محترف مع الدولة الصهيونية ، وله حياة مهنية حافلة قضاها في القمع لصالح الدولة ، مما يجعله يتمتع بكل ضمانات « الامن » الممكنة · لكن كل ذلك لم يجد نفعا· مما دفع بالسلطات ان تتراجع امام الضغط «الشعبي» للمستوطنين· وقررت ان محمد معروف لا يمكنه ان يفتح معملا في « مدينة تنمية » لانه ليس يهوديا · صحيح انه متعاون ولكنه ليس يهوديا · فعندما يكون الاستيطان هو محل الجدل ، فـــان كل التقسيمات الدينية والطائفية التي تقيمها الدولة داخل السكان الفلسطينيين تسقط · فالدروز وهم مذهب ديني تحول الى طائفة ، وهم عرب مقيمون في لبنان وسوريا وفلسطين هم « جيدون لخدمة العسكرية » ولكنهم سيئون لسكنى كرمئيل او كريات غات في صحراء النقب ، او رامات اشكول في ضواحي القدس الشرقية · وقد اقترح على معروف ان يقيم مشروعه على ضفاف بلدية كارميال ·

والناصرة العليا تقدم من هذه الزاوية نموذجا ، فهي تشرف على المدينة العربية · حيث

سيسيطر الحزب الشيوعي على البلدية في ١٩٧٥ ، وهي تفخر بأنها فارغة كلية من العرب. صحيح ان العرب يعملون هناك . ولكنهم يأتون صباحا ويعودون مساء ، وان اليهود يذهبون الى المدينة العربية المليئة بالحيوية والتنوع بعكس مدينتهم الهندسية الشكل والرتيبة . وهو ما لا يمر دون صدامات . من ذلك انه في احد ايام ١٩٧٢ ، كانت مجموعة من المهاجرين الجدد القادمين من جيورجيا السوفياتية ، والذين اقاموا في الناصرة العليا، كانوا يتنزهون في المدينة العربية ، عندما رأوا امرأة منهم يهودية من جورجيا ، تجلس وحيدة في سيارة احد العرب ، فما كان منهم الا ان قتلوا الرجل وحلقوا رأس المرأة . دون ان يتحول هذا الامر الى «قضية» لان الرأي العام « تفهم » انهم جيورجيون وبالتالي « بدائيين » . ثم ان شرف المرأة موضوع شيق يمكنه ان يوحد العرب واليهود ، اما الفضيحة فانها تأتي فيما بعد عندما يتعلق الامر بمواضيع حادة فعلا : الملكية ، الارض ، المجال الحيوي .

لانه في سنة ١٩٧٥ ، علم ان ١٥٪ من شقق الناصرة العليا اجرت او بيعت من طرف يهود غير مسؤولين الى ... عرب من الناصرة ! ويقال ان بعض العرب دفعوا ثلاثة اضعاف الاسعار المعمول بها للحصول على امتياز تملك شقة في المنطقة الجديدة منطقة التمييز العنصري .

ومؤقتا ، فان كل مشاريع تحويل مدينة التنمية الى مدينة فقط ، لتحقيق « التوحيد » والقضاء على البلدية العربية للناصرة اوقفت ، فبعض سكان الناصرة العليا كونوا لجان دفاع عن الطابع اليهودي للمدينة تحت قيادة رئيس بلديتهم ، وهددوا بالتحول الى العمل العنيف والمباشر « ان لم يفعل شيئا لايقاف التسلل العربي » .

ذلك ان التمييز العنصري – وهو ضرورة ايديولوجية للصهيونية ، ومطلب من مطالب المستوطنين الصغار – هو المساومة الوحيدة الممكنة بين طرفي الوضع الكولونيالي ، وهذا ما لا يستطيع هذا الوضع بلوغه دون تحطيم الذات : الطرد (او الابادة) التي تخرج العنصر المحلي من الديناميكية الاجتماعية ، والالحاق الذي يجعل منه جزءا لا بد منه من عملية الانتاج .

وهكذا امكننا ان نقرأ في نيسان ١٩٧٧ ان حاييم بار – ليف الوزير الاسرائيلي للتجارة وهو المرتبط بما يمسى في اسرائيل « بالبورجوازية الجديدة » قد اقترح بان يتم تشجيع بناء المنازل للاقليات (اي العرب) في « مدن التنمية » ، وهو اقتراح لم يلبث ان وجد استنكارا من بعض جهات الاستيطان – الوكالة اليهودية .. الخ . المستعدة في كل لحظة الى تحريك الشوفينية المرضية للمستوطن الصغير . لكن هذا النزاع يتجاوز بكثير الاطار الصغير لمدن التنمية ، ذلك ان عشرات الالاف من عمال الاراضي المحتلة ، وبالذات قطاع غزة (ويسكنها لاجئو سنة ١٩٤٨) . يعملون يوميا في تل ابيب . ويصف علي باسهاب المصاعب التي يلاقيها عربي « اسرائيلي » للسكن في تل ابيب ، ولكن عمال غزة اذا لم يكن بحوزتهم تصريح من الحاكم العسكري – وهذا الاخير لا يقدم هكذا تصريح الا بطلب من رب العمل الاسرائيلي الذي يكون على استعداد لتحمل اعباء الاجور (اي ٤٠٪ من مبلغ الاجر) – يضطرون الى دخول سوق العمل السوداء . فهم لتجنب الاعتقال ليلا ، « يسجنهم » مستخدموهم في الاماكن التي ينامون فيها ، « وهكذا ، يكونون تحت يدي عندما اتي صباحا » كما يقول احد ارباب العمل . وتذكر صحيفة يديعوت احرونوت الصادرة بتاريخ

١٨ شباط ١٩٧٦ · كيف ان ثلاثة شبان من قطاع غزة ماتوا في حريق لان رب العمل اغلق عليهم باب المحل الذي ينامون فيه ·

انها الحلقة التي يتكلم عنها توليدانو عندما كان يصف مساوىء السكن المختلط والغيتو· لانه كما ان العرب موجودون في كل مكان من الجليل فان العمل العربي موجود كذلك في كل مكان · اذ لا توجد اية مدينة تنمية او اية مستوطنة زراعية ليست في حاجة ولو جزئيا الى العمل العربي ، فالمشلكة اذن ليست في حضور العرب في المجالات الاقتصادية بل في درجة الشرعية التي يجب ان تعطى لهذا الحضور ·

تلك هي المشكلة ، وتلك هي الملامح الحالية « للمسالة العربية » في الجليل ، وفي المثلث وفي النقب وفي المدن المختلطة · ونظرا لاسباب عدة منها ما يعود الى الايديولوجية الصهيونية ويمنع نمو قومية اسرائيلية كنعانية * · ليست مرتبطة باليهودية · فان حسل هذه المسالة الذي يقوم على الالحاق الحقيقي قد رفض مبدئيا · وبذلك اصبح المشكل غير قابل للحل ضمن الشروط الحالية للنزاع ·

فما الذي سيحدث ؟

قادت الانتخابات التشريعية الاخيرة (ايار ١٩٧٧) ليكود ومناحم بيغن ـ « اليمين القديم » للجناح « التحريفي » للحركة الصهيونية ـ الى السلطة · ستطرح هذه المشكلة طرحا جديدا ، لان القادة الجدد ، وحلفاءهم من « القوميين ـ الدينيين » من حزب كينغ ـ لم يتركوا مجالا للشك في خطاباتهم حول مشاريعهم ، فهم قد اكدوا علنا ان الاراضي التي احتلت سنة ١٩٦٧ قد « حررت » الى الابد · وقد صرح بيغن بقوله « يمكننا التعايش بسلام مع العرب في « اليهودية والسامرة » كما تعايشنا مع عرب الجليل منذ ٢٩ سنة » · وهكذا سيكون لاراضي ٦٧ ان تعرف مصير اراضي ١٩٤٨ من حيث « التعايش السلمي » الذي يأخذ شكل انتزاع الملكية باستمرار : قمع ، وتمييز عنصري ، وفي خلال صيف ١٩٧٧ بوشر في تطبيق سياسة جديدة تعد تطبيقا جزئيا لتوصيات كيننغ ، انها تتعلق بما يسميه وزير الزراعة الجديد ، الجنرال ارئيل شارون ، في حديث ادلى بـه في ٩ ايلول ١٩٧٧ ، بـ « الاحتلال غير الشرعي لاراضي الدولة من طرف العرب » · اذن يجب هدم كل البنايات العربية « غير الشرعية » · وتسمى غير شرعية كل البنايات او اجزاء البنايات التي لم يصدر فيها تصريح خاص · وبالطبع فان السلطات بطيئة واحيانا متحفظة في منح رخص البناء، فعندما يتعلق الامر بمواطنين عرب يطلبون السماح بالبناء في مناطق تخضع لمخططات نزع الملكية او « التهويد » اي في تلك المناطق التي يقول عنها كيننغ ان ديموغرافيتها تهدد « الطابع اليهودي » للدولة ، فان تصاريح البناء ترفض ببساطة ·

لذلك فان القرويين المحرومين من اتساع المجال والذين تحيط بهم اراض شاسعة ، اخذت بالقوة وتحولت الى مستوطنات يهودية ، يجدون انفسهم مضطرين الى البناء بشكل « غير شرعي » ولكن وبعد اجل معين من الترتيبات الادارية تأتي جرافات المقاولين لتزيل هذه

---

* تيار نما في اوساط المهاجرين الصهاينة في الثلاثينات · وهو يدعو الى قومية اسرائيلية علمانية · وقد تم سحقه بعد ذلك ·

البيوت · وهكذا وخلال ١٩٧٧ فقط هدم اكثر من ٨٠٠ بيت عربي ، بذريعة تطبيق القوانين الخاصة بمنح تصاريح البناء ·

بل ان الامر تجاوز ذلك الى سلوك سياسة الاضطهاد هذه تجاه البدو على الكثبان والهضاب الصخرية في صحراء النقب · ففي شهر ايلول ١٩٧٧ ، هدمت عشرات المباني · وقد كلفت « كتيبة خضراء » تكونت لهذا الغرض ، بمراقبة البدو بشكل مستمر ·

ولكن بعد اكثر من سنة من يوم الارض ، فان هذه الممارسات لم تعد تمر دون ان تحدث ردود فعل ضحاياها · ففي حين كان شيوخ البدو يقولون بانهم لن يتراجعوا ، ولن يتحركوا من اراضيهم ، وان « الكتيبة الخضراء لا يمكنها ان تحرمنا من الحياة في وطننا » · بدأ سكان قرى الجليل يقاومون محليا عمليات هدم المباني · وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٧٧ ، في مجد الكروم بالجليل كان التمرد : فقد وقفت القرية بأسرها في وجه هدم بيت تعيش فيه عائلة بأسرها ، فجاء رجال الشرطة وبدأوا يطلقون النار عشوائيا : سقط قتيل وعدة جرحى ، ففي الجليل ما زال الاستيطان يقتل ، ومن كانوا يظنون ان عنف يوم الارض يمثل حادثا معزولا لا بد ان يثوبوا الى رشدهم : فالتهويد يواجه مقاومة متزايدة ·

ففي يوم ٢٣ ايلول ١٩٧٧ ، اضرب كل سكان قرية ام الفحم ، التي انطلقت منها حركة ابناء الارض ، للاحتجاج على انعدام الماء · وقد حدث تظاهرة كبيرة شارك فيها كل سكان القرية دون ان يؤدي ذلك الى اي حادث ، فقد رأت الشرطة ان تتجنب المجابهة · وفي اليوم التالي اضرب التلاميذ والطلبة للمطالبة بالتعليم الثانوي في القرية · وفي نفس الوقت ، اوقفت الشرطة في شمال الجليل مجموعة من الشبان الدروز بتهمة «الاحتلال غير الشرعي» والبدء بزراعة ارض افتكت من اصحابها وكان من المزمع اقامة مستوطنة يهودية فيها ·

ذلك انه منذ ١٠ اذار ١٩٧٦ ، ومنذ نشر تقرير كيننغ تغير شيء ما لدى عرب الداخل· فكل هيكل النفاق الذي اقيم تحت ادارة توليدانو حيث يعني التهويد تنمية ، قد انهار ، ولن يعود الامر كما كان عليه سابقا ·

ذلك ان تقرير كيننغ ، هذا الافراز المنطقي لمائة سنة من الاستيطان ، قد كشف للعرب ، غموض طبيعة « مواطنيهم » في دولة اسرائيل · ومن الآن فصاعدا فان الاوراق صارت على الطاولة ، وبدأت اللعبة ·

لكن لا بد من فهم حول ماذا ستدور هذه اللعبة ؟

ذلك ان ما هو موضع تساؤل في الجليل وفي غيرها من المناطق حيث يعيش العرب ليس الا « الطابع اليهودي » للدولة ، اي طابعها الصهيوني ·

ولا شيء يسمح بالاعتقاد بأن المستقبل سيكون شبيها بالماضي · ذلك ان مائة سنة من الاستيطان لا تدل الا على مسار وتقاليد وتاريخ وعادات الرجال الذين يقودون اسرائيل اليوم ، وهذا التاريخ ليس قدرا لا مرد له ، فضمن شروط اخرى ، وضمن موازين قوى اخرى ، وفي نطاق هياكل سلطة اخرى غير القائمة حاليا في اسرائيل ، فان طرد الاستيطان هو نظريا ممكن ·

والسلام ··· اذن ؟

هناك ما يغري بالاعتقاد بان نهاية الحرب الاسرائيلية العربية ، سيجعل من اوضاع الاقلية العربية اي من وضع هؤلاء الرهائن يتغير ·

هذه الدراسة الاولية على العكس ، ذلك ان العلاقات التي اقيمت بين اليهود والعرب وبين الاسرائيليين والفلسطينيين ،داخل الدولة الصهيونية ، ليست نتيجة للحرب والصراع ٠انها تنبع مباشرة ــ كما حاولنا ان نبين هنا ــ من طبيعة المشروع الصهيوني ، من اسسه الايديولوجية ، ومضاعفاته الملموسة ٠ انها جذر المشكل ٠

وهذا يلقي ضوءا على طبيعة السلام ، التي تطرح على جدول اعمال الكبار ومعظم انظمة المنطقة ٠ هذا « السلام » ــ الذي حددت صيغته مرة اخرى من طرف الجمعية العمومية للامم المتحدة في صيف ١٩٧٦ ــ يفترض « حل المشكلة الفلسطينية » على قاعدة التعايش بين دولتين ٠ الدولة اليهودية ضمن حدود ٤ حزيران ، والدولة الفلسطينية ، اي سيتم تطبيق خطة اقتسام فلسطين بعد عمليات الضم التي تمت بين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ٠ بعد اربعين سنة من التأخير ٠

وعدا عن ان هذا « السلام المتفاوض عليه » يفترض جلاء اسرائيل عن الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وعدا عن انه يفترض حل مشكلة التمثيل الفلسطيني في المفاوضات ، وعدا عن انه يستلزم مناخا عالميا ومحليا ملائما لنجاح هكذا مفاوضات ، فان مشكلة عرب اسرائيل (البالغ عددهم اليوم نصف مليون وسيبلغ المليون في عشر سنوات) تبقى كاملة ٠

لان مع السلم الاميركي او من دونه ، ومع مؤتمر جنيف او من دونه ، ومع مخطط روجرز او الدولة الصغيرة ، فان عرب تل ابيب وحيفا والرملة ودير حنا ، سيبقون ضمن دولة ترى في التقسيم ، كما قال بن ــ غوريون منذ ١٩٣٧ ، تبريرا لطابعها اليهودي ٠

صحيح ان الامم المتحدة لا تتحدث فقط عن التقسيم ، (اي في هذه الحالة الجلاء عن اراضي ١٩٦٧) ، بل انها تتحدث ايضا عن « عودة اللاجئين الى منازلهم » ٠ لكن المشكلة انه في اكثر الحالات لم يبق لهذه المنازل من وجود ٠ فقد اقيمت المدن والقرى والمزارع والمصانع ، حيث يعيش ويعمل اناس هم يهود من ابناء مهاجري يهود اوروبا او مهاجري الشرق الاوسط وافريقيا الشمالية ٠ المشكلة ان هذا البند المتعلق بعودة اللاجئين سيبقى حبرا على ورق ما دامت الصهيونية الايديولوجيا الرسمية والفعلية لدولة اسرائيل ٠ فالمسألة اذن هي مسألة « الطابع اليهودي للدولة » ٠ انها ليست مسألة حدود بل مسألة علاقات اجتماعية وسياسية بين اليهود وغير اليهود في دولة اسرائيل ٠ ذلك انه حتى لو اخذت الجليل والمثلث ، حيث تعيش اغلبية عربية ، من اسرائيل والحقت بالدولة الفلسطينية المنشودة ، فان المسألة ستبقى ٠ ستبقى ليس فقط بسبب لاجئي بئر السبع وعسقلان ويافا واللد ، بل وكذلك بسبب الاقلية العربية الصغيرة التي بقيت في هذه المدن ، بسبب من سوف « لن يرحلوا » ٠ المسألة اذن هي مسألة الدولة اليهودية ٠ فما دام في اسرائيل « انقاذ » للارض « بتهويدها » وما دام اليهودي وغير اليهودي يمثلان صنفين بالنسبة للنظام فان كينغ لن يصدم الا السذج او المخادعين ٠ فعودة اللاجئين حتى الى اراض غير تلك التي رحلوا عنها ، ستبقى امنية غالية لا يمكن تحقيقها ٠ ويبقى السؤال مفتوحا ، وتبقى « المسألة العربية » في الدولة اليهودية من دون حل ٠ ذلك ان التقسيم الذي ما انفك الحديث عنه منذ ١٩٣٧ ، اذا ما تم ، فانه سينقل مركز ثقل الصراع دون ان يسويه ، دون ان يطفىء النار فيه ٠ وبعد ان يتم التقسيم ستتحول اسرائيل الى الستر جديدة ٠ يكون للجليل فيها دور المقاطعات الكاثوليكية ٠ والاحياء العربية للمدن الاسرائيلية دور غيتو بلفاست ٠ لهذه الاسباب لا بد من قراءة الصفحات السابقة ٠ فالان وبعد ٣٠ اذار ١٩٧٦ ، وبعد الصدامات العنيفة التي جدت ، وبعد احداث ٣٠ اذار ١٩٧٧ في البقعة الغربية وجات ، وبعد احداث ٨ تشرين الثاني ١٩٧٧ في مجد الكروم في المثلث ،

وبعد انتصارات الشيوعيين داخل السكان العرب المسيطر عليهم منذ عقود عديدة بواسطة سياسة التعاون ، وبعد « رفعة الرأس هذه » ، فان البعض يتساءل « كيف تم ذلك ؟ » · عرب اسرائيل يتحركون ؟ · انه لامر غريب ! نعم ، انها القومية ! · انه الامتداد الطبيعي لتاريخ مئات السنين· وكيننغ يمكنه ان يخطىء حول هذه النقطة او تلكفي تعميماته باعطاء الحزب الشيوعي حجما اكبر من حجمه الحقيقي · وبأن ينسب له نوايا ليست له · في حين انه يستخف بتأثير الروابط الاقتصادية التي تجعل العرب تابعين للاقتصاد « اليهودي » · وهو يتجاهل كذلك تماما اشكالية الهوية القومية الممزقة بين العروبة و « القطرية » · ولكنه لم يرتكب خطأ حول الاتجاه العام · الدينامية التي اوجدت داخل السكان العرب ستؤدي عاجلا او آجلا الى اعادة النظر في سيادة الدولة الصهيونية على مناطق معينة ، وخصوصا في الشمال حيث يمثل العرب اغلبية السكان ·

ان اي مخطط سلام يتوقف عند بعض التوصيات المتعلقة بالحدود · وبغض النظر عن النظام الصهيوني (ضمن اي حدود) كنظام يقوم على التفرقة العنصرية المؤسسة بين اليهود وغير اليهود ، لا يمكنه ان يكون قاعدة سلام دائم · ليس لان مخططا كهذا غير اخلاقي ، بل لانه غير واقعي · وفي الاخير ساذج حتى انه لا يمكن ان ينتظر منه اكثر من ان يؤخر لبعض السنوات مواجهة تجد جذورا لها ـ عدا موجات انتهاك الاراضي والاضطهاد والذل ـ في تاريخ الاستيطان ·

ترجمة صالح بشير

خيريـة قاسميـة

توينبي وقضية فلسطين

ولد ارنولد توينبي في لندن ١٨٨٩ وكانت دراسته الاكاديمية في كلية باليول في جامعة اوكسفورد · ثم اصبح زميلا ومدرسا للدراسات الكلاسيكية في هذه الكلية ١٩١٢ ـ ١٩١٥ · وخلال الحرب العالمية الاولى عمل في وزارة الخارجية البريطانية (دائرة المخابرات السياسية) · ووضع اول كتبه المطبوعة « القومية والحرب » ، وحضر مؤتمر الصلح في باريس (١٩١٩) كعضو في الوفد البريطاني [وتكرر ذلك في الحرب العالمية الثانية حيث حضر مؤتمر الصلح الثاني في باريس ١٩٤٦] وقام عام ١٩٢١ بتغطية اخبار الحرب التركية اليونانية لجريدة المانشستر غارديان ووضع كتابه « تركيا والمسألة الغربية » ثم عين استاذا للغة اليونانية والتاريخ البيزنطي في جامعة لندن حتى ١٩٤٤ · ووضع كتابه « الفكر التاريخي عند اليونان » ١٩٢٤ ، ثم اصبح مديرا للمعهد الملكي للشؤون الخارجية واستاذا للدراسات الدولية حيث تولى منذ ١٩٢٥ وحتى ١٩٣٨ الاشراف على تحرير حولية استعراض الشؤون الدولية Survey of International Affairs

بالاضافة الى ذلك صدر له عدد اخر من المطبوعات : « المدنية في الميزان » ١٩٤٨ ، « الحرب والحضارة » ١٩٥١ ، « العالم والغرب » ١٩٥٣ · واعتزل عمله الرسمي عام ١٩٥٥ ليتفرغ لاكمال مؤلفه الضخم « دراسة في التاريخ » الذي اشتهر به كمؤرخ وفيلسوف في تاريخ الحضارة ·

وكانت قد نشأت في ذهنه فكرة كتابة تاريخ البشرية اثناء تدريسه التاريخ قبل واثناء الحرب العالمية الاولى ، ومنذ عام ١٩٢٢ بدأ بوضع قائمة من المواضيع والملاحظات في تاريخ البشرية طورها خلال اربعين عاما في ١٢ مجلدا · وقد انهى المجلدات الستة الاولى بين ١٩٣٤ ـ ١٩٣٩ ، ووصل الى مجلده العاشر عام ١٩٥٤ بفاصل زمني قدره خمسة عشر عاما · ذلك لان كتابا من هذا النوع ، زاخرا بالحقائق ومعقد الموضوع يحتاج الى عملية اعادة النظر في النتائج التي توصل اليها ، وصياغة التساؤلات التي طرحتها المجلدات الستة الاول والتفكير في صيغة للاجابة · واحتاجت مجلداته العشر الى مراجعة على ضوء المعرفة الجديدة التي تراكمت منذ عام ١٩٥٤ مع الاخذ بعين الاعتبار كل

التعليقات التي وجهها اليه نقاده في تفسير التاريخ ، وملء ثغرات كثيرة توصل الى معرفتها بعد ان شاهد بنفسه عددا من البلدان التي لم يكن يعرفها الا من خلال الخرائط والوصف العام · جمعها في مجلدين اخيرين من كتابه « دراسة في التاريخ » (انتهى من مجلده ١٢ وعنوانه Reconsideration عام ١٩٦١) · وصدر له بعد ذلك كتابان الاول بعنوان Aquantances ١٩٦٧ والثاني بعنوان Experiences ١٩٦٩ · وعند وفاته في اكتوبر ـ تشرين اول ـ ١٩٧٥ كان رصيده ، الى جانب هذه المؤلفات ، العديد من المحاضرات والمقابلات ومقدمات الكتب ، وهو في جميع كتاباته يجمع بين المعرفة الواسعة ووضوح التفكير وبعد النظر والحماسة المتناهية لمادة موضوعه ·

وتظهر الخطوط الرئيسية لفلسفته التاريخية الموسعة في مؤلفه الضخم « دراسة في التاريخ » وخاصة في مجلداته الستة الاولى · وقد تكونت نظريته بحكم عاملين رئيسيين ثقافته الاولى كدارس للتاريخ القديم ثم رحلاته الى منطقة الشرق حيث درس عوامل انهيار الامبراطورية العثمانية · وشغله قيام وانهيار الحضارات الشرقية على البحر المتوسط ، وسعى الى تطبيق تاريخ الشرق الادنى على مناطق اخرى من العالم · وخالف بذلك المؤرخين الغربيين الذين يقصرون معالجتهم على التاريخ الغربي او ينظرون الى تاريخ الامم الاخرى من خلال علاقته بالتاريخ الغربي · ويرى انه لا يمكن فهم تاريخ دولة ما ، ما لم تتوسع دائرة الرؤية بحيث تضم شبكة كاملة تربطها ثقافة مشتركة وتقليد طويل من العمل والمعاناة المشتركين · ومثل هذه الشبكة هي التي تشكل الحضارة · ولا يقسم توينبي التاريخ الى عصور ولا الى دول او الى احداث ، بل الى وحدات حضارية واضحة ، يضم كل منها مجموعة من البشر يجمعها طابع فكري ، واتجاه ذهني ، ومثل عليا مادية ومعنوية ، ونمط حياة متقاربة ·

واختار توينبي احدى وعشرين تجربة حضارية ، خمس منها معاصرة ، وبقيتها قد اندثرت (وسماها المدنيات المتحجرة Fossi) ودرسها دراسة عميقة وبحث عن اسباب قيامها وعوامل نجاحها وفشلها ، فوجد انها تتبع نمطا واحدا في نشأتها وازدهارها واضمحلالها ، طبقا لما سماه نظرية التحدي ورد الفعل في تاريخ الانسانية ، وهي النظرية التي كثر الجدل حولها وسيستمر ، ويمكن تبسيطها على النحو التالي :

حين تواجه حضارة ما بتحد تقوم نحوه باستجابة ناجحة ، وهذا يولد القدرة على مواجهة تحد ابعد ، وكلما كبرت المصاعب في حياة المجموعات ازدادت تحضرا · وقد تستجيب حضارة ما للتحدي بينما لا تفعل اخرى ذلك · والسبب وجود اقلية مبدعة تأخذ على عاتقها عبء التحدي وتدفع وراءها الجماعة غير المبدعة بقوة المحاكاة ، التي تمكن انتقال مهارات جديدة من الاقلية نحو الاكثرية · وقد تفرض الاقلية ارادتها كأقلية مسيطرة تتمسك بالزعامة كامتياز بطريقة لا تساعد الحضارة على تخطي مشاكلها ، او تنسحب من مسؤولية المجتمع · ولو اتبعت احد الطريقين تتوقف عن ان تكون قادرة على الاستجابة بشكل خلاق للتحديات الجديدة · ولو حدث هذا فالحضارة ستنهار ، وتنقلب العلاقات بين العناصر المختلفة للحضارة من علاقات انسجام الى علاقات عنف واكراه · وقد تنبعث منها في حالة الاحتضار اعمال ابداعية تضيء العالم المحتضر ، هي نتاج حضارة في فترة تراجع ·

ولا يعتقد توينبي ان الحضارات عليها ان تموت « الحضارة ليست كائنا عضويا ، انها نتاج ارادات » · وان تجارب الامم لا تموت بل يرث بعضها بعضا · الذي يموت من

الحضارات هو العناصر التي لم تكن تصلح ، وهذه العناصر تتيبس وتتحجر ، ولكنهـا تخلف وراءها قطعة من تراثها ، كل حضارة ترث العناصر الصالحة للبقاء مـن التـي سبقتها ، وهذا ما يثبت ان التاريخ مستمر ، وانه لا توجد حضارات منقطعة ٠

وكان امل توينبي ان يتبع فترة القلاقل ظهور الكيان الاوسع او العالم الواحد حيـث تصبح الحياة الانسانية فيه وحدة تامة في كل مظاهرها ونشاطها ٠ ويرى ان الحضـارة الغربية يمكن ان تتجنب مصير بابل وروما ، لو ان الغربيين قبلوا نظرية الخيار بين عالم واحد او الفناء ، وليس الخيار بين عالم واحد وعالم مجزأ ٠

لقد حاولت نظرية توينبي في التاريخ مراعاة تشابك التاريخ الانساني ٠ وسعت مـن خلال دراسة التجارب السياسية والحضارية التي مرت بها الامم استخراج قواعد وضوابط لمسار التاريخ ، وهي افكار ساعدت على اغناء الدراسات التاريخية في السنوات العشرين الاخيرة ٠

توينبي والموقف من العرب

على ضوء التفكير الانساني المتحرر من الصبغة القومية والمذهبية ، والتقدير العادل للحضارات ، كان موقف توينبي الصريح المنصف للعرب ، فقد رأى في العرب جماعة سياسية وحضارية اصيلة ، مرت بكل ادوار النشـوء والنمـو والانحدار ثم التجزؤ والانحلال الى وحدات اصغر ، وتحولت من دولة عالمية الى وحدة حضارية عالمية ، وهي الان في دور تجمع بعد تجزؤ طويل ٠ ويتحدى عملية التجمع العربي الحالية خطران : الاستعمار والصهيونية ٠ وكاد الخطـر الاول ينحسر ، اما الخطر الثاني فان تفكير توينبي العلمي وسعة معرفته فـي ميدان التاريخ والحضارات دفعه الى ادراك حقيقته ، ليس على العرب فقط بـل على الحضارة الانسانية جملة ٠

وقد تناول توينبي في كتاباته مجموعة من الموضوعات الحساسة ذات الصلة بقضية فلسطين ، وطرحها امام العالم الغربي بروح المؤرخ المتميز ، في وقت لم تكن وجهة النظر العربية حول القضية الفلسطينية تلقى حكما عادلا في الغرب ، الا في مناسبات نادرة جدا ، نظرا لان الصهيونية ، بالتعاون مع الامبرياليـة ، كانت تسيطر على معظم الصحافة في « العالم الحر » ، وكان العطف والدعـم لاسرائيل ينتشران الى حد كبير ويمارسان تأثيرا على سياسة الولايات المتحدة بوجه خاص ٠ ونجحت اسرائيل في تقديم نفسها للعالم كبلد ديمقراطي ذي مظهر متحرر يتميز بالعدالة الاجتماعية ٠ واهمل تماما كون هذه الدولة الغربية في الشرق الاوسط قد اقامها مهاجرون يهود حلوا مكان مليون لاجيء عربي ٠

وكان توينبي في النصف الثاني من عام ١٩٥٤ قد كتب فصـلا في المجلـد الثامن من مؤلفه « دراسة في التاريخ » تحت عنوان « اليهود والغرب الحديث » تعرض فيه للعدوان الصهيوني على فلسطين ، وللمظالم التي الحقها الصهيونيون

بالعرب الفلسطينيين · وتتالت مناقشاته مع اصحاب الاتجاهات الصهيونيـــة ودحضه الحاسم لحججهم ، والتي اصبحت حديث الاوساط العلمية في العالم · ويرتكز توينبي في معارضته للصهيونية على علمه الواسع بالتاريخ الذي اتـاح له تفنيد الادعاءات الصهيونية التاريخية في فلسطين ، ثم على نظرة منطقيـــة موضوعية الى الامور لا تقبل ابدا بان تقوم دولة على اسس دينية خالصـــة ، وعلى دعاوى عنصرية تنطوي عليها ضمنا الدعوة الصهيونية · وهو يدحض منطق الامر الواقع الذي يرتكز عليه ساسة اسرائيل بلغة حقوق الانســـان المعترف بشرعيتها عالميا ·

وموقفه هذا لا اثر فيه للتعصب او التحامل ، فهو يميز بين موقفه تجـــاه الشعب اليهودي والديانة اليهودية من جهة ، وموقفه تجاه الحركة الصهيونية من جهة اخرى · ويقدر المساهمة العالمية للديانة اليهودية ، وهي عنصر مرغوب جدا في الحضارة الغربية · ولكن الصهيونية ـ التي يعتبرها انحرافا كبيـرا لليهودية ـ هي الخطوة التقهقرية ، وهي من اكثر مواضيع النقد التي تكـررت في كتاباته ·

وكان من الطبيعي لشخصية في مكانة توينبي وجو الشجاعة وحرية الـــرأي لبسط الامور بأمانة وصراحة وموضوعية ، في وجه جمهور متحامل بوجه عام وامام صحافة تسيطر عليها الصهيونية ، ان تثير حنق الدوائـر الصهيونية وخاصة في الولايات المتحدة ، فاعتبرت ذلك تحديا لنفوذها ، وحملت علـــى المؤرخ حملات قاسية ، وحاولت تبرئة نفسها مما ادانها به من ظلم وتعصـب ، وبادرت الى اصدار عديد من الاتهامات ضده ومنها وصمه بالتهمة الشائعـــة « معاداة السامية » ·

توينبي والعقيدة الصهيونية

اعاد توينبي النظر في الرأي الشائع حول صحة الادعاءات الصهيونية فـي فلسطين ، والذي تكون دون تحري الحقائق التاريخية · ويقوم الادعاء الصهيوني على اعتقاد قديم في التوراة بان الاله يهوه قد اختار بني اسرائيل ليكونـــوا شعبه المختار ، ومنحهم حقا شرعيا لتحويل « ارض كنعان » الـــى « ارض اسرائيل » · وجهة نظر توينبي ان هذا الاعتقاد الغامض قد يستمر جيـــلا او جيلين ، ولكن لا يمكن تصور استمزاره قرونا او الاف السنين · ولذا فهو ادعاء سياسي حديث اصبح اداة للقومية الصهيونية على يد مجموعة من «الاشكنازيم» الاوروبيين ، الذين هجرت اكثريتهم ديانة اجدادها واستبدلتها بعبادة قوة بشرية جماعية تمثل الان سلطة دولة اسرائيل · ومنذ العام ١٣٥ م نزعت جذور اخر استيطان يهودي في بعض اجزاء من فلسطين على يد الامبراطورية الرومانية ·

وكان من المستحيل من الوجهة العملية لاكثر من مجموعات قليلة من الشتات اليهودي امكانية الهجرة الى فلسطين والاستيطان فيها · وتمتعت هذه المجموعات في جميع العهود التي مرت على فلسطين بحق العيش والعبادة ·

وتناول توينبي بالتفصيل وضع اليهود بعد ان طردوا من فلسطين حيث شقوا طريقهم للحياة وسط شعوب اخرى ، دون ان يكون لهم بلد خاص يشكلون فيه الاغلبية ، ولكنهم ظلوا مجتمعا واعيا لذاته بفضل تنظيمهم الديني الخاص وتمسكهم بالشريعة والعادات والطبائع اليهودية · ولا شك ان العلاقة ما بين اليهود وجيرانهم من غير اليهود قد طرحت مشكلة للطرفين ، وجرت محاولات كثيرة لحل هذه المشكلة اولها في العالم الغربي في العصر الوسيط ، وكانت على اساس خطوط التمييز العنصري في ظل نظام « الغيتو » ولكن هذه العلاقة لم تكن منصفة ودفع اليهود ثمنها احيانا ·

وكان تحرر يهود الغرب في العصر الحديث من « الغيتو » محاولة للتخلص من هذا (التناقض) في طبيعة المجتمع اليهودي ، فتحرر اليهودي سياسيا ومدنيا كان يعني اندماجه قوميا في الدولة الغربية ، اما في حياته الدينية فكان عليه ان يصبح عضوا في مجتمع ديني يهودي واسع وعالمي · يرى توينبي ان عملية التحرر كان يمكن ان تعطي حلا لمشكلة العلاقات بين اليهود وغير اليهود لو تم التحرر نهائيا ، وان تصبح اليهودية المثل الوحيد لنموذج بعيد عن ارتباطات محلية مبنية على الدم والارض · الا انها وقفت في مفترق الطرق بين ان تظل جماعة عرقية مغلقة من النموذج القديم ، او ان تصبح جماعة دينية منفتحة من النموذج الجديد ·

ولسوء الحظ لم يكن لعملية التحرر هذه حظ ضئيل من النجاح يعادل حوالي واحد في المئة خلال القرن الماضي · فالغربيون من غير اليهود لم يتخلوا عن نظرتهم التقليدية في التميز تجاه اليهود ، كما ان اليهود الغربيين بدورهم لم يتخلوا عن نظرتهم التقليدية في العزل الذاتي العرقي ، وكان فشل الجانبين في العمل من اجل الغاء الحاجز العرقي التقليدي ذا نتائج مأساوية ·

ويجد توينبي في الصهيونية محاولة ثانية جرت لحل مشكلة العلاقات بين اليهود وغير اليهود · واحد المشاعر الكامنة وراء نشأة الصهيونية هي التشاؤم حول احتمالات نجاح عملية التحرر في المستقبل · وهو تشاؤم ـ كما يقول ـ مبالغ به ، او قبل اوانه ، وقد يكون السبب الاعمق الكامن وراء الصهيونية ، رد فعل الجانب العرقي في الضمير اليهودي الجماعي · ويعتبر توينبي الصهيونية جزءا من موجة قومية شوفينية تدفقت في الغرب واكتسحت بقية انحاء العالم · وفي اعماقها تعبر هي و « معاداة السامية » عن وجهة نظر واحدة · فالفرضية التي تكمن وراء العقيدتين هي استحالة التعايش بين اليهود وغير اليهود في مجتمع واحد · والحل العملي الوحيد هو التمييز الطبيعي ،

وشعار الحركتين هو العودة الى تمييز العصور الوسطى ، اي ان تجمع كل الغيتوات المنتشرة في العالم في رقعة واحدة ٠

ويدحض توينبي الفرضية التي تقوم عليها الصهيونية ، فعملية التحرر لم يثبت فشلها ، ولم يبد يهود الغرب ـ على الجانبين الاوروبي والامريكي من الاطلسي ـ رغبتهم في ترك مواطنهم ٠ ويرى ان المحاولة الصهيونية لحل المشكلة تشترك مع المحاولة الوسطية : فهدف الصهيونية محاولة اثبات ان المجتمع اليهودي هو مجتمع عرقي اساسا سواء كان طائفة دينية ام لم يكن ٠

لقد وضع الصهيونيون من اليهود الغربيين انفسهم امام خيارين : فهدفهم النظري منح اليهود بلدا ـ اي بلد ـ يكون يهوديا تماما ، كما هي انجلترا انجليزية ، وذلك باستيطان ارض لا يملكها احد في هذا العالم الواسع على نهج المشاريع الغربية الاستيطانية ، والخيار الثاني ان يعاد توطين اليهود في اجزاء من فلسطين كما كانت قبل ١٣٥ م ٠ والبرنامج الثاني تكتنفه مصاعب مادية ومعنوية ، اذ ان اعادة توطين اليهود في اجزاء من فلسطين كما كان قبل العام ١٣٥ م ، لن يكون الا على حساب شعب سبق وجوده في البلد ٠ وحتى لو اهملنا الفترة التي عاشها هذا الشعب قبل قدوم اليهود ، او افترضنا ان سكان فلسطين بعد ١٣٥ م لم يكن بينهم اي عنصر سابق للقرن الثاني الميلادي بسبب التغيير الجذري في تركيب السكان بعد قمع الثورة اليهودية ، تظل فترة استيطان هؤلاء السكان في موطنهم الاصلي اطول من فترة استيطان بني اسرائيل ويهودا في اجزاء من فلسطين ٠ وقبل ان يبدأ هرتزل حركته الصهيونية ، كان قد انقضى على وجود السكان في فلسطين فترة تزيد على سبعة عشر قرنا ونصف على الاقل ٠

وتصور توينبي لو ان كل الشعوب القديمة تسعى لفرض ادعاءاتها في العصر الحديث فلن تتوقف عملية توزيع الاقاليم واستئصال الشعوب في انحاء العالم ٠

نقد الممارسة الصهيونية

يوجه توينبي سلسلة من الانتقادات للحركة الصهيونية بعد ان انتقلت الى مرحلة التطبيق وافصحت في كل خطوة عن طموحات لا حد لها : « فقد عمل الصهيونيون على تغيير كل الصفات اليهودية المتميزة التي احتفظوا بها في حياة الشتات التقليدية ، فقاموا بحماس وتحد بالغين بتحويل انفسهم الى العمل اليدوي بدلا من العمل الذهني ، وان يصبحوا سكان ريف بدل سكان مدن ، ومنتجين بدل طبقة وسطى ومزارعين بدل رجال مال ، محاربين بدل اصحاب دكاكين ، ارهابيين بدل شهداء ، ساميين بروح عدوانية بدل آريين مسالمين ٠

هذا التغيير لكل القيم التقليدية اليهودية وجه نحو هدف ضيق الافـــق ، ان يجعلوا انفسهم ابناء « ارض اسرائيل » بمفهومها العنصري بحيث تصبـــح يهودية تماما كما هي انجلترا انجليزية ، بدل ان يبقوا ابناء نيويورك ولنـــدن ومنشستر وفرانكفورت ٠

لقد سعى الصهيونيون الى اعادة تنظيم المجتمع اليهودي على اساســـ عرقي ، اي ان يجمع في اقليم واحد قومية متراصة تشبه الى حـــد كبيـــر المجتمعات العرقية في اطراف العالم المتحضر ، والتي ما زالت باقية حتـــى الان ، وتعرقل مسار الحضارة ٠ وعلى اساس هذه الفكرة ، اي اثبـــات ان المجتمع اليهودي هو مجتمع عرقي اساسا ، او على الاقل يشعر بوجود عنصر عرقي ثابت الى جانب العنصر الديني في اليهودية ، استندت واحدة فـــي المعتقدات السياسية الاسرائيلية الاساسية بعد انشاء الدولة او « ما يطلق عليها سياسة التجميع » التي تعطي اليهودي في اية رقعة من العالم حق الاستيطان في فلسطين ، واكتساب المواطنية الاسرائيلية اذا رغب في ذلك ــ او بالاحرى ــ عليه ان يرغب في ذلك ٠

ولا يرى توينبي في هذه العقيدة الاسرائيلية التي تقضي على يهود الشتـات واختيار الاستيطان في اسرائيل خطرا بحد ذاته حرجا ، نظرا لان يهود الغرب هم احرار في الخيار ، ومعظمهم قد سبق واختار الاستمرار في العيش كمواطنين في مواطنهم الغربية ٠ ولكن العقيدة الاسرائيلية الاشد خطرا هي التي تلـزم اي يهودي في العالم بالولاء لاسرائيل ، وانه ، اذا لم يلتزم بهذا الولاء حتـى الهدف النهائي ، بمعنى ان يصبح اسرائيليا ، فعليه التزام مؤقت ، طالما ظـل في الشتات ، وهو العمل من هناك لصالح اسرائيـــل ، حســـب التفسيـــر الاسرائيلي ٠

وتبدو القضية شائكة في نظر توينبي ، وكان رأيه المعلن ، والذي اصطـــدم بشأنه مع بعض الفئات الصهيونية عام ١٩٥٩ ، هو خطر التعارض بين تكريس اليهود لاسرائيل وولائهم لاوطانهم ، نظرا لان الدعم الذي تطلبـــه اسرائيـــل من يهود الغرب لا يقتصر على دعم ثقافي او خيري بل هو سياسي قبل كل شيء ، وهو ما يوقع يهود الغرب في خطر الولاء المزدوج نحو مواطنها ونحـــو اسرائيل في وقت واحد ، مما يعرض مركزها في تلك البلاد للخطر ٠ وبالاضافة الى ذلك ، لو ان يهود الغرب قرروا الهجرة الى اسرائيل ، ولو امكن لاسرائيل ان تستوعبهم ، فان انسحابهم من الغرب سيكون كارثة لاسرائيل ، لانه ســوف يحرمها من وسائل الدعم ٠ فاسرائيل مدينة بوجودها واستمرارها الى الدعـم الذي تتلقاه من الطوائف اليهودية في الغرب ٠ ولذا فان برنامج الحكومـــة الاسرائيلية في « التجميع » هو سياسة غير عملية ٠ والمحاولة لحل مشكلـــة العلاقات بين اليهود وغير اليهود على اساس خطوط الصهيونية تبدو عودة الى

الشكل البدائي في التنظيم الاجتماعي · ويرى توينبي الحل المثالي هو ان يصبح الفرد المنتمي للشتات اليهودي مواطنا لدولة يعطيها ولاءه السياسي دون اي تحفظ ، ويبقى في الوقت نفسه عضوا في مجتمع يهودي يكون العالم كله مجال رسالته ، ان الشتات اليهودي ـ برأي توينبي ـ هو الذي يمثل المستقبل وليس دولة يهودية في اسرائيل ·

ادانة الجريمة الصهيونية بحق العرب

يرى توينبي ان التجربة الصهيونية باعادة توطين اليهود في فلسطين تشكل حلقة اخرى من العدوان الغربي ضد الشرق · انه يمثل شعبا غريبا يحتل بلد غيره بالقوة تماما كما جرى في افريقيا الجنوبية والكونغو والجزائر · وفي حين ذابت جميع الامبراطوريات الاوروبية الاستعمارية خلال الحرب العالمية الثانية · الا ان مشروعا استعماريا غربيا قد انشىء مؤخرا دون ان تخف وطأته ، بل انه استمر في النمو « كما تنمو حبة الخردل على جسم شجرة ، ملقيا ظلا قاتما على الشرق الاوسط » · هذا المشروع الاستعماري الغربي الباقي في الشرق الاوسط هو الذي اوجد اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولم يكن احد من الاطراف صاحبة العلاقة ، باستثناء الصهيونيين ، يدرك مدى القوى المعنوية والمالية والسياسية والعسكرية التي تكمن وراء الحركة الصهيونية ·

ولم يكن توينبي ضد الشعب اليهودي ، بل يقدر ما لحق باليهود من اجحاف « وروعته ابادة اليهود الجماعية في اوروبا » كما كتب الى تالمون (استاذ التاريخ الحديث في الجامعة العبرية) · ولم يشعر بان اللاجئين اليهود الذين حملوا على الهجرة الى فلسطين كانوا مسؤولين عن ذلك ، الا انه يحمل المنظمات الصهيونية العالمية ـ ولاغراض سياسية بحتة ـ تعبئة جماهير اليهود « المنكوبين ونقلهم الى فلسطين بغض النظر عن المصاعب والمعاناة التي لحقت بهم حين كان بامكانهم ان تكون لهم حياة افضل في استراليا او امريكا الشمالية » ويجزم توينبي « ان هتلر حين نصب نفسه لابادة اليهود في اوروبا، وقع بأيدي الصهيونيين » · ويبرر الصهيونيون عملهم بانهم « كانوا على وشك الغرق وهم يتعلقون بلوح خشب » ، ويرى توينبي ان اليهود قد قذفوا باصحاب لوح الخشب الشرعيين بعيدا ، ودفعوا العرب الى ما هو مماثل لمعسكرات الاعتقال التي كان اليهود يسعون للتخلص منها الا وهي خيام اللاجئين ·

ويدحض توينبي بذلك الزعم الصهيوني القائل بان العرب الفلسطينيين قد تركوا مساكنهم طوعا او بناء على تعليمات من حكومات الدول العربية المجاورة ، فقد هربوا من موجة الارهاب التي لجأ اليها الصهاينة بهدف طرد المدنيين العرب من بيوتهم بجريمة اكثر بشاعة مما فعله نبوخذ نصر وتيتوس

وهدريان ومحاكم التفتيش الاسبانية وجميع اعمال الاضطهاد والابادة التي لحقت باليهود في العصور المختلفة في الماضي · ويقارن توينبي بين المجازر التي ارتكبها الصهيونيون ضد المدنيين العرب ١٩٤٨ والتي خططوا لها مسبقا ونفذوها بمنتهى القسوة ، ومجازر النازية ضد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية ، ويقول « ان اشد انواع المآسي في الحياة الانسانية حين يقوم شعب مرت به ظروف اضطهاد بفرضه بدوره على شعب اخر » · وفي العام ١٩٤٨ ، عرف اليهود ، من تجربتهم الشخصية ، ماذا كانوا يفعلون ، وكان من المفروض، ان يتجنبوا ذلك بسبب الدرس الذي تلقنوه في مواجهتهم للنازيين ، ولكنهم قلدوا ما تلقوه ·

وبالاضافة الى ذلك فقد سلب عرب فلسطين ممتلكاتهم ، فالجزء الاكبر من اسرائيل هو من الوجهة الشرعية ملك للعرب الذين اجلوا عن فلسطين ، اما ما يملكه الاسرائيليون بالفعل فهو تلك الممتلكات التي تم شراؤها خلال ثلاثين سنة من الانتداب ، او قبل ذلك ، كبعض المستوطنات الزراعية التي تعود الى ثمانينات القرن الماضي ، وهي لا تشكل الا نسبة ضئيلة جدا من مجموع الاراضي التي تملكها اسرائيل ، وحتى هذه تم تملكها بأساليب غير شرعية · اما الان فان النسبة الكبرى من مجموع الاراضي والبيوت والاملاك لا تزال ملكا شرعيا للاجئين الفلسطينيين الذين يقيمون خارج بيوتهم ـ بعضهم يقيم على مرمى النظر منها ـ في ظل ظروف غاية في التعاسة واليأس ·

لم يستطع توينبي ان يجد تبريرا لهذا العمل من الوجهة الاخلاقية « في عالم زاد التقدم التكنولوجي فيه من بلاء الحرب ، بحيث اصبح العدوان والجريمة صنوين » « وكان الخطأ الذي ارتكب بحق العرب الفلسطينيين كبيرا جدا ومع ذلك لم يكترث العالم للمعاناة العربية وتغاضي عن السلوك الاسرائيلي، رغم ان الجيل الحالي حساس على وجه العموم تجاه المعاناة الانسانية في اي مكان في العالم · وكان من المفروض ان يحدث هذا الخرق الفاضح للحقوق الانسانية سخطا واحتجاجا عالميين ، بل ومحاولة فعالة لابطال هذا الظلم ، والغريب في الامر ان العالم قد اصغى الى الطرف الذي اوقع الاذى وادار اذنا صماء للضحية » ·

وتحقيقا للعدالة ، واذا صح الافتراض بان الغرب قد اساء لليهود ، فعلى العالم الغربي نفسه ان يدفع الثمن ، وليس على العرب ان يدفعوا ثمن ما ارتكبه الغرب · كانت هذه وجهة نظر توينبي في الموضوع ، واوجزها في احدى محاضراته في الولايات المتحدة بقوله « لم يكن العرب هم الذين اقترفوا المجازر ضد اليهود بل الالمان ، واذا كان على اليهود ان يعوضوا بمنحهم مقاطعة فلتكن مقاطعة المانية وليست عربية » ·

مسؤولية بريطانيا في كارثة فلسطين

لقد كان من المتعذر اقتران العدوان ضد الشعب الفلسطيني عسكريا وسياسيا لولا حصول الصهيونية على مساندة مجموعة متفوقة من الدول الغربية ، ويدين توينبي بريطانيا بصورة رئيسية ، ويرى ان دورها الامبريالي في الوطن العربي قد بدأ منذ ١٨٨٢ حين احتلت مصر بقوة السلاح ، مما اثار شعورا بالاستياء والمرارة ضدها لم يفقه الا شعور المرارة لما اقترفته في فلسطين منذ ١٩١٧ ٠

وقد اتيح لتوينبي خلال عمله في وزارة الخارجية ـ قسم الامبراطورية التركية بما فيها فلسطين ـ خلال الحرب الاولى ، فرصة الاطلاع على ما حدث خلال تلك السنوات الحرجة ، ويحمل الحكومة البريطانية مسؤولية بالغة الخطورة لعاملين : اولا لاصدارها تصريح بلفور ، ثم لسلوك الانتداب البريطاني خلال الثلاثين سنة التالية ٠

وفيما يتعلق بالتصريح ، لربما تكون دوافع بريطانية لاصدار التصريح هي اولا التفوق على دول الوسط في التنافس لكسب الدعم اليهودي في وسط اوروبا والولايات المتحدة ، وثانيا ان الوطن القومي اليهودي في فلسطين ـ التي هي جزء من الامبراطورية العثمانية حليفة دول الوسط ـ هو ورقة رابحة بيد بريطانية ، واخيرا مواجهة البغض الذي يحمله اليهود في اذهانهم ضد بريطانيا لكونها حليفة روسيا الدولة الرئيسية في اضطهاد اليهود ٠ هذه دوافع قصيرة الامد ، ولاغراض الحرب ، وكان بامكان بريطانية ـ كما يقول توينبي ـ ان توازن بين قيمة الدعم اليهودي وقيمة الدعم العربي ٠ ففلسطين بلد عربي ، وكان من الافضل ان تقدم بريطانية العدالة للعرب الفلسطينيين ولا تدعم الصهيونية ٠

ويقر توينبي انه حين كان في وزارة الخارجية لم يكن قد تعرف بعد على المعنى الذي تضمنه التصريح ولم يكن يدرك بعد القوة الهائلة للصهيونية ، ولا يرى فيها سوى قضية صغيرة تشبه المستوطنات الزراعية اليهودية السابقة ٠ كذلك لم يكن يعرف ما هي تعهدات بريطانية للعرب ٠ ولكنه ادرك ذلك تدريجيا، الا انه يعتقد ان العبارات في التصريح كانت متعمدة ، بل يؤكد ان كل كلمة قد رسمت بدقة لتكون غامضة ٠ وتاريخ وضع مسودة التصريح يظهر ان الحكومة البريطانية كانت مطلعة على الاهداف الصهيونية النهائية ٠ وكذلك لا يعتقد ان بلفور نفسه كان غافلا عن المعنى الضمني للتصريح ٠ اذ قد ابدى ملاحظة خاصة الى اعضاء الوزارة احتج فيها على وضع فلسطين تحت انتداب من الفئة (أ) الذي يعني حق تقرير المصير بقوله « اننا لا ننوي منح حق تقرير

المصير لهؤلاء الناس » ويعني الفلسطينيين العرب · لقد كان بلفور يعرف المعنى المتضمن للتصريح ، ويدرك بوضوح ماذا كان يدعم ·

ويتألف التصريح من فقرتين : الاولى تتعهد فيها بريطانية بدعم انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، والثانية تشترط عدم احداث شيء من شأنه الضرر بمصالح سكان البلاد ، والبالغ عددهم حين اصدار التصريح ٩٠٪ · وما يأخذه توينبي على التصريح غموض كلمة « وطن » · ويؤكد توينبي من اطلاعه الشخصي على الوثائق ان كلمة « وطن » لا تعني دولة ، فلو كانت كذلك فمعناه ان الفقرة الاولى من التصريح الذي تتعهد فيه الحكومة البريطانية بالسماح بحق الهجرة والاستيطان تتناقض ، مع الفقرة الثانية التي تلزم الحكومة البريطانية بعدم الحاق ضرر بحقوق ومصالح اهل البلاد ، وهو التزام له نفس قوة شرعية الالتزام الاول · ولا شك ان بعض اليهود فسروا الوطن القومي بأنه وسيلة للحصول على دولة يهودية · وباعتقاد توينبي ان هذا المعنى هو الذي قبلته المنظمات الصهيونية حينذاك ، في حين اعطت بريطانية ضمانات على الورق لمصالح اهل البلاد ·

ومهما كانت الطريقة التي فسر بها تصريح بلفور ، ومهما كان المعنى الحقيقي لتعبير الوطن القومي للشعب اليهودي ، والحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، فهو يعني ـ يقول توينبي ـ « اننا قد تعهدنا بمنح شيء ولم نكن نملكه حتى نمنحه ، وباعطاء حقوق من نوع خاص الى طرف ثالث في بلد عربي هو فلسطين » · وهو عمل يعوزه الاحساس بالمسؤولية بشكل اكثر مما يبدو من كلمات النص الذي اعيدت صياغة مسودته مرارا · فالتصريح اعطى الصهيونيين الدعم السياسي المحتاجين له ، وبعد ذلك بدأت الاموال تتدفق ·

وقد سارت الحكومة البريطانية في التصريح الى اخر الشوط ، وذلك باصرارها على ان تمنح الانتداب على فلسطين ، وان يتضمن صك الانتداب تصريح بلفور · ولكنها في الوقت نفسه قبلت بأن يكون الانتداب من الفئة (أ) وهو نوع من الانتداب يرى توينبي انه يلزم الدولة المنتدبة بمنح الاستقلال الى اهل المنطقة المنتدبة حين تصبح مهيأة سياسيا لذلك ، وبما ان ٩٠٪ من سكان فلسطين كانوا في ذلك الوقت عربا ، فكون الانتداب على فلسطين هو من الفئة (أ) يعني ، بان فلسطين ستصبح في النهاية دولة مستقلة باغلبية عربية حتما ، مهما كان تفسير تصريح بلفور ·

ويوجه توينبي النقد لسلوك بريطانية خلال الانتداب الذي كان يتميز بعدم الوضوح في تحديد وجهة السياسة البريطانية · وظلت القضية الشائكة حتى اخر عهد الانتداب هي : « هل سيسمح لليهود بحرية التدفق الى فلسطين ليصبحوا اغلبية ، او هل يتحتم وضع حد اعلى للهجرة اليهودية الى فلسطين ،

ولو كان ذلك ما هو هذا الرقم ؟ لقد كان من المحتم معرفة الجواب قبل اصدار التصريح ولكن بريطانية تركته دون جواب · وكان الاحرى ببريطانية ان تحدد وجهة سياستها وان تعمل على تنفيذها قبل ان يصل هتلر الى السلطة بفتـــرة طويلة · وتبدو الحكومتان البريطانية والامريكية مسؤولتين « اذ كان بالامكـان ان ننقذ الوضع في الثلاثينات ، لو اننا واجهنا اعمال هتلرضد اليهود في المانية بفتح ابواب بريطانية والولايات المتحدة على مصراعيها لاستقبال افواج اللاجئين اليهود ولكن البلدية وامام ضرورات ملحة لم تفتحا ابوابهما الا جزئيا · وبهذا التجاوب الشحيح لحاجة يهود المانيا وقعتا (اي بريطانيا والولايات المتحدة) بايدي الصهيونيين » · فتدفق تيار الهجرة اليهودية من المانية نحو فلسطيـــن وكان كارثة لعرب فلسطين وللاجئين اليهود معا · اذ لو منح اليهود حـــــق اللجوء الى بريطانية او الولايات المتحدة ، كان بالامكان ان يتم ذلك دون احداث نتائج سياسية واجتماعية واقتصادية اليمة وخطيرة للبلدين · « وربما امكـن لهؤلاء اليهود الحصول على ضمان دائم لهم وللاجيال المقبلة وهو ضمان لا يبدو ان اسرائيل قادرة على منحه » ·

ورغم مسؤولية امريكا والمانيا تبدو حصة بريطانية اكبر اذ كان بالامكـــان تجنيب عرب فلسطين كارثة تجريدهم من ممتلكاتهم وتجنيب العرب واليهـــــود علاقات العداء لو ان بريطانية لم تقترف سلسلة الاخطاء السياسية والاخلاقية خلال وجودها في فلسطين بين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ·

ويعتقد توينبي ان الفلسطينيين ربما ارتكبوا خطأ سياسيا بعدم التعاون مع حكومة الانتداب فرفضوا مشروع الوكالة العربية الذي قد يمكنهم من طـــرح قضيتهم ، وكانت قضيتهم عادلة بحيث كان يصعب على كـــــل الحكومـــات البريطانية المتعاقبة ان تعمل ما عملته لو تعاون العرب معها · ولكن مجرد ان يحوي صك الانتداب نص تصريح بلفور كان بحد ذاته ذا وزن خاص ضد العرب فلم يثق العرب بنوايا بريطانية رغم التأكيدات المتواصلة عن عدل ونزاهـــــة اعتراضها تجاههم ، الا ان هذه التأكيدات البريطانية كانت التأكيدات السابقة لمصر بعزمها على الجلاء · لقد اضطرت بريطانية في النهاية الى الجلاء عـن فلسطين كما جلت عن مصر ، ولكنها تركت فلسطين في ظروف دفعت الى كارثة قومية كانت اشد قسوة مما توقعه العرب ·

الصراع العربي الصهيوني بعد ١٩٤٨

تعيش اسرائيل والدول العربية المجاورة منذ ١٩٤٨ في حالة حرب · ومنذ البداية كان الصراع غير متوازن ، وهزم العرب مرارا ـ كما يقول توينبـــي ـ بالمناورات السياسية ، ولم يكن لهم خبرة بذلك ، وهذا جزء من فداحة القضية

كلها · صحيح ان العرب يملكون شيئا واحدا هاما في صالحهم ، كونهم على حق ، والصهيونيين على خطأ ، وهذا امر يصعب موازنته ـ في رأي توينبي ـ بما يملكه الصهيونيون من فوائد · لقد كانت احدى اوراق الصهيونيين الرابحة هو ان باستطاعتهم ، وفي جميع الاوقات التاثير على الغرب لان لديهم خلفيتهم الاوربية الغربية ، وبامكانهم الوصول الى ذوي النفوذ والسلطة · واليهـــود ينتشرون في جميع انحاء العالم ، وليس انتشار العرب بنفس الاعداد والنفوذ، كما يحتكر الصهيونيون الصحافة في بلدان كثيرة ، ولديهم موارد لا حدود لها·

ويرى توينبي ان احد اسباب انحياز العالم الغربي للصهيونيين دافع نفسي ، اذ لا يزال الكثيرون في العالم الغربي يعتقدون ان العالم المسيحي الغربي قـد اساء لليهود ، ويختزن هذا الموقف في ضميره · ويشعر كثيرون من ذوي الفكر المتحرر ان ما يفعلونه لدعم قضية اليهود هو مناصرة التحرر · وقد ينطبق هذا ، من وجهة نظر توينبي ، على مناصرة الاقلية اليهودية في الغرب لو نالها سوء ، ولا يتبع ذلك مناصرة مستوطنين يهود في بلد عربي قدموا اليه وطردوا سكانه الشرعيين وسلبوهم ممتلكاتهم ، مع ذلك فعملية الالتباس في الذهـن لا تزال باقية ، والدعاية اليهودية تفسر اي امر لا يرغبه اليهود بانه « معـــاداة للسامية » · وهي فكرة يرفض ان يوصم بها اي فرد غير يهودي · وباعتقـاد توينبي ان هذا الالتباس ما بين حماية الاقلية اليهودية في الغرب ودعم العدوان الصهيوني في العالم العربي هو الذي يفسر موقف حزب العمال البريطانـــي المنحاز للصهيونية ·

ويرجع توينبي دوافع الدعم الامريكي الى المكانة التي تحتلها الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة والتي لا يوازنها وجود عربي بحيث عرف الامريكيون عـن اليهود كل شيء ولم يسمعوا عن العرب ، بل نظروا اليهم وكأنهم هنود امريكا· وظلت معاناة اليهود في اوروبا حية في الضمير الامريكي غير اليهودي الـــى جانب دوافع اخرى هي مزيج بين المصلحة والاحسان · ويؤكد توينبـــي ان اسرائيل ومن ورائها الدعم الامريكي ـ السياسي والعسكري والاقتصادي ، كانت ولا تزال اقوى من الدول العربية الاخرى ·

زاد وضع الصراع العربي الاسرائيلي تعقيدا بعد حرب حزيران (يونيـو) ١٩٦٧ مع ازدياد التعنت الاسرائيلي ورفض مقترحات الامم المتحدة التي تديـن مبدأ التوسع بالقوة العسكرية ، وتلزم اسرائيل بالانسحاب من المناطق المحتلة · ويرى توينبي ان تمسك اسرائيل بالحاق المناطق وراء حدود ما قبل ١٩٦٧ قائم على اعتبارين منفصلين : الاول الادعاء بالحاق القدس ، وهو ادعاء عقائدي ، والادعاء الثاني استراتيجي ·

ومن الواضح ان رفض اسرائيل الموافقة على اي قرار من شأنه الانتقاص من ضم القدس العربية يلقى استجابة عاطفية لدى اليهود · ولكن هل بامكـان

الاسرائيليين ارضاء هذا الشعور على حساب استمرار حالة الحرب ؟ يـــرى توينبي ان القدس هي لب القضايا المعقدة في الصراع ، وقد عبر عن اهتمامـه العميق بوضع المدينة المقدسة التي لها مكانة فريدة في العالم يتوجه لها ملايين المصلين بمشاعرهم · ووجد ان اجراءات الحكومة الاسرائيلية تهدد جمـــال المدينة وميزاتها من جهة ، وتعرض للخطر فرص تحقيق سلم دائم وعادل فـــي الشرق الاوسط مذكرا بقرار مجلس الامن ٤ تموز (يوليو) ١٩٦٩ الذي يديـن كافة الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضعية مدينة القدس ، وعـــدم شرعية ما تقوم به اسرائيل من مصادرة الاراضي والممتلكات فيها ، ولكـــن اسرائيل تحدت ارادة المجتمع الدولي ·

اما بالنسبة لادعاءات اسرائيل الاستراتيجية فيرى توينبي انها ادعـــاءات قد عفا عليها الزمن بعد تطور التكنولوجيا العسكرية ، اذ يمكن لضفـة الاردن الغربية وضفة قناة السويس الشرقية ان تكونا « حدودا طبيعية » لو اننا مـــا زلنا في عصر لويس الرابع عشر · واذا كان على اسرائيل ان تواجه هجوما قاضيا فلن يكون ذلك بفعل قوات ارضية تعبر خطوط المياه ، اذ من المحتمـــل ان يتم ذلك بفعل صواريخ موجهة من اية رقعة في الطرف الاخر ، وقد تكـــون بقنابل فانتوم بعيدة المدى تقدمها الولايات المتحدة الان للسعودية والكويت) · « ان أمن اسرائيل او عدم امنها لا يتوقفان على طبيعة التضاريس وعـــلى الحدود الجغرافية ــ كما يقول توينبي ــ بل على علاقاتها السياسية مع العرب، ومع الدول الكبرى » ·

رأي توينبي في حركة المقاومة الفلسطينية

ينظر توينبي الى حركة المقاومة الفلسطينية بوجهة نظر عالمية على النحـــو التالي : « حين يعامل شعب بظلم فادح ويتجاهل ، فان الرد السريع لهـــذا الشعب هو بروز حركة مقاومة مسلحة مناضلة · وهي الطريقة الوحيدة لانتزاع الاهتمام وتقويم اكثر الاخطاء فداحة ، هذا ما فعلته حركات المقاومة الاوروبية التي اطلق عليها حركات التحرر الوطني في عصر المد النازي ، وهذا ما يفعله الزنوج في الولايات المتحدة والفدائيون في روديسيا ، وما تفعلـــه الاقليـــة الاقلية الكاثوليكية في ايرلندا الشمالية » · ويرى توينبي ان « من الطبيعي ان تندفع الكائنات البشرية المحرومة من الامل لتقتل كل من يصادفها اذ لم يبـــق لديها شيء لتفقده » · توينبي نفسه لا يقر مقابلة الشر بشر اخر وان نطبـــق القانون بايدينا ونضرب معارضينا بطريقة غير مباشرة ، ويرى ان اللجوء الى العنف سلاح ذو حدين ، فهو من جهة ينتزع الاهتمام بحيث يستحيل تجاهـــل الطرف ، ومن جهة اخرى يفقد هذا الطرف الشعبية ، ومن الافضل ان يصبـــح

المرء غير محبوب من ان يهمل ، وهو خيار يائس · ولا يحب للكائنات البشرية ان تواجه بمصير كهذا ·

ويلوم توينبي العالم الغربي لانه تجاهل كل المآسي التي لحقت بالشعب الفلسطيني ، في وقت لم يكن لديهم ادنى سلطة ونفوذ ، كما ابدى عدم مبالاته بقضية العرب الفلسطينيين وما ارتكب في حقهم من اخطاء ، بل وطلب منهم دفع حساب الاخطاء التي اوقعها الغربيون ـ وليس العرب ـ باليهود · ولا يقع دم ضحايا العمليات الفدائية على رؤوس المقاتلين الفدائيين وحدهم بل على رأس العالم نفسه ، ويضرب توينبي مثلا على ذلك : « لو كنت انا او انت على وشك السفر من مطار ما واعترض سبيلنا مقاتل فدائي بمسدس او بندقية او قنبلة يدوية ، فهل نحن ضحايا بريئة تماما ؟ لنفترض ان الضحية ليست بريطانية (بمعنى انها مسؤولة بصورة محددة عن تصريح بلفور) وليس امريكيا (اي ليس مسؤولا بصورة محددة عن دعم اسرائيل في الاوساط الدولية) ، وليس صهيونيا او اسرائيليا ، ولنفترض ان الضحية من بيرو وليس يهوديا ، باعتقادي ان نقطة واحدة من دم الضحية تقع على رأس الضحية نفسها ، نتيجة لعدم مبالاة هذه الضحية المنكوبة الحظ لشكاوي العرب الفلسطينيين الدامية ، انها نقطة واحدة في محيط اللامبالاة العالمية التي كانت مبعث اذى وضرر للفلسطينيين منذ ما يقرب من نصف قرن » ·

ونظرية تبرير العمل الفدائي التي يطرحها توينبي تفترض الفرق بين صورتين: فالفدائي قاتل في نظر الاسرائيليين ولكنه بطل بنظر العرب ، وبنظر كل الفئات المعادية للاستعمار ، والمثل الفلسطيني هو احدث الامثلة منهذا النوع في التاريخ · ففي فلسطين العصر الكلاسيكي كان الثوار اليهود ضد الحكومة الرومانية في نظر اقرانهم اليهود عاملين من اجل قضية الحرية ، وفي نظر العالم الروماني (غير اليهودي) قاطعي طريق · وكذلك كان رجال حركة المقاومة في البلاد التي اجتاحها النازيون ، فهم ابطال في نظر بريطانية والولايات المتحدة « فالنصر العسكري يفترض دوما انه قد منح صاحبه حقا معنويا لا يقاوم ، والمهزوم عسكريا لا يعترف بهذا الحق ، ويلجأ دوما الى اية وسيلة ممكنة لازاحة نير الفاتح » ·

ويتساءل توينبي : هل ان حركة المقاومة الفلسطينية دون طائل ؟ او محكوم عليها بالاخفاق ؟ وما هو الدرس الذي نستمده من حركة المقاومة الفلسطينية الحالية والذي يمكن ان نستقيه من شواهد تاريخية سابقة ؟

يستقي توينبي الدرس من قصة شمشون البطولية حين وقع ضحية للظلم ولم يكن لديه شيء ليفقده سوى حياته ، فاوقع الموت بنفسه وبالفلسطينيين جميعا ، والفلسطيني بعد نصف قرن من اللامبالاة الجماعية لما ارتكب في حقه من الاخطاء وهو يواجه جدار الانسانية الحجري ، ولديه ثأر واضح ومفهوم

ضد الاسرائيليين ، ليس بمستبعد ان يمسك بعصا من الديناميت يفجره بنفسه وبالجدار الذي تقف امامه الكائنات البشرية التي لاتستجيب لقضيته · والفلسطينيون اليوم يحكمهم شعور بانهم على استعداد لان يضحوا بأرواحهم لو كان تحطيم الاعمدة كفيلا بانزال السقف على رؤوس اعدائهم وسحقهم · ويوجه توينبي تحذيرا للعالم اجمع بأن النزاع الفلسطيني اذا لم يحل في حينه ، فسوف يخوض العالم غمار حرب نووية تنتهي بابادة الجنس البشري · ويرى ان على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مواجهة هذا الموقف الحرج بصراحة ، لانهما لا شك تحجمان عن التورط في حرب ثالثة ·

مستقبل الصراع العربي الصهيوني

يتساءل توينبي عن احتمالات اسرائيل في البقاء ، ومع انه لا يمكن ان يحدد بالضبط ما هو مستقبل اسرائيل ، الا انه يقارن بين احتمالات استمرار اسرائيل في الوجود من جهة ، ومن جهة اخرى استمرار جماعات اخرى معاصرة من المستوطنين الذين زرعوا في اماكن غير مرحب بها ، كالمستوطنين البيض في جنوب افريقيا والمستوطنين البروتستنت في ايرلندا الشمالية ، وتبدو توقعات بقاء اسرائيل بنظره اكثر : لان اذا كان لجماعة مستوطنة ان تستمر في البقاء فهي بحاجة الى دعم خارجي وتلاحم داخلي ، واسرائيل في الوقت الحالي ، لا تزال تملك الدعم الاجنبي الذي افتقده المستوطنون البيض في جنوب افريقيا ، ولا يوجد شعب ابيض خارج افريقيا على استعداد لحمل السلاح في سبيل دعم البيض في افريقية الجنوبية ، وعلى النقيض من ذلك فان اسرائيل لا تزال تملك دعم حكومة الولايات المتحدة ، وربما غالبية الشعب الامريكي ، بما فيها طبعا ، الجماعة الامريكية اليهودية ذات النفوذ ·

ولكن هناك مؤشرات لاحتمالات تغيير في الدعم والعطف الخارجيين · فسياسة اسرائيل بعد حرب الايام الستة تزيد في عزلتها ، وخطأها الدبلوماسي الاول هو المبالغة في تأكيد التفوق العسكري ، وهذا أفقدها بعض عطف الرأي العام العالمي ، ويتوقع توينبي ان بالامكان ان تفقد اسرائيل شعبيتها في امريكا بحيث تقطع امريكا نهائيا مساعداتها لاسرائيل (تماما كما حدث لفرنسا في الجزائر) ولاحظ توينبي ان بين اللامبالين في الماضي لاخطاء نزاع الشرق الاوسط ، من بدأ يتحقق بأن اسرائيل ليست تلك الدولة الصغيرة المعدمة غير القادرة على الدفاع ، بل انها متصلبة متعجرفة تهدد العالم · ورغم ادعاء الاسرائيليين بعدم اكتراثهم بالرأي العام العالمي واستعدادهم لتحديه · الا ان توينبي لا يعتقد ان باستطاعتهم ذلك « فالتصلب الاسرائيلي المتطرف ، يعمل ضد مصلحة اسرائيل ، ومع مرور الزمن ستصبح اسرائيل اكثر عرضة للضغط ، وتستطيع الولايات المتحدة ، ان تمارس ضغطا على اسرائيل لقبول

تسوية يمكن للعرب ان يقبلوها » ٠ كما يتوقع توينبي ان الاجيال القادمة من يهود البلاد الغربية لن تشعر بنفس العطف الذي يربط بين الاجيال الحالية وبين سكان اسرائيل ، الذين تربطهم اواصر القرابة العائلية باليهود الغربيين في كثير من الاحيان ، ويمكن لفترة العطف الحالي ان تنتهي في المستقبل بحيث تزداد الطوائف اليهودية في الغرب اندماجا بالبلاد التي تعيش فيها ، والتي تدرك ان مستقبلها متوقف عليها ، بدلا من ان تظل متمسكة بهذا الولاء المزدوج نحو بلادها الاصلية ونحو اسرائيل في الوقت نفسه ، فتعرض بذلك مركزها في هذه البلاد للخطر ٠

وتبدو احتمالات التغيير في داخل اسرائيل اكبر ، اذ ان بنية المجتمع الاسرائيلي ينقصها الالتحام الداخلي ، فالمواطنون الاسرئيليون يسيطرون على عرب اسرائيل ، وداخل المجموعة اليهودية يسيطر الاشكنازيم من الاصل الاوروبي على السفارديم من البلاد العربية ، والعرب في اسرائيل هم اقلية ورغم استيائهم لكونهم مواطنين من الدرجة الثالثة الا انه لا حيلة لهم حاليا ٠ ويفوق اليهود السفارديم الاشكنازيم عددا ٠ واعدادهم تنمو باستمرار ، ولكنهم يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية ، وهو امر لم يكونوا يتوقعونه حين هاجروا الى اسرائيل ، ومن المحتمل ان يحاول السفارديم قبل انقضاء مدة طويلة انتزاع السيطرة من الاشكنازيم ، ولو حاولوا ذلك فلا شك ان الاشكنازيم سيقاومون باقصى قوتهم ، لان ما توقعه الاشكنازيم حين هاجروا ان يصبحوا ويظلوا الفئة السائدة هناك ٠ ولم يكن عنصر السفارديم الحالي في اسرائيل في ذهن الجيل الصهيوني الاول ، ولن يتوقع الاسرائيليون الاشكنازيم على الاطلاق عزلهم واستبدالهم بالسفارديم ٠ ولكن تزايد اعداد السفارديم في اسرائيل والسكان العرب سوف يتفوق على اعداد الاشكنازيم (حتى لو اضيف اليهم المهاجرون من روسيا في المستقبل) وسوف يغير طبيعة اسرائيل ٠

ولكن احتمالات التغيير لن تحدث ــ كما يعتقد توينبي ــ الا حين يفنى او يعتزل الجيل الموجود في السلطة ، والذي يقترب من نهايته بحكم عامل السن ، وسواء كان ورثتهم في مقعد السلطة من الاشكنازيم او السفارديم فمن المحتمل حدوث تغيير في الروح العامة ، اذ في الوقت الراهن لا يعمل الصهيونيون النظريون في الخدمة العسكرية ، ولكنهم يوجهون سياسة اسرائيل ٠ فهل يستمر الجيل الناشىء ــ الجيل الذي ولد ونشأ في اسرائيل ــ في تحمل عقيدة الجيل السابق ؟

باعتقاد توينبي ان الجيل الحالي سيبرم بفكرة الجيل الاول الهاجسة للحصول على مملكة سليمان وداود القديمة او ما يزيد عنها ، ولسان حال الجيل الحالي كما يتصور توينبي هو « نريد ان نعيش حياة عادية ، ولذا علينا التوصل الى تفاهم مع العرب ، جيراننا ، ومع العرب داخل اسرائيل » ٠ للوقوف في وجه

هذا الاتجاه كان تلويح الحكومة الاسرائيلية المستمر بخطر الابادة لابقـــاء التطرف الصهيوني حيا في اذهان الجيل الاسرائيلي الناشىء من جهة ، ولفتح باب التبرع من يهود العالم من جهة اخرى · مع ذلك فان توينبي يتطلع الـــى الجيل الناشىء الذي يعبأ باستمرار في الجيش ويدرك تماما ما سيواجهـــه اذا لم يوجد سلم · « ان هذا سيغير سياسة الحكومة في النهاية حتى لـــو حاولت عزل نفسها ، فالاسرائيليون سوف يتغيرون من الداخل » كما يجـــزم توينبي ·

ويرى توينبي بذور التغيير في توازن القوى داخل اسرائيل ، وهو في اتجاه يشير الى الطريق نحو انفراج عربي اسرائيلي · « ولكن هل علينا ان ننتظر الى ان يحدث التغيير ، او ان ننتظر حتى يصبح لليهود الشرقيين ـ بحكم كثرتهـم العددية ـ الكلمة الاولى في بلدهم حتى يصبح هناك امل في الوصول الى حـل بحكم انهم اقدر على التفاهم مع البلاد العربية » هذا هو السؤال الذي يطرحـه توينبي · قد يكون التوقع متفائلا ـ يضيف توينبي ـ او قبل اوانه ، « لانـــه يقتضي منا ان ننتظر اجيالا عديدة حتى يأتي الحل ، وخلال هذه الاجيـــال يظل اللاجئون في خيامهم وتضعف قضيتهم بالتدريج » ·

فهل بامكان العرب ازالة اسرائيل بالقوة ؟ او حمل اليهود على تـــرك اسرائيل · سؤال آخر يطرحه تويني وجوابه « ان تجربة تكررت ثلاث مرات قد اظهرت ان العرب لا يستطيعون هزيمة اسرائيل او القضاء عليها ، بسبب التفوق الاسرائيلي العسكري ، ـ رغم ان هذا التفوق لم يمكنها من ايصال الحـــرب الى نهاية حاسمة ، وفشل الدول العربية في تشكيل جبهة موحدة ، وكذلك موقف القوى الكبرى ، فالاتحاد السوفييتي لن يغامر في حرب مع الولايات المتحـدة لمصلحة العرب كذلك فان الولايات المتحدة لن تسمح للعرب بالقضاء عـــلى اسرائيل · صحيح ان العالم العربي ـ مثل روسيا والصين ـ لا نهاية له في امتداده الجغرافي ولدى العرب ورقة سياسية قوية ، لان اضخم احتياطـــي للنفط في الكرة الارضية يكمن في المنطقة العربية ويمكن ان يكون للعرب فرصة لعب هذه الورقة يوما ما وهذا قد يغير الوضع في غير صالح اسرائيل » ·

ويقول توينبي : « على العرب ان يواجهوا حقيقة ان اسرائيل قد جاءت لتبقى، وانه يستحيل ازالة دولة اسرائيل والتخلص منها واستبدالها بدولة ثنائيـــة القومية في فلسطين بدون حرب من الدرجة الاولى ، ما تلبث ان تصبح حربـا عالمية ، تتورط فيها القوتان الاعظم ، بينما في افريقيا الجنوبية ، حيث البيض اقلية صغيرة ، فان الافريقيين سيكسبون عاجلا او آجلا دون حرب عالمية ودون تدخل القوى الكبرى ، وليس الامر سوى مسالة وقت · بينما لا يمكن التخلص من اسرائيل بدون حرب ستكون كارثة للجميع · ومأساة فلسطين لا يمكـــن حصرها داخل الاطر الجغرافية ، والكارثة المحلية ، التي هي سيئة في حد

ذاتها ، قد تهدد في ان تغمر بقية انحاء العالم ، والنزاع الشرق اوسطي يحمل في ذاته بذور حرب عالمية » ٠

ثبت بمصادر الدراسة

كتب توينبي :

(1) — **A Study of Histroy** Vol. 8 .
Heroic Ages , Contacts between civilizations in space , (encounters bet-
Oxford University Press 1963 . 1 st. edition 1954 .

(2) — **Compariny Notes :** A dialogue across a generation , London 1963 .

مقالات توينبي :

(1) — Britain and the Arabs, the need for a new Start ,
reprited from **International Affairs** ,
Vol. 40. No. 4 , Oct. 1964 .

(2) — The Spell of Palestine , **World Jewry** , No. 8 . Vol. 1 . Oct. 1958 .

(3) — The Future of Israel , **Middle East International** , May 1973 .

(4) — Time Bomb in the Middle East , **Middle East International** , Sept 1973
reproduced from the **Observer** , Foreign News Service .

(5) — Samson Shakes the Pillar , (**Al Arab**) May 1969 .

(6) — **The Toynbee Debate :** Some realities about Israel ,
مناظرة مع حاييم هرتزوغ سفير اسرائيل في كندا ١٩٦١.

(7) — The Argument between Arabs and Jews , **Encounter** , Oct. 1967 .

(8) — **The Transformation of Palestine ,** مقدمة كتاب
(ed) I. Abu - Lughod , 1971 , Northwestern University Press , U.S.A.

(9) — An Historical Out line to the Present . مقال في كتاب
The Middle East , A Handbook , ed. M. Adams , London 1971 .

(10) — Jerusalem in Danger , **Times** , 15 th March 1971.
Sir Geoffrey Furlonge . بالاشتراك مع

(11) — Toynbee on the Arab Israeli conflict , **Journal of Palestine Studies ,**
Spring 1973 , Vol. II , No. 3.
Louis Eaks مقابلة مع الصحفي البريطاني

كتب متفرقة :

(1) — A. Hourani , **An Examination of Professor Toynbees Ideas , A Vision of History** , Near Eastern and other essay Beirut 1961 .

(2) — O. K. Rabinowicz , **Arnold Toynbee on Judaism and Zionism** , London 1974 .

مقالات متفرقة :

(1) — A significant and important essay , **League of Arab States , Department of Palestine** 1955.

(2) — Toynbee books , Critical of zionism , **Council News , Jan-Pec** 1955.

(3) — Pioneer destiny of Judaism , **Issues** , Summer 1960.

(4) — The Future of Judaism in Western Countries , **Issues** , winter 1962 - 1963 .

(5) — Toynbee in Cairo , **Arab Observer , April** 1965.

(٦) – حسين مؤنس ، **توينبي ونظرية التحدي والاستجابة** ، مجلة **العربي** عـــدد ١٨٢ كانون الثانى ١٩٧٤ .

هـادي العـلوي

اليهود العرب والفلسفة الاسلامية

ظهرت اليهودية في جزيرة العرب قبل الاسلام ببضعة قرون واعتنقتها بعض القبائل في الجنوب ، ثم صارت في حدود القرن الرابع الميلادي ـ طبقا لبعض الترجيحات ـ الدين الرسمي لمملكة حمير في اليمن · ويبدو انها اخذت في اليمن وسم الديانة الوطنية المضادة لغزو اجنبي يتلبس ديانة اخرى ، وهو هنا الغزو الحبشي الذي حاول اجتياح اليمن تحت لواء النصرانية · ويفسر على هذا الاساس اضطهاد الملك الحميري ذو نواس لنصارى نجران ، ففي عهد هذا الملك اشتدت وطأة الاحباش الذين سعوا لاستخدام اهل نجران طابورا خامسا يمهد لهم في البلاد من خلال تصديه للمطامع الحبشية · ويرجح بعض المفسرين ان ضحايا ذو نواس من النجرانيين هم اصحاب الاخدود الذين بكاهم القرآن وندد بمضطهيدهم (انظر سورة البروج) · وكان يهود الجزيرة صنفين : مهاجرين من فلسطين ، يرجح انهم من اصل عبراني ، وعربا تهودوا بتأثير اولئك المهاجرين · وقد تحدثت المصادر العربية عن القبائل التي انتشرت فيها اليهودية عند استقصائها للاديان التي ظهرت في الجزيرة قبل الاسلام ـ انظر مثلا (« المعارف » لابن قتيبة) · وثمة اختلاف فيما عدا ذلك حول اصل القبائل اليهودية في يثرب وما حولها ، فمن المؤرخين من صنفهم في المهاجرين ومنهم من قال انهم عرب تهودوا · وينشأ هذا الخلاف عن عدم تميز المهاجرين عن المتهودين في تقاليدهم او لغتهم، فقبائل يثرب من بني قينقاع والنفير وقريظة وخيبر كانت تبدو جزءا من القبائل العربية الاخرى في لغتها وادابها وفي

تقاليدها · وقد نتج انعزالها في تجمعات خاصة عن الحاجز الديني الذي يفصل عادة بين قطاعات المجتمع الواحد على اساس طقوسي دون ان يصل الى حد تقسيمها الى مجتمعات متباينة ·

لم تتغلغل اليهودية بين سكان الجزيرة لتغدو دينا سائدا · وهذا هو شأن سائر الاديان التي وجدت لها موطىء قدم في هذه البلاد من غير ان تستطيع انتزاع السيادة من الوثنية حتى ظهور الاسلام · لكن القطاع المتهود من عرب الجزيرة استطاع ان يترك بصمات واضحة في الحياة الاقتصادية والفكرية قبل الاسلام وبعده · ويلاحظ احمد امين أن اليهودية حلت في جزيرة العرب بعد ان تأثرت بالثقافة اليونانية لانها ظلت قرونا تحت حكم اليونان والرومان ، ولانها كانت منتشرة في الاسكندرية وعلى شواطىء البحر المتوسط ، فتسربت اليها فلسفة اليونان وادابها وبعض مبادىء القانون الروماني (فجر الاسلام ص ٢٥) · ويمكننا تلمس الدليل على ذلك في التفوق الثقافي لليهود على مواطنيهم الوثنيين مما يجد انعكاسه في مصطلح « الاميين » الذي استعمله القرآن في عدة مواضع ، جاء في بعضها على لسان اهل الكتاب ـ اليهود والنصارى · ومع ان سياق هذا المصطلح في القرآن يشير الى افتقار العرب الوثنيين الى كتاب مقدس ، فهو يرتبط ايضا بعدم القراءة والكتابة · واذا صدقنا رواية المعري للابيات التي نسبها الى احد يهود خيبر امكننا الحديث عن مستوى من التطور الفكري تكون الفئات المتنورة من يهود الجاهلية قد وصلت اليه · وتتضمن هذه الابيات هرطقة واضحة تذكرنا بآراء الرازي والمعري وابن الراوندي وغيرهم من زنادقة الاسلام · ويمكن القول على وجه العموم ان هذا التفوق النسبي في الثقافة قد اتاح لليهود العرب فرص تأشيرات ملموسة في المجالين الديني واللغوي ظهرت بوضوح في الاسلام الاول وتعدته الى عصور لاحقة · وترد في هذا الصدد مسألتان :

علاقة التصورات الدينية في الاسلام باليهودية ·

التكوين اللغوي للدين الجديد ·

فيما يتعلق بالاولى يتحدث القرآن عن صلة مباشرة وواضحة بالديانتين السابقتين حين يؤكد ان الاسلام جاء مصدقا لما بين يديه من الكتب المقدسة · ويتناول الباحثون المعاصرون هذا التأكيد من زاوية الارتباط بالتقاليد اليهمسيحية ذاهبين الى استخلاص العناصر اليهودية والمسيحية في الاسلام · ولا يختلف دارسو الاسلام على هذه النقطة الا في دلالتها ، فعند الكتاب المسلمين تعتبر هذه العناصر استعادة تاريخية للمبادىء التي شرعها انبياء اليهود واهمل اليهود العمل بها ، ثم تعمدوا طمسها فيما بعد · في حين يدرجها غيرهم ضمن سيرورة التطور التاريخي للاديان ويشيرون من ثم الى البيئة

اليهودية والمسيحية في بلاد العرب التي دفعت هذا التطور الى مداه الابعد ٠

نأتي الى مسألة التكوين اللغوي ٠ فنجد يهود الجاهلية يخلقون لغة اصطلاحية جديدة لمعالجة عقائدهم وطقوسهم تقوم على النقل من النصوص العبرانية بوسيلتي الترجمة والتعريب ٠ وقد دخلت هذه المصطلحات في القرآن والحديث فساعدت على تكوين اللغة الاصطلاحية عند المسلمين ٠ ومن امثلة المعرب جهنم ، الشيطان ، الطاغوت ، الجبروت ٠٠٠ الخ ومن امثلة المترجم : الصلاة ، الصوم ، الاخرة ، القيامة ، الجنة ٠٠٠ وغيرها ٠ ويضم القرآن مفردات عبرانية الاصل اشار الامام السيوطي الى بعضها في رسالة (من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق) تناولت الكلمات الدخيلة في القرآن ٠ ولا شك في ان هذه المفردات قد وصلت الى المسلمين بواسطة اليهود العرب الذي نشروها في الجزيرة وما جاورها ٠ ويحتمل انها شاعت واستقرت قبل الاسلام وهو ما يفسر استعمالها منذ النصوص المكية المبكرة دون ان تثير التباسا لدى المكيين ٠

الى جانب ذلك لعب اليهود دورا سلبيا في التطور اللاحق للفكر الديني في الاسلام ٠ ويتعلق هذا الدور بالاسرائيليات ٠ وهي مجموعة القصص والمعتقدات الخرافية التي نقلها اليهود الى المسلمين حول امور شتى من اخبار الانبياء الى اصل الخليقة وظواهر التاريخ والطبيعة ٠ وقد تسربت الاسرائيليات الى المسلمين مشافهة وقراءة ٠ تمت الاولى بالاتصال المباشر مع اليهود العرب الذي اسلموا او بقوا على دينهم ٠ وكان بين من اسلم شخصيات وثق بها المسلمون حتى القداسة مثل كعب الاحبار وعبدالله بن سلام ، اللذين ترتبط باسميهما روايات اسرائيلياتية عديدة ٠ القراءة ضمن المدونات التي كانت لدى اليهود العرب ، ولعل هذا هو المنهل الذي استقى منه وهب بن منبه احد اكبر رواة الاسرائيليات ٠

اخذت هذه المأثورات طريقها الى الانتشار اول الامر بالسنة القصاص الذين ظهروا في اواخر الامويين ، وكان لهم نفوذ واسع بين الجماهير لما تمتعوا به من خيال اساطيري خصيب ٠ ومع ان هذه الفئة لقيت مقاومة عنيفة من الفقهاء، لا سيما الاوائل ، فقد استمرت طوال العصور التالية وبقيت منها بقية حتى النصف الاول من هذا القرن بعد ان تحولت من الاسرائيليات الى قصص الابطال كعنترة وابو زيد الهلالي ٠ اما دخول الاسرائيليات في التدوين فقد تأخر قليلا ، ويمكننا ان نلمح لها بعض الاثر في الفصول التي خصصها المؤرخون العرب لتاريخ ما قبل الاسلام كما يتضح من الاجزاء الاولى لتواريخ الطبري واليعقوبي وابن الاثير وغيرهم ٠ ويبدو ان شحة المصادر القبئسلامية لدى هؤلاء المؤرخين الكبار قد الجأتهم الى هذه الروايات لاستكمال سلسلة التاريخ التي اعتاد بعضهم ، وفقا لتقليد يهودي ، على البدء بها من خلق آدم ٠ لكن الاسرائيليات وجدت لها مرتعا خصبا في مؤلفات العصور المتأخرة من

تاريخية ودينية ، حتى لتبدو وقد طغت على كامل الاستذهان الديني والتاريخي لطوائف اسلامية واسعة · ويكفي ان نقرأ الجزء الاول من تاريخ ابن اياس الحنفي ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور ـ لنرى الاثر المخرب للاسرائيليات في العقل الاسلامي المتأخر ·

وقد يتبادر سؤال :

هل كان ثمة غرض منوراء نشر الاسرائيليات بين المسلمين ؟.

اذا استذكرنا تحديد كارل ماركس للشخصية اليهودية وتفحصناه في ضوء الصراع الذي نشب بين المسلمين واليهود منذ عهد النبي محمد من جهة ، والعداء التقليدي الذي يحكم العلاقات ما بين الاديان من جهة اخرى فاننا لا نستبعد الغرض · وهذا مبدأ عام · لكن تطبيقه على حالتنا هذه يتطلب الافتراض بان اليهودي الذي سرب الاسرائيليات الى المسلمين كان واعيا ما فيها من تخريف ، وبالتالي مدركا لما ستحدثه من بلبلة في العقيدة وانحطاط في العقلية الاسلامية · والعكس هو الصحيح · فاليهودي كصاحبه المسلم والمسيحي مؤمن بما في يديه ، والاسرائيليات جزء من مأثوره الديني الذي يتعامل بموجبه مع الطبيعة والتاريخ والانسان ويحرص من ثم على توسيع نطاق تداوله بايصاله الى الاخرين ·· ويمكننا لذلك النظر الى تلقينها للمسلمين على انه مسعى تبشيري من النوع المعتاد في تاريخ الاديان قد لا يحمل من النوايا السيئة قدر ما يبطن من الحرص على تصحيح العقائد الضالة · وهي حالة تختلف تماما عما يمكن ان يقوم به مثقف يهودي معاصر يسعى لخدمة اهداف اسرائيل في التخريب الايديولوجي * ·

الفلسفة

سبقت لليهود العرب مساهمات متفاوتة الحجم في النشاط العلمي والفكري تمحورت بكثافة حول الطب والفلسفة · ولعل الطابع العملي للشخصية اليهودية يقف وراء اهتمامهم بالطب ، الذي اعولوا عليه كعلم عملي ومهنة رابحة · ويحتفظ تاريخ الطب العربي بالعديد من الشخصيات اليهودية على امتداد العصور التي ازدهر فيها · وترجع علاقتهم بهذه المهنة الى الوقت الذي كان فيه النساطرة يحتكرونها في بلاط العباسيين الاوائل ، لاننا نعثر على اسماء يهودية ضمن اطباء الطبقة الحاكمة من الخلفاء والوزراء وغيرهم في اعز ايام الاحتكار النسطوري··· على ان النشاط الطبي لليهود لم يتجاوز

---

* قد تكون هذه الملحوظة لازمة للفصل بين صنفين من اليهود ومرحلتين من التاريخ يحاول بعض الكتاب اليمينيين اسقاط احدهما على الآخر ··

التطبيب الى الدراسة النظرية للطب الا في حالات نادرة تتمثل اساسا بالمؤلفات الطبية لابن ميمون التي سار فيها على نهج ابقراط والرازي وابن سينا ٠

اما في الفلسفة فقد ترك اليهود تراثا عريضا يطغى على سائر ادوارهم في تاريخ الاسلام ، وقد يكافىء ما تركوه في ميدان التجارة ! ويقترن هذا التراث باصطلاح الفلسفة اليهودية المتداول في الدراسات المعاصرة للاشارة الى المجهودات التي قام بها المفكرون اليهود لعقلنة لاهوتهم او للتوفيق بينه وبين الفلسفة ٠ وهو اصطلاح لا يخلو من تجوز اذ تصعب الاشارة الى مدرسة منفصلة تاريخا ، او ارضا ، او منهجا يصدق عليها وصف « فلسفة يهودية » ٠ ان تاريخ الفلسفة يتعامل عادة مع مراحل كبرى استمدت اسماءها من ظروفها الخاصة ، وهي : الفلسفة الاغريقية ـ الفلسفة الاسلامية ـ الفلسفة القروسطية في اوربا ـ الفلسفة الغربية الحديثة ـ الفلسفة الحديثة ٠ وتضاف الى هذه المراحل فلسفتان منفردتان ظهرتا في نطاق اقليمي وقومي محددهما : الصينية والهندية ٠ وخارج هذا التحديد لا تصح تسمية اخرى على اطلاقها وانما ترد في سياق المرحلة الواحدة تفريعات لغرض البحث او لتشخيص مجموعة معينة من النشاط الفلسفي المتماثل داخل المجرى العام ، كتعبير فلسفة المانية او فرنسية او انكليزية ضمن الغربية الحديثة ، او تعبير الفلسفة الكاثوليكية ضمن القروسطية ٠ وضمن هذا الشرط يمكن فقط استخدام تعبير « الفلسفة اليهودية » لتحديد النشاط الفلسفي للمفكرين اليهود خلال الاطوار المختلفة للفلسفة ٠ ويشار الى هذه الفلسفة كـ « فلسفة دينية » بقدر ما تمثل كنتاج لمجهودات ملحة معينة يرتبط بخدمة اغراضها اللاهوتية الخاصة ٠ وهي في ذلك شبيهة بالفلسفة الكاثوليكية ٠ لكنها اوسع مدى من فلسفات دينية اخرى لم تملك مثل امتدادها كالسريانية ضمن الفلسفة الاغريقية (الهيلينية) لان الاخيرة ظهرت مع الهللينية وانتهت بانتهائها ، بينما استمر الجهد الفلسفي لليهود طوال ثلاث مراحل : الاغريقية والاسلامية والقروسطية ٠

ربما كان فيلون الاسكندراني (٩٥٠م) رائد اليهود في مضمار التفلسف ٠ فهو اول مفكر يهودي كبير يصدق عليه وصف فيلسوف ٠ واليه يرجع وضع اللبنات الاولى في الفكر الفلسفي لليهود ٠ على ان هذا الرائد الكبير لم يجد من يخلفه حتى نهاية العصر الهللينى ، اذ لم تنجب اليهود طوال هذه الحقبة فيلسوفا في حجمه ٠ وقد انكفأ الفكر اليهودي بعده الى طقوسية صرفة استمرت حتى ظهور الفلسفة الاسلامية ٠ ونحن نعرف ان التفلسف في الاسلام بدأ كثيفا وشاملا ، واستمر كذلك حتى نهاية عصر الحضارة ٠ ومن خلال هذه الكثافة وهذا الشمول وجدت جميع فئات المجتمع الاسلامي سبيلها الى التفلسف الذي ارتبط اساسا بهذا الجو رغم انه كان موجها لخدمة اغراض متباينة ٠ وتنسحب هذه الحالة على الاستذهان اليهودي في عودته الى التعامل مع الفلسفة ٠ وقد

جاءت هذه العودة مقطوعة الصلة بتجربته الهللينية اذ ليس لدينا ما يؤكد اتصالا مباشرا بين الفكر اليهودي في العصر الاسلامي وبين الاصول الاغريقية ، ولا مع الرائد فيلون الذي كتب باليونانية فلم يعرفه يهود هذه المرحلة · ومن هنا يتحدد النظر اليهودي الجديد في ضوء البيئة الاسلامية الخالصة : بوصفه جزءا من نشاط الفئات المختلفة للمجتمع الاسلامي وجاريا بالتالي على نفس السنن العام للنظر الاسلامي في جانبيه الكلامي والفلسفي · وقد يحملنا ذلك على التردد اكثر في استخدام مصطلح الفلسفة اليهودية ، لكننا نواجه هنا امرين : الاول ظهور بعض الاعمال الفلسفية لليهود باللغة العبرية ، الى جانب العربية والثاني جعل الديانة اليهودية اساسا للتفلسف ، في مقابل الانطلاق من الدين الاسلامي عند المفكرين المسلمين · ويضفي كل ذلك استقلالا نسبيا على الاصطلاح يبرر استعماله دون الوقوع في مفارقة الانفصام بين المرحلة العامة وتفرعاتها ·

اقدم مفكر يهودي فيالاسلام هو سعد الفيومي ، من القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ ولد في مصر ونشأ فيها ثم غادرها الى العراق حيث استقر به المقام الى نهاية ايامه · وكان يشغل في العراق منصبا دينيا مرموقا يحدد هويته الاصلية كرجل دين · وقد ترجم الفيومي الكتاب المقدس الى العربية ـ عن العبرية ، ووضع عدة مؤلفات في الفلسفة والكلام والتاريخ اليهودي · اما فلسفته فهي مزيج من الاعتزال والمشائية ومن هنا هجومه على الافلاطونية الجديدة التي انكر نظرياتها فيالفيض وتسلسل العقول ومتابعته المتكلمين في مسائل الخلق المباشر والتوحيد والصفات واثبات الصانع · ويعكس هذا الخليط الفلسفي كلا من بيئة الفيلسوف ووظيفته الدينية ، فقد ظهر في غضون الحقبة الذهبية للفكر المعتزلي وعاصر او شارف كبار المعتزلة الذين ازدهروا ما بين القرنين الثالث والرابع ، وربما اتصل بهم شخصيا بحكم اقامته في العراق حيث تمركز نشاط المعتزلة خلال هذه الحقبة · كما شهد الفيومي صعود الدراسات الفلسفية بقوة الاندفاع الكبير الذي احدثه الكندي (اواخر القرن الثالث) · والكندي بدوره فيلسوف مشائي ـ معتزلي · هذا في حين ترتبط كلامية الفيومي بموقفه الديني وهي لذلك لا تستوعب كامل الفكر المعتزلي بعقلانية المتصلبة وانما تقوم على الانتقاء لضمان عدم المساس باولية المعطى الديني واسبقيته على العقل · وبوجه عام ، يمكن اعتبار عقلانية الفيومي وسطا بين مجازفات ابراهيم النظام ولاهوتية الاشعري والنظر اليه بالتالي كنموذج للمعتزلي المعتدل ·

استمر الكلام الممزوج بالفلسفة نهجا لعدد من مفكري اليهود بعد الفيومي · ويبدو ان متكلمي اليهود ادركوا شأن زملائهم متكلمي الاسلام ، صلة الرحم التي تجمع الكلام بالعقيدة ، ففي خضم الصراع بين التيارات يظهر هارون بن عليجة (٨هـ ـ ١٤م) ليقول ان التعاليم الكلامية اصل جوهري في العقيدة اليهودية

بينما تمثل تعاليم ارسطو فلسفة الوثنيين · وقد تناول متكلمو اليهـــود نفس القضايا التي خاضها زملاؤهم المسلمون ، لا سيما المعتزلة ، كمسألة الصفـات (الالهية) والتوحيد والخلق المستمر والكسب والارادة ، وانعكست عليهـــم انقسامات متكلمي الاسلام حول هذه المشكلات رغم انها لم تصل الى حد ظهـور الشيع والمذاهب وانما انحصرت في الافراد · اما ابرز المتكلمين بعد الفيومـي فهو صموئيل بن حفني (١٠٣٤ م) وكان يشغل نفس منصبه الديني في العراق ونسيم بن يعقوب القيرواني (١٠ ــ ١١ م) ويوسف بن ابراهيم البصير وتلميذه يشوع بن يهوذا (١١ م) · وقد استخدم الاخيران نظرية الحال (١) في بحـث الصفات ·

ظهرت الافلاطونية الجديدة على يد اسحق بن سليمان الاسرائيلي (٨٥٠ ــ ٩٥٠ م) وكان طبيبا لوالي القيروان ، وتتلمذ في الفلسفة على مؤلفات الكندي ودرس نظرية الفيض وتسلسل العقول في تاسوعة افلوطين التي ترجمت الـى العربية منسوبة الى ارسطو · وهو اول من سعى لوصل عقائد الافلاطونيـــة الجديدة باللاهوت التوراتي ، لا سيما عقيدة عروج الروح الى العالم الاعلـى . المشتركة بينهما · وقد استخدمت محاولته هذه في شرح لسفر التكوين كتبـــه تلميذه دنحاش بن تميم ، كما استعادها يوسف بن صديق المتوفي عام ١١٤٩ م · ويعتبر سليمان بن جبرول ابرز افلاطوني محدث بين اليهود الاسلاميين · وهـو

---

(١)ـ الحال هو الواسطة بين الموجود والمعدوم قال به ابو هاشم من معتزلة البصـــرة وتابعه عليه فريق من المعتزلة ، وبعض الاشاعرة كالقاضي الباقلاني وامام الحرمين· وتهدف هذه المقالة الى حل اشكالين يتعلق الاول بصفات الله التي احتار المتكلمون والفلاسفة بين جعلها قديمة ، فيلزمهم تعدد القدماء وهو شرك وبين اعتبارها محدثة فيلزمهم وقوع التغيير في ذات الله · ويتعلق الثاني بالمقولات التي يمتنع عليها وصف الوجود او العدم كمقولة الوجود نفسه والمقولات المشتقة من الصفات كاللونية للالوان والعرضية للعلم والجوهرية للجوهر · ويتم حل الاشكال الاول بالنص على صفات معينة لله تنطبق عليها صفة الحال فينبغي وصفها بالوجود او العدم وبالتالي وصفها بالقدم او الحدوث أما الاشكال الثاني فيعتمد على ان ذاتيات الأعراض ــ كاللونية للسواد مثلا ــ ليست موجودة استقلالا لامتناع تقوم العرض بالعرض ولا معدومة لامتناع تقوم الموجود بالمعدوم وبالتالي فلا يمكن وصفها بالوجود او العدم وانمـا هي وسيط بين المقولتين · والحال مسألة دقيقة وذلك تعذر على الباحثين ايجـاد المصطلح المقابل لها في اللغات الاجنبية فوردت في الموسوعة البريطانية مقابـــل : MODE وفي معجم صليبا مقابل STATE الانكليزية و STATUS باللاتينيـــة و ETAT بالفرنسية وكل هذه المصطلحات لا تفي بالغرض ، وكان من الافضـــل نقله دون ترجمـــة ·

اندلسي من ملقا ولد سنة ١٠٢٠ وتوفي سنة ١٠٧٠ وعرض فلسفته في كتاب « ينبوع الحياة » المشهور بترجمته اللاتينية بعد ضياع اصله العربي · وقد عنى ابن جبرول بمسألة الموت فوجه فلسفته لتعليم الانسان كيفية التحرر منه · وهي محاولة صوفية تسترجع فكرة الاتحاد بالاله بعد الموت ، الذي يعتبر هنا وسيلة الوصول الى الله ، اي انه آخر درجات الترقي التي يقطعها الانسان في رحلة الحياة · والموت تبعا لذلك ليس نهاية الحياة بل هو اعلى مراحلها · · [وضع الملاصدرا الشيرازي هذه المحاولة في نصابها الفلسفي الدقيق بتعريفه للموت استنادا الى نظريته في الاشتداد بانه « قوة تجوهر النفس واشتدادها في الوجود » وهي آخر مرحلة يبلغها العالم في تطوره بدءا من المادة الغير حية حسب سلسلة الشيرازي في الارتقاء] · وابن جبرول من الفلاسفة العرب الذين عرفتهم اوربا اللاتينية وذلك من خلال كتابه ينبوع الحياة الذي ترك ارتكاسات متفاوتة بين محافل الفلسفة الكاثوليكية في اواسط العصور الوسطى·

وفي الاخلاق الافلاطونية وضع بحية بن يوسف (الخامس الهجري) كتاب « الهداية الى فوائد القلوب » الذي يعتبر كتاب اليهود الكلاسيكي في الاخلاق · وقد بناه على « حب الله » بوصفه غاية للسلوك الاخلاقي ، وهي فكرة افلاطونية محدثة مطورة بالغنوصية الشرقية والتصوف الاسلامي · لكن بحية ليس افلاطونيا صرفا لانه يميل في عقائده الفلسفية إلى آراء سعد الفيومي الذي رفض الفيض والوسائط وقال بالخلق المباشر على طريقة المتكلمين ·

قد يكون ابن ميمون اول فيلسوف مشائي من اليهود العرب · وهو ابو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله · ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ ونشأ فيها ثم غادرها الى فلسطين فمصر حيث صار طبيبا لصلاح الدين الايوبي وخلفائه وانشأ مدرسة في الاسكندرية لتعليم ابناء دينه · (٢) ومتابعة ابن ميمون لارسطو ناتجة عن تأثره بابن رشد ابن مدينته الذي اتصل به في شبابه ، ويمكننا لذلك اعتباره « اول رشدي » قياسا الى اوروبا والرشدي الوحيد ، قياسا الى

---

(٢)ـ جاء في « الموسوعة العربية الميسرة » ما يلي عن ابن ميمون :
« ····· وانشأ في الاسكندرية مدرسة لتعليم ابناء قومه · وتعد هذه المدرسة نواة للجامعة العبرية التي انشئت بفلسطين ١٩٣٥ ···» وهذه الموسوعة من اصدار مؤسسة فرنكلين · ويلاحظ استخدامها عبارة « ابناء قومه » بدلا من « ابناء دينه » مع الادعاء من ثم ان مدرسة ابن ميمون نواة للجامعة العبرية · وهي صلة مفتعلة لان مدرسة ابن ميمون زالت من الوجود تماما ، فضلا عن انها انشئت ليتعلم ابناء الطائفة ما يتعلق بمعاشهم ومعادهم ، والجامعة العبرية اسست لهدف سياسي مسبق هو اختلاق ثقافة قومية لامة موجودة لم تكن في حسبان ابن ميمون حين اقام مدرسته·

العالم الاسلامي ، الذي لم تعمر فيه الرشدية طويلا · وتقوم فلسفة ابن ميمون على التوفيق بين الدين والفلسفة تبعا لمنهج استاذه · لكنه خالفه في المكانة التي اعطيت لكل منهما ، فقد دعا ابن رشد الى تأويل ما خالف العقل بمقتضى قانون التأويل العربي ، فجعل الفلسفة حاكما على الدين · اما ابن ميمون فدعا الى نبذ ما خالف العقائد من المبادىء الفلسفية التي اعتبرها خادما للشريعة · وهو بذلك يعبر عن منهجه الخاص كفيلسوف ديني · ولا شك في ان هذا هو السبب فيما لقيته اراؤه المودعة في كتابه الشهير « دلالة الحائرين » من تحبيذ لدى كل من البرت الكبير وتوما الاكويني فيلسوفي الكاثوليكية في القرن الثالث عشر ، لا سيما الاخر وهو اكبر من تصدى لابن رشد في اوروبا اللاتينية · على ان اسبقية الدين على الفلسفة لم تمنع ابن ميمون من التورط في تأويلات رشدية للعقائد ، من ذلك رفض التصور الديني البحت للملائكة الذين وحدهم بالعقول (المتسلسلة) واعتبرهم من قوى الطبيعة · وبذلك نفى عنهم صفة الكائنات الحية المشخصة وهو تأويل مأخوذ من ابن سينا · وفي تناوله لموضوعة العناية الالهية حدد مداها بالعالم البشري ـ عالم ما تحت القمر ـ وقيدها بالقطنة فجعلها درجات بحسب مرتبة الانسان في الكمال العقلي حيث يكون الاوفر عقلا اوفر حظا من العناية · وبهذا التحديد ينتفي عن العناية اي معنى سماوي · ومن المعروف ان المشائين الخلص ، وفي مقدمتهم ابن رشد ، ينفون العناية في الجزئيات ويجعلونها لمجمل الوجود لان الله عندهم يعلم الكلي لا الجزئي · (يقصدون العلم بقوانين حركة العالم وليس بتفاصيل هذه الحركة كالعلم مثلا بوجود البشر دون العلم بما يفعلونه او ما يجري عليهم) · هذا ويشير بعض مؤرخي الفلسفة الى تأثيرات بعيدة المدى لابن ميمون تجاوزت الوسط اللاهوتي الى الفلاسفة وقد حظى كتابه دلالة الحائرين بانتشار واسع في اوربا بترجمته اللاتينية والعبرية وظهرت له شروح عبرية كتبها الشراح من يهود اوربا ·

ان ظهور ابن ميمون في هذا الاوان ـ بداية توقف الفلسفة الاسلامية عن العطاء ـ اعطاه قدرا من التفرد في الاوساط اليهودية اذ لم يخلفه على عرش الفلسفة مكافىء له من اخوانه في الدين · على اننا نجد محاولات التفلسف تستمر في المشرق من خلال اللاهوتيين الذين تعذر عليهم الافلات من موروثهم الفكري والخروج بالتالي من دائرة الوعي الفلسفي · ومن أمثلة هذه الحالة بعض القباليين من القرن الرابع عشر الميلادي ومنهم يوسف بن ابراهيم بن وقار ويهوذا بن نسيم بن ملكا ، والاول من بقايا العرب في طليطلة اما الاخر فمن مصر · ويرجع الى هذين المفكرين القول بفوقية القبالا ، منطلقهم الديني ، ولكن بشرط تكييفها للحقيقة الفلسفية · وهو موقف متأثر بالرشدية ·

على ان هذه المحاولات لا تطرد لتصبح وسطا فلسفيا مؤثرا ، وانما تظل كنظيراتها في سائر قطاعات الفكر الاسلامي اوزاعا متفرقة يرتكس فيها سلطان

التراث اكثر مما تنعكس ظروف موضوعية لم تعد في حاجة الى الفلسفة ٠

امتداد اوروبي

واذ بدأت الفلسفة رحلة العودة الى الغرب ، فقد كان على الفكر اليهودي ان يبدأ تجربة جديدة يواصل فيها حضوره التاريخي الذي افتتحه سعد الفيومي في العراق ٠ ويفاجأ قارىء تاريخ الفلسفة القروسطية باستمرار مؤثر لسلسلة المفكرين اليهود الذين عرفتهم عصور الاسلام ولكن في ثوب لاتيني ٠ وكان الفلاسفة هذه المرة فريقين : يهود الاندلس الذين استعجموا تحت حكم الاسبان ، ويهود اوروبا الاقحاح ٠ على ان هذه التجربة لا تشكل رغم تغير هويتها القومية واللغوية حالة منفصلة في تاريخ النظر اليهودي وانما تستمر كامتداد للتجربة السابقة ٠ ويرتبط ذلك بالوضع العام للفلسفة الاوروبية في ذلك الحين حيث استطاع الفكر الاوروبي ، الخارج لتوه من العصور المظلمة ، ان يجد في التراث الاسلامي المترجم الى اللاتينية مادة للنهوض ٠ وربما بدأ الفكر اليهودي هنا اكثر التصاقا بموروثه الاسلامي نظرا لانطلاقه من نفس الفلسفة التي انشأها اليهود الاسلاميون ، واستمراره في نفس الخط : منهجا وغاية ٠

ويمكننا ان نعثر في هذه المرحلة على ممثلين لمعظم المدارس الفلسفية الاسلامية : الافلاطونية الجديدة ، المشائية ، الكلام ، الغزالية ٠٠٠ الخ ٠ لكن المشائية الرشدية تبدو اكثر بروزا من بين سائر التيارات ، وهو امر مفهوم اذا احتسبنا ظهور الرشدية كتيار ساحق في الوسط اللاتيني ٠ وقد ظهر اصطلاح الرشدية بعد ترجمة مؤلفات ابن رشد الى اللاتينية واحداثها تيارا فلسفيا تبناه احرار اللاتين بدءا من القرن الثالث عشر ٠ ويقتصر هذا التيار على اوروبا اذ لم يكن لابن رشد تأثير مماثل في العالم الاسلامي لظهوره في عتبة الافول الفكري للاسلام ٠ وكان لليهود ، عربا واوربيين ، دورهم في تأسيس الرشدية سواء بالترجمات العبرية واللاتينية التي قاموا بها لمؤلفات ابن رشد ، او بالشروح التي وضعوها لهذه المؤلفات ٠ وقد ترجمت اعمال ابن رشد كلها تقريبا الى العبرية ، قام بهذه الترجمة يهود من الاندلس وصقلية وشمال ايطاليا ، ساهموا كذلك في ترجمتها الى اللاتينية رأسا او عن العبرية ٠ وظهرت على اثر ذلك دراسات مستقلة بنيت على اراء ابن رشد كتبها الشراح والفلاسفة اسوة بزملائهم المسيحيين ٠ وتشتمل قائمة الرشديين اليهود على اسماء من اسبانيا وايطاليا وفرنسا عالجت موضوعاتها باحدى اللغتين العبرية واللاتينية بعد تراجع المد العربي في الاندلس ٠ ويسجل سلوك الخط الرشدي من قبل هذه الثلة من المفكرين ابتعادا متفاوت الدرجة عن الغرض اللاهوتي الذي انحبست فيه دراسات اسلافهم ، لان الرشدية ألفت في ذلك الوقت النقيض الفلسفي للاهوت الاديان الثلاثة ، ومن المفترض تبعا لذلك ان لا يكون للارتباط فيها اي مغزى ديني ٠

ابرز هذه الاسماء ، شمطوب بن فالاكويرا (١٢٩٥) وهو من اوائل يهود الاندلس الذين حملوا الاسماء الاسبانية بعد ان استرد الاسبان معظم مدن الاندلس · ويوسف بن يعقوب كسبى (١٣٤٠) الذي كتب تلخيصا لشرح ابن رشد على جمهورية افلاطون · وقد وصلتنا مخطوطة هذا الملخص واستفاد منها روزنثال في ترجمته الانكليزية لهذا الكتاب الذي فقد اصله العربي · وليوسف كسبى شرح على كتاب ابن ميمون ـ دلالة الحائرين ـ استظهر فيه آراء ابن رشد · واخرج اسحاق البلاغ ترجمة لكتاب الغزالي « مقاصد الفلاسفة » ذيلها بتعليقات حول « الحقيقتين » * قال فيها ان المعرفة الحدسية ـ وهي مصدر النبوة ـ متقدمة على النظر العقلي ، ولذلك لا يمكن اخضاعها للتأويل · واستخلص من هنا ان الشريعة الموحاة ، وهي عنده التوراة ، لا تصلح دليلا لحل معضلات الميتافيزيقيا · ولهذه الملحوظة وجهان متعارضان للفهم ، اذ يمكن حملها على الغاء العقل في مسائل الايمان ، كما يمكن اعتبارها الغاء للمعطى الفكري في التوراة · والنهج العقلاني للبلاغ يرجح الفهم الثاني ، ويحملنا بالتالي على تصنيفه « رشديا متطرفا » ·

وممن تكلم على « الحقيقتين » عليجا ديلميديكو من يهود الاندلس المنفيين في ايطاليا · وكان في بادوا مركز الرشدية اللاتينية في شمال ايطاليا · ورغم انه اقر بهذه المقولة فانه لم ينكر امكان تأويل العقائد الدينية فلسفيا · وهو في ذلك اكثر تطابقا من اسحق البلاغ مع آراء ابن رشد الاعتذارية التي نطالعها في « فصل المقال » و « مناهج الادلة » و « التهافت » ·

ويمكن النظر الى ابن جرسون كنموذج للرشدي الاكثر حزما · وقد ظهر بعد ابن رشد بمئة عام ، حين كانت الرشدية تواصل حضورها النشيط في اوربا ، ووضع شروحا لعدد من مؤلفات الاستاذ · ويرى ابن جرسون ان العقل المنفعل (عقل الانسان) هو عبارة عن الاستعداد للنمو الفكري المنجز بتأثير العقل الفعال (العقل الكلي تبعا لابن رشد) ·

وهذا العقل ، الذي يصبح عبر نموه « عقلا مستفادا » هو الجزء الخالد من النفس · يعني ان الخلود ليس لذات النفس وانما لجزئها العقلي ، اي لما هو فكر وليس لما هو كائن · ويكرر ابن جرسون هنا احدى النظريات الخطرة لابن رشد ، التي كانت موضعا للصراع بين مفكري اللاتين والكنيسة خلال سيادة

---

* مقولة للرشديين اللاتين مستمدة من تفريق ابن رشد بين حقيقتين : شرعية وعقلية مع النص على صواب كل منهما في مجاله الخاص · وهي تستهدف التخلص من اعتراضات رجال الدين على الاشتغال في الفلسفة ·

الرشدية · كما تناول ابن جرسون مسألة علم الله فانكره في الجزئيات مستعيدا احدى الاطروحات الهرطقية التي تناولها الفكر الاسلامي بدءا من المعتزلـــة · وبذلك يجسد ابن جرسون موقف الرشدي غير المتحفظ والقليل التعاطف مـــع جوهر عقيدته الدينية رغم انه عرف كشارح للكتاب المقدس ·

حسداي قرسقاس

فيلسوف يتبوأ مكانة متميزة داخل الامتداد الاوروبي لليهـود الاسلاميين · عاش في اسبانيا بين ١٣٤٠ ـ ١٤١٠ م مشمـــولا برعاية ملك اراغـون في برشلونة ، وكتب مؤلفاته بالعبرية واللاتينية · ونجد في فلسفته ميولا اسلامية متعددة ومتعارضة تعكس تناقضا في الموقف الفلسفي من ذلك النمط الذي عرفناه في الغزالي · ومن هذه الميول :

١ ـ التصوف ، ٢ ـ السببية الرشديـــة ، ٣ ـ فلسفـــة الـــرازي ، ٤ ـ الغزالي ·

في الاول يستعيد قرسقاس نظرية الحب الالهي كما عرضها متصوفة الاسلام ويشير عنوان كتابه الفلسفي الرائس (نور الله) الى هذا المنحى بوضـــوح · وهو يرى ان السبيل الوحيد الى النعيم الابدي ليس العقل وانما الحب ويعارض من هنا قول ارسطو ان الله ـ او المحرك الاول في اصطلاحه ـ يفكر في ذاته ، بوصف ذلك الصفة التي تتحدد بها ماهيته ، ذاهبا ـ اي قرسقاس ـ الى جعـل « العشق » بدل « التفكير » صفة الله العليا · ان الله عند قرسقاس المتصوف ليس فكرا بل حبا ·· وينسجم هذا القول مع سعيه لتحرير الدين من العقلانية · وتحدث قرسقاس عن مقولة الاتحاد الصوفية باعتبارها اسمى غرض للانسان يصل اليه بالحب الالهي لا بالرياضة العقلية · اما السبيل الى هذا الوصول فهو اتباع الشريعة ، ويعني ذلك انحيازه الى التصوف المؤمن ، وهو احد خطيـن عريضين سلكهما التصوف الاسلامي · ويبدو قرسقاس بهذا الرأي مشايعـــا حميما للغزالي ، احد ابرز الدعاة في هذا الخط · على انه يستخدم الغزالـي ايضا في رده على الرشدي ابن جرسون مؤكدا موقفه المناوىء للعقلانيـــة الفلسفية المتشددة ، وان كان في عدائه للفلسفة اقل عنادا من صاحب التهافت · وهو يتمسك ، رغم نقده للرشديين ، بمبدأ السببية الذي يستخدمه فـي رسـم الحدود المتصورة لارادة الانسان مستعيدا تفريق ابن رشد بين الجبرية والحتمية · ورغم انه يرى ، خلافا للفلاسفة ، ان الله يعلم الحوادث كلها قبل وقوعها فهـو لا يضع هذا العلم في تعارض مع القرار البشري المحكوم ، بدوره ، بقانـــون السببية لانه يقيده بمعرفة « الممكن » ، بوصفه نتيجة محتومة لهذا القـــرار · ويصدر قرسقاس في هذا القول عن محاولة قديمة للجمع بين عقيدة اللوح ،

كما تنص عليها الشرائع الثلاث ، وفاعلية السبب كما تبدو من خلال الوقائع ٠

يرى بعض مؤرخي الفلسفة ان قرسقاس اول فيلسوف اوروبي نقد كونيات ارسطو وتحدث عن احتمال وجود المكان والعظم اللانهائيين ، وانه بذلك قد مهد السبيل الى التصور الحديث للعالم ، هذا التصور الذي قام على اختراق عالم ارسطو الصلب والمغلق ٠ وتتضح في هذه النقطة علاقة قرسقاس بالرازي (٣١١هـ) الذي حاول اقامة نظام طبيعي بديل للنظام الارسطي يستند الى مبدأين : الاطلاق والتعدد ٠ تمثل الاول في مقولتي الزمان المطلق والمكان المطلق ، والثاني في القول بتعدد العوالم ٠ ويلاحظ المستشرق الالماني ، الدكتور بينس ، ان قرسقاس تبنى آراء الرازي في الزمان والمكان والهيولي والخلاء ، منتهيا من ذلك الى اعتبار فلسفة قرسقاس ، من هذا المنحى ، احد الروافد التي تسربت منها فلسفة الرازي الى العالم الغربي ــ انظر كتابه « مذهب الذرة عند المسلمين » ، الملحق المكرس للرازي ترجمة عبد الهادي ابو ريدة ١٩٤٦ ــ على ان قرسقاس استطاع الافلات من النتائج الالحادية التي فرعها الرازي على فلسفته ، ليؤكد بقاءه في دائرة الايمان ، مما يعكس بدوره انتقائية مدققة ربما كانت تقف وراء شخصيته الفلسفية المليئة بالمفارقات ٠

فيلسوفان من طراز خاص

ان الاستقلال النسبي لمصطلح فلسفة يهودية يصدق على الاسماء التي استعرضناها من اليهود الاسلاميين الذين انشأوا فكرهم الفلسفي الخاص بهم في سياق الفلسفة الاسلامية العامة ٠ ولدينا مع ذلك نشاطات فلسفية لم ترتبط بنفس الغرض اللاهوتي الذي حرك الفلاسفة المشار اليهم ، وانما جاءت في اندماج تام مع النشاط الفلسفي المعتاد للفلاسفة المسلمين ٠ ورغم انها عالجت قضايا دينية فانها لم تتمركز في اللاهوت وهي بالتالي جزء غير متميز من الفلسفة الاسلامية ، غير متميز بقدر ما يفقد استقلاله النسبي الناجم من الالتزام بقضايا العقيدة التوراتية ٠ وفيما يلي تعريف موجز بفيلسوفين يمثلان هذا الخط٠

ابو البركات البغدادي

هو هبة الله بن ملكا من رجال القرن السادس الهجري في بغداد ٠ لقبه مواطنوه « اوحد الزمان » اشارة الى تفرده كفيلسوف ٠ ويبدو ان مثقفي بغداد ، التي كانت لا تزال من اهم المراكز الثقافية في الدنيا ، قد وعوا مكانته بالقياس الى معاصريه حين اختصوه بهذا اللقب الذي يشبه شهادة فخرية تمنح لمفكر كبير ٠ لكن شهرة ابو البركات لا تكافىء موقعه في الفلسفة ٠ فقد اغفله مؤرخو الفلسفة الاسلامية المعاصرون رغم عناية اسلافهم بتاريخه ٠ ولعل

السبب في ذلك عدم توفر طبعة علمية لكتابه الفلسفي الرائس « المعتبر » الذي لا يزال مخطوطا في نسخ محدود وبعيدة عن متناول الباحثين · ومن القلائل الذين تنبهوا لاهميته المستشرق الفرنسي هنري كوربان الذي كتب عنه فصلا قصيرا في « تاريخ الفلسفة الاسلامية » نوه فيه بطرافة منهجه الفلسفي · كما ظهرت عنه دراسة اكثر تفصيلا كتبها الشيخ محمد رضا الشبيبي في « تراثنا الفلسفي ـ حاجته الى النقد والتمحيص » استند فيها الى نسخة شخصية من المعتبر · ونأمل ان يحظى هذا الكتاب بطبعة محققة لتيسير دراسته ·

عاش ابو البركات في بغداد حين كانت السلفية التركية قد اثارت مدا مناوئا للفلسفة ادى بها الى الانزواء · ومع انه شهد الحقبة التي استقلت فيها الخلافة العباسية عن التغلب السلجوقي فان الموقف السلفي لم يبرح آنذاك متمتعا بسطوته من خلال اتساع نفوذ الحنابلة وتدين اواخر الخلفاء العباسيين · واذا لم يكن ميسورا ايقاف النظر الفلسفي في مجتمع شكلت الفلسفة جزءا بنيويا من تكوينه الثقافي فلابد لفيلسوف يظهر في منعطف سلفي صعب من تلبية المتطلبات الخاصة بالوسط ، مصانعا ام مقتنعا··· ومن هنا اتخذ الفيلسوف البغدادي موقفا مناهضا من الفلسفة يستعيد موقف الغزالي في « تهافت الفلاسفة » و « المنقذ من الضلال » · وقد تصدى للرد على ابن سينا دفاعا عن لاهوت الاديان السماوية وقاده ذلك الى الرد على ارسطو : منطقا وميتافيزيقا · ويبدو ابو البركات بذلك لاهوتيا من طراز الغزالي الشاب ، لكن نقض المنطق والميتافيزيقا دفعه في مسالك فكرية جديدة شكلت في نهاية المطاف البديل والنقيض معا لمنطلقه اللاهوتي··· وينصب نقد ابو البركات للمنطق على عدم صلاحه للوصول الى حقائق الاشياء ، لا سيما حقائق الطبيعة ، وهو نفس النقد الذي وجهته الفيزياء الحديثة الى منطق ارسطو ، واورد لاثبات ذلك امثلة على الطريقة العقيمة التي يتعامل بها المناطقة مع الظواهر الطبيعية ، وعجزهم بالتالي عن تحقيق نتائج جديرة بالثقة · وسعى في نفس الوقت لعرض منهج بديل من خلال مقارنات لنتائج مختلفة تترتب على طريقتين في التفكير ، طريقة الفلاسفة وطريقته هو · ونلمس في ردوده ومقارناته منحى تجريبيا من النوع المألوف في دراسة الظواهر الطبيعية الملموسة · ورغم ان ابو البركات لم يقنن اصول هذه الطريقة ففي وسعنا ان نجد فيها بعض تأثيرات المنطق الاصولي القائم على المبادىء الثلاثة للاستقراء « اطراد العلة ، انعكاس العلة ، دوران العلة مع المعلول وجودا وعدما » يمكن ان يتحدد على هذا الاساس مركز الفيلسوف كأحد اعمدة المنهج التجريبي الذي حاول فريق من المسلمين استبداله بمنطق ارسطو الاستدلالي · ونأمل ان تساعد الدراسات اللاحقة على اضاءة هذا الفصل المهمل من تاريخ الفلسفة الاسلامية ·

ابن كمونة

من مخضرمي الدولتين العباسية والمغولية ببغداد · يرتبط اسمه بالكتاب المثير الذي الفه ايام المغول بعنوان : « تنقيح الابحاث عن الملل الثلاث » ، فقد وردت في هذا الكتاب ملاحظات ضد الاديان السماوية الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، فاثارت زوبعة من الاستنكار في اوساط العامة ببغداد انتهت الى مظاهرة صاخبة توجهت الى بيته وحاصرته مطالبة باهدار دمه · وتنادت على اثر ذلك فئة من المتنورين البغداديين لانقاذه فاتصلوا بالشحنة ـ حاكم بغداد المغولي ـ طالبين منه التدخل لمصلحة الفيلسوف · ولما كان مغول بغداد لا يزالون في ذلك الوقت على وثنيتهم فلم يتردد الشحنة في القيام بذلك ما دامت المشكلة التي اثارها ابن كمونة لا تعنيه · وذهب الحاكم بنفسه الى المتظاهرين والقى فيهم كلمة اعلن فيها تضامنه معهم ثم قال : ان موعدنا غدا عند السور ـ سور بغداد ـ لاحراق ابن كمونة · وهتف المتظاهرون لهذا القرار وعادوا الى بيوتهم بانتظار الغد · وفي الليل وضع ابن كمونة في صندوق واخرج من بغداد الى مدينة الحلة · ولما حل موعد التنفيذ في اليوم التالي اعلن الحاكم المغولي ان الملحد قد هرب وانهم في سبيل البحث عنه ·· وكان الفيلسوف قد وصل الى مدينة الحلة ـ ١٠٠ كم غربي بغداد ـ حيث التحق بولده الذي كان يشغل وظيفة في ادارة المدينة · وعاش هناك حتى توفي عام ٦٨١ هـ ·

اما الكتاب ـ الفتنة فقد وصلنا في ثلاث نسخ احداها في مكتبة بودليان باوكسفورد وهي مكتوبة بحروف عبرية والثانية في مكتبة جامعة طهران والثالثة في مكتبة برلين · وكنت قد وقفت على نسخة شخصية كتبها لنفسه عن نسخة طهران حسين علي محفوظ الباحث العراقي المعني بالمخطوطات ، الا ان طوارىء السفر من مدينتي اعجلتني عن النظر فيها وامل ان يتاح لنا عودة اليها في المستقبل لمعرفة السبب الذي استحق به هذا اليهودي البغدادي من مواطنيه عقوبة الموت بالنار ···

□

خلاصة عن المصادر

لا نجد في تواريخ الفلسفة الاسلامية المعاصرة الا القليل عن فلاسفتها اليهود مما يرد عرضا خلال الفصول · ويرجع ذلك اولا الى الفهم الضيق لاصطلاح الفلسفة الاسلامية التي نظر اليها كعمل خاص بالمسلم من غير أن يلتفت الى المضمون السوسيولوجي ـ الحضاري لاصطلاح « اسلامي » ، وثانيا الى التعامل مع هؤلاء الفلاسفة كمفكرين ثانويين بالمقارنة مع « فلاسفة الاسلام » الرسميين ، من طبقة ابن سينا ، وهو خطأ في التقييم ادى ليس فقط الى استبعاد فلاسفة حقيقيين من اليهود والعرب بل والى اقصاء فلاسفة مسلمين لا يقلون شأنا عن اولئك الفلاسفة ، ان لم يتفوقوا عليهم ، كالملا صدرا الشيرازي،

او التهوين من شأنهم ، كالرازي الذي غطت شهرته في الطب على منجزاته في الفلسفة ٠

لهذا السبب تبقى المصادر التليدة هي المعول عليها لقراء العربية الراغبين في تعرف تاريخ الفلاسفة اليهود ، واهم هذه الكتب :

عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة .

اخبار الحكماء لابن القفطي .

اما مؤلفات الفلاسفة انفسهم فان الاصول العربية لمعظمها فقدت وبقيت في ترجمات عبرية ولاتينية غير متداولة ولا يسهل الوصول اليها ٠ على اننا لنجد في المصادر الاجنبية الحديثة مادة وفيرة تتعلق بالفلسفة اليهودية ، لا سيما طورها العربي وهو اول اطوارها ، وانوه هنا بالدراسة القيمة التي كتبها في **الانسكلوبيديا البريطانية** ـ ط ١٩٦٤ ـ اسكندر النماق وسلط بها اضواء كاشفة على الفكر اليهودي في عصوره المختلفة ٠ هذا فضلا عن الفقرات المبثوثة في هذه الموسوعة عن افراد الفلاسفة اليهود ٠ هناك ايضا دراسة موجزة لكنها شاملة في قاموس **داغو بيرت رونز** للفلسفة ـ نيويورك ١٩٤٢ ـ وفقرات عديدة مكرسة لافراد الفلاسفة ٠ وقد امنت من هذين المصدرين كثيرا من مواد بحثي ٠

وعن ابو البركات وابن كمونة البغداديين يراجع كتاب الشبيبي « **تراثنا الفلسفي ـ حاجته الى النقد والتمحيص** »، وكتاب ناجي معروف « **تاريخ علماء المستنصرية ج٢** » عن المحنة التي حدثت لابن كمونة ٠ وفي « **اعلام** » الزركلي موجز عن الفيلسوفين مع احالات الى المصادر ٠

وكتب عبد الرحمن بدوي دراسه مسهبة حول فيلون في « **خريف الفكر اليوناني** » يمكن الرجوع اليها لمن يبغي التعرف الى فيلسوف اليهود الاول ٠ كما الم بفيلون نجيب بلدي في «**تمهيد لتاريخ مدرسة الاسكندرية وفلسفتها**» ٠

ولمن يود دراسة الرشدية اللاتينية ان يرجع الى كتاب رينان « **ابن رشد والرشدية** » ترجمة عادل زعيتر ٠ وهو من اوفى وادق المصادر في هذا الباب ٠

اما المشكلات الفلسفية التي تطرق اليها هذا البحث فهي مبثوثة في سائر مراجع الفلسفة الاسلامية والاغريقية قديمها وحديثها ٠

سمير كرم

النتائج السياسية لحرب اكتوبر ١٩٧٣

نتائج ٦٧.. بعد ٧٣

مسالة الاثار ـ او النتائج ـ السياسية للحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة في اكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٣ هي ، بالدرجة الاولى وفي الاساس ، مسألة الدروس المستفادة من تلك الحرب ، وليست مجرد مسالةتتبع الطريقة التي تتداعبها الاحداث منذ ذلك الوقت :

ولقد جرت محاولات عديدة ـ من جميع اطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، المباشرة وغير المباشرة ـ لتقييم النتائج السياسية لتلك الحرب · ولكن معظم تلك المحاولات ـ ولطبيعة صدورها عن اطراف معينة ـ اما شابتها مبالغة في تصوير اهمية تلك النتائج او شابها تقليل من قيمتها · فالمحاولات التي سقطت في خطأ المبالغة ذهبت الى ان تلك الحرب قد نسفت كثيرا من الفلسفات والنظريات السياسية كما اسقطت كثيرا من « الاساطير » العسكرية ، ومحت تحالفات واقامت تحالفات جديدة ، وقلبت موازين القوى السياسية الاقليمية والعالمية رأسا على عقب · وخلقت مفاهيم جديدة في العلاقات الدولية وحتى في الحرب والسلام ··· هذه كلها عبارات واصطلاحات على سبيل المثال نجدها في تقارير وتحليلات ومقالات عديدة كتبت على طول السنوات الخمس الماضية ، ليس من جانب العرب وحدهم ، بل من جانب بعض الكتاب والساسة الغربيين ممن يجدون من المفيد اقناع العرب بذلك ·

والمحاولات التي سقطت في خطأ التهوين من النتائج السياسية لحرب العام ١٩٧٣ اكتفت بالتاكيد على الجوانب العسكرية لتلك الحرب ، واسست موقفها على مقدمات مفادها ان النتائج العسكرية قد الغت بعضها بعضا ، وذلك لان العرب انتصروا وانهزموا ، والاسرائيليين انهزموا وانتصروا ·· وبمعنى اخر ان انتصار العرب لم يتجاوز حقيقة انهم لم يهزموا ، كما ان هزيمة الاسرائيليين لم تتجاوز حقيقة انهم لم ينتصروا ·

على ان مضي فترة خمس سنوات مشحونة بالاحداث والتحولات التالية لحرب اكتوبر ، قد أوجد ـ بعيدا عن تقديرات المبالغة والتهوين ـ درجة غير قليلة من الخلط بين التطورات التي تربطها علاقة سببية بالاوضاع التي خلقتها حرب اكتوبر ، وبين التطورات التي لا تربطها بها مثل هذه العلاقة ، انما تربطها بها فقط علاقة التتابع الزمني ، بينما اتت هذه التطورات سببا ونتيجة لاوضاع بعضها سابق على حرب اكتوبر ، واعتبارات بعضها ذاتي وبعضها كان من شانه ان يقع لو لم تقع حرب اكتوبر على النحو الذي وقعت به ، او لم تقع اصلا ٠

ورغم هذا الخلط ـ الذي لا يساعد على فهم النتائج السياسية لتلك الحرب ويزيد من صعوبة الخروج بالدروس المستفادة منها ـ فان فترة السنوات الخمس الماضية بأحداثها الكثيرة وتطوراتها الحادة تلقي كثيرا من الاضواء على حرب اكتوبر نفسها ، وتوفر منظورا ارتجاعيا اليها يساعد على فهم الكثير من غوامض احداثها ، وما تخللها من قرارات ، خاصة على الصعيد السياسي ٠ وبالتالي فان الاحداث التي وجدت مكانها على خريطة الحياة السياسية في هذه الفترة تساعد على فهم طبيعة حرب اكتوبر السياسية بأوضح مما حاولت فهمها النظريات والفرضيات التي اثيرت بمجرد وقوعها او بمجرد انتهائها على النحو الذي انتهت اليه ٠

بمعنى ان حدثا مزلزلا مثل زيارة رئيس النظام المصري السادات للكيان الصهيوني في اواخر عام ١٩٧٧ ـ والتحجيم الذي اصابه اذ فقد دويه الهائل خلال فترة زمنية قصيرة للغاية ـ يمكن النظر اليه من زاويتين مختلفتين دون ان يؤدي ذلك الى الخروج باستنتاجات سياسية مختلفة :

☐ ـ زاوية كونه حدثا املته اعتبارات ليست في الاساس من صنع حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل الاحرى ان تكون املته اعتبارات صنعتها حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وان يكن مردودها قد تأخر الى ما بعد الحرب الاخيرة ٠ اي انه حدث يمكن تصور وقوعه مع تصور عدم وقوع حرب اكتوبر ٠

☐ ـ زاوية كونه حدثا ترتب على الاوضاع التي خلقتها حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، بل وانه ـ وفق تصورات « بطله » الرئيسي (السادات) ـ استثمار سياسي لنتائج تلك الحرب بالتحديد في جانبيها العسكري و « النفسي » ٠

كذلك فان احداث فترة السنوات الخمس الماضية تسمح لنا بأن نقدر مدى تفاوت مقدرة الاطراف المختلفة على استثمار الاوضاع الناجمة عن حرب اكتوبر لصالحها ، او ـ في بعض الاحيان ـ تجاوز تلك الاوضاع وتجاهلها تماما ، حينما يتفق ذلك التجاهل مع تلك المصالح ٠ وعلى سبيل المثال فان الولايات المتحدة استطاعت ان تستثمر الوضع « النفطي » الذي نشأ عن حرب اكتوبر استثمارا رابحا على المستويين الاقتصادي والاستراتيجي (وبالتالي السياسي) لمصلحتها ، عن طريق دعم دورها في « عملية السلام » منذ البداية ، وعن طريق دعم نفوذها لدى الاطراف العربية المسؤولة عن ذلك الوضع النفطي الذي نجد على الساحة كنتيجة لحرب اكتوبر ٠ وهي في الوقت نفسه نجحت في تجاوز وتجاهل الاوضاع التي نشأت عن تلك الحرب عندما وجهت عملية السلام » في الاتجاه المعاكس تماما للاهداف المعلنة للاطراف التي « صنعت قرار » حرب اكتوبر ١٩٧٣ ٠

فهل يمكن ان نستنتج من هذا المزيج من المتناقضات والنتائج المختلطة ان تطورات

ما بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ليس لها منطق يحكمها في ذاتها ، وليس لها منطق يحكم علاقتها بحرب اكتوبر ؟٠

الواقع ان نظرة سريعة على المسار العسكري لتلك الحرب تكشف عن « منطق » معين هو الذي حدد نتائجها العسكرية في النهاية ، وهو الذي يحدد نتائجها السياسية حتى الان ، ولفترة طويلة قادمة ٠ وربما بدا هذا المسار « متعرجا » الى حد يتصور معه انعدام « المنطق » ، على اساس ان المنطق يقضي بقواعد اساسية مستقيمة ومحددة ، الا ان الواقع أن هذا « التعرج » كان هو ذاته المنطق الذي حكم سير تلك الحرب ، و « التذبذبات » التي تخللتها كانت هي محددات الوضع الذي انتهت اليه عندما أصبح وقف اطلاق النار نافذ المفعول ٠ وبالمثل فان النتائج السياسية التي أسفرت عنها تسير بمنطق متعرج كثيرا ، ولكنه منطق تتسق فيه المقدمات مع النتائج ، وان لم تتسق المقدمات نفسها مع كثير من البديهيات النظرية او المجردة ٠ والاحداث التي يمكن تصورها استمرارا سياسيا للنتائج العسكرية بعد حرب اكتوبر تسير على نحو « متذبذب » يعكس ذلك التذبذب الذي حكم السلوك والقرارات السياسية التي اخذت في تلك الحرب نفسها ٠

فماذا تكشف النظرة السريعة الى مسار تلك الحرب ؟ ينبغي ان نجيب على هذا السؤال ـ ولو باختصار ـ لكي نتولى المهمة المنوطة بنا في هذا البحث ، التي يحددها السؤال : كيف انعكس هذا المسار بعد ذلك على التطورات السياسية لما بعد حرب اكتوبر ؟ ٠

لقد مرت حرب اكتوبر بالمراحل التالية من ناحية سير « الاحداث » العسكرية (والروايات المختلفة لمسار حرب لا تختلف على مثل هذا التقسيم لمراحلها) :

مراحل ٠٠ وتعرجات

☐ بداية من الناحية العربية ، التي اعدت ونفذت على جبهتي القتال (القناة والجولان) ، فقد اخذ العدو الصهيوني بمفاجأة استراتيجية اكيدة وعلى الرغم من روايات عديدة شبه وثيقة ـ بأن العدو لم يفاجأ معلوماتيا بموعد الهجوم والاستعدادات له ٠ وقد حقق هذا التفوق المفاجيء نجاحا باهرا على الجبهتين ، تمثل في العبور وتحطيم خط « بارليف » على قناة السويس ، وتمثل في الاجتياح السوري وتحرير معظم المساحة المحتلة في الجولان ٠

في تلك المرحلة كان الشعار السياسي المرفوع من قبل القيادة السياسية هو القائل ـ على لسان الرئيس المصري موجها للسفير السوفياتي في القاهرة فينوغرادوف مساء يوم ٦ اكتوبر ـ « نحن نريد السلام ٠٠٠ ولكن السلام لن يتحقق قبل ان يخرج اخر جندي اسرائيلي من سيناء » (١) ٠

وفي تلك المرحلة كان التنفيذ العملياتي انعكاسا لتنسيق مبني على تحالف عسكري ـ سياسي متين بين قيادتي القاهرة ودمشق ٠ وفي تلك المرحلة ايضا كانت الاتصالات الدبلوماسية الخارجية مع الاتحاد السوفياتي وحده ٠

☐ في المرحلة الثانية ـ بعد ثلاثة ايام من بداية المرحلة الاولى ـ بدا أن لحركة القوات المصرية على جبهة سيناء حدودا مرسومة لا تملك اوامر ـ او خططا ـ لتخطيها : اي ان نهاية المرحلة الاولى كانت هي نهاية الدفع العسكري من الجانب المصري في تلك

الحرب ، وان لم تكن ـ في الوقت نفسه ـ بداية الدفع الدبلوماسي · وقد وصف ذلك التوقف (عن التقدم نحو الممرات في شبه جزيرة سيناء) بأنه فترة « وقفة تعبوية » · وكان الواقع على الجبهة السورية يعكس استعادة الاسرائيليين زمام المبادرة بعد ان تلقوا الصدمة الاولى ·

واتاح هذا التوقف على الجبهة المصرية للعدو الصهيوني بأن يركز جهده الاكبر على الجبهة السورية ، وعندما ووجه في تلك الجبهة بمقاومة عنيدة عمد الى الاغارة على دمشق وحمص بوحشية على أمل اضعاف الروح المعنوية للشعب واسقاط النظام ، وتحولت « القنيطرة » ـ بما لها من اهمية استراتيجية كبيرة ـ الى مسرح لقتال ضار تكبد فيه الجانبان خسائر فادحة · ووجه القائد العام للقوات السورية نداء الى القائد العام للقوات المصرية بضرورة الرد على اسرائيل لضربها دمشق وحمص : ولم يستجب لهذا الطلب ·

في تلك المرحلة بدأت الخلافات العسكرية بين القاهرة ودمشق (وهي خلافات لم تعلن للآن) فقد كانت القيادة ترى ـ وتتوقع ـ استمرار الهجوم المصري الى الممرات والهجوم السوري الى نهر الاردن وبحيرة طبرية · فضلا عن امتناع القيادة المصرية عن الاستجابة للقيادة السورية ·

وفي تلك المرحلة لم يعد الشعار المطروح خلال المرحلة الاولى واردا بقطعيته وحسمه · ولم تعد الاتصالات الدولية مع الاتحاد السوفياتي وحده ، انما دخلت الولايات المتحدة دائرة الاتصالات · وهكذا كانت رسالة هنري كيسنجر الى القاهرة يوم ١٠ اكتوبر « اننا يمكن ان نتوقع استمرار الموقف الحاضر لوقت طويل ، وحين يتغير فانه سيتغير لغير مصلحتكم » · وكان رد القيادة السياسية المصرية عليه على النحو التالي :

١ ـ يجب ان يكون هناك وقف لاطلاق النار يعقبه انسحاب في زمن محدد ، وتحت اشراف الامم المتحدة ، لجميع القوات الاسرائيلية الى ما وراء خطوط ما قبل ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ·

٢ ـ ان حرية الملاحة في مضايق تيران يجب ان تكفل بوجود للامم المتحدة في شرم الشيخ لفترة محددة ·

٣ ـ بعد الانسحاب الاسرائيلي الكامل يتم انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ·

٤ ـ بعد الانسحاب الاسرائيلي من غزة توضع المنطقة تحت اشراف الامم المتحدة ، الى حين اتاحة الفرصة لسكانها لممارسة حقهم في تقرير المصير ·

٥ ـ خلال فترة محددة بعد انهاء حالة الحرب يعقد مؤتمر سلام تحت رعاية الامم المتحدة تحضره كل الاطراف المعنية ، بما فيها الفلسطينيون ، وكل الدول الاعضاء في مجلس الامن ، ويبحث المؤتمر كل المسائل المتعلقة بالسيادة والامن وحرية الملاحة (٢) ·

طرحت هذه « الشروط » ، التي اولها الاستعداد لوقف اطلاق النار ، على الولايات المتحدة الاميركية اثناء « الوقفة التعبوية » وفي الوقت الذي تلقت فيه القاهرة من دمشق ١٣ رسالة تناشد فيها مصر العمل على تخفيف الضغط الاسرائيلي · وفي الوقت الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي قد بدأ جسره الجوي بالامدادات العسكرية لمصر يوم ١٠ اكتوبر (قبل يومين من بدء الجسر الجوي الاميركي لاسرائيل) ·

□ في المرحلة الثالثة عادت القوات المسلحة المصرية الى التحرك ، بعد ان اتيحت الفرصة للعدو الصهيوني لاستجماع قواه من جديد ، والتخلص من اثر الصدمة الاولى ، والاستفادة من الجسر الجوي الاميركي · بدأت هذه المرحلة يوم ١٤ اكتوبر بمحاولة ـ كان حكم بعض القادة المصريين انفسهم عليها من البداية بانها غير ممكنة النجاح ـ شن هجوم ثان · ولكن ما كان متاحا لمصر ان تنجزه يوم ٧ اكتوبر لم يعد متاحا لها ان تنجزه يوم ١٤ اكتوبر » (٣) · وهكذا فان هذا الهجوم الثاني اوقف مع تكبيد القوات المصرية خسائر كبيرة ، وتلقت هذه القوات بعد ذلك امرا بالتراجع الى الخطوط التي بدأت منها الهجوم ·

كانت علامات التحسن قد بدأت تظهر على الجبهة السوريةفي الوقت ذاته الذي كانت قوات اسرائيل تستعد فيه لتنفيذ امر رئيس اركانها دافيد اليعازر بتوجيه « ضربة قاضية » لسوريا · فقد احبطت محاولة اسرائيل بفعل اشتراك قوات عراقية واردنية (ومغربية وسعودية باعداد قليلة) وبفعل عودة النشاط الى الجبهة المصرية ·

في تلك المرحلة كان استعداد القيادة السياسة المصرية لوقف اطلاق النار يتاكد اكثر ، وتقترن الحدود التي رسمتها نظريا لحربها على الجبهة المصرية بالحدود التي رسمتها عمليا قدرة القوات بعد « الفترة التعبوية » ، وهي الفترة المسؤولة عن اضعاف قوة الاندفاع الاولى ، والتي سمحت للعدو الصهيوني باستجماع قوته وقدرته على الهجوم من جديد ·

وفي تلك المرحلة ايضا كان الاختراق الدبلوماسي والعسكري الاميركي قد بلغ شوطا بعيدا اخر في مساومة القيادة المصرية على النتائج · الى حد ان « الجسر الجوي الاميركي لم يؤد الى حرق جسور كيسنجر في وجه السادات ، بل انه لم يكد يمضي على بدء ذلك اسبوعان ، حتى طلع السادات باعلان ان السياسة الاميركية سياسة بناءة » ، على حد تعبير الصحفي الاميركي القريب من كيسنجر ادوارد شيهان (٤) ·

□ المرحلة الرابعة بدأت يوم ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ عندما بدأت عملية « ثغرة الدفرسوار » · وهي عملية اختلفت اساليب تعامل القيادة السياسية والعسكرية المصرية معها من يوم لاخر على نحو اتاح اتساع تلك الثغرة الى حد ادى الى قلب النتائج العسكرية ، وسلب الانتصار العسكري العربي الذي تحقق في الايام الثلاثة الاولى · بدأ هذا التعامل بالاستهانة الشديدة بامر « الثغرة » واعتبارها مجرد « تسلل قامت به شلالات دبابات اسرائيلية » الى الضفة الغربية للقناة ، ثم اعتبارها ـ مع اتساع نطاقها ـ مجرد عملية انتحارية اسرائيلية · وتفسيرها بعد ذلك بانها « حركة سيكولوجية » الهدف منها رفع معنويات الاسرائيليين والتاثير سلبيا على المعنويات العربية · بعد ذلك تبين ان العملية هي على درجة من الخطورة العسكرية بحيث حاصرت الجيش المصري الثالث على الضفة الشرقية ، وحاصرت مدينة السويس وجعلتها معرضة للسقوط لولا المقاومة الشعبية · وهكذا اصبحت هذه النتيجة ورقة في يد اسرائيل ، وفي يد الدبلوماسية الاميركية (كيسنجر) ·

في تلك المرحلة كان الانشقاق بين القيادتين المصرية والسورية قد بلغ ذروة خطيرة · فقد القى الرئيس المصري انور السادات بيانه امام مجلس الشعب يوم ١٠/١٦ الذي اعلن فيه :

□ ـ الاستعداد لوقف اطلاق النار على اساس انسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ما قبل ١٩٦٧/٦/٥ ·

☐ ـ الاستعداد لحضور مؤتمر دولي في الامم المتحدة لوضع قواعد وضوابط سلام في المنطقة يقوم على احترام الحقوق المشروعة لكل شعوب المنطقة ٠

☐ ـ الاستعداد لبدء تطهير قناة السويس فورا وفتحها امام الملاحة العالمية ٠

☐ ـ عدم الاستعداد لقبول وعود مبهمة او عبارات مطاطة تقبل كل تفسير وكل تأويل٠

وبعد هذا البيان مباشرة بعث الرئيس السوري حافظ الاسد برسالة الى السادات قال فيها :

« لقد كنت افضل ـ ونحن لا نزال وسط المعركة ـ ان اطلع على المقترحات التي اعلنتها في مجلس الشعب قبل ان تعلنها ٠ ولست اريد ان احذو حذو الاخرين فاتخذ موقفا مؤيدا او معارضا لهذه المقترحات ، لكني اشعر بأن من حق كل منا ان يعرف افكار ونوايا الاخر قبل ان يسمعها من الاذاعة ٠ وانا لست سعيدا بان اكتب هذه الكلمات ، لكني لا اريد ان اخفي عنك شيئا من افكاري وارائي ، ما دمنا مشتركين معا في معركة حياة او موت » ٠

في الوقت نفسه كان كيسنجر يصف خطاب الرئيس السادات بأنه يتضمن بعض النقاط البناءة ويقول « اننا لا نعتبر الرئيس السادات عدوا لنا » ، وذلك في الاجتماع الذي عقده الرئيس نيكسون مع سفراء الدول العربية لدى الامم المتحدة (١٠/١٧) ٠ وفي اليوم التالي تلقى الرئيس انور السادات من موسكو صورا التقطتها الاقمار الصناعية السوفياتية وفيها يظهر بوضوح مدى انتشار القوات الاسرائيلية في « ثغرة الدفرسوار » وخطرها على القوات المصرية في شرق القناة ٠ والغريب ان الاوامر صدرت في اليوم نفسه بالغاء الامر الذي كان قد صدر للواء المظلات المصري ٢٢ بالتحرك للسيطرة على الموقف في منطقة « الثغرة » ٠ « وكان من العسير على العقيد قائد اللواء ان يصدق ان هذا الامر (بالالغاء) صادر عن القيادة المصرية وطلب تعزيزا له فجاءه التعزيز من ضابط يعرف صوته ٠ لكنه في محاولة منه لكسب الوقت واتاحة فرصة النجاح لمهمته فانه طلب تعزيزا للامر من مقر القيادة العامة للقوات المسلحة في القاهرة ٠ وجاءه التعزيز ايضا فاضطر ، رغم انفه ، الى رفع قبضته عن الرقبة الاسرائيلية ، وكان قاب قوسين او ادنى منها » (٥) ٠

وتؤكد هذه الفقرة ان عاملا جديدا طرأ على الموقف هو حدوث انفصال بين مقتضيات المعركة العسكرية ومقتضيات الموقف السياسي ، بين ما تراه القيادة العسكرية الميدانية ، وما تراه القيادة السياسية في القاهرة ، وهو اختلاف كانت له اثار لا تقل خطرا ـ ان لم تزد ـ عن خطر الانفصال بين تقديرات قيادتي دمشق والقاهرة للموقف ٠ ففي الوقت نفسه الذي اتخذ فيه قرار العودة عن التصدي للثغرة الاسرائيلية على الضفة الغربية تحت تاثير تهديدات ووعود من كيسنجر بعث الرئيس المصري برسالة الى الرئيس السوري قال فيها :

« ٠٠٠ كنت في الجبهة المصرية خلال العشرة ايام الاخيرة اقاتل الولايات المتحدة ايضا عن طريق الاسلحة التي ترسلها لاسرائيل٠ واقولها صراحة : انني لا استطيع ان اقاتل الولايات المتحدة ، او اتحمل امام التاريخ المسؤولية عن تدمير قواتنا المسلحة للمرة الثانية ٠ لذلك فانني ابلغت الاتحاد السوفياتي انني مستعد لقبول وقف اطلاق النار في المراكز الحالية وعلى اساس الشروط التالية :

١ ـ ان يضمن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة انسحابا اسرائيليا وفق ما اقترحه الاتحاد السوفياتي ٠

٢ ـ ان يعقد مؤتمر السلام تحت اشراف الامم المتحدة لتحقيق تسوية شاملة وفق ما اقترحه الاتحاد السوفياتي ٠

ان قلبي ليقطر دما وانا اقول هذالك ٠ لكني اشعر بان واجبي يقتضي اتخاذ هذا القرار ، وانا مستعد لان اواجه شعبنا في اللحظة المناسبة واقدم اليه حسابا كاملا عن هذا القرار » ٠

وفي اليوم التالي رد الرئيس السوري قائلا : « لقد تلقيت رسالتك امس بأعمق المشاعر٠ اخي ٠ ارجوك أن تعيد النظر في الموقف العسكري على الجبهة الشمالية وعلى جانبي القناة ٠ اننا لا نرى سببا للتشاؤم ٠ وفي استطاعتنا ان نواصل الكفاح ضد قوات العدو ، سواء أكانت قواته قد عبرت القناة او لا تزال تقاتل شرق القناة ٠ وانا واثق من اننا يمكننا بمواصلة المعركة وتشديدها ، ان نضمن تدمير تلك الوحدات من قوات العدو التي عبرت القناة » ٠

ولكن القيادة السياسية المصرية كانت قد استسلمت لدبلوماسية كيسنجر واتخذت قرارها ، وقبلت وقف اطلاق النار دون شرط انسحاب كلي او جزئي ولا حتى من الضفة الغربية ، ولا بشرط فك الحصار عن الجيش المصري الثالث ٠ وصدر قرار وقف اطلاق النار من مجلس الامن يوم ٢٢ / ١٠ لتبدأ مرحلة جديدة٠لا تزال مستمرة حتى الان ، باعتبار انها مرحلة انفردت فيها الدبلوماسية الاميركية بصورة شبه مطلقة لتشكيل النتائج السياسية لحرب اكتوبر ٧٣ ، معتمدة في البداية على تعزيز اسرائيل لمواقعها العسكرية على الجبهة بعد وقف اطلاق النار ٠٠ ومعتمدة فيها بعد ذلك على توقف عسكري مصري نهائي ، وعلى دور مكنها من ان ترسم بنفسها تقريبا السياسة الخارجية لمصر في خطوطها الرئيسية ، بل وفي بعض التفصيلات ٠٠ حتى لقد بدا في وقت من الاوقات ان هنري كيسنجر اصبح المستشار السياسي للرئيس السادات ٠ الامر الذي اعطى للعلاقات المصرية ـ الاميركية منذ ذلك الحين صورة « تحالف بين القاهرة وواشنطن ٠٠٠ قائم على الصداقة بين كيسنجر والرئيس المصري انور السادات » (٦) ٠

الدبلوماسية الاميركية ٠٠ اولا واخيرا

هكذا توصلنا الطريق المتعرجة التي سارت فيها حرب اكتوبر عسكريا الى مقدمة اولى اساسية عن العامل الاكثر تأثيرا في تشكيل النتائج العسكرية لتلك الحرب ٠٠ اعني الولايات المتحدة ٠

وقد كان مدخل الدبلوماسية الاميركية الى القيام بهذا الدور هو الايهام بأن هذه الدبلوماسية سعت ونجحت في ان تحول دون تغلب اسرائيل على العرب وبالادعاء بأنها اخرت بمناورات داخلية بين البيت الابيض ووزارة الدفاع ووصول الامدادات اللازمة الى اسرائيل ، وانها سعت في الوقت نفسه ـ لتحتفظ بقدرة الضغط على اسرائيل ـ ونجحت في منع العرب من التغلب على اسرائيل ٠ وانها هكذا تكون قد تسلمت مشكلة الشرق الاوسط في افضل وضع ممكن لحلها وهو وضع المشكلة الساخنة التي لا غالب ولا مغلوب فيها ٠ « لقد اظهرت اكتوبر كيسنجر في الذروة من المهارة ٠ فالحوارات العنيفة التي

كانت جارية دفعت به في الطريق التي سار فيها، وبفضل ذلك ادرك هـــو ـ مـــن اول الامر ـ الفرص السلمية ذات الطابع المتناقض ، وسعي لتحقيق السلام دون ان ينحنـــي لمام الروس · فلا هو تخلى عن اسرائيل ، ولا هو جافى العرب مجافاة قاطعـة · وقضى كيسنجر عشرة ايام كان في اثنائها في غاية القلق ، ولكنه في اليوم الحادي عشر تمكـن من ان يخطف الزمام ، ويسيطر على مجرى الحوادث (٧) ·

وقد عبر الصحفي الاميركي شيهان عن التأثير الذي مارسه كيسنجر ـ وهو يصف اول اجتماع بين السادات والدبلوماسي الاميركي الاول يوم ٧ تشرين الثاني (نوفمبـــر) ١٩٧٣ ـ حيث قال « ان المثل العربي يقول : عدو عدوي صديقي ، ولكن كيسنجر استطاع في اجتماع واحد وبمفرده جعل السادات يضع هذا المثل في صيغة محررة جديدة هـي : صديق عدوي صديقي ايضا » (٨) ·

فهل يعني هذا ان خلق علاقات جديدة بين الولايات المتحدة ومصر هو الذي حدد وحده نتائج الحرب السياسية بقدر ما حدد نتائجها العسكرية ؟ ·

ان الاجابة على هذا السؤال بالايجاب لا تكون صحيحة الا بالقدر الذي نفهم به العلاقة الاميركية ـ المصرية باعتبارها فرعا على العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية · بمعنى ان استراتيجية الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط خلال الفترة منذ بداية حرب اكتوبر ١٩٧٣ الى الوقت الحاضر كانت برمتها مبنية على اعادة تكييف العلاقات الاميركيـــة ـ الاسرائيلية مع المتغيرات التي فرضت شن حرب اكتوبر ، والتي فرضت على الولايـــات المتحدة التدخل للتأثير في نتائجها العسكرية ، وبالتالي السياسية ·

وعلى هذا الاساس فاننا نذهب ـ من هذا الافتراض الاساسي ـ الى ان دراسة الاثار السياسية لحرب اكتوبر تقتضي في الاساس تتبع متغيـــرات العلاقـــات الاميركيـــة ـ الاسرائيلية ، وهي في النهاية متغيرات تناولت الجانب الكمي لا النوعي من هذه العلاقات، بمعنى انها لم تؤثر في « طبيعة » العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيـــل · والمقصود باسرائيل هنا ليس مجرد مفهوم الدولة ، التي لا تختلف ككيان سياسي عـن اي دولة اخرى ترتبط بعلاقات ثنائية ومتعددة الاطراف مع الدول « الوطنية » الاخرى ·· اما المقصود ايضا ـ واكثر ـ اسرائيل بصفتها« الدولة اليهودية » وبصفتهـــا المؤسســـة المجسدة للفكرة الصهيونية ، واسرائيل بصفتها قاعدة حماية المصالح الاستراتيجيـــة والاقتصادية الاميركية في الشرق الاوسط ·

ولعله من اليسير ان نلاحظ ان مجريات الاحداث التي تلت توقف حرب اكتوبر ـ بمـا فيها الاتفاقيات والمبادرات والمؤتمرات التي عقدت ـ تكشف اقتناعا لدى الطـرف العربي المتحرك في تلك الاحداث (النظام المصري) بأن العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية هـي مفتاح التغيير والتطور نحو حل « مناسب » للصراع العربي ـ الاسرائيلي او على الاقـل لمشكلة الارض المحتلة عام ١٩٦٧ · وذلك من خلال اقتناع ذلك الطرف بمبدأين اساسيين :

ـ ان الولايات المتحدة تملك مفاتيح السلام في المنطقة ، وان كان الاتحاد السوفياتي يملك مفتاح الحرب · (وهو معنى عبارة قالها كيسنجر لرئيس النظام المصري السـادات في أول لقاء تم بينهما ، وهو أيضا معنى عبارة السادات الشهيرة القائلة بأن الولايـات المتحدة تملك ٩٩ بالمائة من اوراق الحل في الشرق الاوسط) · وهذا المبدأ يبرر به هـــذا الطرف العربي وضع اوراقه كلها بين يدي الولايات المتحدة وحدها ·

ـ ان الولايات المتحدة انتقلت الى حالة اقتناع بأن مصالحها في الشرق الاوسط تربطها

بالعالم العربي اكثر مما تربطها باسرائيل ، وبالتالي فانها لا بد ـ في الممارسة ـ ان تمارس الضغط على اسرائيل لمصلحة العرب اذا كانت تريد العمل للمصلحة الاميركية نفسها · وهو يسوق الادلة على ان الولايات المتحدة ابتعدت فعلا عن موقع الحليف لاسرائيل الى موقع الوسيط المحايد ، ومن المتصور ان ينتقل الى موقع الحليف للعرب ضد اسرائيل · وهذا المبدأ يصور به هذا الطرف العربي هذه التحولات ـ التي يتلمس لها ادلة محسوسة من هنا وهناك ـ هي نتيجة لدبلوماسيته السلمية · وفي وقت سابق كان يعتبر هذه الدبلوماسية مبنية على قاعدة قوية من « انتصارات » حرب اكتوبر · وفي الوقت الراهن اختفت صورة حرب اكتوبر بصورة تكاد تكون نهائية ، واعلن انها « اخر الحروب » كواحد من التعهدات التي قدمت ضمن هذه الدبلوماسية السلمية ·

الحد الاقصى ·· او « التيونة » ؟

ومن محصلة هذين المبدأين تتكون النظرية التي تتحرك بها دبلوماسية الطرف العربي الذي يضع بين يدي الولايات المتحدة مسؤولية ايجاد « الحل النهائي » لازمة الشرق الاوسط · وهو الطرف الذي يملك ـ دون الاطراف العربية الاخرى ـ في الوقت الحاضر الصوت المسموع عالميا اكثر من غيره · وان كان هذا لا يعني انه الطرف الاكثر ايجابية، او الاكثر اقترابا من حل الازمة ، او الاكثر تعبيرا عن الجانب العربي مأخوذا بأكمله ·

وتتمثل هذه النظرية الكامنة وراء « الدبلوماسية السلمية » ـ في حدها الاقصى ـ في القول بأن الولايات المتحدة تنتهج بعد حرب اكتوبر سياسية « تيونة » Taiwanization اسرائيل ·· اي رد اسرائيل الى حجمها الطبيعي بالنسبة للعالم العربي ، على النحو الذي ردت به « تايوان » الى حجمها الطبيعي بالنسبة للصين الشعبية منذ بدء حركة التقارب الصيني ـ الاميركي التي كان المنعطف الرئيسي فيها زيارات كيسنجر السرية لبكين في العام ١٩٧١ ، ثم زيارة نيكسون لها في العام ١٩٧٢ · وترتيبا على هذا التحجيم ايضا تقليص « العلاقات الخاصة » الاميركية التايوانية لحساب انماء العلاقات الطبيعية بين الولايات المتحدة والصين ·

والحقيقة ان الامر الذي اغرى المقتنعين بهذه النظرية من الاطراف العربية بالاقتناع بها ان كيسنجر ـ وهو نفسه البطل الجديد الذي ظهر على المسرح السياسي للشرق الاوسط عندما « سخنت » ازمتها بوقوع حرب اكتوبر ٧٣ـ كان وراء التقارب الصيني ـ الاميركي · وبالتالي وراء تراجع اهمية « تايوان » في الاستراتيجية الاميركية في الشرق الاقصى · الامر الذي يوحي بان لكيسنجر نمطا سلوكيا معينا يكرره في عملياته الدبلوماسية في الشرق الاوسط كما في الشرق الاقصى · كما كان من عوامل الاغراء بالاقتناع بهذه النظرية ان كيسنجر كان قد قام برحلاته السرية لبكين في وقت سبق باشهر فقط بداية حرب اكتوبر ·· فكان ذلك « العرض » للدبلوماسية الاميركية لا يزال ماثلا في الاذهان عندما بدأ كيسنجر دوره في الشرق الاوسط ·

ولكن نظرية « التيونة » تقوم في الاساس على حقائق تتعلق بمكانة « تايوان » لدى الولايات المتحدة ، وبمدى اعتماد تايوان على الولايات المتحدة عسكريا وسياسيا واقتصاديا · كما تتعلق بحقيقة صغر حجم « تايوان » البشري والجغرافي بالمقارنة بالصين الام · وهذه كلها حقائق ومعطيات لها ما يوازيها بالنسبة لاسرائيل· اي ان اوجه الشبه بين تايوان واسرائيل من حيث الحجم والدور والعلاقة بالولايات المتحدة هي التي توظف لتأكيد الاعتقاد بأن الولايات المتحدة يمكن ان تفعل باسرائيل في الشرق الاوسط

ما فعلته بتايوان في الشرق الاقصى · وبطبيعة الحال فان اصحاب هذا التفسير يغفلون من حسابهم أوجه الاختلاف ويقتصرون على أوجه الشبه ·

على ان هناك حقيقتين تاريخيتين ينبغي توضيحهما قبل الانتقال الى ايضاح اوجه الاختلاف بين علاقة تايوان بالولايات المتحدة وعلاقة اسرائيل بها :

□ **الحقيقة الاولى هي ان نظرية « تيونة » اسرائيل موجودة لدى قطاع من صانعي السياسة الاميركية ، والمفكرين السياسيين الاميركيين منذ زمن سابق بكثير حتى على وجود « تايوان » نفسها ، وطبعا دون التسمية نفسها ·**

فقد وجد باستمرار بعض اصحاب الرأي في وزارة الخارجية الاميركية ، واحيانا في اجهزة الاعلام ، وحتى في البيت الابيض ووزارة الدفاع ، ممن يدافعون عن فكرة وضع اسرائيل في حجمها الطبيعي في الشرق الاوسط بازاء الحجم العربي ، وهم اولئك الذين كانوا يرون ـ ومنذ قيام اسرائيل ـ ان « الدولة اليهودية » تكلف الشعب الاميركي (دافع الضرائب) كثيرا ، وان العلاقة الخاصة بها تكلف الولايات المتحدة اكثر بما تخسره في علاقاتها مع العرب ، وانه من غير المعقول ان تضع الولايات المتحدة ثلاثة ملايين اسرائيلي في مرتبة اعلى بكثير من المرتبة التي تضع فيها اكثر من مائة مليون عربي ·

□ **ـ الحقيقة الثانية هي نظرية « تيونة » اسرائيل وليدة مخاوف الساسة والمفكرين المؤيدين للصهيونية واسرائيل في العالم ، اكثر مما هي وصف لسياسة تنتهجها الولايات المتحدة ·**

بمعنى ان هذه النظرية هي رد الفعل القائم على المبالغة في تصوير زاوية ابتعاد السياسة الخارجية الاميركية عن تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل ، في كل مرة بدا فيها ان الدبلوماسية الاميركية بصدد الاقتراب نحو دور لها مع العالم العربي ·

ولعلنا نذكر ان مخاوف اسرائيل والصهيونية ثارت في هذا الاتجاه نفسه ليس فقط في اعقاب التقارب الصيني الاميركي ، انما ايضا في اعقاب الانسحاب الاميركي من فيتنام . وفي اعقاب هزيمة النظام اليميني الموالي للولايات المتحدة في كمبوديا ثم في لاوس · فقد ظهرت مخاوف هؤلاء من ان الولايات المتحدة آخذة في التخلي عن حلفائها ، بعد ان كان مشهودا لها بانها تحارب من اجل حمايتهم · وظهر في هذا الصدد بالفعل تعبير « فتنمة » اسرائيل ، بمعنى التخلي عنها ·

والامر الذي لا يمكن انكاره ان مخاوف الدوائر الاسرائيلية ـ والصهيونية بشكل عام ـ من حدوث اي تحول في سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل قد ازدادت في الفترة منذ بداية حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وازدادت معها ـ بالتالي ـ مبالغات هذه الدوائر في ابداء هذه المخاوف على سبيل تكوين ضغط مضاد يحول دون مثل هذا التحول · ويقوم الساسة الاسرائيليون ـ خاصة المشاركون منهم في الحكم ـ باذكاء هذا التيار بشدة ،على الرغم من ان اصحاب الرأي القائل بعدم جواز التضحية باكثر من مليون عربي رعاية لثلاثة ملايين اسرائيلي ·سواء كانوا في السلطة او خارجها في الولايات المتحدة ـ لا يشكلون تيارا بالمعنى الحقيقي للكلمة ·

ولقد بدأت شكاوى اسرائيل (الرسمية) من « ضغوط » الولايات المتحدة عليها في أعقاب حرب اكتوبر مباشرة ·· اي في اعقاب الجسر الجوي الاميركي الضخم الذي أمد

اسرائيل باسباب القدرة على التأثير على النتائج العسكرية للحرب ، وامد امريكا باسباب القدرة على اعادة تشكيل النتائج السياسية لها · فقد صرح موشي دايان ـ في حديث لصحيفة نيويورك تايمز ـ بان « الولايات المتحدة تدخلت (بعد ان حاصرت القوات الاسرائيلية الجيش المصري الثالث) وحرمتنا من ثمار النصر · فكان انذارا « لا اقل من ذلك · ولو ان الولايات المتحدة لم تضغط علينا لتحتم على الجيش الثالث ومدينة السويس ان يستسلما ··· » (١٠) ·

ويكشف هذا التصريح ، الذي نورده على سبيل المثال فقط ـ ان اسرائيل اعتادت على التأييد والدعم الاميركين بصورتهما المطلقة ، وانها غير مستعدة حتى لرؤية الامور في ضوء نتائجها · بل ان بعض مثيري المخاوف من الكتاب والمعلقين الاسرائيليين والاميركيين المعادين للعرب يضفون طابعا تاريخيا على تفسيراتهم · فنجد كاتبا يهوديا ـ هو نورمان بودهوريتز رئيس تحرير مجلة COMMENTARY الفصلية التي تنشرها « اللجنة اليهودية الاميركية » ـ يقول :

« ليست ذكرى النكبة (يقصد مأساة اليهود في أوروبا ابان النازية) وحدها كفت عن ان تكون حاجزا ضد التخلي النهائي عن اسرائيل · بل انه يبدو مما لا حيلة لنا فيه ان نمنع ظهور نزعة جديدة من معاداة السامية مفصلة خصيصا لتتناسب مع ظهور دولة يهودية من جديد في العالم بعد كل هذه القرون » (١١) ·

ثم يضفي الكاتب نفسه طابعا سياسيا على هذا التفسير ، فيقول ان استطلاعات الرأي العام تظهر فعلا ان السبب الذي من أجله يؤيد معظم الاميركيين اسرائيل هو انهم يتعاطفون مع اسرائيل لا كدولة يهودية وانما بوصفها « بلدا ديمقراطيا صغيرا يحاول الحفاظ على استقلاله » ضد كثير من الصعاب ، وضد عداء الاتحاد السوفياتي ·

ويعبر جيمس شليزنغر وزير الدفاع الاميركي السابق عن هذا المعنى نفسه حين يتساءل: اذا لم تدافع الولايات المتحدة عن بلد ديمقراطي مثل اسرائيل ، فعن من سندافع ؟·

ولكن ما هي النتيجة التي يستخلصها اصحاب نظرية « التيونة » من هذا ؟ · انهم يستنتجون انه اذا امكن للولايات المتحدة ان تبرهن على ان الديمقراطية الاسرائيلية زائفة فانه سيكون من اليسير على الولايات المتحدة ان تتخلى عن التزاماتها تجاه اسرائيل (١٢) ·

لا نحن صين ·· ولا هم تايوان

فاذا عدنا الى مناقشة جوانب الاختلاف بين سياسة اميركا تجاه « تايوان » بعد التقارب الصيني ـ الاميركي وسياسة اميركا تجاه اسرائيل بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وجدنا ان اصحاب نظرية « تيونة » اسرائيل يعتبرون ان اهتمام اميركا بسياسة « الوفاق » هو عامل مشترك في الحالتين ، على اساس ان « الوفاق » الاميركي مع الصين استوجب التضحية بالعلاقة الخاصة مع تايوان ، وان « الوفاق » الاميركي مع العرب يستوجب التضحية بالعلاقة الخاصة مع اسرائيل ، بل ان « الوفاق » الاميركي مع الاتحاد السوفياتي يستوجب بدوره تقليص المكانة الخاصة لاسرائيل في سياسة اميركا الشرق اوسطية · والواقع ان هذه نقطة اختلاف وليست نقطة شبه كما يراها اصحاب نظرة « التيونة » ·

فالولايات المتحدة مضطرة في صراعها مع الاتحاد السوفياتي للتقرب من الصين ·

لاهداف اهمها الحيلولة دون حل النزاع السوفياتي الصيني حتى لا يشكل اي تضامن يحل محل هذا النزاع ـ خطرا على الولايات المتحدة ومصالحها في العالم الثالث ، وفي مواجهة حركات التحرر الوطني ونزعات الاستغلال الاقتصادية ٠

ومن ناحية الصين فانها استطاعت طوال السنوات منذ تأسيس الجمهورية الشعبية (١٩٤٩) ان تجعل مسالة انتماء تايوان اليها مسالة غير قابلة لاي مساومة ، حتى على الرغم من انها لم تتحرك لتحريرها بقوة السلاح ٠ ولكنها فرضت على السياسة الاميركية في نهاية المطاف ان تعرف ان اي تعامل مع الصين والدخول معها في علاقات ـ ولو غير مباشرة ـ يستوجب الاعتراف بهذه الحقيقة ، بما يترتب على هذا الاعتراف من نتائج تتعلق بالتصفية التدريجية للمكانة غير الطبيعية التي وضعت فيها « تايوان » على مدى تلك السنوات ٠ كذلك لم يكن واردا بأي معنى ان تقدم الصين نفسها لاميركا لتكون بديلا عن تايوان في حماية المصالح الاميركية في المنطقة ٠

واذا ما القينا نظرة على السياسة العربية (كما تعكسها « الدبلوماسية السلمية ») من هذه الزاوية ، وجدنا ان مسلسل التنازلات الذي قدم بشأن اسرائيل خلال الفترة منذ توقف حرب اكتوبر قد تناول طبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي من خلال القول بأنه نفسي بنسبة ٧٠ بالمائة ، وتناول الاهداف العربية فيه من خلال الانتهاء الى الاعتراف باسرائيل ومطالبها في الحدود الآمنة وفي علاقات « طبيعية » مع « باقي شعوب المنطقة » ، وتناول اساليب الصراع ، من خلال الاعلان عن ان حرب اكتوبر هي آخر الحروب ٠٠٠ وما هو اكثر من هذه التنازلات يمكن اعتباره في التفاصيل والجزئيات ، مثل السماح لاسرائيل بعبور قناة السويس ، وادخال تعديلات « طفيفة » على الحدود معها ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية والحملات الاعلامية ٠٠٠ الخ ٠

وهكذا ، وامام هذه التنازلات لم تجد اميركا نفسها مضطرة الى « تيونة » اسرائيل ، فالاقرب هو ان القوة العربية المواجهة لاسرائيل « تيونت » نفسها ليس فقط من خلال التنازلات العديدة ، انما من خلال السماح طوال السنوات الخمس الماضية للتفوق العسكري الاسرائيلي بأن يبلغ ابعادا لم يبلغه في اي وقت ميزان القوة العسكرية بين الصين وتايوان ٠

يضاف الى هذا ان دور « القاعدة » الذي كانت تقوم به تايوان في منطقة الشرق الاقصى ككل ، او حتى في حدود جنوب شرقي اسيا ، لم يكن دورا فريدا ، بمعنى انها لم يكن منوطا بها دور لا تقوم به قواعد اخرى بديلة في المنطقة ٠ فهي في الاساس وبالدرجة الاولى قاعدة عسكرية ، وليست كيانا له سمات خاصة غريبة عن المنطقة ، ولا تختلف في ذلك عن القواعد الاميركية ، الاخرى في شرق آسيا ، مثل اوكيناوا وغوام وغيرها من القواعد الجوية في اليابان والفيلبين وتايلاند ٠٠٠ الخ ٠

اما دور « القاعدة » الذي قامت به اسرائيل بالنسبة للولايات المتحدة ـ والامبريالية الغربية كلها ـ فقد ظل في الحقيقة دورا فريدا في طبيعته ، فلم تكن مجرد قاعدة تضم عدة منشآت عسكرية جوية او ارضية او بحرية ، كما لم يكن هناك من بديل عنها حتى في الوقت الذي كانت توجد فيه للولايات المتحدة قواعد وتسهيلات عسكرية ٠ بل الواقع ان تطورات حرب اكتوبر تقود الولايات المتحدة الان الى التفكير في حماية امن اسرائيل نفسها بواسطة قواعد عسكرية تسعى لانشائها في الاراضي العربية ، وبواسطة معاهدة أمن متبادل اميركية ـ اسرائيلية ، او بواسطة حلف دفاعي يجمع اسرائيل واقطارا عربية

وشرق اوسطية اخرى معا · وبطبيعة الحال لا يمكن وصف هذا بانه « تيونة » او تخل عن اسرائيل ·

وفضلا عن تعدد القواعد البديلة المتاحة لاميركافي شرق آسيا فان الفترة التي شهدت حرب اكتوبر في الشرق الاوسط شهدت في الشرق الاقصى تطورات اجبرت الولايات المتحدة على الانسحاب عسكريا في الهند الصينية ، الامر الذي ادى الى تقليص اهمية دور تايوان بالنسبة للاستراتيجية الامنية الاميركية · وعلى صعيد الشرق الاوسط فان الولايات المتحدة وجدت من الاسباب الاستراتيجية (أزمةالطاقة ، والحظر النفطي ، والتفوق العسكري السوفياتي القريب من المنطقة في اوروبا ، وانتشار النفوذ السوفياتي في افريقيا وغرب آسيا ··· الخ) مبررات لتركيز اهتمامها الاستراتيجي وأمنها بكسل المفاهيم العسكرية والاقتصادية لهذا الامن على الشرق الاوسط · وفي ظل النتائج العسكرية لحرب اكتوبر والتطورات العسكرية اللاحقة لا تزال اسرائيل تحتفظ بدورها في تلك الاستراتيجية ·

بالاضافة الى كل هذا فان المنطقة التي توجد فيها الصين وتايوان ـ وأميركا بطريقة غير مباشرة ـ لم تكن على مدى السنوات ، منذ انفصال تايوان عن الصين ، نقطة وجود سوفياتي او مصالح سوفياتية مباشرة ، ولم يكن ثمة تنافس او صراع ثنائي بين الاتحاد السوفياتي وأميركا بشانها · وفي هذا الصدد بالذات فان منطقة الشرق الاوسط ـ التي يوجد فيها العرب واسرائيل ـ وتوجد اميركا بصورة غير مباشرة ـ يوجد فيها الاتحاد السوفياتي بصورة غير مباشرة أيضا · وهو يشكل سندا لطرف في صراع هذه المنطقة ضد أميركا وضد اسرائيل ، حتى وان كان جزء من الطرف الاخر في هذا الصراع (العرب) يقف ضد الاتحاد السوفياتي ولا يريد منه هذا التأييد او المساندة ·

وهذا وضع ناشيء عن اختلاف اخر ، هو ان الصين لا تشكل اطرافا مختلفة الميول والتحالفات والسياسات والايديولوجيات كما هو حال الطرف العربي · فالصين كان لها دائما موقف واحد من قضية تايوان ، ولم تقم « تايوان » ـ وهي جزيرة بعيدة عن « البر الصيني » وليست في قلبها ـ بمثل الدور الذي قامت به اسرائيل في تقسيم الوطن العربي وقطع خطوط اتصاله او تهويد اجزاء منه بصفة مستمرة · ان شيئا من هذا لم ينل الصين من جراء وجود تايوان كقاعدة لاميركا ·

يبقى ان السياسة الاميركية الجديدة تجاه تايوان كانت لها انعكاساتها في مواقف وقرارات واجراءات محددة سلكتها الولايات المتحدة مع الصين او ازاء تايوان نفسها ، مما لا يمكن مقارنته بما يسمى بالسياسة الاميركية الجديدة في الشرق الاوسط · لقد أتاحت أميركا ـ مثلا ـ طرد « تايوان » من الامم المتحدة عندما قررت انتهاج سياسة التقارب مع الصين · أما على صعيد اسرائيل فان الولايات المتحدة لا تزال تعطي صوتها في المنظمة الدولية وتكرس « الفيتو » الذي تتمتع به في مجلس الامن لاسرائيل ولتأييد وتبرير التصرفات والسياسات الاسرائيلية ·

كذلك لم يكن اعتماد « تايوان » على الولايات المتحدة اعتمادا كاملا على النحو الذي يبلغه اعتماد اسرائيل على الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا وسياسيا ··· ومع ذلك فان درجة استقلالية القرار الاسرائيلي عن السياسة الاميركية ظلت اعلى بكثير من درجة استقلالية اي قرار تستطيع حكومة تايوان اتخاذه ضد او في غير مسار السياسة الاميركية · ورجح ذلك سبب اخر من اسباب الاختلاف الكبير بين مكانة « تايوان » ومكانة « اسرائيل » لدى الولايات المتحدة · فلا يمكن ان يوضع حجم الضغط الصهيوني

داخل الولايات المتحدة محل مقارنة مع اي « لوبي » تايواني يمكن تصور وجوده فيها ٠

وفي المحصلة النهائية لا يمكن تصور مقارنة مكانة تايوان في الاستراتيجية العالمية الاميركية ـ في منظورها الشمولي ـ بمكانة اسرائيل في هذه الاستراتيجية ٠ ولعل من اليسير ان نلاحظ ان تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل ، واشتداد نفوذ الصهيونية في أمريكا أمران يرتبطان بوضوح باتجاهات موازية في السياسة الاميركية مثل اشتداد حدة الحروب الباردة وارتفاع حرارة النشاط الاميركي ضد النظم التقدمية وضد حركات التحرر الوطني في العالم ، وازدياد موجة العداء للشيوعية وبالتالي اللجوء المتكرر الى التحذير من أخطارها في مناطق العالم المختلفة ٠ ويلاحظ ان هذه الظواهر كلها بادية في الاستراتيجية العالمية الاميركية في فترة ما بعد حرب اكتوبر والى الان اكثر مما كانت بادية من قبل ٠ في حين ان بدايات « التخلي » الاميركي عن تايوان كانت عمليا في فترة ذروة « الوفاق » الاميركي ـ السوفياتي الذي كان من اهم دوافعه خشية الولايات المتحدة ان يؤخذ تقاربها مع الصين على انه موجه اساسا ضد الاتحاد السوفياتي او انه لتشكيل تحالف سافر ضده ٠

هكذا يتضح انه لا اسرائيل بمثابة تايوان ، ولا العرب بمثابة الصين ، ولا أميركا المنسحبة في الشرق الاقصى بمثابة أميركا المتقدمة في الشرق الاوسط ٠

ولعل من المفيد ان نذكر انه من البداية كانت تايوان محصلة هزيمة اميركية في الصين ، بينما جاءت اسرائيل محصلة لهزيمة عربية ، كما ان الصين لم تتعرض على مدى السنوات الثلاثين تقريبا منذ تأسيس تايوان لاي هزيمة كالتي تعرض لها العرب ـ بالوساطة الاميركية ـ على يد القوة العسكرية الاسرائيلية ٠ ومن المفيد ايضا ان نلاحظ ان الدبلوماسية الاميركية ابان حرب اكتوبر لم تختلف كثيرا في منطلقاتها عما كانت عليه ابان حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ٠ بل لعل الدور الاميركي الداعم لاسرائيل كان اكثر نشاطا في الحرب الاخيرة منه في حرب ١٩٦٧ ٠ وقد استمدت الدبلوماسية الاميركية من هذا النشاط ذاته قدرتها على الحركة على مسرح المنطقة بصورة فاقت قدرتها في العام ١٩٦٧ ٠

حدود الخلافات

« لقد كانت الولايات المتحدة مدركة تماما ان استعادة اسرائيل لغلبتها العسكرية ـ بواسطة المساعدة الاميركية ـ (في حرب اكتوبر) كانت هي العامل الذي انقذ امكانية اجراء المفاوضات بأجمعها ٠ لقد ادركت ان قوة اسرائيل وسيطرتها المستمرة على المناطق التي يطالب بها العرب جعلت استمرار المواجهة امرا غير مرغوب فيه كثيرا بالنسبة للعرب ومؤيديهم السوفيات ، واجبر العرب على التحول نحو الولايات المتحدة سعيا الى الاختيار البديل ٠ وفي البحث عن تسوية ، واسهمت بأنصبة كبيرة في فرص جعل الولايات المتحدة قادرة على انجاز مثل هذه التسوية ٠ واسرائيل من ناحيتها كانت ، اكثر من اي وقت مضى ـ ادراكا لعدم امكان الاستغناء عن الولايات المتحدة كواهب للاسلحة والمساعدة المالية التي تحتاج اليها للحفاظ على قوتها ، كما ادركت الدور الحاسم الذي تلعبه الولايات المتحدة في حمايتها من الضغوط الدولية وخاصة في تحييد رغبة السوفيات المجددة في التدخل والتهويد التي بدت في مسار الحرب ٠ اما المشكلات الممكنة بين الولايات المتحدة واسرائيل والتي تلوح في المفهوم الاميركي الجديد فانها تكمن في اختلافات بين الاثنين فيما يتعلق بدرجة الحاح التوصل الى التسوية والتوقيت الملائم

لها ، والاثار القصيرة الاجل التي يمكن ان تترتب على اخفاق التوصل الى تسوية ... » (١٣) ٠

هذا ما يقوله الكاتب الاسرائيلي ناداف صفران الذي عمل في وقت من الاوقات مستشارا لرئيسة الحكومة الاسرائيلية السابقة غولده مئير ، ويحل في الوقت الحاضر استاذا في جامعة هارفارد الاميركية ، وهو يعدمن انصار نظرية « تيونة » اسرائيل ، وان كان يراها بمنظور اكثر اعتدالا مما يراهابه بعض العرب المفرطين في التفاؤل بالدور الاميركي ، وبعض الاسرائيليين من الصهاينة المفرطين في التشاؤم به ٠ ويصف صفران « التغيرات في الموقف الاميركي الناشئة عن الحرب » بانها « أحيت او خلقت خلافات جادة محتملة بين الولايات المتحدة واسرائيل في سياق يستمر فيه الاثنان في المشاركة في مصالح اساسية ومفاهيم رئيسية » (١٤) ٠

ويستنتج صفران من هذه المقدمات تصورا للكيفية التي يمكن ان يستمر بها الدور الاميركي « الثنائي » الذي بدأ مع حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، من اجل التوصل الى تسوية « متوازنة » ، على النحو التالي :

« في سياق تسوية سلمية شاملة من المرجح ان يكون العطاء الاميركي على الجانب العربي في صورة مساعدة اقتصادية وتكنولوجية كبيرة ٠ اما على الجانب الاسرائيلي فانه ـ على الارجح ـ سيتطلب شيئا لايقل عن تحويل التحالف الضمني الراهن الى معاهدة أمن متبادل أميركية ـ اسرائيلية ، على غرار المعاهدة الاميركية ـ اليابانية ٠ وستكون لهذه المعاهدة شرعية اقوى من اي معاهدة اخرى ادخلت الولايات المتحدة طرفا فيها ، بسبب العلاقة الخاصة الطويلة الامد مع اسرائيل » (١٥) ٠

وتسمح لنا صحة هذا التنبؤ عن صورةالحل القادمة بأن نعطي مصداقية كافية للحدود التي يرسمها صفران للخلافات الاميركية ـ الاسرائيلية وما يمكن ان تؤدي اليه ٠

ولكن الاهم من هذا ان التطورات التي سارت اليها منطقة الشرق الاوسط بعد حرب اكتوبر ـ وخاصة فيما يتعلق بالدور الاميركي وأهدافه ـ لا تختلف عن الوضع الذي تحركت فيه الولايات المتحدة لتحقيق الاهداف ذاتها في اعقاب الهزيمة العربية في العام ١٩٦٧ ٠ وهي الاهداف التي لم تخرج عن ثلاثة خطوط رئيسية :

(١) الاعتماد اساسا على اسرائيل ودعم امنها وتفوقها ٠

(٢) الحفاظ على الخط الفاصل بين مكانة اسرائيل الهامة للولايات المتحدة ومكانة اصدقاء اسرائيل من العرب ٠

(٣) اقصاء الدور السوفياتي من المنطقة باعتبار ذلك الاقصاء العامل المشترك الذي تتفق عنده مصالح اميركا واسرائيل والاصدقاء العرب ٠

وهكذا نجد ان نشاط الدبلوماسية الاميركية نجح بنتائج حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما آلت اليه في السير نحو تحقيق الاهداف نفسها التي اخفق في تحقيقها في ظل نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ ٠ وهو انعكاس لمعادلة بسيطة مفادها ان العرب اكثر قدرة على التنازل وهم في ثياب المنتصرين منهم وهم في اشمال المهزومين ٠٠

وبعبارة اخرى ٠٠ انها نتائج ١٩٦٧ وقد تحققت بعد ١٩٧٣ ٠

الحواشي

(١) ـ محمد حسنين هيكل ، **الطريق الى رمضان** ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٨٩ .

(٢) ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢٠٢ .

(٣) ـ **المصدر نفسه** ، ص ٢٠٤ .

(4) — Sheehan , Edward , « Kissinger's Step - by - Step Diplomacy in the Middle East » , **Foreign Policy** , March 7 , 1976 .

(٥) ـ هيكل ، **المصدر المذكور** ، ص ٢١٢ .

(6) — Sheehan , **op. cit** .

(7) — Sheehan , **op. cit** .

(8) — Sheehan , **op. cit** .

(٩) ـ د. سعدالدين ابراهيم : **كيسنجر وصراع الشرق الاوسط** ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٦٢ .

(10) — Sheehan , Edward , **The Arabs , Israelis , and Kissinger,** New York 1976 , P. 37 .

(11) — Podhoretz , Norman , « The Abandonment of Israel » , **Commentary** , July 1976 .

(12) — **op. cit** .

(13) — Safran , Nadav , **Israel , The Embattled Ally** , London , 1978 , PP. 504 - 5 .

(14) — **op. cit** , P. 507 .

(15) — **op. cit** , P. 598 .

محجوب عمر

الكلمة والبندقية

باريس ـ ٨/٣ ـ وكالات الانباء :

« لقي عزالدين القلق رئيس بعثة منظمة التحرير الفلسطينية في باريس مصرعه في الساعة الحادية عشرة والنصف صباح اليوم بتوقيت باريس في مكتبه بالطابق الثالث من مبنى الجامعة العربية في باريس » ٠

هكذا ورد النبأ من باريس ، واذيع من الاذاعات على الفور ٠ ومضت ساعات طويلة قبل ان تصدر صحف الصباح تحمل النبأ وما يلزم من البيانات والتعليقات والصور والتفاصيل ٠ خلال هذه الساعات كان بسطاء الناس ، الذين يعرفون عز والذين لا يعرفونه ، يترحمون عليه ثم يتساءلون عن مصير « القتلة » الذين نالوه ٠٠ اخيرا ٠

وكأن الامر لم يكن مفاجأة لاحد ٠ وكأن كل الالم كان لان الوقع غير متوقع ٠ فالجميع ممن يتتبع ما يجري على ارض العرب وساحة قضيتهم فلسطين ، الجميع كانوا يتوقعون لعز الدين ما وقع ، حتى عزالدين نفسه كتب ما سيحدث من صورتين على ورق ، بعث بالاولى واحتفظ بالثانية ليمهرها بدمه ساعة اغتالوه ، الجميع كان يعرف ، الجميع سمع وقرأ ، وربما شارك بالحضور والكلام او بالنشر والتوزيع والتأكيد ، او بالصمت استهانة واستخفافا او خوفا وارتجافا ، او استحياء ان ينطق بما لا يرضي الدافعين او اكتفاء بموقف المتفرجين ٠

لم يكن الامر مفاجأة ، والجميع كان يعرف ، فقد قرأ الناس قوائم الاتهام

الموجهة الى عزالدين والتي طالبت صراحة بقتله ، بل اعلنت الحكم بأنه سيقتل « سيفقد رأسه » كما ورد في نص الكلام · وورد التأكيد في مقدمات الادعاء وملحقات الحكم « اتصل بالصهاينة » و « دافع عن اليمين » و « احتل مكانا ليس له » وردد « كالببغاء » رأى « السلطة » في انها على استعداد للاعتراف « باسرائيل » · والسلطة المقصودة هي « اليمين الرجعي » المسيطر على قيادة م·ت·ف· كما يدعون ·

كان الجميع يتوقعون ، الاصدقاء الموقنون بكذب هذه الادعاءات كانوا يتوقعون ، ولكن وقع القتل كان مريعا ، كأنهم كانوا يتوقعون ان يفلت عزالدين هذه المرة ايضا بعد ان افلت لسبع سنوات من كل استخبارات الصهاينة ومحاولاتها · ولكن « عز » لم يفلت هذه المرة · استطاعت « الموساد » ان تصل اليه دون ان تتقدم نحوه · حاسة شمه التي لا تخطىء نحو الصهاينة لم ولم يكن من الممكن ان تنقذه هذه المرة ·

وكعادة المتفرجين ، وقد افسد التلفزيون الاذواق وقصر الانفاس ، سارع الذين سمعوا بالسؤال : ومن المجرمون ؟؟ · ثم خابت امالهم مرة اخرى عندما تبين ان الذين اطلقوا الرصاص صغار ومعبأون (لكي لا نقول مأجورون) · وفي الصباح ، ومع صدور الصحائف المطبوعة التي تباع والتي تستباح ، خابت اللهفة وباخت الحبكة عندما فوجىء القراء والمستمعون والمتفرجون بل والمعنيون بأن « الجميع » اصدقاء ، وغير اصدقاء ، يستنكرون ويدينون وينفون ويتعهدون ويعزون ، البعض يبكي والبعض يصيح ، والبعض يهز الرأس حكمة ويقول « ألم اقل لكم ؟! » حتى قادة نظام العراق انكروا واقسموا ، بل قالوا صراحة « اننا لو كنا نريد لفعلنا ذلك بمناضلينا ··· اما الذين قتلوه فهم ··· فلسطينيون » ·

وتفكر بسطاء الناس في جلساتهم وتساءلوا : من المستفيد ؟ · وكانت الاجابة بسيطة وواضحة · العدو الصهيوني · اذن ، فالقتلة هم الصهاينة · قتلة عز الدين القلق هم الصهاينة ، ومهما تكن الوسيلة التي جاؤا بها واليد التي استعملوها ، والكلمات التي مهدوا بها ، فان القتلة هم الصهاينة ·

وعندما يقول بسطاء الناس ان القتلة هم الصهاينة فلا بد ان هذا صحيح ·

ولكن عز الدين قلق « قتل » وهو في مقر منظمة التحرير الفلسطينية الذي هو في قلب مبنى الجامعة العربية والتطابق كامل بين المكان والسياسة · معنى ذلك ان القتلة الصهاينة قد استطاعوا التسلل داخل الغرفة المغلقة التي هي داخل المبنى الكبير · كيف حدث ذلك ؟ هل كان الحراس نياما ؟ هل انشغل الحراس باللعب او بالشجار او بحراسة غير المبنى وغير المكان ؟ هل كانت بنادقهم بعيدة عنهم وقت جاءوا ؟ ام هل خدعهم مظهر القتلة فظنوهم عربا اخوة ولم يكشفوا

فيهم الصهيوني المتخفي المتعطش لدماء عز ؟ ..

ان القاء مسؤولية القتل الجنائية والسياسية على الصهاينة وعملائهم لا تعفي الجميع منا من مسؤولية « الغفلة » و « التهاون » و « تسهيل المهمة القذرة » . وسواء كان ذلك عن حسن نية او عن سوء قصد ، فان الدم الذي سال هو دم .

واقعة قصيرة جدا

في خريف ١٩٧١ التقى ، وكان قد وصل لتوه من جبال الاردن ، ببعض اهل الثقافة . قالت : « سمعنا عنك » قال : « عفوا » . واستمرت تحكي ، فأدار رأسه قبل ان تدار بمعسول الكلام ثم سمعها تقول « هناك عناصر واعية في « فتح » تعرف ان في القيادة عملاء . التفت مدهوشا وقال : « مستحيل » . ابتسمت واثقة عارفة وقالت : « لماذا ، انها حقيقة مشجعة » . قال : « ولكن فتح تعطي كل مقاتل فيها بندقية و ١٢٠ طلقة . فان عرف احدهم مكان العميل فسيطلق عليه النار » .. خالط وجهها مزيج من الفزع والاستنكار : « اتقتل لخلاف في الرأي ؟ » قال : ـ « لا ، ولكن الخلاف في الرأي شيء ، والعمالة شيء اخر . واستمرت تمضغ علكتها (لبانتها) والكلام ، تفسر لماذا هو حاد لهذه الدرجة ، وان ذلك لا بد انعكاس للجبل . لم يجب فقد كان يعرف ان الجبل لا شأن له وان الفضل هو للبندقية ، وان الحديث عنها ، هو كالحديث بها يتطلب تمييز الهدف والتصويب الدقيق .

□

في ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ اتهمت حركة « فتح » بأنها « عميلة » لحلف « السنتو » وانها بحربها ضد العدو الصهيوني تستفزه وتعرض امن « الانظمة التقدمية » للخطر . ولا بد وان ابناء « فتح » قد تعجبوا في ذلك الوقت من هذا الاتهام وتعجبوا اكثر من اصحابه . فاصحاب هذا الاتهام هم الذين ملأوا الدنيا « كتابة » « وكلاما » عن ضرورة محاربة الامبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية وكافة اشكال التفرقة والتمييز ، وعن فلسطين وضرورة تحريرها وقدسية معركتها ... الخ . ومع ذلك ، فعندما تقدم نفر من العرب الفلسطينيين فنفذوا بعض هذا الكلام وحولوه الى فعل ، انتفضت نفس الاقلام وتدفقت بالاتهام تلو الاتهام من حلف السنتو الى عملاء الصين ، وكانت اخف الاتهامات انهم من المغامرين . وتلقفت الانظمة هذه « التنظيرات » او ربما هي شجعتها وروجتها ، وترجمتها الى افعال السجن والاعتقال بل والقتل .

اما « فتح » فقد كانت قد اختارت لنفسها خطة لتصل الى فلسطين لخصتها في شعار بسيط واضح وعميق هو « **البنادق كل البنادق ضد العدو الصهيوني** » .

لذا كان ردها على هذه الجملة « الكلامية » كما كان ردها على ترجمتها الفعلية ، المزيد من « **البنادق الموجهة ضد العدو الصهيوني** » · كانت « فتح » تثق ولا تزال ، ان ممارسة هذا الشعار/الخطة هو السبيل لتعبئة الجهود ، ورص الصفوف ، وتوحيد القوى ، وتصحيح المسار ، ومواجهة التآمر وكشف العملاء والمزايدين ، وخلق الانسان العربي الجديد ، وتحرير فلسطين ووحدة العرب ·

وكل هذا صحيح ، ولا بديل لهذا الشعار/الخطة ولا غنى عنه وستظل فتح تقاتل داخل فلسطين هجوما على الدوام ، وخارج فلسطين دفاعا على الدوام · ولقد انتصر هذا الشعار/الخطة في الممارسة ، وسقطت اوهام كثيرة وانطوت صفحة افكار وتنظيمات ونظم كانت تتبارى يوما بالكلمات والبرامج والانقلابات · ولكن المعركة لا تزال مستمرة · فلسطين لم تزل بعد محتلة ، والواقع العربي ما يزال مجزأ يحمل كل اوزار الماضي وامراض الحاضر ، والتقدم نحو فلسطين لا يعني بحال ان تقل العقبات ، بل يعني في كل الاحوال ان يتكاتف الذين سيخسرون ويهزمون وان يشتد سعار الصهاينة والمستعمرين ضد الثوار ·

فلئن كان الشعار/الخطة قد استطاع انتزاع المبادرة من العدو الصهيوني ، ولئن كان الشعار/الخطة قد استطاع ان يصون استقلال البندقية في وجه الاحتواء وفرض الوصاية ، فان العدو لن يستسلم بل سيحاول ان يتسلل ويضرب من الداخل مستغلا ما تبقى من القديم وما لم ينجز من الجديد · والقديم موروث ومصدر ، وما لم ينجز من الجديد مسؤولية الاحياء منا ·

واهم ما لم ينجز من الجديد هو « الافكار » · ولم تكن « فتح » تتوهم ابدا انها اذا بدأت القتال ضد العدو الصهيوني فان الافكار الاخرى القديمة ستنهار ، ولكنها اختارت ان تصب جهودها في حقل « الفعل » على امل ان يثمر هذا الحقل « افكاره » وتتعمق جذورها بدماء الشهداء ·

المشكلة مع « الافكار » هي انها تعيش حتى بعد زوال اسبابها ومصادرها ، وهناك افكار تعشعش في العقول منذ الاف السنين رغم زوال الظروف التي اوجدتها · والمشكلة الاكبر في حالتنا هذه هي ان الافكار الخاطئة القديمة ما تزال تجد لها جذورا فعلية على الساحة الفلسطينية والساحة العربية بشكل عام · وفي عالم الاتصالات الفورية الحديث والقوى الاجنبية الطامعة والعدو الماكر الخبيث ، تجد الافكار الخاطئة القديمة مجالا ومصدرا وملاذا ومروجا ومشجعا ومستغلا ومستفيدا ·

ولا يعفينا هذا كله من ان نقر بمسؤولياتنا جميعا · اننا لم نناضل بالدرجة الكافية ضد الافكار القديمة ، بل ربما سمح بعضنا لنفسه دون ان يعي باللعب

بها ومعها نزوعا مرضيا « للقديم » واستجابة للزوميات الاوضاع الاجتماعية التي يتمتع بها « المتعلمون مع الافكار والكلمات في بلادنا الفقيرة الامية ٠

بسطاء الناس في بلادنا يعرفون قيمة البندقية ويعرفون ان من يملك بندقية يجب ان يملك لسانه معها والا صار اضحوكة للاخرين ٠ يعرفون ان للبندقية تقاليدها وحقوقها وواجباتها ومسلكيتها ٠ يعرفون ان البندقية في يد « الاطفال» تقتل وفي يد « العقلاء » تصون ٠ يعرفون ان البندقية في يد الشعب حرية وفي يد السلطة قمع ٠ يعرفون ان البندقية في يد الثوار ثورة وفي يد غيرهم ارهاب في أحسن الاحوال والنيات ٠ اين اصحاب الكلام وادعياء المعرفة والنظريات من كل هذا ؟.

لقد تعود البعض قبل « البندقية » ان يجمع الاعداء في سلة واحدة ويرجمها بالكلمات ٠ وما اسهل ان تصف الاعداء جميعا في سطر واحد او فقرة واحدة في مقال او كتاب ثم تنهال عليهم بالنعوت واللعنات ، ولكن البندقية لا تستطيع ، فحاملها لا يغفل من هم الاعداء ولكنه مضطر ، لكون البندقية لا يمكن ان تطلق في كل اتجاه ، لان يختار الاول من بينهم لكي يركز عليه النيران ٠ هل كان عز الدين القلق هو « الاول » من بين اعداء الذين امروا بالقتل وخرضوا عليه ، بل الذين نفذوه ؟!! ان اعتماد البندقية اسلوبا للنضال يحتم تضييق « جبهة الاعداء » بلا جدال ، فهل كان « قتل » عز الدين سبيلا الى ذلك ؟ وهل كان عز الدين حقا من الاعداء ؟!! ان البعض في قديم الزمان وحديثه تعود « حرفة الكلام » ، والكلام كما يقول بسطاء الناس يزداد كلما مضغته ويكبر كلما ابتل بريق الفم فما بالكم ببريق الدنانير ؟ والكلمة تجريد ، والانتقال من التجريد الى التجريد سهل ، فان كنت مخالفا في الرأي فأنت « مضلل » وان كنت مضللا فأنت « منحرف » وان كنت منحرفا فانت « انتهازي » وان كنت « انتهازيا » فانت « تصب الحب في طاحونة الاعداء » ، وان كنت « تصب الحب في طاحونة الاعداء » فأنت « جاسوس » او « عميل » ٠ وللتبسيط ، ان كنت مخالفا في الرأي فانت « عميل » وهكذا ان كنت عميلا فأنت عدو واخطر من الاعداء انفسهم ٠ والمقياس في كل ذلك هي « ذات » الذي سيصدر عليك الحكم ، فيدينك او يضمك الى اتباعه ٠

ولكن اعتماد « البندقية » شعارا وخطة لا يتحمل هذه الرفاهية الفكرية والاستمتاع اللفظي ٠ فالرجل الذي يحمل البندقية يعرف ان عليه « ان قال فعل » وان ادان نفذ ، وان الطلقة ان خرجت من بندقيتها هي كالكلمة الصادقة ، لا تعود ثانية ، وان الموتى لا يقومون في هذا العصر وان قرأنا على قبورهم الاف صفحات النقد الذاتي ٠ لذا لا يتسلى الذين يحملون البنادق بالكلام ، ولا يسرعون بالاحكام ، ولا يخلطون بين العدو وبين الصديق ، ويحترمون القلم والكلمة كما يحترمون البندقية فيحافظون عليها نظيفة لا تشوبها شائبة ،

ويعرفون ان هناك فرقا كبيرا بين البندقية وبين عصا الراعي ٠

والعجيب ان الذين يرمون مخالفيهم في الرأي بتهم العمالة والجاسوسية والاستسلام واليمينية والرجعية ، يفتحون بذلك باب رمايتهم بالرصاص . يطالبون بان تسود الساحة علاقات « الحوار الديمقراطي » ٠ بل وصل الامر ببعضهم الى حد القول بان عز الدين القلق وعدنان حماد ، وشهداء الباكستان، ومن قبلهم علي ياسين ومن قبله سعيد حمامي ، انما هم « ضحايا » الخروج على قواعد الحوار الديمقراطي « كأن الاخوة قتلوا لانهم اعترضوا على مناقشة او انسحبوا من جلسة او علا صوتهم في النقاش او هم اقلية لم تخضع لقرار الاغلبية كما هو مفهوم الديمقراطية ٠ ان « الديمقراطية » سلطة ٠ ولعل ذلك ما ينساه بعض المطالبين بها ، وترجمتها كما يعرفون قطعا « سلطة الشعب » وهي في الممارسة تعني « خضوع الاقلية للاغلبية وخضوع المستوى الادنى للمستوى الاعلى » ، اي هي الالتزام ٠٠ والامر الذي لا شك فيه ان الاخوة الذين قتلوا في باريس ولندن وباكستان والكويت انما قتلوا لانهم ملتزمون ، اي لانهم يمارسون بالفعل قواعد الديمقراطية وهو ما اغضب قطعا الذين يهمهم ان تسود الساحة الفلسطينية الفوضى الليبرالية رغبة في اغتنام الفرص التي تتولد عنها لفرض وصاية او لحرف اتجاه البنادق ، ومن جانب العدو الصهيوني : لاثارة الاقتتال ٠

ان الالتزام بالبندقية خطة وشعارا لتحرير فلسطين قد هدى « فتح » منذ الايام الاولى الى قاعدة الحوار الديمقراطي.قانونا للعلاقات داخلها ، وفيما بينها وبين الفصائل الاخرى ، ذلك ان الذين هم جادون في حمل البندقية هم بالضرورة جادون في البحث عن سبل توحيد اتجاهها ٠ ويكفي ان يراجع نفسه من يعرف الاخوة الذين قتلوا ، ليتأكد انهم ـ وهم جميعا ابناء فتح ـ لم يكونوا نسخا طبق الاصل من احد ولا من بعضهم البعض ، الا انهم جميعا التزموا بأن يوجهوا بنادقهم ضد العدو الصهيوني ، وان يقدموا فلسطين على كل شيء اخر ٠ هذه هي مبادىء « فتح » التي فرضت نفسها على اسلوب الحوار والتعامل ٠ لذا ففتح تعلن دائما « ان البندقية التي تضاف الى الالف بندقية هي قوة » ٠ وكثيرا ما تلام « فتح » بالذات من جانب الذين يتكلمون هذه الايام عن الحوار الديمقراطي ، بسبب ديمقراطيتها « الزائدة عن الحد » حسب قولهم٠

المشكلة هنا ان بعض الذين حملوا البنادق بعد « فتح » وربما من « فتح » لم يدركوا بعد ان « البندقية » شأنها شأن اي اداة تخلق علاقاتها ، وانها بالضرورة تفرض الديمقراطية بالمعنى المشار اليه آنفا ، وترفض الليبرالية بالشكل الذي يمارسون ٠

« البندقية » تحتم وحدة الموقف ، اي وحدة التصرف العملي ،.وهذه لا تتحقق الا بالالتزام والانضباط العالي ٠ وان احدا على الساحة الفلسطينية لم يحاسب

او يمس بسبب رأيه ولكن التصرف العملي شيء ، وابداء الاراء شيء اخر · قد تتحمل الاوراق خلافات الرأي ، وقد يطول الحوار حولها ، ولكن ان تختلف البنادق لتطلق كل منها في اتجاه ، وفي اي وقت يشاء حاملها ، فهو امر غير معقول على الساحة الواحدة ، حتى ولو كانت ساحة للصيد لا للقتال ·

وعندما يسلم الجميع بأن « البندقية » هي بندقية واعية ، اي هي ليست للصيد او التسلية وانما لتنفيذ خطة سياسية ، تكون وحدة التصرف العملي اولى من اي حالة اخرى ، وتكون السبل لضمان وحدة الموقف هذه هي من قواعد الانضباط التي ينشأ عليها المقاتلون ، والتي هي بالمناسبة من تراث بسطاء الناس ايضا ·

ثم كيف يمكن تصور اجراء حوار ديمقراطي ، « اي حوار سينتهي بالتزام » بين من يسوق الاتهامات بالاستسلام والرجعية واليمينية والخيانة والعمالة ، الى اخر هذا القاموس وبين الذين يتهمهم · ان « الحوار الديمقراطي » هو شكل الصراع الذي ينطلق من وحدة ليؤدي الى مزيد من الوحدة ، (اليس القانون كما يكررون هو : وحدة ـ صراع ـ وحدة) فاي وحدة هذه التي بين الرجعيين والثوار ؟ واي حوار يمكن ان يستمر والمقاتلون يصنفون الى يمين ويسار ؟ ان الرجل البسيط لا يرمي زوجته بالزنا ثم لا يطلقها ، وهو ان حمل البندقية فهو بالتأكيد لا يفكر في اتهامها بالزنا قبل ان يضع اصبعه على الزناد · فما بالكم والاتهامات هنا بالخيانة والرجعية واليمينية والاستسلام والانبطاح والتآمر ··· الخ !! على الذي يعلن انه ملتزم بالحوار الديمقراطي ان يعلن اولا عن الحد الادنى من الاهداف والسياسات التي يتفق فيها مع الذين يريد التحاور معهم · فان لم يفعل ، واسقطهم من حساباته كقوى حليفة على الاقل ، فقد اضافهم الى « اعدائه » ولا حوار بين المتعادين ولا التزام ، ولا مكان هنا للتسلي بمتعة توجيه الاتهامات اللفظية فالساحة ملأى بالبنادق ، وبسطاء الناس لا يفرقون بين كلمتهم وبين بندقيتهم ، والعدو الصهيوني متربص يتلهف لسماع « تهمة » ليقوم هو وعملاؤه « بالتنفيذ » ، وليس للناس على ظهر الارض حق الحكم على النيات ·

ثم ان الامر في النهاية كما هو في البداية لا يرجع الى القاعدة التنظيمية لهذه العلاقة او تلك ، وانما يرجع الى « السياسة » : فالتنظيم اداة السياسة وانعكاسها ، لذا فان « فتح » التي اختارت ان توجه البنادق كل البنادق نحو العدو الصهيوني ، قدمت هذا الشعار/الخطة ، اطارا وحدا ادنى لكل حوار في داخلها ، وفيما بينها وبين الفصائل الاخرى ، ولمن يرى لنفسه عدوا الان غير العدو الصهيوني ، فله الحق ، ولكن عليه الا يحاول سوق « فتح » بالقوة والاغتيالات الى طريقه لان ذلك على الاقل لن يجعله يحارب عدوه الذي اختاره،

الا اذا اعتبر « فتح » عدوه الاول ، عندئذ سيتحالف مع العدو الصهيوني الذي اتخذ قرارا علنيا بتصفية « فتح » ورجالها ومقاتليها ٠

اما الذين يجمعهم حد ادنى من الاتفاق ، فان حوارهم سيكون من اجل العثور على مزيد من نقاط الاتفاق ، ومن اجل تطوير اشكال الوحدة القائمة ، سيكون تنافسا في التضحية من اجل القضية ، في تصعيد النضال ضد العدو الصهيوني ، سيكون صراعا بين الاجتهادات اليومية في النضال من اجل فلسطين ، وعلى الذي يقدم نفسه باعتباره الاكثر وعيا والاكثر ثورية ان يثبت ذلك بالفعل لا بالالفاظ ، بالالتزام لا بالليبرالية ٠

وليس احب على قلب العدو الصهيوني ، وعلى قلب القوى الطامعة في الوصاية على الثورة الفلسطينية ، من ان تشيع الليبرالية بدلا من الديمقراطية ، فهي فرصة لهم لممارسة القتل والاغتيال واثارة الاقتتال ، ومن ثم التصفية او السيطرة ، ثم يجدون في فوضى الاقوال وفي كل الاحوال الفرصة لاتهام المتصارعين بما يفعلون هم وعملاؤهم ٠

على من لم تقنعه هذه الكلمات والوقائع ان يفكر قليلا : من الذي استفاد من اتهام سعيد حمامي وعلي ناصر ياسين وعزالدين القلق ، واستباحة دمهم وتخوينهم علنا وبكافة وسائط النشر قبل ان يقتلوا ؟٠

□

ولقد آن الاوان وربما قد تأخر ، ان نقر جميعا بالفجوة بين البندقية وبين واقع الافكار حولها٠

هذه البندقية المنتصرة ، ما تزال افكارها تعاني من حصار الافكار القديمة ، ومن هجمات الافكار المصدرة الينا ، ومن امراض « الليبرالية » التي تريد لها ان تندثر بالفعل طالما هي تريد لها ان تتفرق ٠

وتلك هي مسؤوليتنا ، ان ندافع عن فكر « البندقية » ، ان نربط بين الكلمة وبينها ، الا نستهين بالكلمات فنستهين بذلك بحياة المناضلين ، ولا ينفع الندم ٠

افليس غريبا ان بعض اهل « الكلمة » و « الفكر » (هكذا يقدمون انفسهم) يقيمون الدنيا ويقعدونها احتجاجا على مظاهر اطلاق النار في الهواء ، ثم هم لا يرون غرابة في اطلاق الاتهامات القاتلة التي يرمى بها الثوار المخلصون ؟! لو ان عشر الاصوات التي ترتفع محتجة على المسلكيات اليومية الخاطئة قد ارتفعت احتجاجا وادانة يوم مقتل سعيد حمامي ، لما قتل علي ناصر ياسين ٠ ولو كانت ربع مساحات الورق التي خصصت للهجوم على « فتح » واتهامها باليمينية والرجعية والاستسلام قد خصصت لفضح جريمة اغتيال علي ناصر ياسين لما قتل عزالدين ٠

ان المواقف الواضحة والاراء الصحيحة ، والافكار المحدودة هي التي تحمي البندقية من ان يستغلها الاعداء · وفي عالم اليوم المعقد والمتشابك لن يكون سهلا ولا صحيحا على اي حال ، اتباع الاساليب البوليسية للوصول الى حقائق الاحداث · ان احدا لا يعرف حتى الان من الذي قتل كينيدي ؟ ولكن الجميع يعرفون من استفاد من قتله ·

وليتذكر كل الذين يقدمون انفسهم باعتبارهم « الاوعى » و « الاكثر ثورية » انهم اذا لم يثبتوا ذلك بالفعل فانهم لن يكونوا الا « مزاودين » ، فان اطلقوا الاتهامات او النار على الاخرين الذين يتهمونهم بالعجز او بالتخلف او باليمينية او بالرجعية او بالاستسلام الى العدو ، او الى اخر ما في قاموسهم ، فانهم سيفقدون مبرر وجودهم اذا فقدوا تمييز اعدائهم بعد ان يكونوا قد فقدوا اتجاههم · وليتعلموا من « فتح » التي لم تهاجم احدا عندما انطلقت ، بل حرصت على توجيه بنادقها نحو العدو الذي حددته الا وهو العدو الصهيوني ·

ان مقياس الثورة عند العرب اليوم ليس هو قدر ما يتردد من الفاظ ، وانما هو قدر ما يتوجه من بنادق ضد العدو الصهيوني ، كذلك مقياس التقدمية ، كذلك مقياس الصواب والخطأ ·

وتبقى مسؤولية المشتغلين بالكلام والافكار ان لا يهادنوا او يتهاونوا مع الافكار الخاطئة ، وان يكونوا على حذر من الخلط بين الليبرالية (اي الانفلات وعدم الانضباط) وبين الديمقراطية (اي الالتزام والوحدة) ·

□

واقعة قصيرة جدا ·· اخرى

في ١٩٦٦ او ١٩٦٧ حضر الى القاهرة المرحوم علي صالح السعدي · انقسم موقف « التقدميين » وقتذاك · البعض استقبله والبعض رفض استقباله لانه شارك ، بل دعا الى قتل عشرة الاف شيوعي في بغداد في ١٩٦٣ · وقال هو في مقال منشور انه نقد نفسه نقدا ذاتيا ، وانه اسس حزبا اسماه « حزب البروليتاريا الثوري » ، ويومها نشرت روزاليوسف مقالا للدكتور ثروت عكاشة قال فيه « ولكن النقد الذاتي لا يمحو الدماء عن الايدي » ·

والنقد الذاتي لا يقيم الموتى ايضا، ولكنه على اية حال قد يمنع مزيدا من القتل·

بدو صقر في بيسان

هذا النص * الذي تنشره « شؤون فلسطينية » عن بدو صقر هام في مستويين : هو وثيقة حول الطبيعة الاجتماعية للعشيرة من ناحية ، كما انه وثيقة خاصة بالعشيرة الفلسطينية من ناحية اخرى ٠

وهذه الوثيقة ، هي تسجيل لرواية شفوية طويلة يتلوها احد شيوخ بني صقر ٠ وهي ، من هذه الزاوية ، جزء من التراث الشفوي القديم في نقل المعلومات المتعلقة بالانتماء القبلي ٠ وهناك مكانة اساسية لمؤسس العشيرة ، تماما كما في الوثيقة التي سبق ونشرت في « شؤون فلسطينية ٨٠ » (سيرة عرب التعامرة) والسرد ، ينطلق دائما من هذه المسالة ، ليعود ويرسم مسلك وتطور العشيرة عبر الزمن ٠

بعد تحديد هذه المسالة ، يجب الاشارة الى مجموعة من النقاط الهامة التي يشير اليها نص كهذا ، والى الدلالات التي تتضمنها عادة هذه الوثائق ٠

١ ـ نشير اولا ، الى ان هذا النص يبدو متناقضا ٠ ففي البداية هناك سلالة متكاملة تظهر جميع عناصر التلاحم والاصالة العائلية لبني صقر ٠ وما ان نتقدم في القراءة ، حتى تبرز لائحة طويلة للعشائر التي تكون القبيلة الكبرى ٠ ولدهشة القارىء « تظهر عشائر من انحاء مختلفة ، واحيانا حتى من طوائف دينية مختلفة، وتذكر بوصفها العشائر الرئيسية المكونة لبني صقر ٠ ولا شك ان الحقيقة التاريخية تكمن في هذا التجمع المتتالي لمختلف العشائر حول العشيرة الاصلية ٠ فالنص الخراشي (الذي يسرد اصول العائلات) ، هو عمليا ذاك المتعلق فقط بالعشيرة الاصلية وديمومتها ٠ وهو في الواقع ، تعبير على اهمية هذه العشيرة الاصلية ضمن علاقات السلطة داخل القبيلة من ناحية ، كما انه يكشف من ناحية اخرى ، الى اي مدى تبقى القبيلة ، مهما كانت شروط تكونها وتطورها ، محددة عمليا بعلاقة عائلية اولية ٠

* Journal of Palestine Oriental Society. 1936. P. 21 - 32.

٢ ـ يقدم النص ، تقسيما اجتماعيا لقبيلة بني صقر (الامراء ، الشيوخ ، العبيد الخ ·) ومن الخطأ ، الخروج من هذا التقسيم باستنتاجات من النمط الاقتصادي والانتاجي فهذا التقسيم يشير الى مراتبية في توزيع السلطة بين مختلف عشائر القبيلة ، والتي ليست موازية بالضرورة لوضع انتاجي مطابق · (وليس صدفة ان نقرأ في النص ان عشائر الشيوخ ترتبط بصلة النسب الى ملاك ، من مؤسسي القبيلة واحد ابناء صقر) · ان هذا التقسيم ، هو تقسيم في السلطة الداخلية · والسلطة داخل القبيلة تعني الحماية والاستزلام والتحالفات · وبعبارة اخرى ، فهذه العشائر المختلفة ترتبط ببعضها عبر نظام حماية ·

٣ ـ من الواضح ان هذا التحقيق اجري بعد تحضر بني صقر · ومن المهم ابراز مسألة كون العلاقات القبلية ليست مرتبطة بصورة الرحل الضيقة ، اذ نرى امامنا نموذجا ملموسا لبدو ، بقوا رغم تحضرهم ، محكومين بعلاقات اجتماعية بدوية قبلية · ونستطيع ان نفهم هذا ، باعتبار ان الاساسي في التجمع البدوي ، ليس في كونه متنقلا ، بل هو بنى عائلية معينة ترتبط بين اعضائه · وسوف نجد ان هذه المسألة شبه مهمة في الريف الفلسطيني · حيث ان معظم الفلاحين هم من البدو المتحضرين · فنحن غالبا ما نجد ان هذه البنية الاجتماعية للقبيلة البدوية ، هي اساس العلاقات في القرية الفلسطينية ·

٤ ـ تبحث هذه الوثيقة ، ولو بشكل سريع ، في عدد من المؤسسات القبلية ، وتقدم عنها معلومات مجزأة ولكنها تبقى مفيدة وتتعلق بالزواج والختان والعدالة القبلية والثأر والتعاون ، وعلاقة بني صقر بالدين وبأوليائهم بشكل خاص ·

٥ ـ ونشير اخيرا الى اللائحة الهامة والتي تتضمن اسماء العشائر الموالية والمناوئة لبني صقر · واهمية هذا التعداد تكمن اولا في تحديد الموقع الجغرافي لكل عشيرة ذكرت ، ما يسمح بتكوين فكرة اولية حول خريطة اجتماعية ـ جغرافية ضمن الحدود الفلسطينية نفسها · وهكذا يظهر ما وراء الجغرافيا · اهمية المناطق الاجتماعية · مناطق تحالف القبائل وتخاصمها · كما نجد اننا نبقى في اخر المطاف ، على الرغم من تجزئة التحالفات والخصومات ، امام حزبين فقط · وتبرز هذه المسألة بشكل واضح ، عبر كون الانقسام الاخير ، الذي يستوعب جميع الانقسامات الجزئية ، هو الذي يرجع البنية الاجتماعية باسرها الى الانقسام القيسي ـ اليمني · ويعكس هذا الازدواج زوالية تصرف سياسي خاص بالبنى القبلية · وكذلك نشير ، وضمن هذا التطور للتحالفات والخصومات ، الى الامثلة التاريخية ، لبعض حروب بني صقر ، حيث يؤكد القاص على مدة النزاع وديمومته · وهذا التشديد ، حتى اذا بدا كنوع من التضخيم الشكلي (وهو ربما كذلك) هو اكثر من شكل اسلوبي · بل تظهر اساسا ارادة القاص في التركيز على ديمومة العلاقات والتحالفات ، فالقبيلة ليست ديمومة العائلة فقط ، بل هي ايضا ديمومة التحالفات · واذا كانت ديمومة التحالف ، مثلها مثل بقاء العائلة ، مسألة تكذبها الوقائع التاريخية ، فانها تبقى احيانا ، كعنصر من عناصر المعرفة الذاتية لابناء العشيرة ، ومن هنا تاتي اهميتها في النص ·

الياس صنبر

ينزل بدو صقر في شرق وجنوب شرق قرية بيسان · وتمتد مناطقهم الى الجنوب ناحية طوباس · غير انهم في فصل الشتاء يصلون في ترحالهم الى العوجة (شمالي اريحا) · وغالبا ما يستقرون في اشهر الصيف في مناطق الناصرة وجنين وحتى في مناطق حيفا · وينزل شمالي مناطقهم عشائر الغزاوية الذين هم في حالة عداء دائم مع صقر · وبموجب ما اكده شيخ قبيلة صقر فلقد نزحت هذه القبيلة من شبه الجزيرة العربية وعلى الارجح من نجد · ومن المعتقد ان جدهم كان له ولدان ، الاول يسمى « مالكا » والثاني « فوازا »· وبعد خلاف نشب بينهما قرر الولدان الانفصال · وبذلك نزح فواز ناحية الشمال واستقر في النهاية في مناطق سوريا الجنوبية · وتعرف سلالته اليوم بعرب السردية · واستقرت عشيرة من السردية في بصرة الشام وتحولوا الى فلاحين · اما سلالة مالك فلقد رحلت صوب الشمال · واستقر قسم منهم في منطقة السلط وهم يعرفون اليوم بعرب العباد · بينما تمكن الآخرون من الوصول الى فلسطين واستولوا على غور بيسان · ويؤكد شيخ بدو بيسان ان قبيلته وصلت فلسطين قبل احمد باشا الجزار بنحو خمسين او خمس وسبعين سنة ، اي قبل نحو ٢٠٠ او ٢٥٠ سنة ·

وتؤكد الاستقصاءات في شرقي الاردن (١) كل اقوال الشيخ فضل عن بدو عباد · وتنقسم هذه القبيلة الى عشيرتين فرعيتين · وفيما يلي قائمة بهذه العشائر وبزعمائها :

١ ـ عشيرة عباد الاروا المعروفة بعرب الجرمية · وهم اسم مشتق من جدهم الاخير جرم الذي هو مؤسس هذه العشيرة وهم يعيشون في القسم الاعلى من غور ابو بدا وغور المصالحة · وهذه العشيرة تتألف من العشائر التالية :

١ ـ مناصر الاسلامة : اما جدهم الاكبر ومؤسسهم فهو ديب الكنعاني الذي يعود الى بني كنعان بنحو ٤٠٠ سنة · وزعيمهم الحالي هو الشيخ سعد الحلاف ·

٢ ـ مناصر الاونة : وعون بن احمد هو مؤسس هذه العشيرة · واتى قبل ٤٠٠ سنة من الحجاز · أما شيخهم الحالي فهو كريم باشا النهار · وتنزل هذه العشيرة في وادي السير ·

٣ ـ الحطالين : وابن حطلان هو احد الاسماء الشائعة بين افراد هذه العشيرة ، اما جدهم الاكبر الذي غادر بلاد نجد قبل نحو ٤٥٠ سنة فهو دغيم الذي هو من عائلة الرشيد اما شيخهم الحالي فهو احمد العبد ابن حطلان ·

٤ ـ اما عشيرة النعمان فقد اتت من الجولان قبل نحو ٢٠٠ سنة · وزعيمهم هو موسى عبد الرحمن اليعقوبي ·

٥ ـ اليزديين الذين يسمون انفسهم قريشية على اساس انهم من قريش (٢) · وزعيمهم الحالي شهاب الحمد ·

---

(١) اود ان انوه شاكرا بالجهد الذي قدمه لي الدكتور ت· قعوار ، والسيد عابد القرادي للمعلومات القيمة التي قدمها لي · ذلك ان معظم المعلومات التي ارسلها الدكتور قعوار مأخوذة من الشيخ محمد السعلول البالغ من العمر نحو ثمانين عاما ·

(٢) كما يذكر الدكتور قعوار ·

٦ ـ المقداد : وجدهم هو ملحم المقداد الذي اتى قبل نحو ٣٠٠ سنة من الحجاز · أما زعيمهم الحالي فهو موسى المحجن ·

٧ ـ الغنائم : وقد نزحت قبل نحو ٢٥٠ ـ ٣٠٠ سنة من منطقة حلب · وهم يمتون بصلة الى بدو النعمات في حلب · ومؤسسهم هو غنام ، وزعيمهم الحالي هو رضوان ابـــو حريص ·

٨ ـ وعائلة الرمضاني تنقسم الى قسمين : الدواهك وهم يتقربون من حويطات شـرق الاردن · وزعيمهم الحالي هو حمران · أما القسم الثاني فلقد اتى من الحجاز ·

٩ ـ عشيرة الحجاجة التي تتقرب من الفقرا والتي ترجع الى محمد الفقير · وتنـــزل هذه العشيرة في صحان (ارض عباد) ·

١٠ ـ عشيرة الصنابرة والذين يرجعون الى مصلح ابو صنوبر والذي قدم من نجد قبل نحو ٢٥٠ سنة · وكل فرد من هذه العشيرة يعرف بابي صنبر ·

١١ ـ الجبايرين والذين تتفرع منهم العائلات التالية :

أ ـ البقور : وهي اقدم العائلات في كل عشيرة العباد · ولقد قدم جدهم ، عبـــاد الادريس ، من مصر ، حيث استقر اولا فيتل شعب في حوران · ثم نزحت القبيلة عبـر الاردن (خربة كفر هود) ويتزعمهم الآن محمد باشا كايد ابو بكر · ويرجع اسم بقور الى عملهم في تربية البقـــر ·

ب ـ الرحامنة : هاجروا قبل نحو ٣٠٠ سنة من طرابلس في افريقيه · وهم يمتـــون بصلة الى القبيلة بسبب اسمهم · ولقد نزل جدهم علي في خربة كفر هود · ثم رحلـــت القبيلة بعد ذلك الى غور الزرقـا ·

أما زعيمهم الحالي فهو عبد الرحمن الرحامنة ·

جـ ـ اما جد الزيادات ، المعروف باسم علوان ، فلقد اتى قبل نحو ٢٥٠ سنة من الكرك ويرجع الى بدو الامر · ويعرف عن افراد هذه العشيرة شجاعتهم · اما زعيمهم فهـــو نمـر الراضي ·

د ـ الجابرة : وهم الذين رحل جدهم ، حمدان ، قبل نحو ٣٠٠ سنة من مصر · امـــا زعيمهم الحالي فهو حسين الفارس ·

هـ ـ المحرات أو الفقهاء · ان الشيخ الاكبر لكل قبيلة العباد هو احمد العبد ابن ختلان وكفيلهم هو محمد باشا البكر · ويعرف الاول بالشيخ · اما الشيخ الاكبر ، المعـــروف بعلم العباد ، فهو زعيم وكبير قضاة القبيلة والمرجع الاخير في المسائل السياسية · امـــا الكفيل فهو الذي بيده السلطة ومن مسؤولياته تنفيذ كل الاوامر التي يقرها الشيخ الاكبر· ولقد علمت ان ليس بين قبائل عباد غرباء · مما يؤكد ان العشائر اتت من بلدان مختلفة · ورغم ان الغالبية قدمت من شبه الجزيرة العربية ، فان بعضهم قد قدم من مصر ، والبعض الآخر من طرابلس في افريقية ·

تضم قبيلة صقر عدة عشائر وكل عشيرة تضم عدة حمائل · ان بعض هـذه العائـلات هي من اصل بدوي بينما البعض الآخر عبيد وغوارنة من الغور (٣) اي الاراضي المنخفضة

(٣)-الغور تسمية تعطى لمنخفض الاردن ·

واصل العبيد من الزنوج الذين كانت القبائل قد جلبتهم كأقنان · ومـــع الوقـت ازدادت اعدادهم ثم تحرروا من العبودية واسسوا عائلات مستقلة · ومن جهته لم يستطع الشيـخ فضل العرسان المالك من تزويدي بأي معلومات عن اصل الغوارنة · وربما يعود اصلهم الى سكان الغور الذين هزمتهم قبائل صقر ثم امتزجوا بها · وتسمية غوراني هي الاشتقـاق الصحيح من كلمة غور والتي تعني سكان وادي الاردن ·

ولقد عاد بدو هذه القبيلة وانقسموا الى مجموعات ثلاث : الامراء ، الشيوخ ، والفقراء والمجموعة الاخيرة من الدراويش اصحاب الطريقة · وتعود القبائل المتفرعة من الفقراء الى قبيلة النعمات · وهم مشهورون فيالغور بمداواة داء الكلب وكذلك تغير اماكن بعـــض الاعضاء وخاصة الفك الاعلى · والفقراء هم اتباع عز الدين ابو حمرا · وهو ولي لا يزال مزاره قرب حلب ·

كما ان زعيم قبائل صقر · الشيخ فضل العرسان المالك ، هو زعيم القبائل المتفرعة امثال الامراء والشيوخ ·

وفيما يلي قائمة باسماء العشائر وزعمائها :

عشائر الامراء :

الحوابي : حسن البادي ، المحادوي : فارس ، بني ربيعة : فضل الربيعة ·

عشائر الشيوخ :

الزميل : عارف ، الوادي : حسين علي جابر ، الشلبي : محمد ، الرباح : سالم العقاب ، المفلح : عبد الله عرسان ·

عشائر البدو الآخرين : المروج : عارف · المريخ : حسن ابو صحة · الخوالد : تريخيم الحجري · البداندية : حسن الاحمد · زبيد : علي الفارس · المآدن : سليـم العبد الله · الحميد : حسين · قاروط : قاسم البلاد · الليومه : عايد · الخنيفة : سميح · الموالي : عبد الله · البشاكه : حسن السلامة · الثعالبة : حسن الفلاح · عبيد الدجانة : قاسم · السبارجة : علي عوض · الجساسمة : فايز الجسام · الشوابكة: سعد الشوياكة· الحران : بخيت · العرجات : لافي · الديوم : علي · البصيري : عبد الله البصيري · العليـات : لافي · الربيعية؛منيزل الميزان · البلادية علي محمد حسن · الغزالين : حسين غزالي · الحواروري : سلمان ·

اما عشائر عبيد فهي :

الغرير : فضيل الحمويل . عمر العبيد : عيد . الجوسان : علي · الموالي : حسن يوسف·

المرجان : حسين · العابد : محمد · الصخور : عوض المفلح · المهدي : راشد·عبـــد المهدي · البياطرة : عبد الله ·

عشائر الغوارنة تضم :

المساخ : حلوت · الجهاوسة : عيد · جرابنت : عقله الهادي ·

عائلات الفقراء :

العواتيين : محمد · الزيدان : راضي ·

وتعود عشائر الشيوخ الخمس الى قبيلة مالك والتي تنحدر من مؤسس البدو ، مالك بن صقر · ويكون شيخ عائلات الشيوخ الشيخ الاكبر لكل قبيلة صقر · ويرفع مشايخ هذه القبائل الخمس علامات من الريش على خيمهم · وتثبت هذه الريشة على العمود الاوسط للخيمة · بينما يرفع شيوخ القبائل الاخرى رايات بيضاء · بينما لا يعتمد ذلك قبائل عبيد او الغوارنة ·

اما اكبر عائلة في كل القبيلة فهي عائلة زبيد· ويفتخر بنو ربايحة بأنهم حسينية : اي انهم من سلالة الحسين بن فاطمة ابنة النبي محمد · ان التحليل الدقيق لكل الصورة السالفة يبين بوضوح أن قبائل صقر وعبيد ، والتي تعود الى جد واحد ، قد قدمت من مناطق مختلفة · ولقد عمل الزمن والحاجات السياسية على مزجهم ·

ويعمل معظم افراد قبيلة صقر في زراعة الحبوب · ولقد كانت الارض لهم · ولكن السلطان عبد الحميد استولى عليها · فمثل كثير من البدو الذين لم يتمكنوا من دفع الضرائب المتوجبة عليهم ، صادر السلطان هذه الاراضي بعد ان كان يسدد ما عليها من ضرائب للخزينة · ولقد سمح للملاك الاصليين بمتابعة العمل في زراعة ارضهم مقابل ٢٠٪ يدفعون منها ١٠٪ كضريبة و ١٠٪ للسلطان قيمة استثمار · ولقد سمحت الحكومة البريطانية للبدو بحقوقهم هذه · كما اصبح بمقدور كل بدوي ان يمتلك ارضه مقابل ١٥٠٠ ليرة فلسطينية للدونم الواحد ·

وتقع الاراضي الزراعية هذه في منطقة بيسان شرقي البلدة ، في غور بيسان وفي ضواحي بلاد الحارثي · كما ربى افراد صقر المواشي ورحلوا بها الى اماكن مختلفة مع تقلب الفصول ·

كما لا يستطيع رجال فئة معينة الزواج الا من نساء ينتمون الى فئتهم او الى عشائر من فئة دنيا · اما الامراء ، وهم النبلاء ، فكان يحق لهم اختيار زوجاتهم من اية فئة رغبوا ، والمقياس الاهم في هذه الاحوال هو الجمال · وكان مهر الفتاة العذراء العبدة يصل الى ٤٥ رأس غنم ونحو ١٠ ليرات فلسطينية · اما الارملة او المطلقة العبدة فلها مهر من ٣٠ رأس غنم وخمسة جنيهات فلسطينية · اما مهر ابنة امير او شيخ فيصل الى ٢٥٠ جنيها · بينما لا يدفع العريس في حال زواجه من ابنة عم له سوى ربع المهر · فله الافضلية باستمرار ·

اما أحتفالات الختان فكانت تقام في اعمار مختلفة ونادرا ما كانت تقام قبل الشهرين الاولين من العمر · وغالبا ما كان الاولاد يتجاوزون سن الخامسة عشرة قبل اتمام هذا الاحتفال ، وكان البدو يحتفلون بهذه المناسبة في خيم خاصة ، مثل خيم المشايخ الملاك وبيت الشيخ فارس الجاسم ، حسن ابو صحة ، المريخي ، الدويش ، وراجي بن زيدان ·

وفي منازعاتهم كان ابناء صقر يمثلون امام واحد من قاضيين ، اما فارس الجاسم في حال انتمائهم للقواسمة ، او مرعي الحسن اذا كانوا من العبيد · وكان القاضي الاول في منزلة اعظم · اما قراراتهما فكانت نافذة ونهائية · وفي حال رفضت جهة تنفيذ الحكم كان شيخ قبيلة صقر ينفذه بالقوة · وكما هي الحال في امر شيوخ العشائر فان منصب القاضي كان وراثيا ، يأتي من بعد القاضي ابنه ، وكذلك يأتي ابن الشيخ بعد وفاة والده ·

وفي حال ارتكاب جريمة قتل او اغتصاب امرأة يصبح الامر كله تحت رحمة القبيلة المجني عليها · وليس أمام الجاني سوى الالتجاء الى شيخ من أجل كسب الوقت لتسوية الامر · وغالبا ما يحتاج الجاني شيخا نافذا ، وربما احتاج الشيخ الاكبر للقبيلة · ويعرف هذا الامر « بالوجه » وفي هذا الحال فان حقوق الالتجاء محفوظة بدقة ·

وغالبا ما كانت تمتد فترة اللجوء الى اربعة او خمسة اشهر · وفي حال مخالفة احد الاشخاص لتقاليد « الوجه » او مخالفته لشروط الالتجاء وعدم احترامه شرف ومكانة الشيخ الذي يقدم الحماية ، فان هذا الشخص ينال عداوة الشيخ وكذلك القبيلة بكاملها · بينما تنفرد قبيلة « قاطع الوجه » بالانحياز له · ويصبح من الواجب على هذه القبيلة ارضاء الشيخ الذي انتهكت حرمة بيته · وتكون عقوبة « قاطع الوجه » قاسية · اذ يتوجب عليه وصل المكان الذي يقيم فيه المجرم المحمي بخيمة الشيخ « صاحب الوجه » بقافلة من الجمال البيضاء وكذلك العملة الفضية (المجيدية) وايضا القمصان البيضاء · ولما كان عمليا غير قادر على تنفيذ هذه العقوبة يصبح من الواجب عليه الهرب الى منطقة اخرى منفيا لفترة لا تقل عن سبع سنوات يعود بعدها الى عشيرته · غير ان عشيرته ملزمة قبل ذلك بانجاز « صلحة » ·

وبخصوص افراد القبيلة المحتاجين ، او الذين يعانون ضائقة مالية ، فانهم يتلقون المساعدة من افراد القبيلة · وتعرف هذه المساعدة « بالمأونة » والمناسبات التي تستوجب هذه المساعدة هي الزواج ، شراء مهرة ودفع دية قتل او اغتصاب امرأة · كما يقدم في هذه المناسبات الغنم والماعز والمال · لكن هذه المساعدة تبقى دينا على الشخص ان يسددها ·

تقدس قبيلة صقر عدة « اولياء » ويقيم هؤلاء « الاولياء » في منطقة القبيلة او في منطقة قريبة · وفي العادة تنصب الرايات البيضاء والشموع والقناديل لهؤلاء « الاولياء » والراية البيضاء مكانها دائما على القبر او على الحائط الذي يحيط الحلبة · وفي الغالب ترفع الرايات البيضاء في هذه المناطق اكثر مما ترفع في اواسط فلسطين · وتبقى الاعلام البيضاء هي الغالبة رغم انه من الممكن مشاهدة اعلام حمراء وخضراء · وعندما يعتزم شخص ما الوفاء بنذر يرافقه افراد عائلته الى المزار ويقيمون احتفالا من الرقص لعدة ساعات في اليوم ، ليوم او لسبعة ايام · ويعبرون بذلك عن امتنانهم للولي وعن سعادتهم لانه لبى نداءهم · وكما هي العادة في اماكن اخرى من فلسطين يضع بدو هذه المناطق بعض انتاجهم من القمح والشعير حول المزار وهم على ثقة ان لا احد يستطيع مسها لانها في حماية ولي الله · غير ان هذه العادة تختفي تدريجيا · واصبحت العادة هي خزن القمح والشعير في امكنة في المحيط القريب من هذا المزار يعرف بالقبو ·

وهذه قائمة باولياء قبيلة صقر :

١ ـ فخيشج · ويقع مزاره في العريضة · واهم الاولياء على الاطلاق · ويعرف مخيشج بانه نزق ينزل العقاب بكل من يسيء استعمال اسمه او يسيء اليه · وهناك رواية نموذجية عن هذا الولي النزق · يحكى ان ثعلبا اكل رأس بصل من قرب مزار ولي · وفي اليوم التالي عثر البدو على الثعلب ميتا ورأس البصل يطل من مخرجه ·

٢ ـ الخضر (في برد الله قرب طوباس) · وهو ولي قوي ورحيم ·

٣ ـ حمد الفاطور في الفاطور قرب الزراعة في الجنوب · وهو ولي غير معروف ونزق ·

٤ ـ الحلبي · ويقع مزاره في بلدة بيسان · ويحاط قبره بسور مرتفع · وهو يلي

بالاهمية الولي مخيشج · والحلبي طويل الراح يعالج الامور بروية حتى في حال الاساءة اليـــه ·

٥ ـ ارحاب · ويقع مزاره في الحمرا بالقرب من الغروانية · وهذا الولي مع الاولياء التالية اسماءهم غير معروفين باهميتهم · الا ان جميعهم من طوال الراح :

٦ ـ سليم الويسي في الحمرا ·

٧ ـ ابو فرج في الخنزير قرب الزراعة ·

٨ ـ السوباسي قرب طوباس ·

٩ ـ محمد القابو قرب الصفا ·

١٠ ـ عنتر في الحمرا ·

١١ ـ الشيخة فضة في الخنزير ·

١٢ ـ الرادجة في الرادجة قرب طوباس ·

والوليان الاخيران ، وكما يشير اسمهما ، من الاناث ·

اما بخصوص مقابر هذه القبائل فتتوزع في اماكن مختلفة · لكنها في العادة تحيط مزار الولي · ولقبائل العمري والشيوخ مقابرها الخاصة بها ·

ينقسم سكان فلسطين ، وحتى فترة قصيرة ، الى يمنيين وقيسيين · وتنتسب قبيلة صقر بدورها الى حزب اليمنيين · وهم بذلك حلفاء طبيعيون لكل القبائل والفلاحين الذين ينتمون الى هذا الحزب · وبذلك فان اي اعتداء على اية قبيلة يدفع هذه القبيلة لطلب النجدة من حلفائها ، الذين يندفعون لاسباب معنوية مقدسة للنجدة حتى ولو كانوا في امكنـــة بعيدة · ولا يزال البدو في الوقت الحاضر يحافظون بدقة على هذه التقاليد اكثر مـــن الفلاحيـــن ·

وعليه فان قبائل صقر حليفة للقبائل البدوية التالية :

اسم القبيلة	موقعها	اسم شيخها
بني صخر	منطقة السلط	مثقال بن فايز
عبيد	بلعة	ابن ختلان
الساردية	حوران	سعود الكليب بن فواز
بشاتوه	جسر المجامع	زهير المثقال
الجيبارات	منطقة غزة	محمد بن مشرف
بني حميدة	الكرك	لافي بن برز
التركمان	مرج بن عامر	رجا اليعقوب
البلاونة	عجلون	يوسف ابو زنيمة

غير ان التحالفات في الايام هذه ليست بالقوة ذاتها التي كانت عليه في الماضي · وعلى هذا الاساس فان العلاقات السياسية بين صقر وبني حميدة قد انتهت الى حد كبير رغـــم انها كانت قوية في السابق · كما ان قبائل صقر حالفت بعض قرى اليمنيين التي يرئسها بعض العائلات النافذة · ومن هذه العائلات دار جرار الذين يسكنون في سنور ، جابـه

وبرقين · وسنور كانت عاصمتهم · ولقد وقعت منازعات كثيرة بين دار جـــرار ودار عبدالهادي القيسيين · وكانت قبيلة صخر تهب لنجدة حلفائها ·

اما الاعداء التقليديون لقبائل صقر فهم الذين ينحازون للقيسية · اما اهم هذه القبائل فهي :

اسم القبيلة	موقعهـــا	اسم شيخهـــا
العدوان	بين وادي الاردن والسلط	سلطان
بني حسن	الزرقاء	شهاب الزيوري
الغزازوية	الغور شمالي بيسان	بشير الحسن
المشالخة	ابو عبيدة	محمد سعيد الفاعور
المساعيد	وادي الفرح	عبد الله الضامن
الفحاليح	النقره (حوران)	عبد الله البدحان

وتروى القصة التالية ، التي لا شك في اساسها ، كسبب للعداوة بين صقر والعدوان· هاجمت قبائل العدوان قبيلة عبيد ، التي تنتمي كما مر معنا الى قبائل صقر ، واجبرتها على ترك اراضيها وبعدها استولت على هذه الاراضي · والتجأت قبيلة عبيد الى بدو صقر واقامت عندهم لمدة اربع عشرة سنة · ووضعت قبائل صقر جزءا من ارضها تحت تصرف ضيوفهم · وبعد مضي الاربع عشرة سنة هاجمت القبيلتان قبيلة العدوان واجبرتهـــا على ترك اراضي عبيد · ومن اجل منع اي اعتداء محتمل على قبائل عبيد اقامت صقـــر عند عبيد مدة سبع سنوات ·

اما سبب العدوان بين صقر والغزازوية فيعود الى مقتل اثنين من امراء الغزازويـة على ايدي افراد من صقر ·

وكما هو الحال عند كثير من البدو ، تلعب نساء صقر دورا هاما في الحياة اليومية ، خصوصا في حالات الغزو · وتعكس القصة التالية هذا الامر · هاجمت قبيلة العـــدوان قبائل صقر قرب قرية المرحاض · في ارض بيسان · وكانت عائلة عبدالهادي واتباعهـــم من الفلاحين تدعم قبيلة العدوان · وبعد قتال عنيف اجبر افراد صقر ، الاقل عددا ، على التراجع الى وادي الشرار قرب جبل طابور بعد ان ابلوا بلاء حسنا · وكـان فـي اول المتراجعين من بدو صقر عبد يسمى بخيت الثلاجة وبدوي اخر يدعى سعيد المطلق · وعلى اطراف معسكر قبيلة صقر كانت تنتظر فتاة اسمها فضة مع بقية النسوة اخبار المعارك بفارغ الصبر · وادركت فضة من حالة الحصانين كل الامر وعلمت ان قبيلتها قد هزمت · فعملت جاهدة على اقناع الفارسين بالعودة الى ساحة المعركة لانقاذ شرف النسوة وشرف القبيلة · وصرخت قائلة : بخيت ، بخيت يا اخو فريدجة ، سعيد ، سعيد يا إخو شربة · واستدار الفارسان وقاتلا قتال الابطال مفضلين الموت على ان يخيبا نداء النسوة والعمل على انقاذهما من الوقوع في ايدي الاعداء · ولقد نجحا في النهاية من انقاذ الموقـــف ودفع العدو الى الخلف · وتمت هزيمة العدوان وحلفائهما · وتخبر صقر ان سعيد المطلق قتل نحو ٧٢ في هذه الواقعة ·

ان نخوة النسوة تثير حمية المقاتلين عند البدو · وينسب الرجل دائما بانه اخو فلانـة لان شرف وحماية اخته ، خصوصا اذا كانت عزباء ، هي من واجباته المقدسة ·

تملك قبيلة صقر عدة خيول اصيلة · ومن اهم هذه الخيول خيلة العجوز واصلها مـــن نجد · واسم عجوز منسوب الى الامراة العجوز التي ربتها · اما ام عرقوب فأخـــذت

اسمها من القصة التالية : التقى بدويان ، كانا على عداء ، في ارض صحراوية مقطوعة. وكان احدهم يمتطي حصانا يسمى مشهورا والاخر مهرة تسمى خيلة · وحسب العـــرف البدوي الذي ينص على نبذ الخصومة اذا التقى الخصوم في ارض مهجورة ، فقد اعرضـ هاذان عن عدوانهما وترجلا وتصافحا ثم تناولا وجبة مشتركة · بعدها سأل صاحب جيلة غريمه ان كان يسمح لمشهور ان يطيح مهرته · ولقد تم ذلك على شرط ان يلتقيا في المكان نفسه بعد ان تلد المهرة · ولقد اوفى صاحب المهرة بوعده بعد بضعة اسابيع من تاريـخ وضع مهرته · وكان عدوه ينتظره وهو يريد ان يحتال عليه لاخذ المهرة الوليدة · وعندما انذره بذلك تراجع صاحب المهرة ولم يستطع عدوه الامساك به · الان المهرة الوليـــدة اعاقت امها وهي تجري امامها · ولقد دفع ذلك البدوي الى ان يشهر سيفه ويضرب المهرة الوليدة على « عرقوبها » مما اجبر المهرة الوليدة على التخفيف من سرعتها · وعندمـــا وصل البدوي رحال قبيلته وجد ان الجرح لم يلامس الا الجلد · وبذلك سميت ام عرقوب واثبتت انها اسرع مهرة في القبيلة · ومن بين الاحصنة الاصيلة ايضا : كبيشة ، مناقفة، سامحة ، عبية ام جريس ، صقيلوة ، جدرامية ، مخلدية ، حدبة ، جفلة ، حمدانيـــة ، وشويمح · وهذه تأخذ اسمها من شامة على جانب من صدرها · ويقال ان اصل كل هذه الاحصنة بلاد نجد ·

ومع ان صقر هي قبيلة فقيرة حاليا وضعيفة النفوذ ، فهم يذكرون الماضـي عندمـــا كانوا يقومون بدور عظيم في سياسة تلك المناطق · اذ كان لديهم ما لا يقل عن ١٠٠٠ جدي (مهر يقل عن السنتين من العمر) بالاضافة الى نحو ١٥٠٠ خيال ونحو ٢٠٠٠ راجل · اما اليوم فلقد اجبروا تحت وطأة الفقر على بيع مناطق شاسعة من اراضيهم الخصبة · ويعمل رجالهم ونساؤهم هنا وهناك للحصول على دراهم قليلة يغطون بها الحاجات الاساسيـــة في حياتهم المأساوية ·

ت· كنعان (القدس)

نقل النص الى العربية
ناشمي طه

تقارير

اسرائيل والقنبلة الذرية

سبق لمصادر صحفية عربية واجنبية عديدة ان تناولت في الماضي موضوع امتلاك اسرائيل للسلاح الذري ٠والاشارة الوحيدة التي وردت على مستوى رسمي جاءت على لسان الاخ ياسر عرفات ـ رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ في مطلع هذا العام ٠وكانت انباء اختفاء شحنة من مادة اليورانيوم الخام ـ ٢٠٠ طن ـ في عرض المتوسط عام ١٩٦٩ قد لفتت انظار المراقبين في حينه ٠ كانت الادلة تشير الى تورط اسرائيل في العملية ، لكن بقي هامش من الغموض والتساؤل قائما بسبب احجام اي من الاطراف ذات العلاقة عن اتخاذ اي موقف علني رسمي ، سواء بالنفي او الاثبات ٠ ويبقى توقع مثل هذا الموقف امرا بعيد الاحتمال على كل حال٠

في شهر تموز الماضي برز موضوع امتلاك اسرائيل للسلاح الذري الى الضوء من جديد اثر تحقيق واسع قام به فريق « انسايت » في صحيفة « صنداي تايمز » ، نشر ملخصه في عدد الصحيفة يوم ٧٨/٦/٢٥ ونشر كاملا في كتاب بعنوان :

The Blumbat Affair : By Elaine Dauenport, Paul Eddy, Peter Gillman Published by Andre Deutsch Limited, 1978 .

بالاضافة الى تحقيق موازٍ اخر حول الموضوع نفسه اذيع على شاشة التلفزيون البريطاني BBCI في اليوم التالي لصدور الصحيفة ٧٨/٦/٢٦ ٠ في برنامج « بانوراما » ٠ لقد اوضح التحقيقان بصورة قاطعة امتلاك اسرائيل للسلاح الذري ، والاهم من ذلك ، كشفا جوانب مهمة وجديدة حول كيفية حصول اسرائيل على مادة اليورانيوم الخام ٠

خلاصة المعلومات كما وردت في التحقيق هي كالتالي :

« عندما وصل « جون هادون » رئيس جهاز المخابرات المركزية الاميركية في اسرائيل الى تل ابيب عام ١٩٦٠ ، كانت قيادته في واشنطن مهتمة بمعرفة ما يجري داخل ذلك المكان القابع في قلب صحراء النقب ، ويسمى « ديمونه » ٠ ان صور الاستخبارات والاستطلاع التي توفرت لديها ، توضح ان ديمونة لم تكن في الحقيقة مركزا صناعيا للنسيج كما كانت تدعي الحكومة الاسرائيلية تعهدت لواشنطن ان لا لفاعل ذري كان الاسرائيليون قد شيدوه بمساعدة الفرنسيين ٠ ويذكر هادون ان الحكومة الاسرائيلية تعهدت لواشنطن ان لا تكون اول من يدخل الاسلحة الذرية الى منطقة الشرق الاوسط ، وان ديمونة لن تستخدم الا لاغراض سلمية ، ومع ذلك فقد رفضت الحكومة الاسرائيلية طلب خبراء اميركيين بزيارة ديمونة ، وفرضت حولها حصارا امنيا شديدا ٠ ولكن « هادون » يذكر عدة اسباب او ادلة توفرت لدى المخابرات المركزية حملتها على الاقتناع في اواسط الستينات بان اسرائيل

تمتلك القنبلة الذرية : تطويرها لبعض الاسلحة حاملة الرؤوس النووية والحصول عليها · تدريبات الطيران الاسرائيلي على الهجوم الذري . احاديث لرسميين اسرائيليين . اضافة الى اكتشاف اثار غنية باليورانيوم حول ديمونة ·

لقد بات معروفا ان اسرائيل قامت بعمليتين على الاقل حتى الآن للحصول على اليورانيوم الخام :

العملية الاولى وتسمى Numec Diversion وهي اختصار لمؤسسة Nuclear Matials and Equipment Corporation التي تقوم معاملها في « ابولو » في بنسلفانيا · وهي ترتبط بعقود عمل مع البحرية الاميركية ، وذلك بتزويد الوقود للاسطول النووي الاميركي · وتقوم مؤسسة الطاقة الاميركية AEC بتزويدها باليورانيوم الخام اللازم لذلك ·

في بداية الستينات اكتشفت مؤسسة الطاقة ان ٢٠٠ « باوند » من اليورانيوم الخام قد اختفت من Numec وان ٢٠ « باوند » منها كافية لصنع قنبلة شبيهة بتلك التي القيت على هيروشيما · وان ١٨ شهرا من التحقيق الذي قامت به مؤسسة الطاقة الاميركية والاستخبارات المركزية الاميركية والـ FBI لم يصل الى نتائج رغم قناعة الـ سي·آي·ا والـ اف·بي·آي ان اليورانيوم قد ذهب الى اسرائيل · زلمان شابيرو مؤسس ورئيس Numec هو الذي دفع الى مثل هذا الاعتقاد · فهو صهيوني متحمس ، وغالبا ما يزور اسرائيل ويلقى معاملة الزائر الهام فيها ، ويملك شركة مشتركة مع اسرائيليين ، تتعامل بالمواد الذرية · لقد انكر شابيرو تورطه، وبرر ببساطة فقدان المادة ، اما بالفقدان في الانابيب ، او بالتلف نتيجة التخزين ! علما بأن الملفات التي يسجل فيها عادة كل غرام من اليورانيوم يصل الى معامل شركة Numec هي اما مفقودة او مفسدة بسبب الحريق ! ·

لقد اقفل التحقيق اخيرا ، وطلبت مؤسسة الطاقة الاميركية Numec ان تدفع قيمة مليون دولار كتعويض عن فقدان كمية اليورانيوم · وعلى الرغم من ان الشركة كانت على ابواب الافلاس لكنها كانت قادرة على دفع مبلغ ١ر٣ مليون دولار دون اية صعوبة ظاهرة ! لقد أمر البيت الابيض حينها بطمس القضية ، الا ان التحقيق اعيد فتحه مؤخرا في العام ١٩٧٧ بعد ان تأكد لدى الادارة الاميركية ان اسرائيل قد فرغت من انتاج القنبلة الذرية ، بعد حصولها على اليورانيوم بطرق سرية ملتوية · وقد شكلت ثلاث لجان تحقيق من قبل الكونغرس الذي اعاد فتح ملف Numec .

موريس اودال الذي ترأس احدى هذه اللجان مقتنع بان اليورانيوم قد ذهب الى اسرائيل · ومن الواضح ان الاسرائيليين قد حصلوا على القنبلة ـ في رأيه ـ في الوقت نفسه الذي فقد فيه اليورانيوم في الولايات المتحدة ، ولديه اغراءات عديدة لاجراء مثل هذا الربط ·

العملية الثانية التي حصلت فيها اسرائيل على اليورانيوم هي المسماة Plumbat Affair . ففي الساعة الثانية بعد ظهر يوم ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٨ حمل قطار خاص ٢٠٠ طن من اليورانيوم موضوعة في عدة براميل ، وفرغ حمولته على الرصيف رقم ٤٢ في ميناء « انتورب» النهري في بلجيكا · وقد حملت المادة على متن باخرة تدعى « شيرسبرغ » تحمل علم ليبيريا · بعد ١٤ ساعة كانت الباخرة تقلع الى اعالي البحر ، متجهة الى جنوه في ايطاليا ، لكن الباخرة لم تصل الى هناك·

بعد شهر من الحادث ادركت مؤسسة الطاقة النووية الاوروبية «يوراتوم» ـ وهي التي وافقت على شحن المادة ـ بانها فقدت اثر الـ ٢٠٠ طن من اليورانيوم · وذهبت جهودها لمعرفة مصير الشحنة هباء،

ولم تلق طلباتها المتكررة الى اطراف العقد بالحصول على معلومات اية نتائج ذات قيمة ٠

بعد تحقيقات واسعة في بلدان مختلفة من قبل فريقي « بانوراما » و « انسايت » في صحيفة « صنداي تايمز » كشفت التحقيقات ان اختفاء اليورانيوم كان عملية مدبرة من قبل المخابرات الاسرائيلية « موساد » ، وان الباخرة « شيرسبرغ » المراقبة بعناية من قبل المخابرات الاسرائيلية خلال ابحارها في البحر المتوسط قد التقت بقطع حربية بحرية اسرائيلية في مكان ما في اعالي البحر ، ربما في مكان ما جنوب قبرص وحولت اليها الحمولة ٠ وقد سجل بعد ذلك وصول الباخرة الى ميناء تركي Lioyds على اعتبار انها فارغة ٠

العقد بالنسبة لـ ٢٠٠ طن من اليورانيوم كان قد جرى الاتفاق عليه بين شركة « سمرا » الكيميائية ، وهي شركة المانية غربية تتعامل بالمنظفات وشركة اخرى بلجيكية كبيرة للمعادن ، Société Générale des Minérais

ان تلك الشركة الصغيرة « اسمرا » التي لم تشتر في السابق كمية من اليورانيوم قد نالت موافقة « يوراتوم » لشحن ٢٠٠ طن من اليورانيوم الى شركة ايطالية في ميلان SAICA (Societa Anonima Italiane Colori e Affina) لاجراء بعض التحويلات الكيميائية اللازمة قبل تسليمها ٠

« انريكوجاشنا » مدير الفرع الايطالي لـ « يوراتوم » والمسؤول عن التحقيق في فقدان اليورانيوم كتب الى SALCA يسأل عن اليورانيوم ولكن دون جواب ٠ لقد وضعت الشركة اللوم على البريد الايطالي لتأخره في توصيل الشحنة !ولكن سلطات ميناء جنوه نفت ان تكون الشحنة قد وصلت اصلا ٠

CIACA اوضحت اخيرا ان « اسمرا » قد الغت الصفقة وانها دفعت ٢٠ الف دولار كتعويض ، وهنا حول جاشيا اهتمامه الى « اسمرا » ٠

« هربرت شولتزن » مدير اسمرا الذي فاوض من أجل الصفقة أصر على ان شركته كانت مجرد وسيط ، وهي غير مسؤولة عن الـ ٢٠٠ طن بعد شحنها على الباخرة ، وقد اخبر جاشيا بانه ليس عميلا للمخابرات الاسرائيلية ، وان كانت له علاقات تجارية مع اسرائيل ، الا انه رفض ان يجيب او يعطي اية معلومات لمصلحة من كان يعمل ، وقال انه غير مفوض باعطاء مثل تلك المعلومات لاحد ٠ كان في مقدور « شولتزن » ان يتهرب بهذه الطريقة ، لولا ان جملة شواهد تثبت تورطه ٠ فالباخرة « شيرسبرغ » التي اشتريت في ٢٧ ايلول ١٩٦٨ وصلت الى ميناء « انتورب » البلجيكي بعد سبعة اسابيع من شرائها ٠ مالكة السفينة هي شركة « بيسكين شيبينغ » وهي شركة ليبريه ٠ تأسست ايضا منذ اسابيع فقط من ذلك التاريخ ٠ صاحب الشركة والباخرة تركي اسمه برهان يريسال وكل الدلائل تؤكد انه يعمل لمصلحة المخابرات الاسرائيلية ، ومن المؤكد ان الشخص الذي حمل اليورانيوم على باخرته عرف منذ البداية ان الباخرة لن تصل الى الجهة المحددة لها اصلا وهي جنوه ٠

لقد اصر « شولتزن » صاحب اسمرا على ان ليس هو ، بل شركة الشحن في الميناء « زيغلرز اوف بروسيلز » هي التي اختارت « شيرسبرغ » لحمل الشحنة ولكن « مارسيل واينان » وهو احد المسؤولين في الشركة يؤكد ان اسمرا هي التي طلبت منهم ذلك ٠

يريسال لا يكاد يستقر في بلد واحد ،

لا تجده في جنوه ، جنيف او استانبول ، ولكن علاقاته مع اسرائيل لا يمكن اخفاؤها ، وقد حول ملكية الباخرة لبعض الوقت الى « دان ايرت » عميل آخر للمخابرات الاسرائيلية في كوبنهاغن اثناء اتمام وشحن صفقة اليورانيوم ، وذلك في ١٦ تشرين اول ١٩٦٩ ، حيث انه بعد خمسة اسابيع استعملت الباخرة لشحن اليورانيوم ، وتزويد قوارب الحراسة الخمسة التي رافقتها بالوقود اثناء الرحلة عبر المتوسط · وهذه القوارب الحربية هي نفسها التي سبق لاسرائيل ان هربتها من « شير بورغ » في شمال فرنسا ، بعد ان جمدت فرنسا الصفقة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ·

لقد عثر فريق التحقيق الصحفي على « دان ايرت » حيث يقيم في مكان قريب من تل ابيب ، وهو عميل معروف للمخابرات الاسرائيلية عرف بعد ان اعتقل في النرويج في وقت لاحق من عام ١٩٧٣ في عملية مقتل بوشيكي العامل المغربي الذي اعتقدت المخابرات الاسرائيلية انه على حسن سلامة ، احد الاشخاص البارزين في المقاومة الفلسطينية ، والذي تعتقد المخابرات الاسرائيلية انه العقل المدبر وراء عملية ميونيخ · لقد اعطى « ايرت » المحققين النرويجيين معلومات هامة عندما اعترف بانه عميل للمخابرات الاسرائيلية وانه هو الذي كان يملك الباخرة التي اقلت اليورانيوم الى اسرائيل في ١٩٦٩ ·

لقد ادعى « ايرت » امام الفريق الصحفي انه كان يملك الباخرة منذ سنة لاغراض تجارية بحتة ، ولكن عندما ووجه بوثائق تغيير ملكية الباخرة اعترف بانه يعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية وانه كان يعمل وفقا لتعليمات قيادته · في لقائه الاخير مع الفريق الصحفي اتصل « ايرت » بالشرطة الاسرائيلية فوصل عدد منهم حيث قاموا بتحطيم كاميرا المصور ، واتلاف الفيلم ، وقادهم الى احد مراكز الشرطة للتحقيق ·

في بروكسل ، في مقر « يوراتوم » استمع الفريق الصحفي الى رأي « فيليكس ابو سير » ، احد المسؤولين في المؤسسة ، والذي كان قد اجاز الشحنة ، فذكر بان العقد الذي رفعته اليهم شركة اسمرا كان لا شائبة عليه · واعترف بان « يوراتوم » قد قررت بالفعل طمس موضوع اختفاء اليورانيوم خشية الفضيحة ، علاوة على ان الحكومات المعنية لم يكن لها مصلحة في الاعلان عن الامر ، وانها وان كانت قد قامت بتحقيقات منفصلة لحسابها ، فانها لم تعلن شيئا ·

في العام ١٩٧٧ قدرت المخابرات المركزية الاميركية ان اسرائيل تمتلك بين ٢٠ ـ ٣٠ قنبلة ذرية ، ولكن التوجه الرسمي المعلن هو انها لن تكون البادئة في استخدام الذرة في الصراع المحتدم في المنطقة · لكن في تقدير الفريق الصحفي ان وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان يحبذ السياسة الذرية العلنية لاسرائيل ، وذلك لان اسرائيل في رأيه لن يكون في مقدورها الاعتماد طويلا على الدعم القادم من الولايات المتحدة بسبب ميل الاميركيين الى محاولة الظفر بدعم العرب للدولار · ووجهة نظر دايان تقوم على اساس ان حصول اسرائيل على القنبلة الذرية هو البديل لسباق التسلح مع العرب ، الامر الذي لا تستطيع اسرائيل مجاراته في المستقبل · على اي حال فان معظم الاستراتيجيين الاسرائيليين لا يشاركون دايان هذا الرأي ، ويرون ابقاء موضوع القنبلة الذرية تحت السطح كاحتياط لمواجهة اية محاولة اخرى تفرض على اسرائيل بعد الوصول الى شكل من الحل النهائي الان ، اي بعد تقرير مصير الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ·

يبقى بعد نشر التحقيقين السالفين ان هناك اسئلة كبيرة ظلت عالقة ، سواء من حيث الحقائق التي تكشف عنها التحقيق، او من حيث الاثار التي يمكن ان تتركها حقيقة امتلاك اسرائيل للذرة على النزاع العربي ـ الاسرائيلي · فالتحقيق لم ينجح في ازالة ذلك التقدير في تورط جهات رسمية غربية رغم ذلك العرض المشوق الصحفي لانجازات المخابرات الاسرائيلية · والملاحظ انه في المناسبتين اللتين حصلت فيهما اسرائيل على اليورانيوم ، صدرت قرارات عليا بطمس الموضوع ، سواء من قبل « البيت الابيض » في المناسبة الاولى، او من قبل مؤسسة الطاقة النووية الاوروبية في المناسبة الثانية ·

ان ذلك التبرير المتهافت الذي جاء على لسان « جون هادون » المسؤول المحلي للمخابرات المركزية الاميركية في اسرائيل، من ان اسرائيل ليست هي الطرف الاول الذي يدخل السلاح الذري الى منطقة الشرق الاوسط ، على اعتبار ان الاميركيين والسوفيات هناك اصلا ، يعكس تفكيرا خطيرا اذا ما كان سائدا لدى صانعي القرار في الادارة الاميركية ·

الى اي مدى سيكون في مقدور اسرائيل استخدام سلاحها الجديد خارج معادلة الرعب النووي التي تحكم التوازن المتبادل في العالم بين القوتين الاعظم ؟ واذا صح التقدير انه لن يكون في مقدورها استخدام ذلك ، فما هي النتائج التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها اذن ؟ ·

ان العديد من المراقبين هنا يربطون بين الموقف المتزمت الذي تتخذه الحكومة الاسرائيلية ازاء محاولات احلال السلام في المنطقة ، وبين امتلاكها للسلاح الذري · قد يكون في هذا قدر كبير من الصحة اذا اخذنا بالاعتبار امرين : مسلك اسرائيل التي تتصرف كولد شقي متمرد على الاسرة الدولية باجمعها بما فيها الولايات المتحدة الاميركية ازاء محاولة اقناعها بالتخلي عن الاراضي العربية المحتلة · ثانيا ، اجواء الحرب الباردة التي يعمل على افتعالها من جديد بعض صانعي السياسة الاميركية ، من شأنها ان تشجع اسرائيل على انتهاج سياسة « حافة الهاوية » ، وايقاع الرعب النفسي لدى العرب لحملهم على مزيد من التنازل والاستسلام لشروطها في الهيمنة والتوسع ·

هنا ، ثمة حقيقة لا بد ان يأخذها العرب بعين الاعتبار ، وهي ان في ظل التوازن القائم من الرعب النووي خيضت حروب واسعة كبيرة في مناطق عديدة من العالم منذ نهاية الحرب الكونية وحتى الآن · وامكن لشعوب كثيرة ان تتحرر وتنال استقلالها · والسلاح الذري مسألة ذات حدين اذا احسن العرب تقدير خطواتهم في الاتجاه الصحيح ، ورفضوا الانصياع للابتزاز الاسرائيلي ومطالب الاميركيين ، والاتجاه نحو تعميق التحالف مع الاصدقاء الطبيعيين لقضيتهم من الدول والقوى الصديقة في المعسكر الاشتراكي ·

ان غاية ما تسعى اليه اسرائيل هو ان يقع العرب فريسة الخوف والتردد والارتداد عن القتال بعناد ، دون حقهم في استرداد المناطق العربية المحتلة والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، واذا كانت استهانة العرب بحصول اسرائيل على القنبلة الذرية هي خطيئة كبرى ، فان الخطيئة التي تفوقها فداحة هي ان يفقد العرب توازنهم المطلوب، ويقعوا فريسة الخوف المعنوي والنفسي الذي تسعى اسرائيل الى تحقيق ما تريده في ظل اجوائه ·

ع·م·

لندن

شهادات

مع عز الدين قلق

اللقاءات الاولى التي جمعتني بعز الدين قلق ، هي التي حددت ، نوعية العلاقة بيننا فيما بعد · واكتشفنا بسرعة ، من خلال الثقة المتبادلة ، مجموعة قواسم مشتركة ، شكلت حجر الاساس لصداقة متنامية، قطعت بعنف في يوم مأسوي، هو الثالث من شهر آب١٩٧٨·

في حزيران ١٩٧٥ ، كنت اعرض اربع لوحات في مهرجان سياسي نظمه تجمع الفنانين المعادين للفاشية · وتشاء الصدفة ان تعرض لوحاتي الاربع في الركن المخصص لفلسطين· هنا قدم لي عز الدين القلق نفسه ، وابدى دهشته وفرحه لاكتشافه عملي هذا · ثم نظر الى اللوحات طويلا ، مستفسرا وغير متردد في ابداء الملاحظات على احداها · فقد وجد انها غير ملائمة ، اذ كانت تمثل مصارع ثيران ، تعلوه الاعلام الاسرائيلية والاميركية ·

وفي المساء ، واثناء تناولنا طعام العشاء سويا ، سألني عما اذا كنت قد وضعت لوحاتي في مكان امين خلال الليل · ولما اجبته بالنفي ، ذهل من اهمالي · لقد كان محقا · اذ فقدت في اليوم التالي اثنتين من لوحاتي · وانا اعتقد ان هذه الخسارة قد احزنته اكثر مما احزنتني ·

في تلك الفترة ، كنت سكرتيرا عاما في صالة الرسامين الشباب · واطلعته على رغبتي في تأسيس تجمع للفنانين من اجل فلسطين ، فابدى تأييدا وحماسة · ومن دون مساهمته لم يكن هذا التجمع ممكن التحقيق · فقد جاءنا بالقروض ، وشجعنا على هذه المبادرة ، وسهل لنا نشاطاتنا عبر امدادنا بكل ما يلزم · واسدى الينا النصح مع احترامه للبحث الشخصي · ولم يتردد في توجيه النقد الى التصوير المبتذل والمكرر · كما كان صارما بالنسبة للمضمون السياسي لاي عمل · واذكر على سبيل المثال انه كان قد طلب مني اعداد ملصق بعنوان « الصهيونية شكل من اشكال العنصرية » ، فرسمت فيه نجمة داوود محاطة بالاسلاك الشائكة · اشار عز الدين الى ان هذا الغموض سوف يساء تفسيره · فقد كان ضد استخدام الرمز الديني من اجل محاربة الصهيونية ، ويفضل الموضوعات التي تظهر مستقبل البناء او الثقافة او الارض الفلسطينية ، على الرسوم العدوانية ·

اما بالنسبة الى علاقته بالفنانين العرب ، فقد كان يحثهم على القيام بابحاث من اجل استخدام افضل للخط العربي ، انه يمثل ، كما يقول ، التعبير الخاص بثقافتنا ·

كان يهتم بالملصقات اهتماما خاصا · مشيرا الى ان الثورة الفلسطينية قد انتجت صورا اكثر من اية ثورة اخرى في العالم · وان عائلات الشهيد واصدقاءه ، يصرون على طبع صورته ولصقها في كل شوارع قريته ·

منذ وصوله الى فرنسا ، كان عز الدين يقوم بجمع معظم الملصقات التي تطرح المسألة الفلسطينية · فقد كان يريد طبعها في كتاب · وفي ساعات راحته القليلة ، كان يبحث عن تاريخ الملصقات · وفي سبيل دراسة مختلف تقنيات الطباعة ، لم يهمل معرضا · لم يكن يريد الاكتفاء بتصنيف الملصقات زمنيا ، او كتابة تاريخ فلسطين من خلالها · بل كـــان يفكر في تحليلها بعمق ، وتصنيفها تبعا للمدارس المختلفة ·

كيف امكن لهذا الرجل ، المهدد دائما والمثقل بالاعمال اليومية ، ان يجد الوقت الكافي للبحث ، في الاسواق القديمة وفي الدكاكين ، عن اثر خطي يصور قضيته · هكـذا اقتنى مجموعة ضخمة من البطاقات البريدية ابتداء من اول القرن · فكانت اثباتا لا يقبل الجدل لوجود الشعب الفلسطيني على ارضه · كما شكلت برهانا اخر على كذب الاسطورة القائلة ان فلسطين كانت صحراء قبل العام ١٩٤٨ · وكان يعمل جاهدا في سبيل تنسيق هـــذه البطاقات في ملفاته ، آملا ان تصبح هذه الاوراق جزءا من متحف فلسطين ·

لقد ناقشنا كثيرا ، احتمالات تحقيق هذا المتحف ، والشكل الـــذي يمكن ان يتخذه ، مستفيدين من تجربة متحف سلفادور الندي ·

وفي نيسان ١٩٧٨ ، اخذت هذه المبادرة شكلها الواضح في بيروت · وقد ساهم عز الدين في هذا العمل ، داعيا الى اجتماع حضرته مجموعة من الرسامين · كما كلفني بالقيـــام بمساعدة منى السعودي في تجميع اللوحات · وارسل ملخصا عن مشـروع المعرض الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، مضيفا اليه اقتراحاته ·

كما جهز ملفا خاصا بالفن التشكيلي ، جمع فيه جميع الوثائق المرتبطة بالقضيـــــة الفلسطينية ، قصاصات الصحف ، بطاقات الفنانين ، جداول ، رسائل الخ ·

وكان يريد ان ينظم حفل استقبال ، يشكر فيه الفنانين المقيمين في فرنسا ، والذين ساهموا في المعرض الدولي من اجل فلسطين · غير ان قاتليه لم يمهلوه لانجاز هذا العمل ومشاريع اخرى * ، مثل فيلم قصير حول الرسم الفلسطيني والثورة · والذي طلب في سبيل انجازه ، من اصدقائه السينمائيين ، تصوير مجموعة كبيرة من اللوحات ·

لم يسبق لي ان التقيت برجل سياسي ، له هذا القدر من الاهتمام بالثقافة كعز الديـــن القلق · فقد عرف كيف يفهمها ويقدر استخدامها من اجل قضيته · كان يقول ان علـــى الفلسطينيين اثبات ان لهم ثقافة غنية وتراثا طويلا لم ينقطع ، وهو جزء من التـــراث الثقافي التقدمي في العالم ·

ان هذا المناضل ، الذي قام بعمله السياسي والدبلوماسي حتى النهاية ، ودون خضوع ، عرف كيف يضيف وجها جديدا الى المقاتل ·

كلود لازار

باريس ، ١١ آب ، ٧٨ ·

---

* كان يأمل في وضع عمل جماعي ، يشترك فيه رسام ومهندس معلوماتي ، يكون اول ملصق سياسي بواسطة الكمبيوتـــر ·

شهريات

المقاومة الفلسطينية

[١] الوضع الفلسطيني الداخلي

تميز الوضع الفلسطيني الداخلي خلال هذه الفترة ببعض التوترات التي ترافقت مع حوار موسع حول قضية الوحدة الفلسطينية داخل كل فصيل من جهة ، وبين الفصائل مجتمعة من جهة اخرى ٠

التوتر الاول كان بين فتح ومنظمة « جبهة التحرير الفلسطينية » في منتصف تموز ، اثر اقدام هذه الجبهة على اعتقال مجموعة من جنود القوات الدولية في منطقة صور ، وقد قامت قوات من فتح بالتحرك لاطلاق سراح الجنود المحتجزين جرى فيه اشتباك سريع مع عناصر الجبهة ٠ وعقد ابو العباس احد قادة الجبهة مؤتمرا صحافيا في صور (٧/١٦) اكد فيه « ضرورة عدم اراقة الدم الفلسطيني » وذكر ان قرار اعتقال الجنود الدوليين انما هو قرار اتخذته جبهة الرفض مجتمعة ولم تنفرد به جبهة التحرير الفلسطينية ، واوضح ان الهدف منه كان « اطلاق سراح رفاقنا المحتجزين لدى القوات الدولية في دير عامص » ٠

والتوتر الثاني تم حين اطلق مسلحون النار في بيروت على الزميل حنا مقبل أمين سر اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، واصابوه بجراح طفيفة (٧/٢٥) ٠ وقد نظم الصحافيون والكتاب اعتصاما في مقر الاتحاد استنكارا للحادث ، واصدرت خمس اتحادات فلسطينية (٧/٢٧) بيان ادانة للمحاولة ٠

وشهد مطلع شهر اب التوتر الثالث في مخيم البداوي حيث حصل اشتباك بين فتح وبعض المنظمات ، قامت قوات فتح على اثره باحتلال مكاتب المنظمات ٠ وترأس عرفات (٨/٢) اجتماعا لفصائل المقاومة اتفق فيه على تطويق الحادث والتحقيق في أسبابه ٠

وفي ظل هذه الاجواء جرى الحادث المروع في منطقة الفاكهاني : حيث ادى انفجار هائل في منتصف ليل ٨/١٣ الى انهيار مبنى كامل على من فيه من الفدائيين والسكان الفلسطينيين واللبنانيين ، وتهدم بسبب ذلك ايضا جزء من مبنى مجاور للمبنى المهدوم ٠ وقد بدأت المقاومة على الفور عملية ازالة للانقاض وانتشال للجثث استمرت اسبوعا كاملا ، تم فيها انتشال ١٨٦ جثة ، وانقاذ سبعة احياء فقط ، كان من بينهم ٣٧ شهيدا لجبهة التحرير الفلسطينية ، و ١٦ شهيدا لحركة فتح ٠ وقد سارعت وكالات الانباء الاجنبية على الفور لاعلان الحادث جزءا من الاقتتال الفلسطيني الداخلي ، ولكن جبهة التحرير الفلسطينية تعالت على جراحها ، وسارعت الى اصدار بيان رسمي يواجه هذه الحملة ، و « يرفض اتهام اي طرف

فلسطيني بالحادث » (٨/١٣) ، ثم اصدرت بيانا اخر (٨/١٤) نفت فيه « بان يكون اي طرف فلسطيني وخاصة فتح وراء العملية » ، واجرى طلعت يعقوب الامين العام للجبهة مقابلة تلفزيونية اعلن فيها « ان هذه العملية نظمتها قوى من خارج المقاومة » . وأدلى يعقوب بتصريح اخر (٨/١٥) نفي فيه اي علاقة لسوريا بالحادث . وكانت اذاعة الكتائب قد نقلت عن بعض وكالات الانباء ان تنظيم الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة هو الذي نفذ حادث المبنى، ولكن القيادة العامة سارعت الى تكذيب هذه الانباء (٨/١٤) وقالت في تصريح رسمي « ان لنا بين الضحايا رفاقا وعائلات رفاق » ، وساهمت هذه المواقف مجتمعة ، وخاصة مواقف « جبهة التحرير الفلسطينية » في تقليص تفاعلات الحادث، ومنع اي طرف من استغلاله ضد المقاومة رغم الالام التي انطوى عليها . وكان صائب سلام قد اصدر فور الحادث بيانا دعا فيه الى « جعل بيروت وضواحيها مدينة خالية من الذخائر والاسلحة والمسلحين لدرء اخطار مثل هذه الفاجعة» محاولا الايحاء بان سبب الحادث انفجار مخزن ذخيرة لجبهة التحرير الفلسطينية في المبنى ، ولكن الجبهة سارعت مرة ثانية الى اصدار بيان (٨/١٥) ينفي وجود اي مخزن للذخيرة في المبنى .

وكانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير قد اجتمعت فور الانفجار واتخذت تدابير لمنع تكرار مثل هذا الحادث ، وشكلت لجنة فنية للتحقيق تضم عناصر من جبهة التحرير وفتح والكفاح المسلح الفلسطيني ، ولكن اللجنة لم تستطع البدء بالتحقيق الا بعد ازالة انقاض المبنى ، ولم يصدر اثناء ذلك اي اتهام لاي جهة بتدبير الحادث باستثناء ما أعلنته صحيفة « فلسطين الثورة » من اتهام المخابرات الاميركية والاسرائيلية بتدبير الحادث .

ولكن هذه الاحداث الفلسطينية المتوترة لعبت دورا ايجابيا في تكثيف حوار الوحدة الوطنية الفلسطينية ، وبعد ان قدمت خمس منظمات (جبهة الرفض والجبهة الديمقراطية) مذكرة الى حركة فتح ، عكفت فتح على اعداد رد على هذه المذكرة أسفر عن مشروع للوحدة الوطنية قدم الى كافة الفصائل الفدائية ، والى اعضاء المجلس المركزي الفلسطيني (٨/٩) .

وقد استند مشروع حركة فتح من الناحية الفلسطينية الى بندين :

اولا : الوحدة العسكرية ، وتبنى مشروع فتح في هذا المجال قرارات اللجنة العسكرية للدورة الثالثة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني . وهي قرارات تدعو الى :

١ ـ توحيد القوات المقاتلة لجميع فصائل الثورة الفلسطينية ، بما في ذلك الكفاح المسلح الفلسطيني وقوات المليشيا وجيش التحرير الفلسطيني ، في قوات تسمى « الجيش والقوات المسلحة للثورة الفلسطينية » .

٢ ـ يتكون هذا الجيش من قوات نظامية وشبه نظامية ومليشيا .

٣ ـ يكون رئيس اللجنة التنفيذية هو القائد الاعلى لهذه القوات .

٤ ـ يتشكل مجلس عسكري اعلى برئاسة رئيس اللجنة التنفيذية ، يضم قادة المنظمات العسكريين ، والقائد العام ، وقادة القوات الثلاث النظامية وشبه النظامية وقوات المليشيا .

ثانيا : اللجنة التنفيذية ، ويقترح مشروع فتح الاتفاق بين الفصائل على

اعادة تشكيلها حسب توزيع ثلاثي ،تنال فيه فتح نصيب الثلث ، والثلث الثاني للمنظمات على اساس ممثل واحد لكل تنظيم من التنظيمات الموجودة داخل منظمة التحرير ، والثلث الثالث للشخصيات الوطنية المستقلة ، بالاضافة الى رئيس اللجنة التنفيذية . واعلنت فتح انها مستعدة لان تتنازل عن بعض مقاعدها لصالح الشخصيات المستقلة ، على ان يتم ذلك على اساس الانتخاب المباشر من قبل المجلس الوطني الفلسطيني .

اما في صدد الاقتراح التنظيمي الذي دعت اليه مذكرة المنظمات الخمس ، والذي يدعو الى تشكيل هيئة تضم الامناء العامين للمنظمات وتكون مسؤولة عن صياغة القرار السياسي الفلسطيني ، فقد دعا مشروع حركة فتح الى تكريس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير كقيادة للعمل السياسي ، ودعت فتح المنظمات الاخرى الى الاقتداء بها وتعيين الامناء العامين ممثلين لتنظيماتهم في اللجنة التنفيذية .

اما الجانب السياسي من مشروع فتح فركز على عدد من المبادىء العامة ابرزها : التحذير من مخططات القوى المعادية الهادفة الى ضرب الثورة من الداخل ، بعد ان فشلت محاولات تصفيتها من الخارج ، ورفض كل التسويات الاستسلامية والتسوية الاميركية ـ الاسرائيلية خاصة ، وادانة مبادرة السادات ، والدعوة الى اعادة النظر في العلاقات العربية ـ الاميركية ، والى تحديد مفهوم التضامن العربي على اساس نضالي . ودعا المشروع الامة العربية الى الالتفاف حول مفهوم الكفاح المسلح للتحرير ، واعلن رفض فكرة الوطن البديل وفكرة التوطين التي عادت للبروز .

وكان المجلس المركزي الفلسطيني قد اجتمع في دمشق (٧/١٩) واصدر بيانا اكد فيه على « اهمية قيام الوحدة الوطنية على اسس ديمقراطية سليمة ، ووفق برنامج سياسي يستند الى مقررات المجالس الوطنية » . ودعا بيان المجلس الى اجتماع يعقد خلال اسبوعين وتحضره اللجنة التنفيذية والامناء العامون للفصائل وبعض اعضاء المجلس المركزي، للتوصل الى مشروع للوحدة الوطنية يعرض على المجلس المركزي في اجتماع يخصص لهذه الغاية .

نشاط المقاومة السياسي

توزع نشاط المقاومة السياسي خلال هذا الشهر على الاصعدة اللبنانية والعربية والدولية .

فعلى الصعيد اللبناني قام ياسر عرفات بزيارة رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص وبحث معه وضع قوة الجيش اللبناني الذي توجه الى الجنوب وتمركز في كوكبا (٧/٣٠) ، وعجز عن متابعة سيره الى تبنين حسب الخطة المقررة بسبب رفض الميليشيات اليمينية لذلك ، بينما قامت المقاومة وقوات الحركة الوطنية بالترحيب به وتسهيل مروره نحو هدفه .

وعلى الصعيد العربي قام عرفات بزيارة الرئيس حافظ الاسد مرتين ، الاولى في (٧/١٩) حيث بحث معه نتائج اجتماع المجلس المركزي الذي عقد في دمشق ، بالاضافة الى الوضع في لبنان، واسلوب دعم جبهة الصمود والتصدي ، والثانية في (٨/١١) ، حيث تم هذا اللقاء بحضور كل من صلاح خلف وفاروق القدومي ومحمد غنيم من الجانب الفلسطيني ، وعبدالحليم خدام وحكمت الشهابي من الجانب السوري .

كما قام صلاح خلق من جهته بزيارة

للكويت قابل اثناءها امير الكويت الشيخ جابر الاحمد (٧/١٩) ، وادلى بحديث صحافي تحدث فيه عن خطورة الوضع في لبنان ، وعن مبادرة السادات ، وعن استعداد المقاومة للحوار مع النظام الاردني ، شرط ان يوافق النظام الاردني على السماح لمنظمة التحرير بالعمل من اراضيه . وفي (٧/٢٤) قابل ابو اياد وزير الدفاع الكويتي ، وادلى في (٨/١٤) بحديث لصحيفة « الوطن » الكويتية اعلن فيه ان الفلسطينيين « مستعدون لتقديم تنازلات تنظيمية للمساهمة في اعادة السلام الى لبنان ، وهي تنازلات لا تمس اتفاق القاهرة ، ولا تؤثر على استراتيجيتنا للتحرير » .

أما على الصعيد الدولي فقد قام عرفات بزيارة الى هافانا (٢٦ / ٧) حيث كان ضيف الشرف في مهرجان الشباب العالمي الذي عقد هناك ، واجرى خلال ذلك محادثات مع كاسترو ، وعقد مؤتمرا صحافيا كشف فيه النقاب عن وساطة فلسطينية بين اثيوبيا والثورة الاريترية ، وتوقف عرفات اثناء توجهه الى هافانا في موسكو ، حيث شارك في افتتاح المقر الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية في احتفال رسمي شارك فيه عدد من المسؤولين السوفيات ..

وشارك نايف حواتمة امين عام الجبهة الديمقراطية في نشاط المقاومة الدولي بزيارة قام بها لبلغاريا (٧/١٨) اجرى خلالها مباحثات مع المسؤولين هناك ، ثم انتقل بعدها الى كوبا للمشاركة في مهرجان الشباب ، حيث اجرى مباحثات رسمية مع كاسترو (٨/٥) ، انتقل بعدها الى موسكو وعقد مباحثات مع اوليانوفسكي عضو اللجنة المركزية .

ولكن ابرز النشاطات على هذا الصعيد كانت زيارة وفد من حركة فتح للاتحاد السوفياتي للمرة الاولى . وقد بدأت الزيارة يوم (٧/٢٦) بوفد مكون من محمود عباس (ابو مازن) وصلاح خلف (ابو اياد) وخالد الحسن (ابو السعيد) ونمر صالح (ابو صالح) . وبدأ الوفد مباحثاته الرسمية في ٨/١ بعد ان انهى جولة على عدد من المدن السوفياتية ، وصدر عن نتائج المباحثات بيان صحافي (٨/٩) ركز على جبهة الصمود والتصدي واعتبرها « وسيلة مهمة لمعارضة الحلول الاستسلامية » ونديد بسياسة السادات، واشار الى « اهمية تعزيز منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي للشعب العربي الفلسطيني تعزيزا شاملا ، على اساس ديمقراطي معاد للامبريالية » . وادلى خالد الحسن لوكالة « تاس » بتصريح صحافي اعلن فيه (٨/٩) ان المباحثات « تميزت بالصراحة التامة وسادتها روح الصداقة ..... واتفاق وجهات النظر في تحليل الوضع في الشرق الاوسط » . وفي اليوم نفسه، تلقى عرفات رسالة من القادة السوفيات لم يكشف مضمونها .

عمليات الداخل

واصل الفدائيون عملياتهم داخل الاراضي المحتلة بتسارع مضطرد يكاد يصبح بتواصله واستمراره ظاهرة متميزة في مسيرة العمل الفدائي . ففي (٧/١٨) انفجرت عبوة ناسفة في ناتانيا . وفي (٨/٣) فجر الفدائيون عبوة ناسفة داخل سوق الكرمل في تل ابيب ، اعترفت اسرائيل بمقتل شخص واحد فيها واصابة ٤٩ شخصا بجروح ، وردت على هذه العملية فورا بغارة جوية قرب الدنبطية ادت الى جرح بعض الاشخاص فقط . وفي ٨/٥ وقع انفجار داخل مصرف اسرائيل في مدينة

الخليل · وفي (٨/٧) اعلنت اسرائيل انها اعتقلت خمس شبكات فدائية في الضفة الغربية وان هذه الاعتقالات ادت الى اكتشاف مخابىء للاسلحة والمتفجرات · وفي (٨/١٢) وضع الفدائيون عبوتين ناسفتين في مدينة القدس ، انفجرت الاولى في مركز مراقبة سياحي في جبل الزيتون ، بينما اكتشفت العبوة الثانية في باب الخليل وتم تعطيلها · وفي (٨/١٤) انفجرت شحنة ناسفة قرب محطة اوتوبيس مخصصة للجنود فيطريق الخليل ـ القدس · وقد اعترفت اسرائيل بكل هذه العمليات ، واصدر الناطق العسكري باسم قيادة الثورة بيانات رسمية بها ·

العلاقات الفلسطينية ـ العراقية

بعد اغتيال علي ياسين مدير مكتب منظمة التحرير في الكويت واندلاع الخلاف الفلسطيني ـ العراقي ، تطور هذا الخلاف الى عمليات عنف متبادلة في العديد من عواصم العالم ، فيما رفعت منظمة التحرير من وتيرة هجومها السياسي على العراق · وقد واصل العراق عمليات الاغتيال لممثلي منظمة التحرير ، كما واصل اعلان دعمه لمجموعات ابو نضال التي تقوم بتنفيذ هذه العمليات · ومع ان احتدام الصراع افرز بعض محاولات الوساطة ، الا ان هذه الوساطات لم تثمر حتى الان ·

وقد بادر ابو اياد في ذكرى اربعين علي ياسين في الكويت الى الاعلان عن ان الثورة « ستضرب اي مخطط يستهدف تفجير الساحة الفلسطينية من الداخل »· (٧/٢٤) ، ودعا العراق الى الحوار مع فتح لتسوية الخلافات ، وناشد كوادر العراق المضللة ان تنضم للثورة الفلسطينية وان تترك التعاون مع اجهزة الاستخبارات العربية واقترح على العراق ان تثبت حسن نواياها باغلاق اذاعة « فلسطين الثورة » من بغداد · وفي هذه الاثناء القيت قنبلة على السفارة العراقية في بروكسل ببلجيكا (٧/٢٤) ، ووضعت متفجرة تحت سيارة السفير العراقي في لندن (٧/٢٨) ، واعتلقت في الحادث سيدة تبين انها خلود المغربي شقيقة الشهيدة دلال المغربي التي قادت عملية تل أبيب الشهيرة · وفي (٣١ـ٧) ، اقتحم مسلحان سفارة العراق في باريس واحتجزا بعض الرهائن داخلها ثم استسلما بعد وساطة من السفراء العرب دون ان يصاب احد بأذى · ولكن حرس السفارة العراقيين قاموا فور انتهاء الحادث باطلاق النار على المهاجمين وعلى البوليس الفرنسي ، فقتل احد المهاجمين وضابط شرطة فرنسي ، واصيب ممثل الجامعة العربية بجراح ، فردت الشرطة الفرنسية على اطلاق النار فقتلت حارسا عراقيا واعتقلت ثلاثة اخرين ، وادى الحادث الى ازمة دبلوماسية حادة بين العراق وفرنسا قامت السلطات الفرنسية في نهايتها بتسفير حرس السفارة الثلاثة بعد مظاهرة نظمها رجال الشرطة احتجاجا على مقتل زميلهم ·

ووقع هجوم مسلح اخر على سفارة العراق في كراتشي (٨/٢) ادى الى جرح مسؤول عراقي وشرطي باكستاني ، ورد حرس السفارة فقتل أحد المهاجمين بينما قام الدبلوماسيون باعتقال المهاجم الثاني ·

وفي (٨/٣) قام شخصان هما : حاتم عبدالقادر واسعد فايد بالهجوم على مكتب منظمة التحرير في باريس بالقنابل اليدوية والاسلحة الرشاشة ، واسفر الحادث عن استشهاد المناضل عزالدين القلق مدير المكتب ومساعده عدنان حماد ، واصيب ثلاثة اخرون بجراح هم : عواد جواد وحماد شوقي وبسن صادق (تونسي) · وفي اليوم التالي

اعترف القاتلان في التحقيق انهما ينتميان الى جماعة ابو نضال في العراق · وقد اثار هذا الحادث موجة واسعة من الاستنكار ، واتهمت منظمة التحرير العراق رسميا بتدبيره ، وصدرت مواقف ادانة له من وزارة الخارجية الفرنسية ومن اتحاد نقابات العمال الفرنسي ، ومن الحركة الوطنية اللبنانية · اما على الصعيد الفلسطيني فقد صدرت مواقف ادانة له من: حركة فتح ، الجبهة الشعبية ، الجبهة الديمقراطية ، جبهة التحرير الفلسطينية ، جبهة الرفض ، اتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين· وتلقى عرفات عددا كبيرا من برقيات التعزية الرسمية والشعبية · اما الحكومة العراقية فاصدرت بيانا ينفي مسؤوليتها عن الحادث · وبعد يومين (٨/٥) هاجم اربعة مسلحين يتحدثون باللهجة العراقية مكاتب منظمة التحريرفي مدينة اسلام اباد الباكستانية ، فقتلوا طالبين (عمر حنجر ومحمد حسين ، وعامل اللاسلكي (سعد ابو نعسه) وحارس شرطة باكستاني ، بينما تمكن المهاجمون الاربعة من الهرب · وقد ترأس عرفات على الفور اجتماعا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وصدر عن الاجتماع بيان يتهم العراق بالحادث وبانه يتصرف « بعقلية العصابات الارهابية » ·

وقد شيع القلق في دمشق ، (٨/٦) في مأتم شعبي ورسمي حاشد والقى عرفات كلمة في المشيعين اتهم فيها العراق بانسعي لايادة قيادة منظمة التحرير ، وقال ان هذه المحاولات لن تنال من جبهة الصمود والتصدي ·

وفي مهرجان تأبين عدنان حماد في بيروت قال عرفات (٨/٨) ان الخلاف السياسي بين منظمة التحرير والعراق يعود الى عام ١٩٧٠ (اي انسحاب الجيش العراقي من المفرق ابان مجزرة ايلول الاردنية) ، وركز على ان محاولات جرت لتوريط الثورة مع قوات الامم المتحدة في لبنان ، ومحاولات اخرى لاحداث صراع فلسطيني ، ولكن هذه المؤامرات فشلت كلها وبقيت البندقية واحدة · وكانت الدائرة السياسية في منظمة التحرير قد وزعت مذكرة على السفارات العربية والاجنبية في بيروت (٨/٧) اتهمت فيها العراق بتنفيذ الاغتيالات ، وبان العراق يحاول استدراج منظمة التحرير الى ردود فعل مماثلة ، وان المنظمة ستعالج التطورات من موقع الحرص على عدم الاستجابة للاستفزازات وبروح المسؤولية الوطنية والقومية · وطالبت المذكرة الدول باعلان موقف من الاعمال العراقية ·

اما رد فعل العراق الرسمي على كل هذه القضايا فقد عبر عنه طارق عزيز (٨/٦) عضو مجلس قيادة الثورة بالعراق بقوله : ان خلاف العراق مع منظمة التحرير ومع فتح هو خلاف سياسي حول نهج التسوية السياسية الذي بدأ منذ عام ١٩٧٣ · وذكر ان العراق اقترح على عرفات اجراء حوار ولكن عرفات رفض ذلك بعد اغتيال علي ياسين · واعترف ان العراق يساند مجموعة ابو نضال « سياسيا »و قال « اذا كان ما فعلوه صحيحا فنحن غير مسؤولين ، وابو نضال هو الذي يتحمل المسؤولية ، وهو وحده يسأل عن ذلك »· واوضح ان العراق « يتعامل مع ابو نضال باعتباره يمثل تنظيما مستقلا، وليس باعتباره ممثلا لمنظمة التحرير »· وختم حديثه بالقول ان العراق مستعد للحوار مع المنظمة ولكن « ليس في ظل الاتهامات والاعمال العدوانية » ·

وسافر الى بغداد في (٨/٨) وفد من الحركة الوطنية اللبنانية في محاولة للقيام بوساطة بين العراق والمنظمة ،

بينما كان ممثلو كافة الفصائل الفدائية يلتقون في ذكرى اسبوع عزالدين القلق (٨/١٠) في مأدبة افطار اقامتها دائرة العلاقات الخارجية ، ألقى ابو اللطف اثناءها كلمة دعا فيها الى اسقاط الحوار بالرصاص الى غير رجعة « ولنقل نعم للوحدة الوطنية » ، ورد احمد اليماني (ابو ماهر) من الجبهة الشعبية بكلمة أكد فيها الحرص على الوحدة الوطنية والحوار الديمقراطي ٠

[٢] حوار الوحدة الوطنية

استمر موضوع الوحدة الوطنية في احتلال مكانته البارزة في الحياة الفلسطينية الداخلية ، متأثرا ببروز الخلافات الداخلية من جهة ، وبالمخاطر الخارجية المتلاحقة من جهة اخرى (الوضع في لبنان ـ التهديد الاسرائيلي ـ قمة كمب ديفيد) ، وتشعب حوار الوحدة الوطنية في ثلاث نواح : لقاءات مكثفة بين المنظمات ، واعلان مشاريع مدروسة ومفصلة للوحدة الوطنية ، ثم نقاش هذه المشاريع في المجلس المركزي الفلسطيني ٠

على صعيد اللقاء بين المنظمات تم في ١٧ اب اول لقاء بين الجبهة الشعبية ومنظمة الصاعقة منذ فترة القطيعة إثناء الحرب اللبنانية ، واعلن بعد اللقاء انه تم بحث ثلاث قضايا : الوحدة الوطنية ، وعدم اللجوء الى العنف في حل الاشكالات الداخلية ، ومستقبل العلاقات بين التنظيمين ٠ عقد لقاء ثان بين فتح والجبهة الشعبية صدر عنه بيان (٨/١٨) يدعو الى ادانة العنف في حل المشكلات الداخلية ، وتكريس الحوار قاعدة في العلاقات ، وضرورة وضع اسس جدية للوحدة الوطنية ، ثم عقد لقاء ثالث بين الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة (٨/٢١) بحثت فيه المشاريع المطروحة للوحدة الوطنية ٠

أما على صعيد مشروعات الوحدة الوطنية، فقد تم اعلان مشروعين جديدين بعد الاعلان عن مشروع حركة فتح ، مشروع الجبهة الديمقراطية ، ومشروع منظمات الرفض الاربع (الجبهة الشعبية ـ جبهة النضال الشعبي ـ جبهة التحرير الفلسطينية ـ جبهة التحرير العربية) ٠

ينقسم برنامج الجبهة الديمقراطية الى قسمين : برنامج سياسي وبرنامج تنظيمي ٠ البرنامج السياسي يؤكد المواقف المعروفة للجبهة الديمقراطية والتي تلتقي مع الخط العام لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتبرز فيه فكرة مركزية تؤكد انه على ضوء تنازلات السادات الواسعة امام العدو الاسرائيلي، اخذت موازين القوى تختل على نحو ملموس لصالح الامبريالية الاميركية والعدو الاسرائيلي ٠ ويذكر البرنامج انه على ضوء هذا الخلل في ميزان القوى استبعدت امكانية الوصول الى حل في المرحلة الراهنة يضمن الحقوق الوطنية العربية والفلسطينية ٠ ويخلص البرنامج الى ان القوى الوطنية الفلسطينية والعربية مطالبة بالعمل للتغلب على هذا الخلل من اجل استعادة زمام المبادرة وفرض انتزاع المطالب الوطنية والقومية من الاعداء ٠

اما في الجانب التنظيمي فينطلق برنامج الجبهة الديمقراطية من مشروع الوحدة الوطنية الذي اقره المجلس الوطني العاشر المعقود في ٦ نيسان ١٩٧٢ ٠ وكان هذا المشروع قد أعد انذاك من قبل مجلس التخطيط الفلسطيني ، واعد مسودته الاساسية نايف حواتمة الامين العام

للجبهة الديمقراطية ، وناقشته واقرته لجنة من فتح والصاعقة وجبهة التحرير العربية والجبهة الشعبية ، ثم قدم المشروع الى المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة بدعوة من منظمة التحرير الفلسطينية لمواجهة مشروع المملكة المتحدة الذي طرحه الملك حسين في ذلك الوقت ، وقد وافق المؤتمر الشعبي على المشروع واحاله الى المجلس الوطني الفلسطيني · ويعتمد مشروع الجبهة الديمقراطية على نقطتين :

اولا : الوحدة على اساس جبهوي مع ضمان الاستقلال التنظيمي والايديولوجي لكل فصيل فدائي ·

ثانيا : ان تشمل الوحدة الوطنية دفعة واحدة ، كافة نواحي العمل ، من اللجنة التنفيذية ، الى القوات المسلحة ، الى المليشيا والمنظمات الشعبية والمالية ··· الخ ·

وفي ظل القيادة الجماعية التي يدعو لها البرنامج ، تتخذ القرارات بالاكثرية، وتحتفظ الاقلية بحق نشر رأيها ·

اما برنامج جبهة الرفض فينقسم الى قسمين ، تتحدد في القسم الاول المواقف السياسية الاساسية ، وتتحدد في القسم الثاني برامج العمل التنفيذية السياسية منها والتنظيمية والعسكرية ، وتلك المتعلقة بالاراضي المحتلة ولبنان والاردن·

في المواقف السياسية يركز البرنامج

في تحليله على سقوط ظاهرة التمرد البرجوازي العربي الرسمي على ارادة الثالوث الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي ، وانتعاش الرجعيات العربية القديمة وخروجها من عزلتها · كما يسجل نجاح الامبريالية الاميركية في ان تتحكم وتهيمن على اوضاع منطقتنا ، مع بروز دعوات التخلي عن القضية القومية لصالح الانكفاء القطري ، مع ما رافق ذلك من تشتت وتبعثر الجهود الوطنية والتقدمية الشعبية العربية في مواجهتها للهجوم الامبريالي والصهيوني ·

ثم يسجل البرنامج ان الموقف المتباين داخل صفوف الثورة من مؤامرة التسوية السياسية ، هو المسؤول الاول عن حالة الانقسام والتشتت والتبعثر والتناقضات التي عاشتها قواعد الثورة والجماهير طيلة اكثر من أربع سنوات مضت على حرب تشرين حتى الان ·

ويؤكد البرنامج ان مسيرة التسوية الماضية اثبتت وبالملموس انه لا مجال لتحقيق اي انجاز وطني عبرها في هذه المرحلة ، انطلاقا من اختلال ميزان القوى الراهن لصالح معسكر الاعداء ·

اما في الجانب التنظيمي فيدعو البرنامج الى : تثبيت مبدأ القيادة الجماعية بديلا للمنهج الفردي في العمل الوطني الفلسطيني ، وتحقيق المساواة النسبية (!) في التمثيل داخل المؤسسات التشريعية والتنفيذية لمنظمة التحرير ، وتقليص عضوية المجلس الوطني الفلسطيني وتحديد عضويته وتوزيعها على اساس ٦٠ في المائة للمنظمات و٣٠ في المائة للاتحادات النقابية و ١٠ في المائة للكفاءات من المشتغلين العاملين في الثورة · ويعطي البرنامج للمجلس المركزي الفلسطيني صفة تقريرية بحيث تكون قراراته ملزمة للجنة التنفيذية ·

ويقتصر البرنامج في جانبه العسكري على الدعوة لتوحيد القيادة العسكرية العليا بحيث تتشكل من المسؤولين العسكريين الاول للتنظيمات ، ويكون لها طابع جبهوي لا يهيمن فيه اي تنظيم على القيادة · وتنشأ قيادات عسكرية فرعية تتبع للقيادة المركزية · مع قيادات فرعية اخرى للعمل العسكري المتخصص :

مليشيا ـ عمليات خارجية ـ ارض محتلة ٠

وعلى اثر تقديم هذه المشاريع ، وقبلها مشروع حركة فتح ٠ وعلى اثر اللقاءات المكثفة التي تمت بين مختلف فصائل المقاومة لمناقشة المشاريع بشكل ثنائي ، عقد المجلس المركزي جلسة استثنائية في دمشق خصصت لبحث موضوع الوحدة الوطنية ٠ وقد كانت المفاجأة في مقاطعة جبهة الرفض والجبهة الشعبية بشكل خاص لهذا الاجتماع ، اما لان اللقاءات الثنائية لم تكن قد أسفرت بعد عن نتائج عملية تدفع باتجاه عودتها لحضور الاجتماعات ، واما لان الفاصل الزمني بين اعلان البرامج وعقد الاجتماع كان قصيرا بحيث لم يتوفر الوقت الكافي لدراسة البرامج وتحديد مواقف دقيقة بشأنها ٠ ويبدو ان المجلس المركزي نفسه قد راعى هذا الوضع ، فقرر (٨/٢٣) تشكيل لجنة من اعضاء اللجنة التنفيذية ، وممثلين عن الفصائل الفدائية ، وبعض اعضاء المجلس المركزي ، واسند لهذه اللجنة مهمة متابعة الحوار القائم بين المنظمات حول الوحدة الوطنية ٠ كما قرر المجلس الدعوة لاجتماع لاحق في الاسبوع الثالث من شهر ايلول لاقرار ما تم التوصل اليه في هذا المجال ٠

العمليات الفدائية

واصل العمل الفدائي نشاطه المكثف داخل الارض المحتلة فارضا على السلطات الاسرائيلية حالة من الاستنفار ، وصلت الى حد التأكيد الاعلامي المسمر لها ٠ وقد عبر هذا النشاط عن نفسه بالاستمرار في تكتيك زرع المتفجرات في مختلف المدن والامكنة ، انفجر الكثير منها ، وعثرت سلطات العدو على بعضها قبل انفجاره ٠

ويمكن من خلال عملية رصد صحافية لما تذيعه اسرائيل فقط عن عمليات التفجير هذه ، تسجيل عدد العمليات التالية خلال فترة شهر واحد (٨/١٥ـ٩/١٥) : في القدس ١١ متفجرة ، وفي تل ابيب ٤ متفجرات ، وفي نابلس ٣ متفجرات، وفي جنين متفجرة واحدة ، وفي الرملة متفجرة واحدة ، وفي رام الله متفجرة واحدة ، وفي الخليل هجوم بالصواريخ ، وفي الناقورة عملية صدام مع قارب مسلح ٠ وقد رافق هذهالعمليات اعتقال ٦ اشخاص و ٤ فتيات ، واعلان وزير الداخلية عن اكتشاف ٨٢ مجموعة فدائية خلال فترة الثمانية اشهر الماضية٠

ولا تكفي هذه الصورة العددية للمتفجرات في توضيح حقيقة التأثير المعنوي والنفسي لها ، ولكن ما يوضح ذلك هو حالة التعبئة والاستنفار التي نشأت في اسرائيل بسببها ٠ ففي (٨/٢١) اعلنت اسرائيل عن تمارين مشتركة لقوات الجيش والشرطة والبحرية حول مدينة تل ابيب لتجريب الاجراءات المضادة لنشاط الفدائيين ٠ وفي ٢٥ اب اعلنت وكالات الانباء ان اسرائيل تعيش في جو من الاستنفار بسبب اكتشاف ١٦ عبوة ناسفة في مدى اسبوعين ٠ وفي (٨/٣١) اعلن في اسرائيل رسميا رفع درجة الاستنفار ، « خوفا من عمليات دراماتيكية من قبل الفدائيين لاحباط محادثات كامب ديفيد » ٠ وذكر ان الاستنفار يشمل : الشواطىء ، الريف الداخلي ، المدن الكبرى ، المستوطنات ٠ وفي ٤ ايلول اي قبل انعقاد قمة كامب ديفيد بساعات ، اعلن في اسرائيل استنفار خاص تحسبا لوقوع هجمات فدائية ٠

ويلاحظ في هذا المجال ان تأثير القنبلة التي لا تنفجر بسبب العثور عليها

يبازي في تأثيره القنبلة التي تنفجر ، فهي تؤدي الى نفس حالة الاستنفار ،

والى نفس حالة الذعر في اوساط السكان. يضاف الى ذلك ان العديد من الاشخاص الذين يتولون ابطال مفعول المتفجرات قد لاقوا حتفهم اثناء ادائهم لهذه المهمة ، ومنهم ضابط الشرطة الاميركي الاصل ، الذي توفي يوم (٩/٩) متأثرا بجراح اصيب بها من قنبلة انفجرت بين يديه وهو يحاول ابطال مفعولها يوم (٩/٥) . وفي محاولة لتلافي ذلك اعلنت اسرائيل انها ستبدأ في استخدام انسان آلي في مهمة تعطيل القنابل الموقوتة ، وروجت في صحفها ان هذه الوسيلة جربت في كندا ونجحت، وان الانسان الالي المذكور يستطيع حتى اتخاذ القرارات المناسبة .

اما خارج الارض المحتلة فقد قام فدائيون ينتمون الى « الجبهة الشعبية ـ العمليات الخاصة » بهجوم (٨/٢٠) على سيارة ركاب في لندن ، تقل موظفين يعملون في شركة طيران العمال الاسرائيلية ، وقتل في هذه العملية شخصان وجرح عشرة ، واعتقل احد المهاجمين . وقدقامت اسرائيل بعد العملية مباشرة بغارة جوية على منطقة الدامور وعلى منطقة برج البراجنة قرب بيروت، وقتل في هذه الغارة ٣ اشخاص وجرح ١٤ ، ولكن الجبهة الشعبية اصدرت في يوم الغارة نفسه بيانا ينفي وجود اي علاقة تنظيمية للجبهة مع المجموعة التي قامت بالعملية في لندن ، وذكرت الجبهة في بيانها انها تؤيد كل عملية توجه ضد العدو ، سواءداخل فلسطين أو خارجها .

العلاقات الفلسطينية ـ العراقية

استمر التوتر في العلاقات الفلسطينية ـ العراقية متصاعدا حتى الشطر الاخير من شهر اب الماضي ، حيث قام مواطن فلسطيني باغتيال حسين محمد علي ، الملحق العسكري في السفارة العراقية بليبيا (٨/١٧) ، وكان هذا الحادث كما يبدو اخر الحوادث في مسلسل العنف الذي عبر عن نفسه باغتيال ثلاثة من مديري مكاتب منظمة التحرير في لندن وباريس والكويت . ولم يسجل بعد ذلك سوى حادثين لم يثبت أن لهما اي علاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد وقع الحادث الاول في لندن ، حين وصل الى السفارة العراقية هناك طرد بريدي ملغوم تم ابطال مفعوله (٩/١١) . وفي ٩/١٣ تعرض موظف عراقي في السفارة العراقية بمدينة اوتاوا بكندا الى هجوم بالسكاكين ، ولم يعرف ما اذا كان الحادث فرديا او انه تم لاسباب سياسية .

ومع انحسار موجة العنف ، استمر التوتر السياسي قائما بين الطرفين ، وعبر عن نفسه بالمواقف التالية :

ـ اعلان ياسر عرفات في حفل افطار للمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية (٨/٢٤) ان لدى بيغن خطة للقضاء على المقاومة الفلسطينية تتضمن في جزء منها قرارا بابادة قيادة وقوات ومبعوثي منظمة التحرير في الخارج ، وحمل عرفات في كلمته على الحكومة العراقية « لاشتراكها في تنفيذ جزء من مخطط بيغن » .

ـ اعترف صبري البنا (ابو نضال) في حديث مع مجلة « كابيو » الاسبانية ، بأن مجموعته على صلة ، ولكن غير مباشرة ، باغتيال مديري مكاتب منظمة التحرير الثلاثة (٨/٢١) .

ـ تطرق بيان المجلس المركزي الفلسطيني الصادر في (٨/٢٣) الى موقف العراق فقال ان المجلس قد راعه « أن يصل اجرام حكم عربي الى هذا

الحد ، وهو يدين هذا النوع من التآمر الجبان ، ويحمل النظام العراقي المسؤولية ، ويدعو الى وقف هذه الحملات الاجرامية ضد الثورة الفلسطينية » . وأوضح البيان ان الثورة تتمسك بمبدأ الحوار ، ولكنها تؤكد تصميمها على الدفاع عن نفسها .

قام السفير الجزائري محمد يزيد بتكليف من حكومته ، بمحاولة وساطة فاشلة بين المنظمة والعراق ، بدأها يوم (٨/١٩) بتسليم رسالة من الرئيس الجزائري هواري بومدين الى عرفات، انتقل بعدها الى بغداد لتسليم رسالة اخرى الى الرئيس احمد حسن البكر ، وقد انهى يزيد اتصالاته في العراق يوم (٨/٢٣) ، واعلن مصدر في سفارة الجزائر في بيروت بعد عودته انه اجتمع في بغداد مع ابو نضال ، وفي اليوم التالي اجتمع يزيد مع فاروق القدومي (ابو اللطف) لاطلاعه على نتائج اتصالاته ، وتردد ان عرفات رفض استقباله .

بلال الحسن

المناطق المحتلة

من بين القضايا التي برزت مؤخرا في المناطق المحتلة ، استمرار سلطات الاحتلال في الاجراءات الاستيطانية ، ونهب البترول والغاز في سيناء ، وتفاقم استخدام العمال العرب وافتضاح امر « اسواق الاحداث العرب » ، وردود الفعل في المناطق المحتلة على اغتيال عزالدين القلق ، ممثل م.ت.ف. في باريس ، وعدد من رفاقه .

الاجراءات الاستيطانية

اتخذ النشاط الاستيطاني الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة اشكالا عدة، منها اقامة مستوطنات جديدة ، وتعزيز مستوطنات قائمة سواء بالتوسع في اقامة المباني ، او المشاريع الصناعية او بزيادة عدد المستوطنين ، والاستيلاء على المزيد من الاراضي عن طريق الكيرن كييمت بحجة الامن او بحجة الزعم بان بعض الاراضي كانت تخصها ايان الانتداب البريطاني ! ومواصلة اعمال التنقيب عن البترول والغاز في مناطق مختلفة من سيناء ، وتحريك عدد من العملاء في هضبة الجولان للدعوة الى ضم الهضبة الى اسرائيل .

اعلن في السادس عشر من آب الماضي عن قيام مستوطنتي « حارس » و «تبوح» رسميا ، دون احتفالات تدشين كما جرت العادة في مثل هذه المناسبات ، وذلك « بسبب المفاوضات في كامب ديفيد » كما تدعي المصادر الاسرائيلية . وتتبع هاتان المستوطنتان حركة غوش ايمونيم.

ويبدو ان مؤتمر كامب ديفيد لم يؤثر فقط على فرح المستوطنين في انشاء المستوطنتين ، بل « أجل » الى حين اقامة خمس مستوطنات في غور الاردن . ففي

الثالث عشر من اب كشفت سلطات الاحتلال النقاب عن قرار اتخذته الحكومة يقضي باقامة خمس مستوطنات دفعة واحدة في غور الاردن · ونجم عن ذلك خلافات بين اوساط الحكومة ، حيث عارض البعض من حركة « داش » تنفيذ القرار عشية انعقاد مؤتمر « كامب ديفيد » ، كما انتقدت الولايات المتحدة على لسان الرئيس كارتر اقامة المستوطنات الخمس بقوله « كنت ارغب ان لا تقيمها الحكومة الاسرائيلية » · وكان من نتيجة الخلافات الداخلية ، بالاضافة الى رغبة الرئيس الاميركي ان تأجل تنفيذ القرار · ومع ذلك لم يكن بوسع المفاوضات السياسية التأثير على المسار العام لحركة الاستيطان ، واشار الى ذلك وزير الزراعة اريئيل شارون اثناء جولته في بعض مستوطنات الضفة الغربية ، حين أماط اللثام عن ان مستوطنة « قرني شومرون » التي تضم ٣٠ عائلة ستتوسع ليصبح عدد سكانها في المستقبل القريب ٢٥٠ عائلة ، وعن وجود ٥٥٠ عائلة تنتظر استكمال « بناء بيوتها » في مستوطنة « ألقنا » وعن مخطط يستهدف تحويل مستوطنتي حارس وتبوح الى مدينتين · اما بالنسبة للاستيطان في القدس فقال وفق ما ذكرته يديعوت احرونوت (٧٨/٨/٨) « يجب ان ننشط في البناء حول القدس، وندع السكان العرب يتطورون حسبما يشاؤون . ولكن اذا كان الامر يتطلب منا ضمانا حقيقيا للقدس ، فينبغي علينا الوصول في نهاية القرن الى وضع يعيش فيه داخل القدس وضواحيها مليون يهودي » ·

الى جانب محاولة احاطة القدس بسوار من المستوطنات ، تقوم سلطات الاحتلال بتعزيز مستوطنة كريات اربع ، الواقعة بالقرب من مدينة الخليل ، بهدف تهويد المنطقة مستقبلا ، فقد تم مؤخرا استكمال بناء ٤٥٠ وحدة سكنية هناك ، اصبحت معدة لاستقبال المستوطنين ·

ومن الجدير بالذكر ان كريات اربع تحتضن اليوم ٤٥٠٠ عائلة من غلاة المستوطنين ، تعمل في ورش صناعية اقامتها سلطات الاحتلال باستثمارات تبلغ ٤٥ مليون ليرة ،وتعتزم اقامة المزيد من هذه الورش ·

وبالنسبة لشمال سيناء يجري العمل لتعزيز مستوطنة « يميت » كبرى المستوطنات الاربع عشرة القائمة هناك، باقامة منشآت صناعية تحتل مساحة ١٤ الف متر مربع باستثمار يبلغ ٥٠ مليون ليرة ، بالاضافة الى ٢٨ مصنعا وورشة قائمة تشتمل على مختلف الفروع المعدنية · كما وتعد سلطات الاحتلال خطة سياحية في المدينة المستوطنة ، وتشجع ذوي الفعاليات الاقتصادية على فتح مشاريع فيها · ويبلغ عدد سكان يميت في الوقت الحاضر ٢٠٠٠ نسمة ، وهنالك ٢٥٠ عائلة تعتزم التوجه اليها· وقد طالب مستوطنوها عشية انعقاد مؤتمر « كامب ديفيد » الحكومة الاسرائيلية باحلال القانون الاسرائيلي على منطقة مشارف رفح المصرية ·

ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاحتلال التي لم تستجب لدعوة مستوطني يميت في هذه الفترة ، نشطت بتحريك عملائها في هضبة الجولان للمطالبة بضم الهضبة الى اسرائيل ،فقد استقبل مناحيم بيغن في الحادي والثلاثين من تموزالماضي وفدا يمثل الزعامة التقليدية من مجدل شمس ومسعدة وبقعاتا وعين قنيا ، وطلب منه « عمل كل شيء من أجل ضم هضبة الجولان الى

اسرائيل » وفق ما ذكرته معاريف (٧٨/٨/١) · واجابهم بيغن انه ينظر « بعين العطف » الى مطلبهم ، ووعدهم بدراسة موضوع اصدار هويات اسرائيلية لمن يرغب في ذلك من سكان الهضبة ، مؤكدا على ان « نظرته تجاه السكان الدروز كنظرته تجاه مواطني اسرائيل اليهود الذين يعيشون في هضبة الجولان» ·

وفي الوقت الذي تعمل فيه سلطات الاحتلال على تطوير وتعزيز المستوطنات، وخاصة تلك القريبة من المدن العربية، تنتهج سياسة خنق تجاه المدن العربية ، وتضييق سبل العيش امام سكانها لدفعهم الى الهجرة · فقد اصدر الحاكم العسكري لمنطقة رام الله والبيرة ، في اواسط تموز الماضي ، امرا يحظر بموجبه البناء في مساحة تبلغ ٣٥٠٠ دونم من اراضي البيرة ، علما ان معظم هذه الاراضي يقع في منطقة تنظيم المدينة · وبذلك اصبح الطوق محكما على مدينة البيرة ، خاصة وان سلطات الاحتلال كانت قد اقتطعت في السابق اجزاء من اراضي تقع الى الجنوب منها وضمتها الى حدود القدس · وكان الحاكم العسكري قد اصدر امرا قبل حوالي العام ، يحظر بموجبه البناء في منطقة تصل مساحتها الى الفي دونم الى الشرق من المدينة ، واعقبه بأمر اخر يحظر فيه البناء في الناحية الشمالية الغربية على مساحة ٣٠٠ دونم ، متذرعا بالحجة المعهودة ، حجة الامن · وقد اعتبرت بلدية البيرة هذه الاوامر بمثابة محاولة لمصادرة اراضي المدينة ، تمهيدا لاقامة مستوطنات يهودية عليها ، وبعثت برقية احتجاج الى الحاكم العسكري واخرى الى وزير الدفاع بهذا المعنى ·

ومن ناحية اخرى نشطت الكيرن كييمت في استملاك مزيد من الاراضي في منطقة غوش عتسيون جنوب القدس · واشارت معاريف (٧٨/٨/١٦) الى انه تم شراء هذه الاراضي من « اصحابها العرب واحدى الكنائس » · كما واستولت على اراضي في المنطقة نفسها بحجة الزعم بان ملكيتها تعود الى افراد يهود قبل ١٩٤٨ ، واستولت بالحجة نفسها على قطعة ارض في منطقة عطروت في ضواحي القدس تبلغ مساحتها ٤٠٠ دونم ، زاعمة ان ملكيتها تعود اليها منذ العام ١٩٤٢ · وكانت قد طلبت الحصول عليها من خلال القضاء الاسرائيلي قبل ثمانية اعوام ، بيد ان القضية بقيت دون حسم بسبب تمسك اصحاب الارض العرب بها ، اي ان الكيرن كييمت حسمت الامر من جانبها دون انتظار امر من « القضاء »، عندما قامت مؤخرا بحراثة قطعة الارض تلك ·

بالاضافة الى ذلك شهدت المناطق المحتلة نهبا اخر للاراضي تمثل في نشاط عصابة تتشكل من يهود وعرب تتاجر بالاراضي العربية من خلال وثائق مزورة ، يتم بموجبها نقل ملكية الاراضي الى الكيرن كييمت او افراد يهود · وتمكنت من نقل مساحات واسعة من الاراضي قدرتها بعض المصادر بمئات واخرى بالاف الدونمات ·

وازاء ذلك اصدرت الهيئة الاسلامية يوم ٧٨/٧/٢٤ بيانا استنكرت فيه عمليات تزوير الاراضي على ايدي عصابات اسرائيلية عربية ، وجاء فيه ان الهيئة الاسلامية « تتابع بقلق بالغ انباء اكتشاف عصابات التزوير ، وهي تعرب عن دهشتها وفزعها من الاساليب التي يتم بموجبها انتقال الاراضي من اصحابها الحقيقيين ... » ·

« في هذه الاثناء استمرت سلطات الاحتلال بالتنقيب عن الكنوز الطبيعية في منطقتين من سيناء ، ففي منطقة خليج السويس اعلن عن اكتشاف حقل جديد

للنفط اطلق عليه اسم « ياعيل » ، بالاضافةالى حقل النفط المكتشف في السابق والذي يحمل اسم « علما » ·وفي منطقة مشارف رفح اقرت سلطات الاحتلال مد انبوب للغاز يربط حقول الغاز المكتشفة في منطقة سدوت الى منطقة عزاد في النقب · ويبلغ سمك الانبوب المصنوع من الفولاذ في بعض اجزائه ٨ انش وفي اجزاء اخرى ١٠ انش ، وتقدر كمية الغاز التي سيجري نقلها سنويا ما يعادل ٢٠٠ الف طن وقود سائل · وتذكر المصادر الاسرائيلية ان احتياطي الغاز المكتشف يصل الى ما يعادل ١ر٢٥ مليون طن وقود سائل · ومن المقرر الانتهاء من مد الانبوب في نيسان من العام القادم ·

الى جانب ذلك تقوم شركة « باز » الاسرائيلية بالبحث عن الغاز في منطقة « سوكوت » في شمال سيناء ، حيث تعتزم حفر بئر بعمق ٣٢٠٠ متر ·

« اسواق العمال العرب »

تحت وطأة ازدياد نهم اصحاب العمل في اسرائيل للايدي العاملة العربية الرخيصة ، وامتداده الى الاطفال العرب، تفاقمت مؤخرا قضية « العمل العربي » وسط الحديث عن « اسواق » للعمال العرب متناثرة في اماكن مختلفة من جنوب فلسطين ·

هنالك عاملان ساعدا على بلورة هذا الوضع : (١) هبوط عدد العمال العرب العاملين في بعض الفروع الاقتصادية بسبب تباطؤ العمل في هذه الفروع ؛ وهجرة قسم منهم الى الاردن ودول الخليج العربي · (٢) ازدياد الطلب على الايدي العاملة في موسم الصيف وخاصة في المزارع ، حيث يجد المزارعون اليهود انفسهم بحاجة ماسة الى الايدي العاملة الرخيصة ، بما في ذلك الاطفال، على الرغم من ان القانون الاسرائيلي يعارض تشغيل من يقل عمره عن ١٦ عاما ·

ومن الجدير بالذكر ان عدد العمال العرب (٧٠ الفا، ٤٨ الفا يعملون عن طريق مكاتب العمل) لا يستجيب في موسم الصيف لحاجة اصحاب المزارع اليهود ، الامر الذي دفع هؤلاء الى التفتيش عن عمال من بين صفوف الفتيان العرب ، مما ساعد على خلق المزيد من « الاسواق » للايدي العاملة الرخيصة في اماكن متعددة ، من اشهرها سوق « مفترق اشكلون » ·

وقد قام التلفزيون الاسرائيلي بتقديم فيلم عن هذه الاسواق ، محذرا من تآكل سياسة العمل العبري ، وتحول المجتمع الاسرائيلي الى مجتمع اسياد ·

وكنتيجة لهذا التحذير جرت حملة ضد تشغيل الاحداث العرب ، كما جرت نقاشات داخل الكنيست حول الموضوع ، اتهم خلالها احد الاعضاء وزير الزراعة اريئيل شارون باستغلال عرق الاطفال العرب في مزرعته ،واماط اللثام عن انه دخل خلسة مزرعة شارون ، وشاهد بأم عينيه الاطفال العرب وهم يعملون في المزرعة · ودق الحاخام مناحيم كوهين (يديعوت احرونوت ٧٨/٨/٦) اجراس خطر تبعات تشغيل العمال العرب ،سواء منهم الكبار او الصغار ، في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، بقوله « تنمو عندنا طبقة جديدة من اصحاب المزارع الكبيرة ، لا يعرفون هم ولا ابناؤهم طعم العمل · عملهم يتم بايادٍ اجنبية تحصل مقابل عملها نسبا زهيدة من المحصول ··· وفي حالات كثيرة ، يصل العمل الاجنبي الى حدود العبودية الحقيقة ، حيث يقوم الاسياد الجدد باستغلال العمال كخدم في حاجات مختلفة · ويجب علينا ان لا نتغاضى عن هذه الظاهرة الآخذة بالتفاقم » ·

كما نشرت الصحافة الاسرائيلية تقارير تتحدث حول « اسواق العمل » القائمة في اماكن مختلفة ، وهي اشبه بـ « اسواق النخاسة » منها الى اي شيء اخر · ووفق هذه التقارير، تدب الحياة في هذه الاسواق في الساعة الرابعة والنصف صباحا حيث تصطف في منطقة سوق العمل شاحنات قادمة من القطاع لتفرغ من جوفها اعدادا من العمال غير المتجانسين في السن او الجنس ·

يستقطب السوق اولادا في سن يتراوح ما بين ١٢ ـ ١٤ سنة ، وشبابا وشيوخا ونساء · ويقف هؤلاء في السوق (يناهز عددهم الى ٣٠٠ شخص) حتى مطلع الشمس انتظارا لاصحاب المزارع اليهود · ويكسر مرحلة الانتظار قدوم « السادة » بسياراتهم لانتقاء ما يشاؤون من عمال · وهنا يتحكم الطلب والعرض في مصير لقمة العيش ، حيث تتجدد اسعار قوة العمل يوميا ، مثلها مثل اية بضاعة غير خاضعة لسعر معين · وتتم عملية البيع والشراء وسط صخب العمال المتهافتين ـ لدرجة التسول ـ على بيع قوت عملهم ، وغطرسة صاحب العمل الذي يحاول شراء الايدي العاملة الرخيصة بأقل سعر ممكن ، لزيادة فائض القيمة التي تدرها عليه تلك الايدي ·

ووصف عاموس ايلون (هآرتس ٨/٢ /٧٨) عملية شراء قوة عمل الاطفال ، واورد حوارا بينه وبين صاحب العمل الذي ملأ سيارته بالاحداث متوجها بهم الى مزرعته :

« ـ انت تشغل اولادا ؟ ·

ـ انهم بصحة جيدة واقوياء ·

ـ من المؤكد ان هذين الولدين لا يزيدان عن ١٢ سنة ·

ـ هما يبدوان فقط هكذا ·

ـ اتدفع ٤٠ ليرة ؟

ـ هل يدفعون في القاهرة اكثر من ذلك ؟

ـ ان ذلك يتنافى والقانون ·

ـ هل تريد ان يبقوا اسرى الجوع ؟ ماذا تريد ؟ اتريدهم ان يبقوا جوعى ؟ ·»

واجرى حوارا مع « سيد » اخر بعد ان وصف سوق عمل يضج بصيحات الفتيان الصغار ·

« ـ هل يوجد بشكل دائم هنا اعداد كبيرة من الاولاد ؟ ·

ـ دائما ·

ـ خلال الصيف فقط ، ام في الشتاء ايضا ؟ ·

ـ طوال ايام السنة ·

ـ الا يذهبون الى المدرسة ؟ ·

ـ اية مدرسة ؟ هؤلاء اغبياء ·

ـ مقابل ٤٠ ليرة ؟

ـ ما الذي يحتاجه مثل هؤلاء ؟ صحن فول بليرتين وقطعة خبز ، يحلان لهما المشكلة طوال النهار » ·

ويؤكد الكاتب في نهاية تحقيقه على ان خطر تشغيل هؤلاء الفتية لا يكمن فقط في تحول المجتمع الاسرائيلي الى مجتمع « اسياد » يتحكم بالعبيد ، بل تكمن الخطورة ايضا عندما « يكبر الطفل ويجازينا بالقنابل » ·

ويشير الكاتب الى انه اتصل بأحد المسؤولين في وزارة العمل مستفسرا عن سياسة الوزارة تجاه تشغيل الاولاد العرب ، واجابه المسؤول « اقول لك الحقيقة ، حسب اعتقادنا ، هذه مسألة ثانوية » ·

الى جانب ذلك ظهر تقرير (معاريف ٧٨/٨/١١) يشير الى مدى ارتباط اصحاب المحلات في سوق الكرمل بالعمال العرب ، حيث يشغل كل صاحب عمل عدداً من العمال العرب . وقد تفاقمت مشكلة هؤلاء بعد الانفجار الذي حدث مؤخرا في سوق الكرمل ، وغدا بسببه كل عامل عربي بحكم المتهم ، الامر الذي وضع اصحاب العمل في حالة يرثى لها. فهم من ناحية يريدون تشغيل العمال طمعا في مردود العمل ، ومن ناحية اخرى يتخوفون من التبعات الامنية الناجمة عن وجود العمال العرب . وسنقف هنا على رأي ثلاثة من اصحاب المحلات حول هذا الموضوع.. يقول صاحب عمل في سوق الكرمل: « انني اقوم باغلاق المستودع على العرب الذين يشتغلون عندي . وهذا الامر لصالحهم، والا فان الشرطة ستعثر عليهم وتطردهم. من غير الممكن منعهم من العمل هنا ، وسيكون من الافضل لنا لو ان الجميع يتفقون على عدم تشغيلهم . بيد انني لن اكون البادىء في ذلك » .

ويقول ثان « معظم رجال الاعمال غير معنيين بالاحتفاظ بالعرب ، ولكن لا خيار امامهم ، فاليهود لا يرغبون في القيام بمثل هذه الاعمال . من دون العرب سيصيب الدولة شلل » .

ويركز ثالث على ان العامل العربي يحسن من وضع صاحب العمل « فاذا لم يشغل عربيا ، كيف يتمكن من اقتناء سيارة فاخرة وفيلا ؟ » .

وازاء ازدياد اتساع الحملة ضد تشغيل الاحداث العرب ، تحركت الهستدروت وطالبت في بيان لها بمضاعفة وتعزيز المراقبة الفعالة من جانب مصلحة التشغيل على تدفق الفتيان العرب من المناطق المحتلة الى المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، كما وطالبت بفرض عقوبات على اصحاب المزارع اليهود الذين يقومون بتشغيل الفتيان العرب . الا ان مستشار وزير العمل والرخاء لشؤون المناطق المحتلة ، شلومو أمير، شكك في قدرة ونجاعة المراقبة على العمال العرب لسببين ، الاول ، اتساع المنطقة التي تتوجب مراقبتها ، والثاني ، الزيادة التي طرأت في عدد اصحاب المزارع اليهود الذين يعتمدون على ايادي الاطفال العرب .

وقد سخر الوزير السابق موشيه كول من تحرك الهستدروت ووجه تساؤلات الى رؤسائها (يديعوت احرونوت . ٨/١/ ٧٨) :

« ألم تكونوا على علم بهذا الواقع الكئيب قبل البرنامج التلفزيوني ؟ ألم يصل الى علمكم ان عائلات عربية بكاملها من المناطق تسكن في زرائب اصحاب المزارع ، وتعمل هناك ؟ هل جرت اية محاولة لمواجهة هذه المشكلة ؟ لماذا لم يجر استدعاء المجلس الزراعي التابع للهستدروت للبحث في الوباء الذي انتشر وسط الاستيطان العامل ؟ هل جرت محاولة لعقد اجتماعات للاعضاء لتوضيح خطورة هذا الوضع علينا وعلى الاستيطان برمته ؟ » . وكشف الوزير السابق النقاب عن اسباب سكوت الهستدروت « لقد سكتت الهستدروت الزراعية ، لعدم توفر عمال يهود ، واتت الوباء في بيت الهستدروت بالذات. ان المريض المصاب بالوباء لا يمكنه ادارة نضال ضد هذا المرض عند الاخرين » .

وكشف النقاب ايضا عن ان مؤسسات استيطانية مثل « ادارة اراضي ـ اسرائيل » والكيرن كييمت ، درجت على تأجير اراض لمتعهدين يقومون بتشغيل العمال العرب « ويتقاسم الارباح صاحب الارض والمتعهد » . ويخلص الى القول « ان شعب اسرائيل في دولته بدأ يتحول الى شعب من السادة ، يقوم اخرون

بالعمل من أجله · اين نصل في تمشينا مع هذا الواقع ؟ » ·

استشهاد المناضل عزالدين القلق

الى جانب هموم الاحتلال المتمثلة في الاجراءات التعسفية اليومية الرامية الى تضييق الخناق على الاهليين العرب بالاستيلاء على اراضيهم قطعة قطعة تمهيدا لتهويدها ، وتقليص فرص الخيارات الحياتية امامهم لدفع اعداد كبيرة منهم للهجرة او الى « اسواق العمل » ، واجه الاهلون العرب ، بالاستياء والاستنكار الشديدين ، محاولات جر فصائل المقاومة الى الاقتتال ، و « جرائم القتل لخيرة الشباب والقيادة الفلسطينية » ، هذه الجرائم التي أودت بحياة المناضل عزالدين القلق ممثل م·ت·ف· في باريس وعدد من رفاقه ، وسط المحاولات المحمومة التي تبذلها اطراف التسوية المشينة ضد م·ت·ف كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ·

وقد انعكس ذلك في المذكرة التي بعث بها عدد من الشخصيات الوطنية ومعظم رؤساء البلديات (لم يوقع عليها المشبوهون امثال فريج والشوا والقواسمة) ، ورؤساء المؤسسات المهنية والعمالية الى قيادة م·ت·ف·

واكد هؤلاء على التالي :

« اولا : ان م·ت·ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة اماكن تواجده ·

« ثانيا : ان شعبنا في المناطق المحتلة يدرك وبشكل واضح ، مدى المؤامرات التي تحاك بتنسيق واتفاق بين الامبريالية الاميركية والصهيونية العالمية ، من اجل تصفية قضية شعبنا الفلسطيني لصالح الصهيونية وذلك بعد الالتفاف من حول قيادة هذا الشعب لتسهيل تحرير الحلول الاستسلامية الساداتية والتي تتجاهل حقوق شعبنا في العودة ، وتقرير المصير، وحقه في اقامة دولته الفلسطينية المستقلة ·

« ثالثا :ان جماهير شعبنا في المناطق المحتلة تستنكر وبشدة الهجمة الشرسة من قبل بعض الانظمة العربية والتي اخذت طابع ارتكاب جرائم القتل لخيرة الشباب والقيادة الفلسطينية ·

« واننا نحذر من ان هذه الانظمة لن تتورع عن افتعال الاحداث والدس والتحريض بين فصائل الثورة الفلسطينية ، وحتى داخل الفصيل الواحد ، من اجل تطويع واضعاف م·ت·ف ·

« رابعا : اننا ندعو كافة فصائل المقاومة الى التزام الجميع بقرارات المؤتمر الوطني الفلسطيني الثالث عشر ، والتي جاءت قراراته معبرة عن طموح وتطلعات الشعب الفلسطيني ، والتي تحددت على ضرورة الوحدة الوطنية وقطع الطريق على كافة اعداء شعبنا والمتآمرين على حقوقه ·

« خامسا : ان جماهير الشعب الفلسطيني بالداخل والتي صدت بالتعاون مع الثورة اكثر من حلقة من حلقات التآمر بمواقفها الصلبة وتمسكها بقياداتها الشرعية ، تحذر من الانجرار وراء محاولات الدس والتحريض والتي تهدف الى اضعاف م·ت·ف ، كخطوة اولى نحو تصفية الثورة ·

« ان كل القوى المعادية لشعبنا تحاول وباصرار اضعاف موقف وصمود شعبنا من داخل الثورة نفسها ، بعد ان فشلت في ضرب وتطويع وتصفية هذه الثورة مباشرة · فمزيدا من التلاحم والوحدة الوطنية حتى نتمكن جميعا من صد هذه الهجمة الشرسة » ·

ع·م·

اســـرائيليات

- ١ -

ردود الفعل الاولية في اسرائيل على اتفاق كامب ديفيد

نجحت اسرائيل في مؤتمر كامب ديفيد، في الوصول الى اتفاق يحقق لها هدفهـا الاستراتيجي الاساسي ، المتمثل في عـزل مصر عن المشرق العربي ، عبر عقد اتفاق صلح معها · ويلاحظ من خلال قراءة بنود اتفاق كامب ديفيد ان الثمن الذي دفعتـه اسرائيل لم يتجاوز الانسحاب من سيناء، والتخلي عن مستوطناتها في هذه المنطقة ، في الوقت الذي لم تقدم فيه اي تنازل في الجبهة الشرقية · وكل ما تم الاتفاق عليه حول الضفة الغربية وقطاع غزة ، يتطابق مع مشاريع اسرائيل واهدافها في هـذه المنطقة ، دون اي تراجع · وقبل استعراض ردود الفعل الاسرائيلية الاولية على اتفاق كامب ديفيد ، لا بد لنا من الوقوف علـى مواقف الزعماء الاسرائيليين قبيل انعقاد المؤتمر ، لندرك ضخامة المكاسب التـي استطاعوا تحقيقها بواسطة التنـازلات الضخمة من الجانب المصري ، مع الحـد الادنى من التنازلات الاسرائيلية ·

الاعداد لمؤتمر كامب ديفيد

تميزت فترة الاعداد لمؤتمر كامب ديفيـد في الجانب الاسرائيلـي بنشاط واسع ، خاصة على الصعيد الرسمي · فقد اجرت الحكومة نقاشا سياسيا واسـعا استغرق جلستين ، لرسم الخطوط العامة للمواقف التي سيحملها الوفد الاسـرائيلي الـى المؤتمر · وتقرر في نهاية النقاش ، ان يقوم الوفد بطرح مشروع الحكم الذاتي كأساس لتحقيق تسوية حول الضفة الغربيـة وقطـاع غـزة (هآرتس ، ٧٨/٨/٢٨) · ولخص بيغن القـرارات التي اتخذتهـا حكومته اثناء النقـاش السياسـي بقوله : « سيسعى الوفد الاسرائيلي الى مؤتمـر كامب ديفيد للتوصل الى اتفاق بيـن الاطراف · كما سيقدم الى المؤتمر مشروعه الذي يهدف الى التوقيع على معاهـدات سلام بين اسرائيل وجاراتها · كذلـك سيسعى الى استمرار المفاوضـات بيـن الاطراف » (ر١٠١٠ ، ٧٨/٨/٢٧) ·

ويلاحظ ان قرار الحكومة هذا يتطابـق مع المواقف المعلنة للزعمـاء الاسـرائيليين كما عكستها تصريحاتهم قبيل انعقـاد المؤتمر ، حول فائدة واهمية المحادثـات السياسية ، وما قد تسفر عنه · وفي هذا الصدد اعلن وزير خارجية اسرائيل دايان، انه لا يعرف الى ماذا ستنتهي المحادثات في كامب ديفيد « ولكن [اسرائيل] لم تكـن ابدا، في اي وقت مضى ، في وضع افضل من وضعها الحالي ، بالنسبة لاجـراء مفاوضات من اجل السـلام » (ر١٠١٠ ، ٧٨/٨/٣١) · كذلك اعلن بيغن في نهاية النقاش السياسي الذي اجرته حركـة حيروت بمناسبة انعقاد المؤتمر ، ان « ليس هناك سبب للافتراض بأن المؤتمر هو كمين [لاسرائيل] ، وانه يتوقع له الفشل · انه مؤتمر هام ، ولكنه ليس مصيريا ··· لقد قدمت [اسرائيل] مشروعا متكامـلا ، وعادلا ، ويمكن بواسطته تحقيق السلام · اننا نصر على هذا المشروع ، وسنسافر الى الولايات المتحدة بعدما تحسنت الظروف· [كذلك] فاننا نصر على المصالح الحيوية لشعبنا » (معاريف، ٧٨/٨/٣١) · واعتبر رأي بيغن حول عدم الاهمية « المصيرية » للمؤتمر ، معارضا لاراء مختلف الاوساط السياسية في اسرائيل وخارجها ، التـي

اعتبرت المؤتمر بمثابة نقطة تحول في تاريخ المنطقة ٠

شروط اسرائيل

بدأ الزعماء الاسرائيليون يضعون شروطهم حتى قبل انعقاد المؤتمر ٠ فقد اعلن دايان ان هناك اربعة مبادىء اساسية لا يمكن ان تتزحزح عنها اسرائيل خلال المفاوضات ، واولها « حق الاستيطان اليهودي في كل مكان ، والحق في شراء الارض والاستيطان عليها ٠ ثانيا ، الحق في حرية التنقل لمواطني اسرائيل في كل جزء من [الضفة الغربية] ٠ ثالثا ، يجب ان يكون للجيش الاسرائيلي الحق في الوجود في كل مكان في الضفة الغربية وغزة ، ليس من اجل التدخل في حياة العرب ، وانما من اجل التواجد هنالك لخدمة قضايا امنية ، ستحددها هيئة الاركان العامة [الاسرائيلية] ٠ رابعا، تبقى مسألة السيادة مفتوحة ، وتحدد بعد مضي خمس سنوات » (معاريف ، ٧٨/٨/٢٠) ٠ وكان دايان قد اعلن كذلك ان جنود الجيش الاسرائيلي والمناطق هما مركبان اساسيان في اتفاقات الامن العتيدة (دافار ، ٧٨/٨/١٧)٠٠

كذلك عقد بيغن اجتماعا مع رئيس حزب العمل شمعون بيريس ، ومع رئيس لجنة الخارجية والامن للكنيست موشي ارنس ، بهدف تنسيق المواقف بين الائتلاف والمعارضة قبل انعقاد المؤتمر ٠ وفي نهاية الاجتماع ، اعلن بيريس ان المعارضة تتفق مع الحكومة على نقاط هامة بالنسبة للمواقف خلال المؤتمر ، واهمها : « اولا ، عدم العودة الى حدود ١٩٦٧ ٠ وليس القصد هنا تعديلات طفيفة فقط على الحدود ٠ ثانيا ، أن تبقى القدس موحدة ٠ ثالثا ، رفض اقامة دولة فلسطينية ٠رابعا، الدفاع الاسرائيلي يبدأ من نهر الاردن ٠ خامسا ، لا داعي لمباحثات او اية اسئلة بالنسبة لمواقع المستوطنات التي اقامتها [اسرائيل] في غور الاردن ، والتي يجب ان تبقى حيث هي ، لانها جزء من الدفاع الاسرائيلي ٠ سادسا ، ليست هناك اية خلافات بالنسبة لمشارف رفح » (ر٠١٠ ، ٧٨/٨/٣١) ٠

كذلك اعلن بيغن ان اسرائيل لم تطالب بتغيير موقفها قبل انعقاد المؤتمر ، ويسرها عدم وضع اية شروط مسبقة (دافار ، ٧٨/٨/١٧) ٠

وانطلاقا من هذه المواقف ، لم تتوقع اسرائيل قبيل انعقاد المؤتمر ، تحقيق اتفاق على غرار ما تم تحقيقه ، وكل ما كان يحلم به بيغن ، هو الوصول الى « اتفاقات جزئية دائمة » على حد تعبيره، وليست مؤقتة ٠ اما زعماء المعارضة ، وعلى رأسهم بيريس ، فكانوا يتوقعون اعلان صيغة مبادىء عامة مع مصر ، تتيح استمرار المفاوضات السياسية ، وليس اكثر من ذلك ٠ الا ان حجم التنازلات المصرية ٠ قد ساعدت على تحقيق ما لم يحلم به الاسرائيليون ، الا وهو اتفاق صلح كامل ، مع حد ادنى من التنازلات الاسرائيلية ٠ وتمثلت هذه التنازلات في الموافقةعلى الانسحاب كليا من سيناء ، مقابل تنفيذ مشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ ان المواقف الاسرائيلية الاساسية بقيت ثابتة خلال المؤتمر ، خاصة فيما يتعلق بالاراضي الفلسطينية المحتلة وحقوق الشعب الفلسطيني ، حتى ان الدورالاردني لم يطرأ عليه اي تغيير وفق المقاييس الاسرائيلية ، انطلاقا من الموقف الاساسي الذي تتبناه الحكومة الاسرائيلية ، وهو ان الاردن ليس له الحق في المطالبة بالضفة الغربية ، باعتبارها جزءا من « ارض ــ اسرائيل » ٠

ردود الفعل الاولية

اتسمت ردود الفعل الاسرائيلية على اتفاق كامب ديفيد ، على الصعيدين الرسمي والشعبي ، بالحذر والترقب ، وان ظهر ان الاكثرية قد تؤيد الاتفاق الذي توصل اليه بيغن · ففيما يتعلق بالحكومة ظهرت معارضة طفيفة داخل الائتلاف عبر عنها ، على سبيل المثال ، شارون وبعض نواب الحزب الديني القومي · الا ان موافقة بيغن ودايان ووايزمان للاتفاق ، ورضاهم عنه ، يعتبر كافيا في ضوء ميزان القوى داخل الائتلاف الحكومي ، على حمل اكثرية مؤيدي الائتلاف على تأييد الاتفاق · اما ردود فعل المعارضة فقد اتسمت بالحذر ، نظرا « للثمن الباهظ » ، على حد تعبير زعمائها ، الذي يتعين على اسرائيل ان تدفعه مقابل السلام ، خاصة في سيناء ·

ويلاحظ ان القضايا الاساسية التي تكاثرت ردود الفعل حولها هي مسألة وقف الاستيطان في الضفة ، وازالة مستوطنات رفح ، ثم مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، على ضوء الاطار العام للمفاوضات المستقبلة حول هذه المناطق ، والذي تم التوصل اليه في كامب ديفيد ·

بالنسبة لقضية الاستيطان ، نفى بيغن ان يكون قد تعهد بوقف الاستيطان في الضفة الغربية طوال فترة السنوات الخمس ، وان تعهده اقتصر فقط على فترة المفاوضات · وشرح بيغن دوافع قبول اسرائيل بالانسحاب من سيناء بقوله ، ان ترتيبات الامن ، حسب الاتفاق الذي تم التوصل اليه ، « هي ممتازة · فهناك تجريد لمناطق من السلاح ، وتخفيض للقوات العسكرية في مناطق اخرى· وهناك محطات انذار · وصحيح ان [اسرائيل] تعهدت بتحويل مطاراتها في سيناء [مطار عيكام في الشمال ، وعتسيون قرب ايلات ومطار اوفيرا] الى مطارات مدنية ، ولكن بعد حصولها على تعهد من حكومة الولايات المتحدة باقامة مطارين بديلين في النقب ، على بعد بضعة كيلومترات فقط من المطارين السابقين · وهكذا فمن الناحية الاستراتيجية ، ليس هناك اي فارق فعلي اذا كنت تبني مطارا في نقطة ما ، او على بعد بضعة كيلو مترات منها » (في مقابلة مع الصحافيين الاسرائيليين في واشنطن · ر١٠١٠ ، ٧٨/٩/١٨) · وشرح بيغن مراحل الانسحاب من سيناء بقوله : «« ان الجلاء عن سيناء هو مسألة معقدة جدا، ويتطلب عدة سنوات ··· والمرحلة الاولى من الانسحاب [ستتم] الى خط رأس محور العريش ، وتستغرق هذه فترة تتراوح بين ثلاثة وتسعة اشهر · وسنتين ، من ثم [يتم فيهما] الجلاء الى الحدود الدولية بين اسرائيل وسيناء » (المصدر نفسه) ·

وشرح وزير الخارجية دايان مضمون الاتفاق مع مصر بقوله ان هذا الاتفاق يجب ان يوقع في غضون ثلاثة اشهر ، شرط ان يقرر الكنيست خلال اسبوعين موقفه بشأن المستوطنات في سيناء ، ويوافق على وجوب اخلائها (ر١٠١٠ ، ٧٨/٩/١٩) ·

وبالنسبة للاتفاق حول الضفة الغربية ، اعلن دايان ان الحكم الذاتي سيكون ساري المفعول لدى الغاء الحكم العسكري ، وانتخاب المثلين المحليين · وستجري خلال السنوات الخمس ، وهي الفترة الانتقالية المتفق عليها ، مفاوضات حول اتفاق سلام مع الاردن فقط · واضاف دايان ان « هناك نقطتين من ثلاث نقاط اساسية ، توجد حولهما موافقة مسبقة ، وتشكلان اساسا لهذا الاتفاق : اولا ، استمرار وجود الجيش الاسرائيلي في [الضفة الغربية] وقطاع غزة ، في الاماكن الحيوية التي يحددها الجيش ، وبالاعداد المطلوبة لهذا الغرض ، بغية

الدفاع عن اسرائيل · والنقطة الثانية ، هي حرية التنقل المتبادلة للاشخاص والسلع ، والعلاقات بين عرب « المناطق » وبين اسرائيل ، كما هي الحال الان » (المصدر نفسه) ·

موقف المعارضة

على صعيد المعارضة ، اجتمع مكتب حزب العمل وكتلته في الكنيست ، لاجراء مناقشة اولية لاتفاق كامب ديفيد · وكان اول المتحدثين في الاجتماع ، رئيسة الوزراء سابقا غولده مئير ، حيث وجهت انتقادات كثيرة للحكومة ، وللطريقة التي تم بها الاتفاق في كامب ديفيد ، دون ان تسبق ذلك مناقشة جذرية في الحكومة · وكررت مئير ادعاءها السابق ، بأن مشروع الحكم الذاتي يعني في نظرها ، العودة الى حدود ١٩٦٧ · واضافت مئير ان من غير الجائز ان يبدل حزب العمل موقفه من مسألة مشارف رفح لمجرد ان وزير الخارجية دايان ، قد غير الاتجاه (المصدر نفسه) · أما شمعون بيريس ، فقد اعلن في اللقاء نفسه ، انه سيؤيد الاتفاق لانه يدرك الضرر الذي كان ينتظر اسرائيل في حال فشل المحادثات · وكان بيريس قد زعم قبل ذلك ان تنازلات كثيرة قد قدمت من جانب اسرائيل ، خلال المفاوضات ، « وما من شك ، انه كان بامكان مثل هذه التنازلات ، انهاء المفاوضات قبل ذلك » (ر٠١٠ ، ٧٨/٩/١٨) ·

وتطرق بيريس ايضا ، في مقابلة له مع الاذاعة الاسرائيلية ، (٧٨/٩/١٨) الى ايجابيات اتفاق كامب ديفيد بقوله ، ان اهم نقطة ايجابية هي ان السلام اصبح حقيقة ، « ولولا ذلك ، لدخل الشرق الاوسط في حالة من الفوضى ، ولوجدت اسرائيل نفسها معزولة عن العالم » · كذلك يؤمن بيريس ان السلام « سيخلق مناخا آخر في الشرق الاوسط ، وسيفتح آفاقا للتطوير الاقتصادي والاجتماعي · ولقد آمنت [اي بيريس] طوال الوقت ، ان في الامكان الوصول الى تسوية مع السادات ، حتى لو كان وحده هو الذي يريد المفاوضات » · وتطرق بيريس كذلك الى « سلبيات » الاتفاق ، فتحدث حول الوضع في الضفة الغربية بعد انتهاء الفترة الانتقالية ، بقوله : « اعتقد ان الثمن في الضفة كبير جدا ، ولا فائدة من ذكر هذا ·· بعد انقضاء السنوات الخمس سيكون عمليا في الضفة حكم عربي مستقل ، [···] ··· وسيكون حكما مستقلا بواسطة الانتخاب ، مع نوازع قومية شديدة ، وتأييد من العالم الواسع · الشرطة ستكون بأيد عربية ، اما وجود الجيش الاسرائيلي فسيكون في عدد من النقاط فقط · وهذه اجمالا تنازلات كبيرة » ·

وتحدث كذلك اسحاق رابين ، رئيس الحكومة السابق ، حول رأيه في اتفاق كامب ديفيد بقوله : « ما من شك في انه جيد بالنسبة لاسرائيل ، اذا ما اخذنا في الاعتبار الالتزامات المصرية حول موضوع السلام وجوهره ، واقامة علاقات ديبلوماسية ··· اما المشكلة المؤلمة والرئيسية ، والتي ستواجه قرارا حاسما في اسرائيل ، فهي مشكلة المستوطنات في سيناء ··· انني اشعر بصعوبات شخصية ، فقد كنت شريكا في اقامة هذه المستوطنات ، وآمنت ان اسرائيل ستناضل من اجل قرارها ، في ان تكون هذه المناطق ضمن سيادتها ، لانها الرد الملائم على احتياجات امنها · ان اقامة هذه المستوطنات لم يكن من اجل زراعة البندورة ، وانما من اجل ضم مشارف رفح في اطار الحدود الآمنة لاسرائيل » (المصدر نفسه) ·

هذه هي اهم ردود الفعل من جانب زعماء المعارضة على اتفاق كامب ديفيد·

ويلاحظ انه رغم الانتقادات الكثيرةلمضمون الاتفاق من جانب نواب المعارضة ، فأن معظمهم يؤيده في النهاية ، خلافا للجناح المتصلب في الائتلاف ، خاصة داخل كتلة ليكود ، الذي يهاجم الاتفاق نصا وروحا · ويتزعم هذا الجناح النائبة غيئولاه كوهين التي اعلنت ان اتفاق كامب ديفيد هو بمثابة « انتحار قومي » ، وتخل نهائي عن الضفة الغربية ، وهاجمت ايضا رئيس الحكومة بيغن بقولها : « كفى ايمانا برجل قل لديه الايمان بشعب اسرائيل » (ر٠١٠ ، ٧٨/٩/١٩) · كذلك هاجم رئيس حركة « ارض ــ اسرائيل الكاملة » تسفي شيلواح ، اتفاق كامب ديفيد بقوله ، انه ليس سوى اتفاق خياني « «وان السابع عشر من ايار (مايو) ،يوم تسلم ليكود السلطة ، هو يوم اسود للدولة ، وعلى بيغن اما أن يستقيل ، او ان يخوض الانتخابات على رأس حركة « السلام الآن » ·· » (المصدر نفسه) ·

استنادا الى ردود الفعل هذه ، يتوقع ان يحظى الاتفاق بتأييد اكثرية اعضاء الكنيست ، عند طرحه للنقاش ، خاصة بعدما اعلن بيغن ، انه ستعطى حرية التصويت لاعضاء كتل الائتلاف ، وقد درجت العادة ، ان تتصرف المعارضة على النحو ذاته ، في مثل هذه الحالات ·

تاييد على المستوى الشعبي

على الصعيد الشعبي راوحت ردود فعل الاسرائيليين على اتفاق كامب ديفيد، بين تأييده ومعارضته · ويلاحظ هذا الامر ، بوجه خاص ، بين « حركات السلام » المختلفة التي ظهرت في اسرائيل خلال الاشهر الماضية ، وبالتحديد بعد زيارة السادات الى القدس · وقدانقسمت هذه الحركات منذ نشأتها ، بين مؤيد لسياسة الحكومة ومعارض لها · ويلاحظ ان اتفاق كامب ديفيد قلب وجه الامور . فاصبح معارضو بيغن ، خاصة اعضاء « حركة السلام الآن » ، اشد المؤيدين له، بينما تحول مؤيدوه سابقا الى معارضين· ويلقى هؤلاء المعارضون تأييدا من المتطرفين في كتلة ليكود ، ومن اعضاء حركتي « غوش ايمونيم » و « ارض ــ اسرائيل الكاملة » · وقد قام اعضاء « غوش ايمونيم » بتظاهرة استيطانية سريعة ، حيث تجمعوا واقاموا مستوطنة جنوب نابلس ، كرد على اتفاق كامب ديفيد حيث اعلن احد اعضاء امانة السر لديهم، والمدعو حنان بورات ، ان هدفهم « هوالرد العنيف على اتفاق الاستسلام الذي تحدث عن عدم اقامة المزيد من المستوطنات بل وعن ازالة مستوطنات بدلا من اقامتها» (المصدر نفسه) ·

ومن المؤكد ان بيغن سيلقى صعوبة فيالتعامل مع هؤلاء ، خاصة وان اعضاء بارزين في حكومته امثال اريئيل شارون وزير الزراعة ، ويغئال هوروفيتس وزير التجارة والصناعة ، من اشد مؤيديهم · على اية حال فأن بيغن لا يعتبر في النهاية غريبا عنهم ، وربما تعاون معهم لايجاد وسيلة ما للاستمرار في عمليات الاستيطان على غرار عمليات الاستيطان السرية التي تمت خلال الاشهر الاخيرة ، في المناطق المحتلة ·

حنة شاهين

ـ ٢ ـ
اعفاء الفتيات من الخدمة العسكرية وتعديل قانون خدمة الامن

ليست هذه هي المرة الاولى ، التي تثير فيه مسألة تجنيد الفتيات في الجيش الاسرائيلي ضجة كبرى في اسرائيل · اذ تشكل هذه المسألة احدى القضايا المزمنة ، التي اجبرت جميع رؤساء الحكومات السابقين ووزراء « الدفاع » في اسرائيل على مناقشتها ومعالجتها · وكانت جميع الضجات البرلمانية والشعبية التي اثارتها هذه المسألة في الماضي ، قد اخمدت او سويت جميعها ، انما ثارت ، اخيرا ،ضجة عاصفة ، على اثر اعتزام الحكومة الائتلافية الحالية ، تطبيق البند ٢٧ في الاتفاق الائتلافي ، الذي تم بين حزب «الليكود » وبين حزب « اغودات يسرائيل» الديني المتطرف ، والذي يقضي بتعديل القانون بشأن اعفاء الفتيات من الخدمة العسكرية ·

وكانت هذه القضية قد اثيرت لاول مرة في عام ١٩٤٨ ، حين طلب رئيس الحكومة ووزير الدفاع انذاك دافيد بن ـ غوريون، باجراء احصاء سكاني ، الا ان المتدينين عارضوا اجراء هذا الاحصاء بشدة ، ولكنه عاد وحصل على موافقتهم في اللقاء الذي تم بينه وبين مندوبي حزب « اغودات يسرائيل » في آب من السنة نفسها حيث تم الاتفاق على ان : « اغودات يسرائيل توافق على احصاء اتباعها ، مقابل ان تمنح الفتيات المتدينات اعفاء من الخدمة العسكرية » (معاريف ٧٨/٦/١٥) ·

وفي عام ١٩٤٩ ، كان مصير الحكومة يتعلق ـ كما هو الحال اليوم ـ باصوات المتدينين ، مما اضطر بن ـ غوريون الى عقد الاتفاق الائتلافي الاول الذي وقعه مع رؤساء الاحزاب الدينية ، مقابل تثبيت الاتفاق الذي تم بينه وبين « اغودات يسرائيل » في البند ١١ (د) ، في قانون خدمة الامن ، والذي نصه : « اذا صرحت امراة بالغة سن العسكرية بان اسبابا تتعلق بالضمير او العقائد الدينية تحول دون انخراطها في سلك خدمة الامن ، تعفى من هذه الخدمة » [كتاب القوانين ٢٥ ـ ٢١ ايلول ٥٧٠٩ (١٩٤٩/٩/١٥) ص ٣٨٣] ·

ولان وزارة الدفاع ، تحاشت الخوض في حينه في مسألة من هو « المتدين » ، وما هي « الاسباب التي تتعلق بالعقائد الدينية » ، كما جاء في القانون ، فقد مكنت هذه الصيغة الفضفاضة الالاف من الفتيات ، من الحصول على الاعفاء من الخدمة العسكرية ، بعد ان اتضح انهن لسن في حاجة لان يكن متدينات فعلا ،لكي يحصلن عليه ·

وحين رأى دافيد بن ـ غوريون ان الفرصة قد اصبحت مواتية لموازنة البند ١١ (د) في قانون خدمة الامن ، اي الحؤول دون استغلاله من ناحية، والحؤول دون خلق وضع ، تكون فيه الفتيات المتدينات معفيات من اية خدمة وطنية ، سارع في عام ١٩٥٣ الى سن قانون « الخدمة الوطنية » ، والذي يقضي بالزام الفتيات المعفيات من « خدمة الامن »بموجب المادة ١١ (د) المذكورة » وتتراوح اعمارهن بين الثامنة عشرة والسادسة والعشرين، بالعمل في الخدمة الوطنية (في الاساس في مجال الرخاء الاجتماعي) ، وفقا للمادتين (٢) و (٨) من القانون ، واللتين تنصان على :

« ٢ ـ يجب على كل مكلفة بالخدمة ان تؤدي الخدمة الوطنية لمدة ٢٤ **شهرا** » ·

« ٨ ـ ان المكلفة بالخدمة التي اعفيت من خدمة الامن لاسباب دينية ، تضمن لها لدى قيامها بالخدمة الوطنية المحافظة على نمط حياة ديني وفقا للقواعد التي تقرر في النظام » ٠

[كتاب القوانين ١٣٤ ـ في ٢٤ ايلول ٥٧١٣ (١٩٥٣/٩/٤) ص ٢٠٦] ٠

وقد خول وزير العمل بتنفيذ هذا القانون الا انه لم ينفذ مطلقا نتيجة للمظاهرات الدينية الصاخبة ، التي ادت الى ان يتخذ موشي شاريت خليفة بن ـ غوريون ـ والذي كان قد وقع قانون الخدمة الوطنية كرئيس للحكومة بالوكالة ـ « قرارا بتجميده بعد ان اقامت وزيرة العمل آنذاك ، غولده مئير ، جسما للعمل على تنفيذه » ٠ (معاريف ٧٨/٦/١٥) ٠

وتمشيا مع قانون « الخدمة الوطنية »، فقد اجري تعديل على البند ١١ (د) في قانون « خدمة الامن » عام ١٩٥٩ في البند ٣٠ (ج) لقانون ، والذي اصبح نصه ١١ اذا اثبتت المرأة (بدلا من صرحت المرأة) المكلفة بالجندية بالشكل المقرر في النظام وللسلطة المعنية فيه ، ان اسبابا وجدانية، او اسبابا تتعلق بالعقائد الدينية ، تمنعها من خدمة الامن ، تعفى من واجب هذه الخدمة » [كتاب القوانين ٢٩٦ ـ ٢١ ايلول ٥٧١٩ (١٩٥٩/٩/٢٤) ص ٤٨٤] ٠

كما وشكلت وزارة الدفاع « لجان اعفاء » ، للنظر في طلبات الفتيات الواتي رفضن الخدمة العسكرية ، وقد تألفت هذه اللجان « من شخصيات معروفة ، وحاخام عسكري ، ومندوب عن قسم الطاقة البشرية في الاركان العامة للجيش » (يديعوت احرونوت ٧٨/٦/٣٠)، الا انه لم يمثل امام هذه اللجان سوى القليل من الفتيات ، اذ ان معظمهن كان يحصل على الاعفاء دون حاجة الى **المثول امامها** ؛ فاعضاء اللجان كانوا لا يترددون في التوقيع على كل طلب تتقدم به اي فتاة ، « كانت قد تعلمت في مؤسسات التعليم الدينية المستقلة التابعة لاغودات ـ يسرائيل ، او كانت تعيش في حي منأه ـ شعاريم المتدين في القدس ، بشكل اوتوماتيكي » (المصدر نفسه) ٠ ومن بين الفتيات اللواتي حصلن على هذا الاعفاء، « تلك اللواتي كان انتماؤهن الطائفي او مكان اقامتهن ، يشهدان على استحالة تأقلمهن في القواعد العسكرية ، وحتى وان لم يكن متدينات » (المصدر نفسه) ٠

وينحدر تينك الفتيات اساسا ، من اوساط الطوائف الشرقية ، اذا كان ثمة عائلات لا تزال تنظر الى انفصال الفتاة عن البيت قبل الزواج باعتباره كارثة ، ومن المعروف ان « الكثير من المستوطنات في اسرائيل ، لم يرسل حتى الان ولو فتاة واحدة للخدمة العسكرية ، رغم انهن لسن متدينات » (يديعوت احرونوت ٧٨/٦/٣٠) ٠

ولانه لم يسمح بنشر اية معطيات عن حجم الاعفاء للفتيات من الخدمة العسكرية ، فقد تراوح التقدير دائما « بين ١٥٪ ـ ٢٠٪ من كل دورة تجنيد للفتيات » ، ولذلك ، فقد اصيب الكنيست الاسرائيلي بالذهول عندما كشف موشي دايان عام ١٩٧٠ لاول مرة ان « ٤٠٪ من الفتيات المكلفات بالجندية كن قد اعفين من الخدمة العسكرية ، ومعظمهن لاسباب تتعلق بالعقائد الدينية » (المصدر نفسه)٠

وهذا الكشف على لسان موشي دايان، فاجأ حتى اعضاء الكنيست من اوساط الاحزاب الدينية على اختلافها ، اذ ان « المعسكر الديني في اسرائيل ، يشكل من ١٥٪ ـ ٢٠٪ من مجمل السكان في اسرائيل فقط » (المصدر نفسه) ، فبدت نسبة الاعفاء من الخدمة مبالغا فيها جدا ، مما ادى الى « اثارة احدى تلك العواصف الموسمية »٠

وقد جاءت بعدها ، قضية الفتاة المتدينة « سارة برزاني » ابنة الحاخام المحلي في مستوطنة بيت يوسف ، لتصب الزيت على

نار الضجة التي قامت بعد كشف دايان ، ولم تخمد بعد · وكانت سلطات الجيش قد اصرت على تجنيدها ، ولكي تفند «لجنة الاعفاء » ادعاءاتها بانها متدينة ، «عرضت لابنة الحاخام هذه ، صورة لها وهي في لباسها القصير (الميني) » (المصدر نفسه) · مما احدث « هيجانا كبيرا ، واضرابات ، ومظاهرات عارمة ، انتهت بتسوية ما بين ابنة الحاخام والجيش ، بعد احالة القضية على محكمة العدل العليا ، في غياب اي مؤسسة للاستئناف » (المصدر نفسه) ·

ولذلك فقد طالب موشي دايان وزير الدفاع انذاك ، في اعقاب قضية سارة برزاني ، بتشكيل « لجنة للاستئناف » ، الا انه لم يستطع ذلك · فقد « اتضح في البحث لدى رئيسة الوزراء في حينه ، جولده مئير ، بمشاركة المستشار القضائي لوزارة الدفاع ، مئير شميغر ، ووزير العدل يعقوب شمشون شفيرا بان لا سبيل الى تعيين لجنة كهذه » (المصدر نفسه) ، فاقيمت « لجنة استشارية الى جانب وزير الدفاع ، من بين اعضائها المستشار القضائي لوزارة الدفاع ورئيس مركز التجنيد في الجيش » · بحيث تقدم طلبات الاستئنافات اليها ، وهي ترفع في دورها تقريرا لوزير الدفاع · وقد نجحت هذه اللجنة في « بحث من ١٠ ــ ١٥ قضية استئناف في الشهر » ، وهكذا « بدا ان قضية تجنيد الفتيات قد عادت لتسير سيرا طبيعيا » · (المصدر نفسه) ·

الا ان هذا الموضوع عاد هذا العام ١٩٧٨ ، ليحتل مكان الصدارة في الصحف الاسرائيلية واجهزة الاعلام الاخرى ، وبشكل اكثر حدة ، اثر الضجة البرلمانية والشعبية التي اثيرت لدى بحثه في الكنيست حين ارادت الحكومة الحالية ، تنفيذ التزاماتها الائتلافية مع الاحزاب الدينية ·

ففي الاتفاق الائتلافي الذي وقع قبل عام ، بين « الليكود » ، والحزبين المتدينين « المفدال » و « اغودات يسرائيل » ثمة « ٤٣ بندا ، ٣٧ منها تعنى بشؤون الدين والمتدينين » (هآرتس ٧٨/٧/١٣) ، من بينها البند (٢٧) الذي ينص على تعديل البند ٣٠ (ج) في قانون خدمة الامن من عام ١٩٥٩ ، بحيث يصبح نصه : « المرأة المكلفة بالجندية ، والتي صرحت كتابيا وفقا للبند ١٣ لامر الاثباتات (اي التصريح امام قاض ، او قاض شرعي ، او محام ، او رئيس مجلس محلي ··· الخ) ، ان اسبابا تتعلق بالتقاليد الدينية ، او نمط عائلتها الديني، تمنعها من خدمة الامن ، تعفى بعد تقديمه (اي التصريح) من واجب هذه الخدمة·· بناء على تصريحها فقط » (معاريف ٧٨/٦/١٤) ·

وهذا يعني ايضا ، الغاء لـ « لجان الاعفاء » ، التي شكلت لفحص صحة ما اذا كانت الفتيات المصرحات متدينات ام لا · اذ ان البند ٢٧ في الاتفاق الائتلافي ينص بوضوح ، على ان الاعفاء يتم « بناء على تصريح الفتاة فقط ، دون اي فحص اضافي بواسطة اي لجنة او جهة مهما كانت » (هآرتس ، ٧٨/٦/١٣) ·

وفي الاجتماع الذي دعيت اليه لجنة «الخارجية والامن » المنبثقة عن الكنيست في ٧٨/٦/٧ ، للبحث في مشروع « التعديل ١٣ في القانون » ، وهو مشروع التعديل على قانون خدمة الامن الانف الذكر ، لاعداده للقراءة الثانية والثالثة امام الكنيست للتصديق عليه بعد ان صودق عليه في القراءة الاولى ، ثارت عاصفة حادة ، اثر المعارضة الشديدة التي لقيها هذا التعديل ، من كل احزاب المعارضة وعلى راسها حزب « المعراخ » ، بل ومن داخل الائتلاف الحكومي نفسه · وكان المستشار القانوني المحامي ي· غوراني ، الذي افتتح

البحث بتقديم استعراض لما يترتب على مشروع التعديل من نتائج ، ولكنه ما كاد يبدأ كلامه حتى « طولب بتقديم معطيات احصائية عن تجنيد الفتيات ، وان يبدي رأيه بالنسبة للتأثير النفسي الذي قد ينجم عن اعفاء الفتيات المتدينات (من الخدمة العسكرية ـ والقومية) » (دافار ٨/٦/ ٧٨) · وقد اوضح ممثل وزارة الدفاع في اللجنة ، في رده على الاسئلة الموجهة اليه ان « نسبة المعفيات من مجموع المكلفات بالجندية للسنوات ١٩٧٩ ـ ١٩٨١ ستصل من ٣٠٪ الى ٥٠٪ ، مقابل اقل من ٢٥٪ اليوم » (دلفار ٨/٦/٧٨ ، ومعاريف ١٤/٦/٧٨) · اما بالنسبة للاعفاء من الخدمة العسكرية ، الذي يمنح للفتيات المتدينات ، في عهد حكومة الليكود الائتلافية ، فقد اجاب بأن : « لجان الاعفاء تعمل الان وفقا لما ينص عليه مشروع التعديل في القانون » اي « انها تعفي من التجنيد كل فتاة تصرح بأنها متدينة (دون فحص) ، بل وتعفى من التجنيد جميع الفتيات اللواتي كانت طلباتهن للاعفاء من الخدمة العسكرية قد رفضت من قبل على ايدي هذه اللجان نفسها » (دلفار ٨/٦/ ٧٨ ، ومعاريف ١٤/٦/٧٨) · الامر الذي اثار عاصفة حادة داخل لجنة « الخارجية والامن » المجتمعة ، بحيث استعملت فيها عبارات مثل « تحقير الكنيست ، وتجاوز الصلاحيات ، وتثبيت امر واقع دون صلاحية » (المصدران نفسهما) ، وذلك نظرا « للنسبة العالية جدا في اعفاء الفتيات من الخدمة العسكرية » و « تطبيق مشروع القانون عمليا ، قبل بحثه في لجنة الخارجية والامن ، واعداده للقراءة الثانية والثالثة » (المصدران نفسهما) ، مما ادى الى « توقف بحث اللجنة في هذا الموضوع » (المصدران نفسهما) ، وال بحث الاقتراحات العاجلة التي تقدمت بها احزاب المعارضة الى الكنيست بالنسبة « لتنفيذ القانون المقترح بشأن اعفاء البنات المتديات من الخدمة في الجيش الاسرائيلي » (دافار ٢٢/٦/٧٨) · وقد قدم هذه الاقتراحات اعضاء الكنيست اوراغير (معراخ) ، وشولميت الوني (راتس) ، ومئير معيل (شيلي) وامنون روبنشتاين (داس) ، وان كان هذا الاخير من الائتلاف الحكومي · وكان المقترحون قد « وجهوا انتقادا الى وزير الدفاع عيزر وايزمان الذي تغيب عن جلسة الكنيست ، والذي خول نائبه مردخاي تسيفوري ، بالرد على هذه الاقتراحات » ، (المصدر نفسه) · كما واتهموا الحكومة « بأنها تخرق القانون القائم بتنفيذها قانونا لم يقر في الكنيست بعد » (المصدر نفسه) · وكان اعضاء المعارضة قد اصروا على طلبهم اجراء بحث مقترحاتهم في الكنيست بكامل هيئتها ، بعد ان طالب مردخاي تسيفوري « باحالتها على لجنة الخارجية والامن » ، ولكنها سقطت « بغالبية ٤٣ الى ٣٨ صوتا » · اما بالنسبة لاقتراح روبنشتاين (داش) ، فقد صادق الكنيست « بأكثرية الاصوات على احالته الى لجنة الخارجية والامن » (دافار ٢٢/٦/٧٨) ·

وبعد اعداد مشروع التعديل على قانون خدمة الامن في لجنة « الخارجية والامن » للقراءة الثانية والثالثة امام الكنيست ، « اقر بأغلبية الاصوات في ١٩/٧/٧٨ ، بعد صراع دراماتيكي دار طيلة ١٢ ساعة كاملة » (معاريف ٢٠/٧/٧٨) ·

وقد كان ذلك اكثر الصراعات البرلمانية دراماتيكية عرفه الكنيست التاسع اذ سعى حزب « المعراخ » الى ابراز قوة المعارضة مستخدما كل الحيل البرلمانية المكنة ، كي يعرقل التصديق النهائي على هذا القانون ، وخاصة بعد ان صعد عضو الكنيست موشي شاحال ، رئيس كتلة « المعراخ » ، الى المنصة عند منتصف ليلة الاربعاء التي كان لا يزال النقاش يدور فيها ، « وطالب برفع الجلسة ، لانه لم تجر العادة على ان يجتمع الكنيست في يوم

الخميس » (المصدر نفسه) . الا ان رئيس الكنيست يتسحاق شمير (ليكود) ، اصر على انهاء البحث، واجراء التصويت، قائلا : « اننا سنجلس هنا حتى ننتهي » (المصدر نفسه) .

وكان حزب « المعراخ » ، وكتل المعارضة الصغيرة ، وحزب « داش » الائتلافي ، والذي منح حرية التصويت لاعضائه ، هم الذين صوتوا في النهاية ضد تعديل القانون وكانت هذه الاحزاب ، واعضاؤها ، قد ابدت اكثر من مائة تحفظ ، وركزت على قضية « الخدمة الوطنية » للفتيات المتدينات . وطالبت بـ « دمجها في نص القانون . كي تلزم كل فتاة بخدمة ما » ، واصفين هذا القانون بأنه « ما هو الا رشوات سياسية الهدف منه زيادة عدد المتهربين من الخدمة العسكرية » . وقال موشي سريد (معراخ) بغضب : « هذا هو خضوع كامل لمجلس كبار التوراة » (معاريف ، ويديعوت احرونوت ٧/٢٠/ ٧٨) .

اما الوزير السابق يغئال الون ، فطالب « الالفي فتاة ، اللواتي اعطين حق الاعفاء من الخدمة العسكرية ، بالمثول امام مكاتب التجنيد من جديد » (المصدر نفسه) ، فاجابه وزير الدفاع عيزر وايزمان بقوله : « هناك طريق اخر في الجيش والذي لا يخصص كل فترة لوظائف عسكرية ، ومع ذلك فاننا نسلم بهذا الواقع ، ولا اطالب بتغيير هذا الطريق (يعني الخدمة في الناحال) » (المصدر نفسه) .

عضو الكنيست ابا ايبان قال انه « من الاجحاف القاطع ان نوقف كل تراث شعب اسرائيل على عدم السفر يوم السبت ، والحفاظ على استقامة المأكل ... اننا معرضون بهذه الطريقة لتشتيت الشعب نهائيا ، اذ ليس ثمة مكان واحد في العالم يسمح به للشرطي ان يسعى لمعرفة ما اذا كان ثمة من يمارس الشعائر الدينية ام لا » (المصدر نفسه) .

كما ادعى عضو الكنيست جدعون هاوزنر (المستقلون الاحرار) ان هذا القانون الجديد « يشكل سابقة دستورية خطيرة » . اما نائب رئيس الحكومة يغئال الون ، الذي « لم يستجب لحث رئيس الحكومة مناحيم بيغن المتواصل بأن يصوت الى جانب القانون » ، (المصدر نفسه) ، فقد نشر في نهاية الجلسة بيانا « ناشد فيه كل الفئات الشعبية ، ان تخلق جوا . لا تستطيع فيه اي فتاة لا تقوم بواجبها نحو الدولة بطريقة او بأخرى ، ان تشعر بالراحة » ، واتهم حكومات المعراخ السابقة بأنها كانت قد خضعت هي الاخرى ، لطلبات الاحزاب الدينية في هذه المسألة على مدى ستة وعشرين عاما » (معاريف ٧/٢٠/ ٧٨) .

هذا ، وقد لجأ الجيش الاسرائيلي الرسمي ، الى الصمت التام في كل ما يتعلق بالنقاش الدائر حول قانون تجنيد الفتيات ، الى حد ان مراسل جريدة « معاريف » يعقوب هعليون « منع من مقابلة قائدة القوات النسائية ، او ان يكون حاضرا في لجنة الاعفاء ، التي تمثل الفتيات المتقدمات بطلب الاعفاء امامها » (معاريف ٧٨/٦/١٤) .

الا ان رئيس شعبة الطاقة البشرية في الاركان العامة للجيش الاسرائيلي ، العميد رفائيل فاردي ، كان قد صرح امام اللجنة المشتركة المشكلة من « لجنة الخارجية والامن » ، و « لجنة المالية » ، التابعتين للكنيست ، بأن « تجنيد الفتيات المعفيات من الخدمة العسكرية لاسباب دينية واسباب اخرى ، من شأنه ان يملأ الهوة القائمة في الجيش الاسرائيلي ، كي يستطيع القيام بواجبه على اتم وجه » (معاريف ٦/١٤/ ٧٨) .

واستنادا الى اقوال « احد الضباط الكبار في لواء قتالي » (المصدر نفسه) ، الذي صرح بأنه سيكون « من الصعب عليه ان يدير العجلات الادارية للوائه بعد هذا القانون » ، وان : « دورة فتيات قد انهت خدمتها في الجيش ، والان لا يوجد اخريات مكانهن » ، وانه « نظرا للارتفاع الملموس في عدد اللواتي يتقدمن بطلبات للاعفاء من الخدمة العسكرية ، فثمة اعتقاد ، ان المشرفين على تخطيط العمل في الجيش الاسرائيلي، والذين كانوا قد اعدوا للفتيات العاملات وظائف محترمة ، من بينها تكعيب عدد الفتيات العاملات في مهام تقنية في سلاح الجو ، سيواجهون الان صعوبات جمة في عملية التصنيف »(المصدر نفسه)٠

كما اعلن مراسل دافار العسكري ، نقلا عما يعتقدونه في قسم الطاقة البشرية في الاركان العامة للجيش ، بأن مشكلة النقص في الطاقة البشرية ، وخاصة في الفتيات في الجيش ، « تزداد حدة »، وانها « ستأخذ منعطفا حادا بعد التصديق على التعديل في القانون » (دافار ٧٨/٦/٢٨) ، وان هذا الامر ، « سيضر بالجيش الاسرائيلي في عدة مجالات حيوية ، حيث سيوجه منذ الان عدد اقل من الفتيات للتدريس في مدن التطوير والمستوطنات الحدودية ، ولمهام انسانية في المستشفيات والشؤون الاجتماعية في المستوطنات المتخلفة » (المصدر نفسه) ٠ اما الوظائف التي ستتضرر ، فانها ستكون في « مجال استبدال المهام التي كان يشغلها الرجال ، واحيلت على المجندات في العامين الاخيرين ، لتقوية القوة الرجالية المقاتلة في وحدات الجيش » فقد « مرت الفتيات بدورات في ميكانيكية الطيران ، والاشراف في ابراج المراقبة ، والاتصال ، والتدريب في كلية المدرعات ، وسلاح المدفعية ، والكهرباء ٠٠٠ الخ ، حيث يعملون في مجال ٢١٠ وظائف عسكرية مختلفة » (معاريف ٧٨/٦/١٤ ، ودافار ٦/٢٨/ ٧٨) ٠

كما اعترفت الشرطة الاسرائيلية في ردها الرسمي على السؤال « ما اذا سيقل عدد المجندات في خدمة الشرطة » ، وهي القوة التي اقيمت قبل تسع سنوات ، ووصفت بأنها « العين الاضافية لقوى الامن » ، بأن ثمة « نقصا في الفتيات المجندات للشرطة » ، وانه اذا ما استمر الوضع الحالي فانه « سيحكم على هذه المؤسسة ، التي تدعى جنديات في خدمة الشرطة ، بالفناء » (معاريف ٦/١٤/ ٧٨) ٠

اما ماذا سيكون تأثير هذا القانون على المدى البعيد ، بالنسبة لنظام الحكم ، والحياة العامة في اسرائيل ، فقد حذر معلق جريدة هآرتس ابراهام طال ، من ان تعديل القانون هو بمثابة مؤشر ، لتطبيق شروط الاتفاق الائتلافي كلها مع الاحزاب المتدينة ، « حيث لن تعود ثمة اسرائيل التي كانت : دولة ليبرالية تحترم حرية مواطنيها الروحية ، ولا تتدخل في تنظيم شكل الحياة التي يريدونها ٠٠٠ وستصبح دولة تيوقراطية ، وتنظم نواح عديدة من حياتها بأيدي مجموعة صغيرة من المتدينين المتعصبين ، وفقا لقوانين ترفضها غالبية الجماهير رفضا قاطعا » (هآرتس ٧/١٣/ ٧٨) ٠

توفيق فياض

قضايا دولية

في واحد من اخطر تطورات الصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ على كثرة التطورات الخطيرة التي شهدها هذا الصراع في الفترة الاخيرة ، وخاصة منذ نهاية حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ـ تم الاتفاق بين دولة عربية (مصر) واسرائيل ، على توقيع معاهدة صلح ، واقامة علاقات دبلوماسية ، وطبيعية بشكل عام ٠

تلك كانت النتيجة التي انتهت اليها اجتماعات قمة « كمب ديفيد » الثلاثية بين الرئيس الاميركي جيمي كارتر ، ورئيس النظام المصري انور السادات ، ورئيس وزراء الكيان الصهيوني مناحيم بيغن ٠

بدأت هذه الاجتماعات في « كامب ديفيد » بولاية ميريلاند الاميركية يوم ٦ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ بدعوة من الرئيس الاميركي لقيت تلبية سريعة ومفاجئةمن رئيس النظام المصري ، وموافقة من بيغن ، وتأييدا سريعا ومفاجئا ايضا من قبل السعودية ٠ وكان هذا التأييد الاخير اول خطوة رسمية سعودية في اتجاه تأييد « مبادرة السادات السلمية» ، التي وقفت منها السعودية رسميا موقف الانتظار والترقب ، ولم تعلن تأييدا مباشرا لها قبل تصريح الامير فهد ولي العهد السعودي يوم ١١ اب (اغسطس) بتأييد « المملكة » لقمة « كامب ديفيد » الذي اعرب فيه عن أمله بان يساعد مؤتمر القمة الثلاثي في تحقيق السلام في الشرق الاوسط ٠

اما عنصر المفاجأة في تلبية السادات للدعوة الى القمة الثلاثية فهي انها جاءت في اعقاب حملة انتقادات من جانب السادات نفسه ، واجهزة الاعلام المصرية ، ضد تعنت بيغن الذي بدا واضحا في مواقف اسرائيل ، كما بدت في اخر لقاء سبق « كامب ديفيد » ، وهو اللقاء الثلاثي المصري ـ الاسرائيلي ـ الاميركي على مستوى وزراء الخارجية في « قلعة ليدز » في بريطانيا ٠ اذ كان قد بدا من سير محادثات « قلعة ليدز » ، ثم من نتائجها ، تمسك اسرائيل بالاحتفاظ بالمستوطنات ، وعدم استعدادها لتقديم تعهد بالانسحاب من الضفة الغربية المحتلة لنهر الاردن وقطاع غزة بعد فترة انتقالية مدتها خمس سنوات ٠

وهكذا فان مصر خرجت من مؤتمر قلعة ليدز (الفاشل) تعلن ان « لا مفاوضات قبل ان يتغير الموقف الاسرائيلي » ٠ وقالت على لسان السادات نفسه (في الخرطوم اثناء حضوره مؤتمر القمة الافريقي في ٧/٢٠/ ١٩٧٨) « على اسرائيل ان تقدم عناصر جديدة قبل اية محادثات مقبلة ٠

لقد اعطيت وزير خارجيتي تعليمات في هذا الشأن » ٠ واعلن وزير الخارجية المصري محمد ابراهيم كامل في اليوم نفسه ، في نهاية اجتماعات « قلعة ليدز » ، انه « لم يتم التوصل الى اي اتفاق في ليدز بالنسبة الى اجتماع جديد مع الجانب الاسرائيلي » ٠

وفي اليوم نفسه ، وزعت وكالة « انباء

الشرق الاوسط » المصرية تصريحا لمصدر مصري مسؤول في لندن قال فيه : « ستبحث مصر المشاركة في اجتماع جديد في ضوء ما يقوم به الجانب الاسرائيلي من تغيير في موقفه ، واذا وجدت مصر ان الموقف الاسرائيلي قد طرأ عليه تغيير يتفق وتحقيق الامن والسلام في المنطقة كلها ، والانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة ، واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، فان مصر مستعدة للدخول في مناقشات جديدة وجادة من اجل تحقيق ذلك ... ان الوفد المصري حدد بوضوح للجانب الاسرائيلي وهو يشرح ترتيبات الامن التي يتضمنها المشروع المصري ، ان الامن الحقيقي يكمن في اقامة سلام دائم في المنطقة قائم على علاقات حسن الجوار . وان هذا الامن لا يمكن ان يتحقق مع استمرار احتلال الاراضي ، ومع استمرار تجاهل حقوق الشعب الفلسطيني ، وحقه في تقرير مصيره » .

اما من الجانب الاسرائيلي ، فقد اعلن موشي دايان ، وزير الخارجية ، قبيل مغادرته لندن ، اثر فشل محادثات « قلعة ليدز » ، انه برزت نقاط التقاء عدة بين الجانبين المصري والاسرائيلي ، احداها هي الاتفاق على فترة السنوات الخمس الانتقالية في الاراضي المحتلة وضرورة ازالة الحكم العسكري في الضفة الغربية وغزة . وذكر انه يشعر ان العقبة الرئيسية التي تعرقل التسوية هي استمرار مصر في طلب انسحاب اسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة قبل مواصلة المحادثات . وقال دايان : « قد نغير موقفنا نتيجة المفاوضات ، لكننا نتوقع من الفريق الاخر ان يقوم ببعض التغييرات كذلك . واذا لم يغير الفريقان موقفيهما ، فلن يكون هناك اتفاق ابدا » . واضاف : « ان المصريين كرروا طلبهم بانسحاب اسرائيل من الضفة والقطاع ، لكن هذا لا نقبله » .

وقد ساد اثر ذلك مناخ صنعته اجهزة الاعلام المصرية ، تميز بهجوم شديد على مناحيم بيغن ، واعتبار ان تعنته الشخصي وصلافته هما سبب فشل خطة السلام . وبلغت الحملة الاعلامية المصرية ضد بيغن حدا ازعج المسؤولين الاميركيين ، ودفع بيغن نفسه الى الشكوى منها .

وفي ظل ذلك المناخ بالذات تمت زيارة وزير الخارجية سايروس فانس لكل من مصر واسرائيل (انتهت هذه الزيارة يوم ١٩٧٨/٨/٩) ، ثم كانت المفاجأة التي اعلنها مناقضة تماما لهذا المناخ . اذ توقفت تماما الحملة المصرية على بيغن – وهي بالمناسبة لم تكن حملة على اسرائيل ولا حتى على حزب « الليكود » الحاكم ، انما تركزت على بيغن وحده ولا احد غيره – واعلن فانس انه حصل في كل من القاهرة وتل ابيب على موافقة فورية ، وبلا شروط ، على حضور السادات وبيغن قمة في « كامب ديفيد » مع الرئيس الاميركي كارتر تلبية لدعوة كارتر . ولم يخف فانس نفسه انو « فوجيء بقبول السادات غير المشروط » ، وقال ان واشنطن كانت تتوقع منه على الاقل جوابا مشروطا .

وعلى الفور بدأ الاعلام الاميركي – الغربي كله ، يشارك الاعلام المصري والاسرائيلي ، حملة من نوع جديد فيما يشبه « غسيل الدماغ » عبر وكالات الانباء والاذاعات ومحطات التلفزيون والصحف ... اكدت هذه الحملة بشدة على عدة نقاط اساسية :

☐ ان الرئيس الاميركي كارتر – الذي يواجه انخفاضا شديدا في شعبيته داخل الولايات المتحدة – قد وضع مستقبله كله في كفة ميزان القمة الثلاثية التي دعا اليها . فاذا ما نجح صعد نجمه لدى الرأي العام الاميركي ، اما اذا فشل فان فرصه في الانتخاب لفترة رئاسة ثانية تكون قد امحت تماما .

☐ ان الرئيس كارتر خاض هذه المغامرة غير المحسوبة العواقب لخشيته ان البديل الوحيد لاستمرار « عملية السلام » هو نشوب حرب خامسة عربية ـ اسرائيلية ، مع كل ما يحمله ذلك من احتمالات خطيرة على « شعوب الشرق الاوسط » وعلى « السلام العالمي » · ولم يكن خافيا ان هذا التحذير الشديد من احتمال حرب خامسة مصحوب بكل التأكيدات عن « التفوق الاسرائيلي » الساحق على الدول العربية ·

☐ ان قمة « كامب ديفيد » هي « الفرصة الاخيرة للسلام » ، وان نجاحها سيكون بمثابة بداية طريق السلام الى الابد ، واما فشلها فيعني نهاية كل امل في تحقيق اي سلام ·

وبينما شدد السادات ـ بالنسبة لتصور الدور الاميركي ـ على ان يكون كارتر (اميركا) شريكا كاملا وليس مجرد وسيط ، وذلك عن طريق الضغط على اسرائيل ، فان بيغن وقادة الكيان الصهيوني الاخرين ركزوا ـ الى حد التهديد ـ على ضرورة امتناع اميركا عن القيام بأي ضغط لمحاولة فرض حل ، وعلى ضرورة اقتصارها على دور الوسيط · وقد حرصت الولايات المتحدة على تجنب استخدام كلمة « طرف » في وصف دورها في « كامب ديفيد » · وتأكيدا لعدم الضغط على اسرائيل تعهدت الولايات المتحدة لها بأنها « لن تربط المساعدة العسكرية والاقتصادية الاميركية للدولة العبرية بنتائج قمة كامب ديفيد »· وقد اعطي هذا التعهد لبيغن اثناء وجود فانس في تل ابيب (واشنطن بوست ١٩٧٨/٨/١٥)· كما اعلن وزير الدفاع الاميركي هارولد براون ان المفاوضات مع اسرائيل حول البرنامج البعيد المدى لشراء الحكومة الاسرائيلية اسلحة اميركية ستستأنف بعد قمة « كامب ديفيد » (١٩٧٨/٨/٢٠) ·

اما اذا كانت الولايات المتحدة قد اعدت ـ وقدمت ـ الى القمة الثلاثية ايه مقترحات متكاملة من جانبها ، فقد تناقضت التقارير في هذا الشأن الى حد كبير ، وان كان فانس وزير الخارجية الاميركي قد اكد لدى عودته من الشرق الاوسط الى واشنطن انه « لا مشروع سلام لدى الولايات المتحدة » · ولكن واشنطن تركت انطباعات اساسية لدى عدد من دول المنطقة ـ خاصة مصر والسعودية ـ بأنها ستقوم بدور ايجابي وفعال في البحث عن سلام في الشرق الاوسط ، بل وان المقصود بتعبير « الفرصة الاخيرة » هو ان المؤتمر يمثل فرصة اخيرة امام مناحيم بيغن ليقبل الالتزام بشروط التسوية السلمية ·

وقالت المصادر الاميركية ـ رسمية وغير رسمية ـ ان الرئيس الاميركي كارتر مصمم على ان يقدم في المحادثات الثلاثية « مجموعة من الاقتراحات والافكار والصيغ للتوفيق بين وجهتي النظر المصرية والاسرائيلية والخروج باتفاق ما » ·

وسادت الايام الاولى التي تلت موافقة السادات وبيغن على حضور المؤتمر روح « تفاؤل » قوية على اساس ان رئيس الولايات المتحدة « بنفسه » قد وضع مستقبله السياسي في الميزان في هذا المؤتمر ، وانه لا بد واثق من مقدرته عسلى تحقيق نتيجة ايجابية ، كما انه لا بد ان الولايات المتحدة على قناعة بأنه يصعب على بيغن رفض اقتراحات او افكار رسمية خلال مؤتمر يعقد باشراف الرئيس الاميركي ·

وفي هذا الاطار رشح بعض تلك الافكار الاميركية التي يصعب على اسرائيل رفضها :

(١) تقديم ضمانات اميركية امنية لاسرائيل ، سواء في صورة معاهدة امن متبادل ، او معاهدة حلف دفاعي يضم اسرائيل والولايات المتحدة وايران وربما

مصر ، وربما السعودية ايضا ، او اصدار بيان اميركي يعتبر ان اي اعتداء على اسرائيل هو اعتداء على الولايات المتحدة نفسها ٠

(٢) اقامة قواعد عسكرية اميركية في سيناء و/او في ضفة الاردن الغربية و/او في منطقة باب المندب ٠٠ الامر الذي يكفل امن اسرائيل بالحيلولة دون اية تحركات عسكرية ضدها ٠

(٣) اقناع مصر بالدخول في علاقات طبيعية كاملة مع اسرائيل ، والتوصل الى اتفاق جديد يتعلق بسيناء بين الدولتين يكون بمثابة نموذج يحتذى من جانب باقي الدول العربية ٠

(٤) السعي لاقناع الاردن بالاشتراك في المحادثات في مرحلة تالية ٠ على اساس ان وجود الاردن يسهل التفاوض حول الضفة الغربية ٠

(٥) ان نجاح « كامب ديفيد » ضروري ليس فقط لدفع المفاوضات السلمية في الشرق الاوسط الى الامام ، بل ايضا بسبب التغييرات الاستراتيجية الحادثة في الشرق الاوسط وحوله ، والمتمثلة في احداث افغانستان واليمن الديمقراطي واثيوبيا ، اي « اتساع نطاق النفوذ السوفياتي » ٠

(٦) ان الولايات المتحدة تسعى لان تجعل دورها ومسؤولياتها في الشرق الاوسط « اكبر واوسع » الامر الذي لا يتعلق فقط بأمن اسرائيل ، انما بأمن النظم المعتدلة في المنطقة واستمرار الحفاظ على المصالح الاميركية الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة ٠

وعلى الجانب المصري اتضح قبل وقت طويل من بدء اجتماعات « كامب ديفيد » (الاهرام ١٩٧٨/٨/٢٠) ان « ورقة العمل المصرية » التي ستعرض على المؤتمر تتضمن « ضمانات امنية » لاسرائيل ، وانها تضم ستة بنود وسترتكز على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى اعلان الرئيس الاميركي كارتر في اسوان في شهر كانون الثاني الماضي ، والذي حدد ثلاثة مبادىء لتسوية سلمية في الشرق الاوسط : (١) علاقات طبيعية بين الفرقاء المعنيين ، (٢) ان يتم انسحاب اسرائيلي من اراض عربية احتلت عام ١٩٦٧ ، (٣) حل للمشكلة الفلسطينية يسمح للفلسطينيين بتقرير مستقبلهم ٠

واوضحت المصادر ، المصرية (الاهرام ١٩٧٨/٨/٢٢) ان مصر ستقدم الى القمة الثلاثية ثلاثة مشاريع ٠ يتعلق الاول منها باعلان مبادىء التسوية الشاملة في المنطقة ، حيث تتولى لجنة مختصة ، اعداد بيان اعلان المبادىء على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وخطاب السادات في الكنيست الاسرائيلي ٠ اما المشروع الثاني فيتناول مسألة تنفيذ المبادىء ، حيث تتولى لجنة ثانية اعداد كيفية تطبيق المبادىء التي وردت في الاعلان العام بحيث يكون لكل مبدأ منها تنفيذ عملي ايجابي ٠ ويتناول المشروع الثالث تحديد الاجهزة التي تتولى التنفيذ ، حيث تبحث اللجنة الثالثة الاجهزة والادوات التي تتولى تنفيذ الخطوات التي يتم بمقتضاها « تحقيق السلام بعد الاتفاق على المبادىء » ٠

اما على الجانب الاسرائيلي ـ وفي حدود الوقت نفسه ، اي الاسبوع الاخير من شهر اب (اغسطس) ـ فقد كان التركيز على ان الهدف الرئيسي هو العمل من اجل ضمان استمرار المفاوضات المباشرة ٠

وقد اوضحت حكومة اسرائيل انها ستعرض صيغتها الخاصة القائمة على اساس « وثيقة العمل » ، التي تمت صياغتها على اثر اجتماع مطول كان قد عقد في واشنطن بين وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان ، ووزير الخارجية الاميركي سايروس فانس ، في تشرين الاول

(اكتوبر) ١٩٧٧ · (يلاحظ ان هذا الاجتماع سابق على زيارة السادات لاسرائيل ، بل سابق حتى على اعلانه استعداده للقيام بمثل هذه الزيارة) ·

واعلنت مصادر الحكومة الاسرائيلية (١٩٧٨/٨/٢٢) ان بيغن سيقترح على السادات انسحابا اسرائيليا على مدى قصير بطول خط يمتد من العريش شمالا الى رأس محمد بجنوبي سيناء ، الامر الذي يتيح لمصر استرداد اكثر من ثلثي سيناء · ويطلب بيغن مقابل ذلك التفاوض مع السادات حول الوجود المدني والعسكري الاسرائيلي في بعض نقاط سيناء ، وخاصة مستوطنة « ياميت » قرب « رفح »، وفي القواعد الجوية (المطارات) التي اقامتها اسرائيل قرب شرم الشيخ ·

واوضح بيغن نفسه انه سيعرض على السادات « اقامة علاقات سلمية على اساس اتفاقات جزئية نهائية » · كما يقترح ان يطلب ان توقع مصر والاردن « معاهدة سلام » مبدئية حتى يحين التوصل الى تسوية نهائية · (جيروزاليم بوست ٨/٢٣/ ١٩٧٨) ·

ونشرت وزارة الخارجية الاسرائيلية (في ١٩٧٨/٨/٢٨) وثيقة حول الموقف الاسرائيلي من قمة « كامب ديفيد » كررت الموقف الاسرائيلي المتعلق بالتسوية مركزة على النقاط التالية :

☐ الموافقة على اشتراك مندوبين عن سكان الضفة الغربية وغزة في المفاوضات المتعلقة بمستقبل هاتين المنطقتين ·

☐ قبول حل وسط بشأن الاراضي في حال تقديم اقتراح ملموس لمعاهدة سلام يستند الى هذا المبدأ ·

☐ موافقة اسرائيل على الخوض في مشكلة السيادة على الضفة الغربية وغزة بعد انتهاء فترة الحكم الذاتي التي تمتد خمس سنوات ·

واوضحت هذه الوثيقة الاسرائيلية ن اسرائيل ترى ان حلا وسطا بالنسبة للضفة والقطاع يمكن ان يرتكز على المبادىء التالية :

– حق الاسرائيليين في شراء اراض والاقامة في اي مكان يرغبون فيه ·

– وجود عسكري اسرائيلي دائم ، وحرية انتقال للاسرائيليين في الضفة والقطاع ·

– اجراء مفاوضات لتسوية مشكلة السيادة على هاتين المنطقتين بعد انقضاء خمس سنوات على توقيع معاهدة سلام ·

واضافت « الوثيقة الاسرائيلية » انه اذا تبين استحالة عقد اتفاق شامل في هذه المرحلة ، فان اسرائيل ستكون مستعدة للتفاوض حول « علاقات سلمية » بين الاطراف على اساس اتفاقات جزئية دائمة تسمح في فتح الطريق امام سلام تعاقدي في مرحلة لاحقة ·

كذلك اوضحت اسرائيل موقفها من « الافكار » الاميركية التي رشحت قبيل ايام من انعقاد المؤتمر الثلاثي ، اذ اعلن مناحيم بيغن (١٩٧٨/٩/١) انه يعارض وجودا عسكريا اميركيا في الضفة الغربية وغزة ، لكنه يؤيد عقد معاهدة دفاعية اميركية – اسرائيلية · وحدد في الوقت نفسه – في حديث الى مجموعة من يهود الولايات المتحدة وكندا – موقف اسرائيل في « كامب ديفيد » على النحو التالي :

☐ لا عودة الى حدود العام ١٩٦٧ ·

☐ معارضة ادخال تعديلات طفيفة على حدود ١٩٦٧ · ☐ استمرار الوجود العسكري على طول نهر الاردن · ☐ بقاء القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة · ☐ القدس الى الابد عاصمة

لاسـرائيل ٠

بعد هذا فان الفترة حتى بدء اجتماعات القمة الثلاثية كانت بمثابة تحذير مـن اطرافها الثلاثة من الافراط في التوقعات ٠ اما الفترة من بدء الاجتماعات في ٦/٩/ ١٩٧٨ الى ١٨/٩/١٩٧٨ فكانت بمثابـة تطبيق لبراعة الاجهزة الاميركية ليس فـي فرض السرية والتكتم على المحادثـات الثلاثية فحسب ، بل براعتها ايضا في نقل الرأي العام المرتقب في الشرق الاوسط من معالم بين حالات التفاؤل والتشاؤم بين يوم وآخر ، بل بين ساعة واخرى ٠ حتى ان السـاعات التي سـبقت مباشـرة التوقيع على وثيقتين في نهاية المؤتمر حفلت بأنباء « مؤكدة » عن فشل المؤتمر الاكيد وانهيار « فرصة السلام الاخيرة »٠٠ لتجيء محاولة الانقاذ « البطولية » من كارتر في اللحظة الاخيرة لتعيد الحياة الى جسم القمـة المحتضرة ، وتنفخ فيها الحياة وتجعلهـا تنتقل من حالة الاحتضار الى حالة الخلق والتجديد ٠ وربما لن يقدر للرأي العـام ـ العربي او العالمي ـ ان يعرف ابـدا الصحيح من الزائف في انباء النجـاح والفشل ثم النجاح ٠٠٠ الخ التي توالت من المؤتمر ٠ لكن الامر الذي لا يمكن للعقل ان يتصوره ان تكون ساعات قليلة قـد استطاعت ان تحل تعقيدات كثيرة حالـت على مدى ١٣ يوما استغرقتها المحادثات دون التوصل الى نتيجة ٠

بعد مناورات عديدة في شد اعصـاب الجمهور على طريقة الروايات البوليسية جاءت نتائج قمة « كامب ديفيد » (١٨/٩/ ١٩٧٨) متفقة مع توقعات كثيرين منـذ وقت سابق كثيرا على تلك القمة ، بل منـذ بداية « مبادرة » رئيس النظام المصري ٠ اذ لم تخرج النتائج عن (أ) اتفاق ثنائـي مصري ـ اسرائيلي ، (ب) اطار للسـلام في الشرق الاوسط (وهو ما كانـت التوقعات قد وصفته بـ « اعلان مبادىء)٠

بالنسبة للاتفاق الثنائي الذي دعـي « اطار عمل لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » تضمن البنود الاساسيـة التالية :

(١) تؤكد اسرائيل رغبتها في ان تعيد الى مصر « السيادة » على جميع سيناء ، بينما تؤكد مصر رغبتها في عقد معاهدة سلام واقامة علاقات طبيعية مع اسرائيل ٠

(٢) تقيم المفاوضات الخاصة بعقـد معاهدة سلام مناطق امنية في سينـاء ومناطق محدودة القوات والاسلحـة وراءها ٠

(٣) تدعو معاهدة السلام الى انسحاب اسـرائيلي تدريجي من المنطقـة وعـودة المطارات الاسرائيلية هناك الى السيـطرة المصرية المدنية على ان يسمح بالاستخدام التجاري لها من قبل كافة الدول ٠

(٤) يتم اول انسحاب اسرائيلي رئيسي خلال فترة تتراوح بين ثلاثة ، وتسعـة اشهر بعد توقيع معاهدة سلام ، وتقـام في هذه الفترة علاقات طبيعية ٠

(٥) توقع معاهدة السلام خلال تسعـة اشهر من توقيع الوثيقة ، ويتم الانسحاب الاسرائيلي النهائي خلال سنتين الى ثلاث سنوات بعد توقيع المعاهدة ٠

٠ (٦) تعلن اسرائيل ان قضية المستوطنات يجب حلها خلال مفاوضات السلام ، ويكون للكنيست الاسرائيلي ان يقرر موقفـه من قضية المستوطنات ٠

اما بالنسبة لوثيقة « اطار لسلام فـي الشرق الاوسط » فقد تضمنت النقـاط الرئيسية التالية :

(١) خلال فترة انتقالية مدتها خمـس سنوات يحصل سكان الضفة الغربيةوقطاع غزة على حكم ذاتي يحل محل الحكـم

العسكري الاسرائيلي ٠

(٢) تحتفظ اسرائيل بوجود عسكري في اماكن محددة بعد الفترة الانتقالية « لحماية امنها » ٠

(٣) يدعى الاردن الى الاشتراك في المفاوضات لوضع الترتيبات اللازمة ، وسيكون للاردن ايضا دور امني ، اذا اراد ذلك ٠

(٤) خلال فترة ، السنوات الخمس تعقد مفاوضات بين مصر واسرائيل ، والاردن ـ اذا وافق على ذلك ـ وبالاشتراك مع ممثلي الفلسطينيين ذوي الحكم الذاتي حول الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة ٠ وستشمل هذه المفاوضات معاهدة سلام بين اسرائيل والاردن ٠

(٥) اقامة مناطق منزوعة السلاح في الضفة الغربية وغزة ، ومناطق محدودة السلاح ومحطات انذار مبكر ووجود قوات دولية ٠

وهكذا فانه لاول مرة في تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي اتفقت دولة عربية مع الكيان الصهيوني على قيام علاقات دبلوماسية وطبيعية كاملة بينهما وفق شروط لا تتضمن باي حال جلاء اسرائيليا كاملا ـ او حتى مع تعديلات حدودية طفيفة ـ ولا تتضمن اي اشارة الى الجولان ولا الى القدس ٠ فضلا عن ان الوجود العسكري الاسرائيلي اكتسب شرعية لم يكتسبها باي صورة منذ الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ ٠ كما انها تحمل موافقة سادات على الموقف الاسرائيلي الاميركي من م٠ت٠ف٠ واما عن المستوطنات الاسرائيلية ـ التي يفترض انها وضعت العراقيل دائما امام موافقة النظام المصري على اتفاق مع اسرائيل فقد ترك امر البت في التخلي عنها او تثبيتها الى الكنيست الاسرائيلي وحده ٠

واذا انتقلنا الى رصد ردود الفعل الدولية على نتائج قمة « كامب ديفيد » فاننا لا نجد خروجا عن المألوف :

فقد اعتبرت هذه النتائج في الولايات المتحدة ، وخاصة من جانب الدوائر ، المؤيدة لاسرائيل من الصهيونية نجاحا باهرا للرئيس الاميركي كارتر ، وخطوة كبيرة على طريق السلام ٠ وكان الاكثر اشادة بالنتائج وزير الخارجية الاميركي السابق هنري كيسنجر ، الذي قال (١٩٧٨/٩/١٨) « هذا انجاز رئيسي لهم » ، ووصف السادات بانه « رجل عظيم اخذ على عاتقه مخاطر ضخمة ، وسيتعرض لضغوط عربية هائلة ، ولكنني اظن انه سيصمد امامها » ٠ وتكهن كيسنجر بان الملك حسين سيكون حذرا في صدد الانضمام الى تسوية سلام واسعة ٠

كذلك رحبت بريطانيا بلسان رئيس وزرائها جيمس كالاهان (١٩٧٨/٩/١٨) الذي اعرب عن ارتياح حكومته وقال «انها نتيجة بالغة الاهمية ان يكون الرئيس كارتر دفع الطرفين الى الاتفاق على اطار لمفاوضات جديدة للسلام تتعلق بسيناء والضفة الغربية وغزة ٠

واعتبر الامين العام للامم المتحدة كورت فالدهايم ان النتائج تمثل « حدثا استثنائيا » ، ولكن ـ كما قال المشتركون انفسهم ـ لا يزال هناك كثير من المشكلات الصعبة يجب حلها ٠ واضاف « ان الكثير سيتوقف على سلوك الاطراف الاخرى المعنية » ٠

واعلنت الحكومة الفرنسية (١٩٧٨/٩/٢٠) ان النتائج « تفتح امكانيات وتنطوي على بعض الشكوى » ٠ وقال متحدث باسم « قصر الايليزيه » ان فرنسا ترى ان المرحلة الثلاثية التي تمت لن تكون حاسمة ما لم تفتح الطريق امام تسوية عامة ضرورية لمنح شعوب المنطقة

السلام الشامل والدائم والعادل الذي نتطلع اليه » · كما قال ـ نقلا عن الرئيس الفرنسي جيسكار ـ ديستان ـ ان الطريق الذي ستسير فيه الاحداث من الان سوف يتيح الفرصة للحكم على قيمة هذه الخطوة » ·

وفي موسكو قالت وكالة « تاس » (١٩٧٨/٩/١٨) الرسمية السوفياتية ان مضمون الوثيقتين الصادرتين عن « كامب ديفيد » يدل على ان مؤامرة فعلية دبرت ضد شعوب الشرق الاوسط وضد مصالح السلام في هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية الكبرى · وقالت لقد فرض على السادات ان يعقد خلال ثلاثة شهور تسوية منفصلة بالشروط التي تمليها تل ابيب · واضافت ان النتائج تمثل تخليا واضحا من جانب السادات عن المطالب العربية وخيانة لقضية الشعب العربي الفلسطيني واستسلاما امام كل مطالب تل ابيب وواشنطن ·

اما في بلغراد (٩/١٨) فقد ابدت وكالة « تانيوغ » اليوغوسلافية الرسمية ارتياحا للنتائج ـ على الرغم من ان موقف يوغسلافيا من مبادرة السادات كان سلبيا ـ وقالت « ان اتفاق كامب ديفيد يهدف اساسا الى تسوية المشكلة المعقدة في الشرق الاوسط ، وفقا للمبادىء التي وافق عليها المشتركون في القمة وذلك خلال فترة خمس سنوات وعلى اساس القرار ٢٤٢ » · كما قالت « يمكن القول ان كامب ديفيد يمثل اجراء غير متوقع ذا اهمية رئيسية وقاعدة متينة جدا من اجل تسوية نهائية لمشكلة الشرق الاوسط » ·

س·ك·

قضايا عسكرية

« الميغ ـ ٢٥ » تدخل الترسانة الجوية العربية

ظهرت في العرض العسكري الذي اقيم في « طرابلس » ، بمناسبة الذكرى التاسعة لثورة الفاتح من سبتمبر (ايلول) بالجماهيرية الليبية ، تشكيلة من ٤ طائرات ليبية من طراز « ميغ ـ ٢٥ » الشهيرة ، والتي اقتصر استخدامها من قبل في العالم العربي على عمليات الاستطلاع الجوي الاستراتيجي ، التي كان يقوم بها طيارون سوفييت من قاعدة « غرب القاهرة » الجوية ، في رحلات استطلاعية على ارتفاع شاهق فوق الارض المحتلة في سيناء وفلسطين خلال عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢ . والتي عجزت طائرات « الفانتوم » الاسرائيلية وقتئذ عن اعتراضها ، او ملاحقتها ، نظرا لسرعتها الكبيرة وتحليقها على ارتفاعات عالية ·

والطائرات المذكورة هي على الارجح من النوع المعروف بأسم « فوكسبات أ » . في دوائر حلف « الناتو » ، التي هرب باحداها احد الطيارين السوفييت الى مطار « هاكودات » في جزيرة « هوكايدو » الواقعة في اقصى شمال اليابان يوم ١٩٧٦/٩/٦ · ولذلك فان مواصفاتها التقنية اصبحت معروفة ، بعد ان فحصها الخبراء اليابانيون والاميركيون بدقة قبل اعادتها الى الاتحاد السوفيتي في اواخر تشرين الاول (اكتوبر) من العام ذاته ·

و « الميغ ـ ٢٥ » « فوكسبات ١ » هي مقاتلة معترضة بعيدة المدى لجميع الاجواء ومخصصة اساسا لاعتراض القاذفات التي تطير على ارتفاعات عالية ، الى جانب قدرتها على القيام بمهام الاستطلاع الجوي ، التي خصصت له بعض الطائرات بعد تجهيزها بالمعدات اللازمة لذلك ٠

وبدأ تصميمها في اوائل الستينات لمواجهة قاذفة قنابل اميركية كان يجري العمل فيها لتكون قادرة على الطيران بسرعة ٣ ماك في الساعة ، ولمدى ٦٢٠٠ كلم على ارتفاع كبير ، اطلق عليها اسم « ب ـ ٧٠ » ، وقد حلق النموذج الاول منها في ١٩٦٤/٩/٢١ ، والنموذج الثاني ، الذي حقق بالفعل سرعة ٣ ماك ، حلق في ١٩٦٥/١٠/١٤ ٠ ولكن التكاليف الباهظة لهذه القاذفة دفعت الحكومة الاميركية الى العدول عن انشائها ٠ ولكن تصميم واختبار « الميغ ـ ٢٥ » استمر وحلق نموذجها الاول في العام ١٩٦٤ تحت اسم « اي ـ ٢٦٦ » ، ثم جرى انتاج النموذج الخاص بالاستطلاع قبيل العام ١٩٦٩ . واعقبه النموذج المخاص بالاعتراض في العام ذاته ، او في العام ١٩٧٠ ، ويوجد منها حاليا نحو ٤٠٠ طائرة في الخدمة العملية بالسلاح الجوي السوفييتي فقط . وليبيا هي الدولة الثانية في العالم التي توجد فيها طائرات من النوع المذكور ٠ومن المرجح وجود نوع مطور منها يطلق عليه الخبراء الغربيون اسم « ميغ ـ ٢٥ م » . وهو على الارجح الذي يعرف باسم « ميغ ٢٩ » ، ويتميز بتوفر قدرة قتالية في القتال الجوي التلاحمي ، وكذلك في مهام القصف الارضي ، وهي مهام لم تخصص لها «الميغ ـ ٢٥ » الاصلية ، ولم تراع في تصميمها٠

و« الميغ ـ ٢٥ » « فوكسبات ـ ١ » يبلغ طولها الاجمالي ٢٢٫٣٠ مترا ، وفتحة جناحيها ١٤ مترا ، وارتفاعها عن الارض ٥٫٦٠ امتار ، ومساحة جناحيها ٥٩ مترا مربعا ، ودرجة انسياب الجناحين تتراوح بين ٣٨ و ٤٠ درجة ٠ ويبلغ وزنها وهي فارغة ٢٠ الف كلغ ووزن وقودها الداخلي ١٤ الف كلغ ووزن حمولتها الحربية (٤ صواريخ جو ـ جو « أأ ـ ٦ ») ٢٠٠٠ كلغ ، ومن ثم فان وزنها العادي عند الاقلاع يبلغ نحو ٣٦٫٢٠٠ كلغ (باعتبار ان وزن الطيار ومعداته تبلغ نحو ٢٠٠ كلغ) ٠ وهي مزودة بمحركين نفاثين « توربوجت » قوة دفعهما معا في الحالة العادية ١٥٢٠٠كلغ. وقوة دفعهما عند استخدام الحراق الخلفي لزيادة التسارع تبلغ ٢٢٤٠٠ كلغ ٠ اي نسبة قوة الدفع الى وزن الطائرة العادي عند الاقلاع من دون صواريخ تبلغ ٠٫٦٦ كلغ قوة دفع لكل كلغ وزن ، وهي نسبة قوة دفع الى وزن جيدة بالنسبة للغرض الرئيسي للطائرة ، اي الاعتراض الجوي من مسافة تتراوح بين ٢٠ و ٥٠ كلم ، وليست مخصصة للقتال الجوي التلاحمي « قتال المهارشة » ـ Dog Fight ـ وهي نسبة قريبة الى حد ما من نسبة الطائرة الاميركية « ف ـ ١٥ » المصممة خصيصا لاعتراض « الميغ ـ ٢٥ » ، والتي تبلغ في الحالة المماثلة من وزن الاقلاع نحو ٠٫٧٦ كلغ قوة دفع لكل كلغ وزن ٠

وتوفر هذه المحركات سرعة قصوى لطائرة على الارتفاعات العالية تبلغ ٢٩٨٠ كلم في الساعة ، اي ٢٫٨ ماك ، وذلك عند استخدام الحراق الخلفي الامر الذي يجعلها اسرع طائرة في العالم حتى الآن، اذ ان « ف ـ ١٥ » لا تزيد سرعتها في الحالة المماثلة عن ٢٦٥٥ كلم / ساعة اي ٢٫٥ ماك ٠ وتستطيع « الميغ ـ ٢٥ » ان تصل الى ارتفاع عملي يبلغ ٢٤ كلم خلال ٨٫٦ دقائق ، على حين ان اقصى ارتفاع تبلغه « ف ـ ١٥ » هو ٢١ كلم ٠ وتستطيع « الميغ ـ ٢٥ » المذكورة ان تعترض طائرة تبعد عن قاعدة انطلاقها

نحو ١١٠٠ كلم ، وهي منطلقة باقصى سرعة لها اثناء رحلة الذهاب . اما في مهام القتال الجوي التي تطير فيها بسرعة اقتصادية مثلى ، مع معركة لمدة دقيقتين تستخدم فيها الحراق الخلفي ، فان مدى عملها يبلغ ٢٠٠٠ كلم بعيدا عن قاعدتها . وفي حالة استخدامها في مهام قصف ارضي بصواريخ جو ـ ارض بعيدة المدى (يصل مداها الى ٢٠٠٠ كلم) ، فان مدى عملها يبلغ ٢٢٠٠ كلم وفي حالة رحلات الاستطلاع التي تتم معظمها بسرعة بطيئة ، فانها تستطيع ان تصل الى مدى عمل يبلغ ٢٧٠٠ كلم .

وهذا يعني مثلا ان « الميغ ـ ٢٥ » المسلحة بصواريخ جو ـ جو بعيدة المدى (يبلغ مدى الصاروخ « أأ ـ ٦ » الموجه بالرادار نحو ٥٠ كلم) تستطيع ان تنطلق من قاعدة جوية قرب « طبرق » في ليبيا وتعترض ، بعد رحلة جوية تستغرق نحو ٢٥ دقيقة ، طائرة اسرائيلية تحلق قرب « حيفا » على مسافة ١٠ كلم تقريبا داخل الارض المحتلة ، وذلك من مسافة ٤٠ كلم فوق البحر الابيض المتوسط ، او تعترض طائرة اسرائيلية تحلق فوق « شرم الشيخ » في جنوب سيناء ، او فوق « ايلات » ، او فوق مدينة « القدس » بصاروخ « أأ ـ ٦ » يوجه بالاشعة تحت الحمراء من مسافة ٢٥ كلم .

اما في حالة قيامها بمهمة قصف ارض بالصواريخ جو ـ ارض ،فانها تستطيع ان تقلع من « طرابلس » الغرب لتهاجم « تل ابيب » ، ويتبقى لديها مدى اضافي يزيد عن ٤٠٠ كلم ، نظرا لان المسافة لا تزيد عن ١٨٠٠ كلم . اما في حالة استخدام « الميغ ـ ٢٥ » في عمليات الاستطلاع الجوي ، فان آلات التصوير الخمس الموجودة فيها تستطيع تصوير قطاع من الارض يبلغ عرضه ٧٠ كلم ، وعمقه ٧٠ كلم اخرى ، وذلك من خلال صور واضحة من ارتفاع ٢٤ كلم . وتستطيع في هذه الحالة مثلا ان تنطلق من قاعدة قرب « طبرق » لتصور مناطق في جنوب ايران مثلا ، او قرب « باب المندب » . ورغم ان الطائرة « ف ـ ١٥ » الاميركية تعتبر من المقاتلات بعيدة المدى ، فان اقصى مدى لها ، في حالة القيام بدورية جوية بالسرعة الاقتصادية ، لا يزيد عن ١٨٠٠ كلم ، وبذلك تتفوق « الميغ ـ ٢٥ » عليها ، ليس في السرعة القصوى فقط ، وانما ايضا في بعد المدى ، ويبقى لـ « ف ـ ١٥ » ميزة المتفوق في قدرة المناورة اللازمة للقتال الجوي التلاحمي ، ولكننا نعتقد ان النوع الجديد من « الميغ ـ ٢٥ » قد تغلب على هذا النقص في الطائرة الاصلية . والطراز الاصلي من « الميغ ـ ٢٥ » غير مسلح برشاشات ، وان كان ذلك غير مستبعد تماما بالنسبة للطائرات المباعة لليبيا ، ولكنه مسلح باربعة صواريخ « أأ ـ ٦ » ، اثنان منها يعملان بالرادار لاعتراض الاهداف البعيدة حتى ٥٠ كلم . واثنان يعملان بالاشعة تحت الحمراء للاهداف القريبة حتى ٢٥ كلم ، وهي مزودة بجهاز رادار خاص بالكشف والتعقب لتوجيه الصواريخ يبلغ مداه نحو ٩٢ كلم في الكشف ، ومعدات الكترونية اخرى خاصة بالتشويش الالكتروني . وكلها معدات تعتبر متطورة للغاية اذا ما قيست بوقت تعميم الطائرة في منتصف الستينات .

ويقال ان النوع الجديد منها ، المسمى على الارجح « ميغ ـ ٢٩ » ، مزود برشاشات وبرادار له قدرة الرؤية الى اسفل ، لكشف الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض ، ولممارسة القتال التلاحمي ، وانها تستطيع ان تحمل ٦ صواريخ جو ـ جو ، وكذلك تستطيع ان تحمل وقودا اضافيا خارجيا ، ولها سرعة كبيرة على ارتفاعات منخفضة للقيام بمهام القصف الارضي .

الجنرال « تال » قائدا للقوات البرية الاسرائيلية

عقب تولي « عيزر وايزمسان » وزارة الدفاع الاسرائيلية في حزيران (يونيو) ١٩٧٧ استبقى الجنرال « يسرائيل تال » كمساعد لوزير الدفاع ، وهو المنصب الذي كان يشغله الاخير منذ العام ١٩٧٥ ، أبان تولي « شمعون بيريس » منصب وزير الدفاع ، وقد قام « تال » منذ توليه هذا المنصب باعداد مشروع لاصلاح هيكل الوزارة ، ونجح في ايجاد حلول للمشاكل المالية التي كانت تواجهها ، كما قام بالاشراف على برنامج تطوير وسائل قتال مدرعة ، ومن بينها الدبابة « مركفاه » ، التي ارتبط اسمه بفكرة تصميمها وتطويرها وانتاجها ، على اساس خبرات حرب ١٩٧٣ ، وذلك باعتبار انه اكبر خبير في المدرعات في الجيش الاسرائيلي ٠ وبالاضافة الى هذه المهام ، فقد عهد اليه « وايزمان » باجراء دراسة بشأن هيكلية الجيش الاسرائيلي ، والبحث فيما اذا كانت هناك حاجة الى انشاء قيادة للقوات البرية ، على نمط قيادتي القوات الجوية والبحرية ، وذلك لان هيكلية الاركان العامة بدت في نظر العديد من الخبراء ، هيكلية غير طبيعية ، اذ انها كانت تشمل على قيادة لسلاحي الطيران والبحرية دون اشتمالها على قيادة مسؤولة بشكل مباشر عن القوات البرية ، وكانت الاركان العامة، المشرفة على الاسلحة الثلاثة ، هي التي تقوم بدور قيادة الجيش البري طوال المراحل السابقة من تاريخ الجيش الاسرائيلي ٠

وعكف « تال » على اعداد الدراسة المطلوبة ، التي قيل انها ستنتهي في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧ ، ثم نشرت صحيفة « الجيروزاليم بوست » في اواخر تموز (يوليو) ١٩٧٨ خبرا يفيد تعيين اللواء « تال » قائدا لقيادة القوات البرية الاسرائيلية ، وهذا معناه ان الدراسة المعنية قد انجزت ووفق عليها ، من حيث ضرورة انشاء قيادة برية مستقلة ، بحيث تتفرغ رئاسة الاركان العامة لمهام القيادة العامة والتنسيق بين الجيش البري والطيران والبحرية ، مثلها مثل رئاسة الاركان المشتركة في الولايات المتحدة الاميركية ٠ وهذا يعني القضاء على ازدواجية عمل الاركان العامة كقيادة عامة للقوات البريه وللقوات المسلحة كلها في الوقت ذاته ، الامر الذي يفسح المجال لتطور مستقل للقوات البرية ، التي تضخم عددها حاليا بشكل كبير ، واصبحت تضم فيالقا وفرقا الى جانب الالوية ، التي كانت تشكل التنظيم القتالي الرئيسي للجيش حتى حرب ١٩٧٣ ٠

ولا شك في أن تعيين « تال » كقائد لقيادة القوات البرية الجديدة سيكون له اثره على تطور القوات المدرعة الاسرائيلية واستمرار اعطائها الاولوية في بناء القوات البرية تسليحا وتنظيما وتكتيكا ، ضمن الصيغة الجديدة التي تشكل عليها على ضوء خبرة حرب ١٩٧٣ ، اي ضمن مزيد من تعاون المشاة الميكانيكية ، او « المشاة المدرعة » كما يطلق عليها في الجيش الاسرائيلي عادة لتأكيد صفتها المعاونة بصورة مباشرة للدبابات ، فضلا عن مزيد من تعاون المدفعية ، الى جانب الدعم القريب التقليدي للطيران ، في حالة امكان توفره وفقا لمدى فاعلية الدفاع الجوي المعادي ٠ وذلك بحكم ما يمثله « تال » (٥٤ عاما) من تاريخ عسكري وافكار وعقائد قتالية عرف بها ٠

فمنذ العام ١٩٥٧ تقريبا التحق بسلاح المدرعات كنائب لقائده ، وذلك بعد ان كان قائدا للواء المشاة العاشر ، ثم رقي الى قائد للواء المدرع السابع ، وبعد دراسة عامة للفلسفة والعلوم السياسية لمدة ثلاث سنوات في جامعة القدس وبريطانيا عاد

ليعين قائدا لسلاح المدرعات في ١/١١/ ١٩٦٤ · وفي عهده جرى تطوير نوعي كبير في سلاح المدرعات ، سواء من حيث المعدات أو من حيث القدرات البشرية · فقد ادخلت في عهده الدبابة « باتون » ، وتم رفع مستوى تدريب طواقم الدبابات بشكل كبير ، من حيث الالمام بكافةالنواحي التقنية والتكتيكية للدبابة ، وامكان قيام كل فرد بمهام الآخر عند الضرورة ، بما في ذلك الضباط ، بالاضافة للتدريب على دقة الاصابة بمدافع الدبابات بسرعة ومن مسافات كبيرة للتغلب على المدافع المضادة للدبابات في الارض المكشوفة ، ودون حاجة كبيرة لمشاة الميكانيكية او الدعم المدفعي · كما ركز في التدريب على سبل تخزين المعدات والاسلحة بحيث تكون معدة دائما للقتال · واولى اهمية كبرى للانضباط العسكري التام ، وذلك بحكم خبرته الطويلة في الجيش البريطاني الذي خدم فيه ضمن وحدات المتطوعين اليهود لمدة خمس سنوات منذ العام ١٩٤١، ودراسته في دورة كبار الضباط في بريطانيا عقب حرب ١٩٤٨ · ولذلك فمن المتوقع تركيزه على رفع الانضباط والنظام العسكري في الجيش الاسرائيلي حاليا·

ومن المعروف عنه انه كان ضد فكرة بناء « خط بارليف » لانه كان يرى ان « التحصينات ليست سوى دبابات جردت من جنازيرها » · وهو من انصار الحرب الهجومية ، وضرورة استمرار تبني الجيش الاسرائيلي لاسلوب الهجوم المضاد المسبق ، اي الضربة الوقائية · وذلك لان « من يملك التفوق الكمي هو وحده الذي يستطيع ان يسمح لنفسه بخوض معارك دفاعية ، وشن حرب دفاعية · والذي لا يتمتع بتفوق كمي ، لا يستطيع ان يسمح لنفسه بهذه البحبوحة · ومن هنا ، يتوجب على القلائل ان يتبنوا مبدأ السعي الى توجيه الضربة الاولى وخوض حرب هجومية وليست دفاعية · ولكن ، اذا لم يكن بالامكان انتهاج هذا السبيل بسبب عوامل قسرية سياسية او اخرى ، يبقى امكان واحد فقط ، هو افضل الشرين ،وهو ممارسة دفاع مرن » · هذا ما كتبه « تال » نفسه في احدى مقالاته بعنوان «استراتيجية قومية ـ نظرية الامن: خلفيتها وديناميتها» في صحيفة « عل همشمار » في ١٢/٣١/ ١٩٧٦ ·

وقد اوضح « تال » رأيه بالنسبة لدور الدبابة الرئيسي ، على الرغم من فاعلية الدور الذي لعبته الصواريخ المضادة للدبابات في حرب ٧٣ ، فقال في مقاله المشار اليه انه « يجب تأكيد اساس بناء جيش بري كبير ، مع اولوية واضحة للتشكيلة المتحركة المدرعة ، التي هي وحدها القادرة على القيام بعبء الهجوم الى عمق اراضي العدو ، اذ بواسطتها فقط يمكن تهديد أهدافه الاستراتيجية الحيوية ، وسلامة جيوشه ، واجباره على انهاء الحرب · والدبابة هي اساس التشكيلة المدرعة ، وتشكل عمودهاالفقري· وهذه التشكيلة متعددة الاسلحة ، اذ تتمثل فيها جميع الاسلحة، وكلها متحركة، وجزء منها مدرع · فالدبابة هي التي تقوم بدور الاقتحام والحسم فيالبر ، واما سائر الاسلحة فهي منخرطة في التشكيلة لمساعدة الدبابة ولخدمتها » · ويستطرد « تال » مؤكدا ان «التشكيلات المتحركة والمدرعة تعتبر قوة الحسم العملياتية والاستراتيجية في البر ، ولذلك فأن الدبابة لا تستخدم عندنا كسلاح مساعد فحسب ، وانما ايضا كسلاح حسم تكتيكي وعملياتي ·· وفي ظروفنا ، بالامكان انهاء الحروب بسرعة ، بواسطة التوغل الى عمق اراضي العدو ، فقط بواسطة قوات مدرعة متحركة وحرب « يوم الغفران » اثبتت ذلك » ·

تلك هي خلاصة موجزة لآراء ونظريات القتال الخاصة بالجنرال « تال » ، والتي سيكون لها بالتأكيد آثارها المهمة على

تطور واساليب قتال الجيش الاسرائيلي في الحرب الخامسة ، في ظل تولي « تال» قيادة القوات البرية الاسرائيلية ، الذي كان هو صاحب فكرة انشائها اصلا ٠

وليست صدفة ان يستمر « تال » فيعمله كمساعد وزير الدفاع ، وان تعهد له مهام كبيرة كهذه ، ومركز قيادي مهم كهذا ، في ظل حكومة « الليكود » التي لا ينتمي الى تيارها السياسي اصلا ، ولكن آراءه وقدراته وخبراته المتصلة بالهجوم والحرب الخاطفة هي التي زكته بالتأكيد لدى قادة « الليكود » ٠

حاملة الطائرات « جون كنيدي » في « الاسكندرية »

وصلت حاملة الطائرات الاميركية «جون ف٠ كيندي » الى « الاسكندرية » يوم ١٩٧٨/٩/١٢ في زيارة تستغرق خمسة ايام ٠

ونظرا لضخامة حجم الحاملة المذكورة، فانها لم تستطع دخول الميناء الرئيسي في المدينة ، ولذلك رست في عرض البحر على مقربة من الميناء الشرقي الذي تستخدمه سفن الصيد والزوارق الصغيرة، وتطل عليه ساحات وسط المدينة ٠

وحاملة الطائرات المذكورة تزور « الاسكندرية » للمرة الثانية خلال عامين ، وقد بدأ بناؤها في ١٩٦٤/١٠/٢٢ ، واطلق عليها اسم الرئيس الاميركي الاسبق «جون كيندي » الذي اغتيل في مدينة « دالاس » في العام ١٩٦٣ ، وانزلت الى البحر في ١٩٦٧/٥/٢٧ ، ثم استكمل تجهيزها بالمعدات والاسلحة ، ودخلت الخدمة العملية بالبحرية الاميركية في ١٩٦٨/٩/٧ وهي واحدة من اربع حاملات طائرات تنتمي جميعا لفئة حاملات طائرات « كيتي هوك» ، التي خلفت فئة حاملات «فورستال» والحاملات الثلاث الاخرى هي « كيتي هوك » و « كونستيلايشن » و« اميركا » ٠

ويبلغ وزن الحاملة « جون كيندي » القياسي ٦١ الف طن ، ووزنها في حالة الحمولة الكاملة ٨٧ الف طن ، وطولها ٣ر٣١٩ مترا ، وعرض هيكلها ٦ر٣٩ مترا، وعرض سطحها المخصص للطيران ٩ر٧٦ مترا ، وهو يتسع لهبطي طائرات ، لزيادة قدرة الحاملة على القتال ٠ ويصل ارتفاع غاطسها الى ٩ر١٠ امتار ٠

والحاملة مزودة باربع محركات توربينية ، ولا تعمل بالطاقة النووية ، وتبلغ قوة محركاتها ٢٨٠ الف حصان ، وسرعتها القصوى ٣٥ عقدة (اي ٨ر٦٤ كلم في الساعة) ، ويتألف طاقمها البحري من ٢٧٩٥ رجلا ، وذلك بالاضافة الى ٢١٥٠ رجلا هم افراد الجناح الجوي الذي يعمل على سطحها ٠ وتستطيع ان تحمل نحو ٩٥ طائرة قتال مختلفة الانواع ٠

وهي مسلحة بثلاث مجموعات من قواذف الصواريخ المضادة للطائرات من طراز « سي سبارو » ، وفي كل مجموعة ٨ قواذف (اقصى مدى للصاروخ افقيا ١٨ كلم ، واقصى ارتفاع له ٥ كلم ، ولذلك يسمى بنظام دفاع صاروخي عن النقطة ،اي انه قصير المدى) ٠ وبلغت تكاليف انشاء الحاملة ٢٧٧ مليون دولار ٠ ويبدو ان الحاملة المذكورة تؤلف جزءا من قوة الاسطول السادس الاميركي الى جانب حاملة الطائرات التي تسير بالطاقة النووية « نيميتز » التي سبق لها ان زارت ميناء « حيفا » في ١٩٧٨/٤/٦ ٠

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما السبب الكامن وراء زيارة الحاملة المذكورة للاسكندرية في هذا التوقيت بالذات ،اثناء انعقاد مؤتمر « كامب ديفيد » ؟

وقد تمت هذه الزيارة عشية بدء المناورات السنوية لقوات حلف الاطلسي

البحرية في شرقي البحر الابيض المتسوط، التي قيل انها ستبدأ في ٩/١٥ وتستمر لمدة شهر ، وتشترك فيها وحدات من ثماني دول ، هي الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية وايطاليا وتركيا وبلجيكا والبرتغال ، والتي ستقوم خلالها طائرات تعمل من قواعد برية ، وسفن حربية ، وغواصات ، باعتراض انطلاق الاسطول المشترك نحو شرقي البحر الابيض المتوسط كما ستقوم خلالها ايضا وحدات من مشاة البحرية الاميركية بعمليات برمائية على الساحل اليوناني وتهدف هذه المناورات بصفه عامة الى اظهار وتحسين قدرة حلف الاطلسي على تعزيز منطقة البحر الابيض المتوسط بسرعة وفاعلية ، وبطبيعة الحال ، فان مثل هذا التعزيز ، او مثل هذه النشاطات البحرية والجوية الاميركية لا تهدف الى دعم العرب في صراعهم ضد اسرائيل عند الضرورة ، وانما تخدم الغرض العكسي تماما كما تدلنا الخبرة التاريخية الماضية ٠

الجيش السوري يطور خبراته القتالية

تزايدت خلال الشهرين الماضيين مناورات التدريب الكبيرة الحجم ، التي قام بها الجيش السوري ، مستخدما الذخيرة الحية ، وفي ظروف تشابه الظروف المحتملة في حالة نشوب حرب جديدة مع اسرائيل ، وذلك بهدف رفع القدرات القتالية لديه ، واعداده معنويا لمواجهة كافة الاحتمالات المتوقعة ٠

ففي ٧٨/٧/٢٦ ، نفذت وحدات من سلاح المدفعية والصواريخ التكتيكية ارض ـ ارض (من طراز فروغ ـ ٧ على الارجح) مشروعا تكيتكيا ، استخدمت فيه المدفعية الذخيرة الحية ، واطلقت خلاله صواريخ حقيقية ، وكانت نتائج الاصابات ضد الاهداف المفترضة دقيقة ٠

وفي ٧٨/٧/٣٠ نفذ احد التشكيلات المدرعة مشروعا تكتيكيا آخر ، هاجمت فيه الدبابات بالتعاون مع المدفعية والطيران الدبابات واهداف معادية مفترضة بالذخيرة الحية ، ثم امكن للقوات المذكورة بالتعاون مع وحدات الانسان الثانية الاحتياطية ، ومع وحدات محمولة جوا بطائرات الهليكوبتر ، من ان تصد هجوما معاكسا معاديا ، ثم طورت هجومها في العمق لاستكمال مهام تدمير القوات المعادية ٠ وهذه مهمة قتالية تشابه ، الى حد كبير ، المهام التي واجهت القوات السورية عام ١٩٧٣ ، حين هاجمت بالمدرعات والمشاة الميكانيكية القوات الاسرائيلية في « الجولان » ٠

وفي ٧٨/٨/٢٣ نفذ احد التشكيلات المقاتلة السورية (لم تعلن نوعيته وما اذا كان مدرعا او ميكانيكيا او من المشاة المترجلة) مشروعا تكتيكيا اخر ، جرى على اساس سيناريو صد هجوم معاد مفاجيء ، بالتعاون مع مختلف الاسلحة البرية الاخرى ومع الطيران ٠ ثم شنت الوحدات الاحتياطية والانساق الثانية هجمات معاكسة بالتعاون مع الاسلحة المضادة للدبابات ، من صواريخ ومدافع وقواذف «آر٠بي٠جي» واتمت تدمير العدو المتوغل في العمق الدفاعي السوري بعد مطاردته ٠ وهذا المشروع اعد على اساس افتراض شن القوات الاسرائيلية هجوما مفاجئا ، كما يخشى حاليا في معظم التوقعات ٠

وبعد هذا المشروع الدفاعي نفذ تشكيل ميكانيكي آخر مشروعا تكتيكيا هجوميا بالتعاون مع المدفعية والصواريخ ارض ـ ارض والطيران يوم ٧٨/٨/٢٧ ٠ تم خلاله اختراق دفاعات العدو المحصنة ، تحت رماية كثيفة من نيران المدفعية والطيران ، ورمايات فعالة من الدفاع الجوي لتأمين الهجوم ضد الطيران المعادي ، ثم جرى صد هجوم معاكس للعدو وبالتعاون مع

الصواريخ المضادة للدبابات ، واثر ذلك استمر تطوير الهجوم في العمق لاستكمال اختراق الدفاعات · والقاسم المشترك في هذه المشروعات التدريبية ، هو التدريب على التعاون بين مختلف انواع الاسلحة البرية والجوية ، وصد الهجمات المعاكسة، واستخدام الاسلحة الهجومية مع الاسلحة الدفاعية بتنسيق فعال ، واستخدام الاحتياطيات والانساق الثانية في صد الهجمات المعاكسة وتطوير الهجوم ، وكلها متطلبات اكدت ضرورة اتقانها والاعداد لتنفيذها خبرات حرب ١٩٧٣ ، بالاضافة الى ضرورة التأهب لصد هجوم مفاجيء تحسبا لما تسميه اسرائيل بالضربة الاجهاضية المضادة ، او الحرب الوقائية، التي قد تقدم عليها ، تحت شعار حماية امنها القومي من هجوم عربي متوقع،مثلما حدث عام ١٩٦٧ ·

الطيران الاسرائيلي سيتسلم طائرات انذار مبكر

اكدت مصادر عسكرية اسرائيلية في « تل ابيب » يوم ٧٨/٧/٣٠ ان سلاح الطيران الاسرائيلي سيزود في وقت قريب باربع طائرات انذار مبكر من طراز « اي ـ ٢ سي هوك آي » وهي طائرات تصنعها شركة « غرومان » الاميركية ، كانت اسرائيل قد اوصت على شراء ٤ منها في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٥ ، ضمن صفقات السلاح الضخمة التي عقدتها مع الولايات المتحدة الاميركية عقب حرب ١٩٧٣ ، لتطوير قوتها العسكرية ، ورفع قدرتها على صد اي هجمات جوية عربية مفاجئة ، ولمواجهة التطورات الكمية والكيفية لدى الاسلحة الجوية العربية عقب الحرب المذكورة · ومن المتوقع ان تحصل اسرائيل على طائرتين اخريين من النوع ذاته فيما بعد ، ليكتمل لها عدد ٦ طائرات وتكون اكثر قدرة على توفير دوريات انذار مبكر مستمر على مدار اليوم كله مع وجود طائرة او اثنتين احتياطية ،لمواجهة متطلبات الصيانة والراحة الدورية للطائرات ·

والطائرة المذكورة تعرف على انها نظام رادار جوي للرصد والانذار المبكر وادارة العمليات القتالية الجوية · وهذا يعني انها قادرة على استطلاع المجال الجوي لدولة . في المنطقة التي تحلق فيها ،فضلا عن جزء من المجال الجوي للدول المجاورة (وفقا لمنطقة دوريتها بطبيعة الحال) . وذلك لرصد اي تحركات جوية معادية . وتعقبها منذ اقلاع الطائرات من قواعدها الجوية ، وتبليغ مركز الاتصالات الارضية الذي يقوم بدوره بنقل هذه المعلومات الى غرف عمليات الدفاع الجوي ، ومنثم يبدأ توجيه وسائل الدفاع الجوي من مقاتلات معترضة وصواريخ ارض ـ جو نحو الطائرات المعادية · وفي حالة استخدام المقاتلات المعترضة تبدأ طائرة « هوك آي » في توجيهها نحو اهدافها ، مزودة اياها باحدث المعلومات الواردة اليها عن الاهداف تباعا ، وبهذا تلعب الطائرة المذكورة دورا اضافيا أخر ،هو دور مركز القيادة الجوية الطائر ، الى جانب دورها كرادار طائر قادر على الكشف المبكر للطيران المعادي · وطائرة « هوك آي » ، اي « عين الصقر » ،

انتجتها شركة « غرومان » لحساب البحرية الاميركية ، وظهرت اولى نماذجها عام ١٩٦٥ ، ولكن النموذج الاخير الحالي دخل الخدمة الفعلية فوق ظهر حاملات الطائرات الاميركية في اواخر العام ١٩٧٢ ، بعد ان ادخلت عليه تحسينات كبيرة تتعلق بالاجهزة الالكترونية ، وزيادة مدى عمل الطائرة ·

والطائرة المذكورة يبلغ طولها ١٧ر٥ مترا ، وفتحة جناحيها ٢٤ر٥ مترا ،ووزنها الاقصى للاقلاع ٢٣٥٤٠ كلغ ، وهي مزودة

بمحركين مروحيين توربينيين قوة الواحد ٤٩١٠ احصنة ، وتبلغ سرعتها القصوى ٥٦٠ كلم ، وسرعتها الاقتصادية ٤٩٨ كلم. واقصى ارتفاع عملي لها ٩٣٩٠ مترا ، واقصى مدى لها ٢٥٩٠ كلم ، على حين يبلغ مداها العادي ١٥٠٠ كلم · وهي قادرة على البقاء في الجو لمدة قصوى قدرها ٦ر١٠ ساعات متواصلة ، كما يمكن تزويدها بالوقود وهي في الجو لتمديد فترة تحليقها · ولكن مدة تحليقها المعتادة وهي تبعد ٣٧٠ كلم عن قاعدتها تبلغ ٤ ساعات · ويتألف طاقمها من خمسة افراد، هم القائد ومساعده ، وضابط مسؤول عن الاتصالات مع المركز الارضي ، وضابط يتولى عملية التوجيه والتحكم بالنسبة للمقاتلات الصديقة ، وضابط مسؤول عن تشغيل اجهزة الرادار · ومركب داخل الطائرة جهاز رادار من نوع « أب ـ س ـ ١٢٥ » ، له هوائي ضخم ،اسطواني الشكل دائري الحركة ، يبلغ قطره ٣٠ر٧ امتار، قادر على التقاط الذبذبات المرسلة من الهدف الطائر عن بعد يبلغ ٤٠٠ كلم · ومعنى هذا ان الطائرة وهي تحلق فوق منطقة « تل أبيب » ، مثلا ، تستطيع كشف التحركات الجوية العربية في دائرة تغطي جزءا كبيرا من سوريا والاردن وسيناء كلها تقريبا ، فضلا عن مسافة كبيرة من البحر الابيض المتوسط في قسمه الشرقي، وهذا يوفر العديد من الطواقم البشرية اللازمة لمحطات الرادار الارضية ، خاصة تلك المخصصة لكشف الطيران المعادي المحلق على ارتفاعات منخفضة ، وهذه ميزة اساسية لطائرات الانذار المبكر ، التي تعد افضل وسيلة لكشف الطيران المنخفض . الذي يسبب القسم الاعظم من المفاجآت الجوية · كما ان الرادار المذكور قادر على كشف الطائرات المحلقة على ارتفاعات عالية حتى ٢٠ كلم على الاقل · ويقال انها قادرة على توجيه نحو ٣٠ مقاتلة صديقة نحو اهدافها الجوية في وقت واحد ،وانها قادرة على كشف ومتابعة تحركات نحو ٣٠٠ طائرة معادية في آن واحد · ومن ثم فانه من الواضح ان الطائرة المذكورة سترفع من قدرة الدفاع الجوي الاسرائيلي الى حد كبير ، خاصة بالنسبة للهجوم المفاجىء على ارتفاعات منخفضة ·

محمود عزمي

اليـاس خوري

... أو كهزيع من الليـل

دمشق · ساحة الجبة · طرقنا الباب · اضيء المدخل الخارجي ثم فتحت لنا فتاة تلبس فستانا اسود · تفضلوا · هبطنا الدرج ببطء · هذه شقيقته قـــال ايليا ، غريب لم تعرفني · دخلنا · في الصالة وقف رجل في حوالي السبعين من العمر · فتاتان وامرأة تلبس ملاءة بيضاء والصور تملأ الحيطان · لم اقـــل شيئا · صافحت الايدي التي امتدت وتمتمت · جلس ايليا وجلست الى جانبه · جاءت القهوة المرة · شربت فنجاني · الله يرحمه قال ايليا · لم يجب احد · فتحت المغلف الكبير واعطيت الاوراق لشقيقته ·

ـ جاءت ليلى من باريس وهي تسلم عليكم ·

شكرا قالت الاخت وابتسمت ·

ـ هذه الاوراق هي الارشيف الصحفي عن اغتيال الشهيد ·

شكرا قالت الاخت وبدأت تقلب الاوراق بين يديها · ما هذا ؟ قالت ونظرت الي ·

نظرت الى الصحيفة الفرنسية حيث كانت صورته مرسومة بالكاريكاتيـــر والرصاص يلفها من كل جانب · في اسفل الصورة رجلان ، كل يركض فـــي اتجاه وقد حمل لوحة كتب عليها اسم فلسطين ·

اعلام غربي ـ قال ايليا ·

لا بأس ـ قال الاب دون ان ينظر الى الصورة او الينا ·

كان يجلس في طرف الصالة ، ينظر الى الارض ويفرك عينيه بيديه ٠

قلت له اننا نعتذر لاننا وصلنا متأخرين ٠

قال ايليا لا مؤاخذة ، لكني اضعت البيت هذه المرة ٠

نظرت الاخت ، تذكرتك ـ قالت ٠ لقد جئت منذ خمس سنوات وذهبت هنا في بيتنا ٠

ابتسم ايليا ، خلع نظارتيه ومسح العرق عنهما ٠

ملصقات الشهيد تملأ المكان ٠ لقد اخطأوا قال الاب ٠ انهم يخطئون دائما ٠ فهو ليس من مواليد الطنطورة ، انه من مواليد حيفا ٠ امه من الطنطورة لكن نحن من حيفا ٠

انا من حيفا ايضا ، قال ايليا ٠ من اين قال الاب ؟ ـ وادي النسناس ، ـ ابن من انت ؟ ـ ابن وديع البحري ٠ ـ وديع البحري ٠ قام الاب ٠ وقف ايليا وتعانقا ٠ ـ انه صديقي ٠ ـ مات قال ايليا ٠

كلنا سنموت ، كلنا على هذا الطريق ، قال الاب وجلس ٠

وقفت ٠ صوت المروحة الكهربائية يكسر الصمت ٠ مشيت ، تبعتني الاخت توقفنا طويلا امام الملصقات الملونة التي تملأ حيطان البيت ٠ ثم توقفت امام الملصق غير الملون ٠ انه هو من غير الوان ، ينظر كما نظر عندما التقينا في باريس ٠ كان قد عاد من زيارة لبيروت بعد ان عين ممثلا للمنظمة في فرنسا ٠ كان يبتسم دائما تلك الابتسامة الغامضة التي هي اكثر من ابتسامة واقل من ضحكة ٠ عينه اليمنى نصف مغمضة والعين اليسرى عادية ، والضحكة غير متناسقة على الجانبين ٠ ربطة العنق والانحناءة الخفيفة ٠ تحتار ولا تفهم هل يضحك لك ام يسخر منك ٠ وها هو امامي ، بضحكته الخاصة واغماضة عينه ٠ قالت الاخت انه كان يرسم عندما كان صغيرا ، في الخامسة عشرة او أقل ٠ ارتني لوحة رسمها ٠ انها نسخة عن منحوتة رودان المفكر ، حيث يجلس الرجل ممسكا ذقنه بيده اليمنى ٠ وفي اسفل الصورة كتابة بخط اليد : الانسان ذلك المجهول ٠ وتوقيع عز الدين القلق ٠

عدت الى الصالة ٠ كان ايليا يجلس الى جانب الاب دون ان يتكلما ، وامامهما كوبان من الشاي حاولت ان اكلمه ٠ تنحنحت ٠ قلت يا عم ٠ قال شاي ، قلت شكرا ٠ سأل ايليا عن ظروف وفاة والده ٠ تكلم ايليا ٠ قلت يا عم ٠ لقد عادت قال ٠ نظرت الى المرأة التي تلبس ملاءة بيضاء ٠ كانت تقف الى جانبه ، ثم جلست وتكلمت ٠ كان صوتها يخرج بطيئا ومتلعثما ، ثم يرتفع وتتكلم عن كل

شيء ، تضحك فنضحك · تبكي فنصمت في وجوم ، ننظر الى الارض او الى ايدينا · ثم يعود صوتها الى الارتفاع ·

هذه هي المرأة الفلسطينية قال ايليا ·

كانت المرأة التي تلبس الملاءة البيضاء تفرش صوتها على الارض وتضحك او تبكي · قالت انتم اصدقاؤه ، قلنا نعم · قالت حدثوني عنه · فأنا منذ سافر لا اراه · يأتي قليلا ويقول لي ، جاء دوري هذه المرة ، وان علي ان اتماسك لاني أمه ، وانه لا يخاف · كنت ابتسم له والاطفه · لكني لم اصدق · كل هذه السنوات تذهب هدرا · هذا ليس هو ، لماذا ملأوا البيت بالصور والملصقات والشعارات · هو يختلف عن الصورة ·

كانت السيارة تسرع بنا بعد ان قطعنا الحدود اللبنانية باتجاه دمشق · انا احاول النوم ، وايليا يتكلم دون توقف · ثم فجأة مد يده من نافذة السيارة وقال : هذا هو المعسكر ، هل تعرف معسكر الهامة ؟ قلت اني لا اعرفه · وحاولت العودة الى النوم · هنا كان منزل ابو علي اياد · هل زرته ؟ قلت لا ·

ابو علي اياد يحمل عصاه · لم يعد احد يذكر هذا الرجل دون ان يذكر عصاه · كنا في البداية · الجميع يريد ان يصبح فدائيا · وحتى تصير فدائيا عليك ان تمر في معسكر التدريب الذي يشرف عليه ابو علي اياد · عليك ان تتعرف الى عصاه · قال ايليا انه تدرب هنا وانه لا يستطيع ان ينسى هذه التجربة · سالته عن ابو علي فحدثني عن صورته · قال ان صورته التي علقت في جميع المكاتب تبعث فيه شعور البداية الدائمة ·

– ولكن كيف اشتشهد ؟

لا اعرف اجابني · الحقيقة اني ذهبت يومها الى دمشق ، ومنها الى الحدود السورية الاردنية · كنا مئات من الشباب الذين تجمعوا من اجل المشاركة في معارك الاحراش · لكن لم يسمح لنا · لا اعرف لماذا · لم يقدم اي تفسير · نقف في الطوابير استعدادا للتقدم واجتياز الحدود ، ثم يقولون غدا · بقيت هناك حتى جاء الخبر · قعدت الى بيروت · لكني توقفت في الهامة · كان منزله مليئا برجال مثلي يعودون الى بيروت ، يتوقفون هناك ويكتبون اسماءهم على حيطان منزله ·

عدت بعد سنوات من باريس ، حيث كنت اتابع دراستي · ذهبت الى الهامة · قلت ازور منزل الرجل واكتب اسمي مرة ثانية على حيطانه · دخلت المنزل ففوجئت باللون الابيض · طرشوا الحيطان باللون الابيض · جاء الابيض ومسح كل الاسماء وكل الكلمات · طبعا هناك شباب لم يكتبوا اسماءهم فقط، بل كانوا يكتبون الاشعار والتمنيات ويوقعونها باسمائهم · لكنهم طرشوا كل شيء باللون الابيض ، وبقيت صورته معلقة فوق حائط ابيض · هل تحب زيارة منزله ؟

« لان الف سنة في عينيك يا رب كمثل امس الذي عبر ، او كهزيع من الليل »٠

ـ أظن انها كانت سنة ١٩٣٠ ٠ حدثت مناوشات بيننا وبين اليهود ٠ كنت جالسا أمام الدكان ، فجاء الاخوان وقالوا لي بأن اليهود هجموا على وادي الصليب ٠ تركت الدكان وخرجنا لمواجهة اليهود في شارع شومير ٠ اطلق علينا الرصاص ، وأنا اصبت برصاصتين ٠ طبعا ، الحركة الوطنية كانت تشتد ٠ وفي حيفا ، كان المناضل عز الدين القسام ٠ كنا نذهب الى منزله ونستمع الى دروسه٠ الحقيقة اني لم اشارك في الثورة الا بعد استشهاده ٠ لقد اثر علينا استشهاده كثيرا ٠ خرجنا في جنازته رجالا ونساء ، وحملنا نعشه من حيفا الى بلد الشيخ٠ وعندما وصلنا الى مركز البوليس الانكليزي ، بدأت الناس ترمي الحجارة ٠ هرب جميع رجال البوليس واغلقت البلد ٠ بعد استشهاده اخذت فصائل المقاومة تنتشر ٠ اخذتني الحماسة تركت ام عز الدين حاملا بابنتي جهاد وذهبت الى يعبد ، هناك اشتريت بندقية المانية من شخص اسمه فوزي وسلحلك ٠ ولما وصلنا الى قرية عذين جريتها فوجدتها صالحة ٠ ذهبنا الى بلد اسمه رمانة ٠ هناك شكلنا مجموعة مؤلفة من عشرة رجال ٠ نسفنا خط سكة حديد العفولة ٠ وحاولنا الوصول الى مستعمرة قرب كركور ٠ لكنا لم نوفق ٠ حاولنا ثلاث مرات ولم نوفق ٠ وبعد ثلاثة ايام من التحاقي ، جاء رجال وقالوا لي الافضل ان تعود الى حيفا ، لانك تركت زوجتك حاملا والعيون تفتحت عليك ٠ تركت البندقية في قرية رمانة وعدت الى حيفا ٠

ـ جاء محمد سعيد وقال لي اريدك ان تذهبي الى الطنطورة ٠ رفضت ٠ قال انه سيأتي معي ٠ صدقته ٠ النساء تصدق رجالها ، لكن الرجال يكذبون ٠ ركبنا السيارة ووصلنا الى البلد ٠ ثم فجأة اختفى ٠ يبدو انه ذهب الى دكانه في حيفا وباع البضائع واشترى بندقية وسلحلك وراح ٠ بعد يومين ، قلت لاخي بأني اريد الرجوع الى بيتي ٠ عدنا الى البيت فرأيت الباب مفتوحا ، والخزائن مفتوحة ، ورأيت خاتم الخطبة مرميا في الدرج ٠ جاءت الجارة وقالت لي ، يا خالتي انا لست ناطورا على بيتك ٠ جاء زوجك واخذ الحقيبة وترك البيت مفتوحا وهرب٠ بدأت اطم على حالي وابكي ٠ اقفلت الابواب وذهبت الى منزل والد زوجي ٠ سألني عن محمد ، قلت انه ذهب ولا اعرف اكثر من ذلك ٠ قال بسيطة سوف يرجع ٠ قلت لا ٠ كيف يتركني انا والاولاد وانا حامل ٠ جاء شقيقه ، صرخ في وجهي ، ثم قال اعطينا اولادنا واذهبي الى بيت اهلك في الطنطورة ٠ قلت سأبلغ البوليس ٠ طبعا لم اكن سأبلغ البوليس ، كنت اهددهم فقط من اجل الضغط على زوجي ٠

مفهوم مفهوم قال ايليا ٠

اخذت الاولاد وسكنت في بيت اخي ، وذهب ابن عمي الى يعبد ، وبعد ثلاثة

ايام عاد بالرجل الى البيت ٠

لم يشارك كثيرا في الثورة ، لكنه ادخل الثورة الى بيتي ٠ عندما ولد ابني الاول اسماه عز الدين ، قال تيمنا بعز الدين الشهيد ٠ كان عمره ثلاث سنوات، اختي تأخذه وتشتري له الحلوى ٠ يمشي الى جانبها لابسا القمباز الابيض وعمامة الشيخ ٠ وعندما يفلت من يدها تناديه ، فيهرع الناس اليه ٠ ويسألونه، هل انت عز الدين القسام ، يقول نعم ٠ يحملونه ويقبلونه ٠

ـ انا اشتريت له هذه الثياب ، كان يلبسها ونقول له انت القسام فيقول انا القسام ونضحك ٠

« لان الف سنة في عينيك يا رب كمثل امس الذي عبر او كهزيع من الليل » ٠

كنا نسير على الرصيف في شارع هوسمان ٠ ضجة الشارع ترتفع والرذاذ الخفيف يتساقط ٠ وهو يسير وحيدا في المقدمة ، وانا وزوجتي نتبعه ٠ كان يسير بحذر ، يسرع ثم يلتفت الى الوراء ٠ يضحك بصوت مرتفع ثم يعاود المشي ٠ فجاة انعطف بنا الى اليمين وفتح بابا ٠

ـ ادخلوا ٠

ولكن هذا مخبز قلت له ٠

ـ ادخلوا ٠

دخلنا ٠ كانت رائحة الخبز تنتشر في المكان ٠ الطاولات والكراسي الخشبية شبه فارغة ٠

ـ هذا احد اجمل مطاعم باريس ٠ الطاولات صنعت من خشب الصنوبر ٠ انحنيت وشممت الطاولة ٠ فخرجت رائحة هي مزيج من رائحة الخبز ورائحة الطعام ٠ جلسنا ٠ كان يضحك ويخبر النكات ٠ جاءت المراة بالطعام فبدانا ناكل ٠ قالت زوجتي ان اشكال الخبز هنا عجيبة ٠ طبعا اجابها ٠ لن تجدي هذا الاتقان في اي مكان اخر ٠ كان الخبز مزروعا على الرفوف ، ويأخذ اشكالا مختلفة : فيل ، دجاجة ، ثور ، فتاة ٠ قالت زوجتي انها ستشتري منه وتأخذه معها ، من اجل الاولاد ٠ طبعا اجبتها ٠ كان ياكل بحذر وينظر الى الوراء نظرات خفية ٠ قال انه اعتاد على هذا النمط من الحياة ٠ قبل ان تدخل الى اي مطعم عليك ان تقرر من اي باب سوف تخرج اذا فاجاوك ٠ عليك ان تختار الباب قبل ان تختار طبق الطعام ٠ قلت انه يبالغ ٠ قال لا ٠ منذ اغتيال الهمشري وهم يريدون قتلي ٠ قلت من ؟ قال الصهاينة ٠ قلت طبعا ٠ ولكن المسالة بالغة الجدية ٠ الحذر الدائم ٠ ياتون على شكل لاعبي فوتبول او رواد مقاهي او مثقفين ٠ ويختارون من بينهم واحدا له شكل يشبه العرب ٠ القاتل يهرب بسرعة ويبقى هذا ، الذي يقوم بادخال التحقيق في متاهة ، ولن تثبت عليه التهمة على اية حال ٠ قلت من اين سنخرج اذا

فاجاونا · اشار الى باب خلفي · من المؤكد انهم لم يلاحظوا هذا الباب ·

ـ وكيف يستطيعون صناعة الخبز بهذه الطريقة ·

ـ لا اعلم اجابني ربما يخمرونه بشكل زائد قليلا ، ثم يخبزونه في فرن كهربائي وعلى حرارة منخفضة · ولكنهم لا يستطيعون الاحاطة بكل شيء · هل تعلمين ؟ مرة اضطررت الى الخروج من احد المطاعم هاربا · انه مطعم في هذا الشارع ، لكنه قريب من المكتب · دخلوا · لا اعلم كيف شعرت بهم ·كان هناك رجل يضع نظارتين على عينيه ، وامراة طويلة الشعر ، وشاب سمين يشبه الزعران الذين يظهرون في الافلام البوليسية · وفتى عربي · كل يجلس في ناحية ، ما عدا الرجل الذي يضع النظارتين فقد كان واقفا يحتسي القهوة·

ـ كم ثمن الرغيف ؟

انه السعر العادي ، او هو مرتفع قليلا ، اجاب · في لحظة · تاكدت انهم سيقتلوني · كان هناك رجل يتمشى في الشارع امام المطعم ، ويبدو انه قائدهم· ثم فجاة دخل رجل يشبه السنكري ويحمل في يده ادوات معدنية · قلت سأجرب · وقفت بسرعة · تغيرت ملامح الرجل الذي يضع النظارتين ونظر باتجاه السنكري · عندما خرجت هاربا · ركضت في الشوارع الضيقة واختلطت بالناس ·

ـ ولكن كيف ؟ قال انه تعلم من خبرته · اصبح عندي حس امني ،اجابني· قلت انك تبالغ · قال لا · لكني اعتدت هذا النمط من الحياة · قال نشرب القهوة في مكان آخر · قالت زوجتي انها ستذهب لتشتري خبزا · قلت لا · الافضل ان نعود الى هنا قبل سفرنا ونشتري · دفع الحساب وخرجنا مسرعين من الباب الخلفي · دخلنا الى مقهى مليء بالناس · سالني عن رايي قلت انا متاكد انك تبالغ ، الحذر ضروري ولكن ليس الى هذه الدرجة · لا ـ اجابني · غدا عندما اقتل سوف تتاكد انني لم اكن حذرا بما فيه الكفاية · تركنا ومشى · مشينا سويا وسط الشارع المزدحم · مشينا ببطء ·

والله يا خالتي بقينا في حيفا حتى النهاية · لكن كان لا بد من الذهاب في النهاية · سبعة اولاد ماذا افعل بهم · عندما اشتد القتال واصبح يدور في جانب الشارع الذي نقيم فيه ، لم اعد اعرف ماذا يجب ان نفعل · سبعة اولاد ، وابني امين لا يزال على حضني ، عمره ثلاثة اشهر · وضعت الاولاد تحت طاولة الطعام وتوكلت · ثم رأيت زوجي قادما والى جانبه مجموعة من المسلحين · غسيلي على الحبال وطبختي على النار · لم ينتظر ، بدأ يحمل الاولاد ويعطيهم للمسلحين من فوق الحائط · لبست ثيابي ومشينا ملتصقين بحيطان البيوت · وصلنا الى شارع الناصرة ، حيث بتنا ليلتنا في منزل شقيقة زوجي · في الصباح جاء اخي واقترح الذهاب الى الطنطورة · محمد سعيد رفض الذهاب · اذهبي انت والاولاد وانا سأبقى · ركبنا سيارة تاكسي وذهبنا · اوقفنا الجيش الانكليزي ، وبعد تفتيش دقيق سمحوا لنا بمتابعة السفر · وصلنا الى بيت اخي في الطنطورة لنجده قد تحول الى تجمع سكاني ضخم · هناك زوجة اخي

الذي استشهد مع اولادها ، وزوجة اخي المتوفي مع اولادها ، وزوجة اخي الثالث الذي فقد منذ شهر مع اولادها · اربع نساء و ١٨ ولدا · بعد حوالـــي اسبوعين سقطت حيفا · جاء سائق من هناك وقال ان محمد سعيد قتل · قلت لاخي اني ذاهبة الى حيفا · قال لا يمكن · لقد سقطت المدينة والرجـل مات · اقمنا التعزية ثلاثة ايام · وفي اليوم الرابع قال رجل من الطنطورة ان ابـــو عز الدين وصل · ركضت الى الشارع · خلعت المنديل الاسود الذي يغطي رأسي وركضت · فرأيته في راس الشارع يلوح بيديه الاثنتين والحطة على رأسه ·

قالت انه استشهد من القنبلة الاولى · لكنهم قالوا انه استشهد من القنبلة الثانية ·

وفجاة انطلق الرصاص · حاولوا خلع الباب · كان الباب مقفلا من الداخل· اطلقوا الرصاص على القفل ، لم ينفتح الباب· كانوا قد وضعوا الطاولةخلف الباب ، وهم خلف الطاولة ، والرصاص فيالخارج ·

ضرب الباب بيده ، احدث فجوة · رمى القنبلة الاولى ، رمى القنبلـــة الثانية ، ثم اطلق ست عشرة رصاصة في الجسد المرمي خلف الطاولة · كان هو · الشظايا في كتفيه ، والرصاص في انحائه ، والدم على الارض · والى جانبه رجل قطعت ساقاه والدم ينزف وهو يحاول ايقاف النزف ·

قال الاول بعد ان اعتقل ، هل مات الرجل ·

قال الثاني وهو يرفع اشارة النصر ، هل قتل الرجل ·

اما هو ، فكان ملقى على الارض ، الدم ينزف من جبينه · يبتسم ولايسأل من هو القاتـل ·

في مسجد باريس حيث تجمع الرفاق كان البكاء يرتفع · الجميع يرتجـف بالدموع · لماذا اصبحنا نبكي على الشهداء بهذه الطريقة ؟ سالت ليلى وهي تبكي · قلت لها بانني لا اعرف ولا افهم · لكن منذ ان تكاثر الشهداء خلال الحرب الاهلية ، اصبحنا اكثر حساسية من الموت · نعيش مع الموتى ونخاف عليهم من الموت ·

ـ ولكني لا اريد ان ابكي ·

مشت وحيدة ومشيت وحيداً ·« انني قاتل او قتيل » · لكنني قاتل وقتيـل قلت لها ·

« لان الف سنة في عينيك يا رب كمثل امس الذي عبر او كهزيع من الليل » ·

جاء ابو عز الدين ومعه المركب · قال نذهب الى صور · مستحيل اجبته ·قال اسبوعين او ثلاثة اسابيع على ابعد تقدير ثم نعود الى حيفا بعـد ان تكـون الاحوال قد هدأت ·والله مفاتيح بيتي معي · ثم ركبنا · لكـــن حدثت بعـض المشاكل · قال شباب الطنطورة ان الخروج مستحيل · لن يخرج احد من البلد·

نحن من حيفا ولسنا من الطنطورة · اربع نساء وثمانية عشر ولدا ، ماذا نستطيع ان نفعل اذا جاءوا · اخيرا اقتنعوا وسمحوا لنا بركوب المركب بعد ان كادت تحصل مصادمات في القرية · واقلع المركب باتجاه صور · كان البحر مظلما · كأنه لا وجود لشاطيء فلسطين · الاولاد يبكون ، دوار البحر ونحن فوق بعضنا ، ثم وصل المركب الى قرب شاطيء حيفا · انا لم انتبه الى حيفا · قال لي ابو عز الدين انظري ، هذه هي المدينة · نظرت ولم ار شيئا · كيف استطيع ان أرى · الاولاد في حضني وبين قدمي ، بعضهم يبكي وبعضهم يريد طعاما وبعضهم يريد ان ينام · وثلاث نساء الى جانبي يبكين على ازواجهن وعلى البلد وعلى هذه المصيبة · اما هو ، فكان يجلس وحيدا في طرف المركب ، يدخن سيكارته التي يضمها بين يديه حتى لا يرى اي ضوء في المركب ، وينظر الى البحر · فجأة اشتعلت ورأينا الاضواء تحيط بالمركب من كل ناحية · تشهدوا قال محمد سعيد · نتشهد ، يعني سوف نموت في البحر ، ما هذه المصيبة · نصيبنا ـ اجابني · لكن لحسن الحظ كان المركب الذي سلط اضواءه علينا ، مركبا انكليزيا · نزل جنديان الى مركبنا ، رأوا النساء والاطفال ، قالوا كلمات لم افهم معناها ، لكنهم اشاروا بأننا نستطيع متابعة السير · وسار المركب باتجاه صور · والله لم انظر الى حيفا كما نظر اليها الجميع · الذين غادروا في وقت مبكر رووا انهم ظلوا ينظرون اليها والمركب يبتعد ، حتى تحولت الى حمامة سوداء تسبح في البحر · انا لم الاحظ لا الحمامة ولا غير الحمامة · كيف تريدين ان الاحظ · في التاسعة صباحا وصلنا الى صور · قلنا الحمد لله · ولكن فور نزولنا الى الشاطيء رأينا الطاولات وعليها الاوراق · يسألون الف سؤال قبل ان يسجلوا اسماءنا · سألت ما هذا ؟ قالوا تسجيل اللاجئين · محمد سعيد رفض · لن نتسجل قال · نحن لسنا لاجئين · بعد شهر على ابعد تقدير سوف نعود الى حيفا · فلماذا نقف في الطوابير ونسجل اسماءنا · قلت نتسجل ، ماذا سنخسر · قال لا · بقينا على شاطيء صور وسط الاف الناس الذين جاءوا من شمالي فلسطين · كانت الناس تستلقي على الشاطيء ولا تعرف ماذا سيجري لها · ثم استأجر محمد سعيد غرفتين في صور حيث سكنا جميعا · بقينا هناك الى ان جاءنا خبر من سليم الشعار ، وهو احد اصدقاء زوجي ، بانه مستعد لاستقبالنا في دمشق · فذهبنا الى دمشق ·

ايليا يقف في انتظار انجاز معاملات العودة على الحدود السورية ـ اللبنانية ، ويحدثني عن مصارعة الثيران · قلت له اني لا اعرف كثيرا حول الموضوع ، لكني معجب بشخصية المصارع · لقد رسمها بيكاسو بشكل مدهش الحبر الصيني والحركة التي تتجمد عند لحظة تشبه العناق بين المصارع والثور · قال لا · المصارعة شيء اخر واكثر حدة · قال انه شاهد الكثير من حفلات المصارعة في اسبانيا ، لكن المدهش هو ما لا تشاهده · هل تعلم لا يستطيع الثور ان يناطح الا في مكان محدد من الحلبة · يركض في الحلبة

بأسرها · لكنه لا يستطيع ان يقاتل الا على جزء محدد منها · والمصارع الجيد هو الذي يستطيع تحديد هذا المكان بسرعة · المصارع يحاول استدراج الثور الى الخارج ، والثور يحاول دفع المصارع الى الداخل · لذلك يستطيع المصارع الاقتراب من ضحيته بشكل ملفت للنظر في بقية انحاء الحلبة ·

ومن اخبرك ؟ سألته ·

احد المصارعين ـ اجابني ·

مدريد القديمة· نبيذ وخنزير مقدد ونساء· الساحة الفسيحة تمتلىء بالعشاق الذين يخرجون من الحانات الضيقة · في الساحة رايته ، رايت الناس يتجمعون حول رجل مستلق على الارض · تقدمت منه · كان يمسح بكمه فمه الممتلىء خمرا ويتكلم · انه مصارع تقاعد لانه اصيب · كان يروي نفس القصة دائما · فضح سر المهنة ، ولا يزال يسكر ·

اقمنا في منزل الشعار حوالي اسبوع · لكن مستحيل · لقد خرب الاولاد كل شيء · ثم استأجرنا منزلا في مدينة الشحم قرب سوق الحميدية ، وسكنا فيه جميعا · بعد اسبوعين جاءنا خبر الطنطورة · لا اعرف كيف سقطت · انا لم اكن هناك · لكن الروايات كثيرة · الشيء المؤكد ان اليهود حين دخلوا البلد جمعوا شبابها قرب شاطيء البحر وقتلوهم · كان عددهم ٥٨ شابا · انت تعلم، الطنطورة على الشاطيء ورجالها بحارة · لكن ماذا يستطيعون ان يفعلوا · طائرات ودبابات · اخذوهم الى الشاطيء ، وهناك فتحوا عليهم نيران الرشاشات ، وتركوا جثثهم مرمية عدة ايام · انا لم ار المشهد · ابنة عمي تقول ان الجثث كانت تلتمع تحت اشعة الشمس · يا حيف على الشباب · قالت ، انهم كانوا كالسمك الميت الذي لا يلتفت اليه احد · لا اعلم اذا دفنوا · بلى ، قالوا ان بعض النساء تسلل في الليل وسحب الجثث · كانت مليئة بالرمل والغبار والديدان · ثم حفر حفرة ودفنها · اولاد عمي ماتوا هناك · لكنهم شهداء · لا يهم الشهيد اذا دفن او غسل ، دمه يطهره · اقاموا الان مستعمرة يهودية مكان الطنطورة وسموها دور · لا ، لا يوجد لنا اقارب هناك · الرجال قتلوا والنساء والاولاد تشتتوا في لبنان والاردن · هل تعلم ، الطنطورة بلد جميل · وكان لها عز في الماضي · لكن راحت البلاد · انا لم اكن افهم في السياسة · يا خالتي السياسة لها رجالها · لكنه هو ، الشهيد الله يرحمه كان يحدثني دائما في السياسة · وكان يخبرني عن الطنطورة · قرأ عنها في الكتب· قال أن نابليون انهزم اليها عندما انهزم من عكا · كان يخبرني عن الجنود والطاعون والحروب · كنت اقول له يكفي ما اصابنا ، لكنه كان يقرأ في كتاب سميك ويخبرني · نهضت الاخت وجلبت كتابا · امسكايليا الكتاب واشار الي :

« عام ١٧٩٩ مر بالطنطورة في شهر ايار ، نابليون وجيوشه المتقهقرة عن عكا وهي في طريقها الى مصر ·· رأيت بعيني رأسي ضباطا مبتوري الاطراف

يلقيهم حمالوهم عن نقالاتهم · ورأيت رجالا مبتوري الاطراف وجرحى ومرضى بالطاعون ، او ربما يشتبه في اصابتهم بالطاعون ، يتركون في الحقول · وكانت تضيء لنا في سيرنا ، المشاعل التي تحرق بها المدن والقرى والمحاصيل الغنية · واصبح الريف كله شعلة من نار · ولم نر حولنا الا رجالا في النزع ، وآخرين ينهبون ويسلبون وغيرهم يحرقون · وكان المرضى على جانب الطرق يقولون بصوت لا يكاد يسمع ، انني جريح فقط ولست مصابا بالطاعون · ولكي يقنعوا من يمرون بهم كانوا يفتحون جروحهم او يحدثون في اجسادهم جروحا جديدة · ولكن احدا لم يصدقهم ، وكان القوم يقولون انه ميت ، ثم يعبرون » ·

« لان الف سنة في عينيك يا رب كمثل امس الذي عبر او كهزيع من الليل » ·

ليلى تتكلم وهو ينظر الى يديها · لا اعلم لماذا تذكرني بابي قالت لـه · ذهبنا الى بعلبك · دخلنا من النفق الصخري · امامنا كان معبد باخوس مضاء بالوان خافتة تتفجر من حجارته · كنت اسير الى جانبه · ارتفعت الموسيقى وانا احاول الامساك بيده · لكنه كان يسير مسرعا وسط الزحام · قلت له لا تسرع · لم يلتفت الى الوراء · ثم سقط · اعتقدت ان الموسيقى توقفت · سقط كما تسقط الشجرة · لا اعلم من اين جاءت المساحة الفارغة التي سقط عليها · المكان مزدحم بالناس وانا لم استطع اللحاق به · رايته مرميا على الارض · وقفت امامه · لم تتوقف الموسيقى · كان ملقى على جنبه · جلست على الارض وامسكت بيده · ثم تجمع الناس · ابعدوني عنه · قلت لهم انه ابي واني اريد ان امسك يده · جاء الاطباء · قالوا انهم يحاولون · لكنه كان قد مات ·

عز الدين دخل الى الجامعة وكان عمره ١٩ سنة · قال انه يريد ان يدرس الكيمياء · قلت له يا ابني ، ولكن لماذا لا تدرس دكتور · تكلم فلم افهم · لكنه بعد ذلك صار دكتورا في فرنسا · قال لي انه صار دكتورا في الكيمياء · لكنه لا يشتغل دكتور · يشتغل مع الفدائيين · كان في السنة الثانية في الجامعة، عندما جاءت المخابرات وطوقت الحارة · ثم طرق اثنان على الباب · فتح محمد سعيد الباب ولم ينتبه انهم من المخابرات · صرخ له بأن اصدقاءه في انتظاره · خرج واستقبلهم · قال لهم انتظروني خمس دقائق حتى البس ثيابي · لبس ثيابه وخرج ولم يعد · اربعة اشهر وانا ابحث ليلا نهارا ولا اعرف شيئا عنه · سألت الجميع · جميع مراكز البوليس وجميع الناس ، لا احد يعرف · قلت راحت عليك يا ام عز الدين · ثم جاءت امرأة وطرقت بابي · قالت ان ابنها اعتقل مع ابني ، وانهم وضعوا الجميع في سجن المزة · ذهبت انا والمرأة الى المزة · العسكر على الباب ، قالوا ممنوع · قلت لهم ابني ، قالوا ابنك ممنوع · قلت لهم هو هنا واريد ان اراه · قالوا ان الزيارات ممنوعة · ثم جاءني أحدهم وقال لي اذهبي الى المباحث واجلبي ورقة من هناك ، وبعدها نسمح لكم بالزيارة ·

انا كنت قد حملت لابني بعض الثياب ، خرج من البيت وليس معه سوى بذلته التي كان يلبسها ، اعطيت الثياب للعسكري وذهبت دون ان اراه · بعد عدة ايام ذهبنا الى الشرطة العسكرية قرب الجامعة · وبعد الكلام اعطونا الاوراق · حملناها وذهبنا الى المزة · هناك كانت النساء فوق بعضها · ادخلونا بعد الرجاء والكلام كل خمسة نساء سويا · لم نتكلم معهم · السجناء خلف الحديد ، ونحن نبعد عنهم ستة امتار او اكثر ، والجميع يتكلمون سويا ، يصرخون ويلوحون بالمناديل ويبكون · وحالة لا توصف · تكلم وتكلمت ، ولكني رأيته ، واصبحت اذهب الى المزة اسبوعيا · وكل اسبوع تتكرر الحكاية نفسها · ثم توصلنا الى اتفاق كل امرأة تتكلم دقيقة واحدة مع ابنها · لكن الاتفاق لم يطبق فعليا · في كل مرة كانت احدى النساء تستأثر بالحديث ، ثم يعلوا الصراخ · المهم انهم قالوا لي لماذا لا يوقع على الاوراق »· قولي له ان يوقع فيخرج من السجن · قلت له ان يوقع ، ما قيمة الاوراق ؟ لكنه رفض · كان يقول لي انه لن يتبرأ من الحزب الشيوعي لانه ليس عضوا فيه · قلت له بسيطة · انت لست عضوا فماذا تخسر؟ قال اخسر كرامتي · يا ابني ما هذه العقلية · كرامته متعلقة بالتوقيع · الكثيرون وقعوا وكانوا اعضاء · والله لا اعلم اذا كان عضوا ، انا لست متأكدة · لكنه لم يوقع · قلت له انا اوقع عنك · فضحك وقال بسيطة · بقي ثلاث سنوات · مرة طلب مني ان اذهب الى وزير الداخلية واقولله ان ابني سجين ، وهو فلسطيني ولا علاقة له بشيء · حاكموه او اطلقوا سراحـــه · ذهبت الى مكتب الوزير · تستطيع ان تتخيل مبلغ الصعوبات التي واجهتها · دخلت الى المكتب · طبعا لم ار الوزير ، فنحن لا نستطيع مقابلة الوزراء · كان هناك حاجب ، اخبرته قصـة ابني وبكيت · بكى الرجل ووعدني خيرا · ولكن من اين يأتي الخير · بقينـا هكذا ثلاث سنوات ، وانا ادور من البيب الى السجن ، ومن السجن الى مكاتب الحكومة · لكن كل شيء له نهاية · كان على ما اعتقد نهار الاثنين ، صليـت العصر وجلست على الشرفة ابكي · كنت متأكدة انه لن يخرج · قرع الجرس ، فتحت الباب ، كان احد فتيان الحي يقف خلفه لاهثا · قال لي انه التقى عز الدين في رأس الشارع ، وان عز طلب منه ان يأتي ويخبرني بأنه قادم · خرجت مـن البيت وتركت الباب مفتوحا · ركضت في الشارع فرأيته · كان يمشي ببـطء ، يلبس البذلة نفسها التي ذهب بها الى السجن ، حليق الذقن ويبتسم · ادخلتـه الى البيت ولم اره · جاءت الناس لتهنئته بالخروج · لكني فرحت ، قلت فرجت· وبعدها صار يذهب الى الجامعة ويدرس · انهى الليسانس وسافر الى السعودية· عاش في السعودية بضع سنوات ثم عاد الى دمشق · قال انه سيسافر الىفرنسا من اجل اكمال دراسته · سافر · اخذ الدكتوراه في الكيمياء وبقي هناك · كنت اكتب له بان يرجع ، لكنه لم يجاوب · ثم علمت انه يعمل معهم · وعندما استشهد الهمشري خفت كثيرا · قلت له بانهم سيقتلونك فلماذا لا تعـــود · قال لا · لا استطيع · قلت له اني اتمنى لو يدخل السجن ، هناك يرتاح بالي وهو يرتاح ·

صار يضحك · القبر اكثر راحة اجابني · كان يمازحني دائما عن الموت والقبر· ظل هناك حتى جلبوه في النعش · فهو شهيد ، وقد اختار طريقه · لكنه مات ·

سبعة كانوا ، وثامنهم كان الهمشري · اولهم دخل احد السجون العربية فور وصوله الى بلده · قيل لانه قذف قنبلة يدوية في الشارع على رجال الشرطة · وقيل انه جاء واعلن الكفاح المسلح ، وقيلت اشياء كثيرة · لكنه دخل السجن وبقي هناك · تساقطت اسنانه واصيب بجميع الامراض الممكنة· وثلاثة قتلوا في باريس · الاول كان الهمشري · اخذ سماعة الهاتف فانفجرت· قيل انها كانت ردا على عملية ميونيخ · وقيل ان الصهاينة يستطيعون الانتقام وقيل · لكنه لم يقل شيئا · كان يعمل ويعمل · وحين مات دفن في مقبرة بير لاشيز في باريس · والى جانبه دفن الثالث · حيث اطلق عليه الرصاص وهو خارج من المكتبة · فسقط في الشارع وسط الحي اللاتيني وشرب من بركة الدم التي نزفت من جسده · ورابعهم قتل في مكتبه في شارع هوسمان· خامسهم سحب منه جواز سفره ، وهو يعيش الآن باحثا عن جواز سفر وعن امراة · وسادسهم وسابعهم وثامنهم و ··· لقد مات الكثيرون في الحرب الاهلية ، وما زال الفدائيون يتكاثرون · هو كان الرابع · الغرفة الضيقة على سطح احدى البنايات · العمل ، النشاط ، الموت · لكن برد باريس كان شديدا · لم يتعود هذا البرد · معطفه كان قديما ومهلهلا · يركض من المترو الى الاجتماع ومن الاجتماع الى الموت · والغرفة الصغيرة الباردة ، حيث علق معطفه للمرة الاخيرة ، كانت هناك ·

قيل انه اشترى قبرا قرب قبر الهمشري · وقيل انه قال انه يفضل ان يدفن هناك · لكن من يدري · تراب الوطن افضل قالوا · انه الان اكثر قربا من ارضه · لكنه كان يعلم · رابعهم كان يعلم انه سيقتل · لم يتوقع القنبلة · كان يعتقد انه سيقتل بمسدس له كاتم صوت · قال ان الرصاصة لا تؤلم كثيرا · وماذا يهم · تدخل الرصاصة في الجسد وتتبع حركته · الافلام البوليسية مزورة · الرصاصة لا ترميك ، انت ترميها · تدخل الى جسدك فينهار الجسد، لا يندفع، وتنهار الرصاصة التي في داخله· لكنهم قذفوه بقنبلة·

كنت اتمنى له ان يستشهد برصاص الصهاينة ، قال الاب ·

لكن الصهاينة هم الذين قتلوه ، اجاب ايليا ·

ـ طبعا ، طبعا · لكن كان من الافضل ان يقتل برصاص صهيوني ·

ـ لكن الصهاينة هم الذين قتلوه ·

الشهداء لهم الجنة ، قال الاب ·

الموت حق ، قال ايليا ·

الموت حق ·

أحمد دحبور

ساعتان من الكهولة
على حساب الولد الفلسطيني

من ثقبِ البابْ
تأتيني الغرفةُ ،
موجوداتُ الغرفةِ ،
أنّاتُ الولدِ المربوطِ بخيطِ القنبِ ،
ابرةُ والدة الولد المربوط بخيط القنبِ ،
خبرتُها بمغالبةِ الدمعِ المتضامنْ ،
يأتيني ابريق الشاي الساخنْ ،
حاملةُ الشمع ،
الادواتُ اللازمةُ اليوميةُ ،
يأتيني اللعبُ ، السفن الورقيةُ ،
(نشحنها بحبوبٍ من زيت السمك الزنخِ المنوحِ من الاونروا)
تأتي خارطة لبلاد واقفة كالخنجر ،
نازفةٍ ،
يأتيني أيضا أوراق ،
ولد مذعور،
وامرأة تتعرى

من ثقب البابْ
تأتيني الارض مسطحةً ،

وأكوّرها فتدورُ ،
ألازمها فأدورُ ،
تقدم لي جزرا ومجازرَ ،
صاروخا ودفاترَ ،
أسماءً ويدا ،
تتقدم والدتي فتقول : غدا حيفا والبحرُ ،
أقول : الحر شديدٌ ،
ساعتها تستحضر بحرا طوع يدي ،
وتقرر : « أنت سعيد » وهي تمد أمامي البحرا
فأكاد ألم شواطئهُ ،
وأكادُ ـ
سعيدا كنتُ ،
وكان زمانا مُرّا
من ثقب البابْ
حدقت فصبّتْ في عيني عين تتفقد موجوداتي الاخرى .

قلتُ هذا بسهولهْ
وحسبت الكلماتْ :
يا مسامير الطفوله
ان شيئا فيَّ ماتْ

كتبي بيدي ،
وطوابير العمال بأحلام متطاولةٍ ، في القلبِ ،
أربي طيرا بريا فيُرَدُّ الى السكينِ ،
أسمي أول حاكمة أملا فتواسيني :
« يا للمسكينِ » ،

وأقرأ منشورا سريّاً ،
ثم أفيق على نفسي منسيّا في بيت الخالهْ
وأنامُ ،
تورطني الاحلامُ ـ
أرى رجلا سكرانْ
رجلا سكرانَ وحيدا في الصاله
يلقي خطبا فتدوّي ، بالتصفيق ، له الجدرانْ

موحش هذا المكانْ

ضيق هذا المكانْ
مطبق ، والبحر مجزورٌ ،
بلا والدة أمشي ،

تجاريني صخور وصخور ويد مبتورةٌ ،
أمشي ويأتيني صدى ما لم أقل : أنت غريبْ
واذا رددت : لا ، ردّ الصدى : أنت غريبْ
فاذا عدّدت أوراقي تراجعتُ :

معي وصل بوجهي ،
وكتابات ومسحوق الحليبْ

فليكنْ –
ان معي خيط الامانْ
ولاجرّبْ –
ليكن أهل وبيتٌ ،

ليكن مصل يقيني من تصاريف الزمانْ
وترد الغول من جرن الصدى : انت غريبْ
ليس هذا القفر أماً ،
ليس هذا البحر أمـاً ،
ليس في وادي الملمات مجيبْ ٠

ها أنت الآنْ
تلقي خطبا فتدوي بالتصفيق لك الجدرانْ ٠

ما الـذي افعلُ ؟
هل اقتلُ ام اجمع برقا وعصافيرَ ؟
لماذا يفرز القلب مساميرَ ؟
ومن يشفع في الليل العصيبْ ؟

أمشيتَ اليكْ ؟
أدخلتَ مخيّمك المحسوب عليك ؟
هل يوما دخت من الحر المسعور فشاجرتَ الجيرانْ
فاذا فتحوا بابا للصلح صحوت على هدب رطب يتكسّرُ في عينيك ؟

كيف يأتيني المخيم ؟
انني احلمـهُ ،
اكتمهُ ،
ارسمه قريةَ نحلٍ في سجلٍّ ذهبٍ ،
آوي الى ظلمته من زغل الضوء ،
ولي ـ من عجبٍ ـ في عمقه ضوءٌ رحيبٌ
كنت اعلمُ
انه عيناي في منفايَ ـ
لم أبصر به غير الصليبُ
وتصلّبتُ قليـلا
وتحملتُ طويـلا
ثم حانت لفتة فافتضح البحرُ ،
ـ هو الفقر اذن ؟
والدتي تنتزع الشوكة من رجلي ،
وتسترجع مني البحرَ :
يا والدتي هل يذهب البحر ولا يأتي المخيمْ ؟

ذهب الاطفالُ
قفزوا من نافذة العربه
كبروا خلف الهضبه
وأتانا ، حين اتوا ، صفُّ الاشبالُ .

وتعرفت على اعضاء صوتي :
ليكن اهلي وبيتي ،
ليكن الاّ اموتُ
هكذا اقفلت موتي
وتحاشيت السكوتُ
هكذا يأتي المخيـمُ
هكذا آتي الى وجهي فيأتي واضحاً وهو الملثّمُ
همزة حمراء تعطي ابجدياتٍ ،
وتلتـم القرى :
لسنا نرى الا الفدائيّ ـ

عليَّ اجتمع الاطفال وقالوا : هذا الاقوى من شمشون الجبارُ

قال العقلاء : له قدمان ، بواحدة يجتاز النارُ

وبواحدة يصل الملكوتْ
سأل الملكان : لماذا جاءْ ؟
فأجاب الميّتُ : ليغسل حتى الماءْ
وفتحت فمي فانسد بملعقة من اجود انواع النفط العربيّ ،
رأيت دمي الجوّالَ يحرّرُ شيكاتٍ ،
اصغيت الى اصوات مغضبةٍ ،
وقصائد معجبة حتى صدقتُ ،
فوقّع حَبْرُ الميمنة الميمونُ : الان يموتْ
وتلعثم حَبْرُ الميسرة الميسور و

صا

ر دمي جائزة في اليانصيبْ
هكذا ، ثانية ، دوى صدى ما لم اقل : انت غريبْ .

ولمحت الولد الاول يجري
قلت : اني استرد الآن عمري
ها أنا العب او اكتب ـ لا فرقَ ،
اصفّي البحر من حيتانهِ ،
والصيف من غائلة الحرّ ،
اصفْ رفاق الامس بالدور وابتاع لهم حلوى ،
وفي خاتمة السهرة لا اقوى على كتم دويّ المطرقهْ
ملء رأسي
فاذا جددت كأسي
لاح لي في الكأس كبشُ المحرقه .

ـ ما زلتَ امام البابْ
فادخـــلْ .

ـ لو يعود الولد الماضي لصفينا الحسابْ
ـ البيت الضيّق متسع للصحبة والاحبابْ
فادخـــلْ .

ـ كنت اعطيه واكفيه ونبني ملكوتا او جهنم
من تـــرابْ

ـ الغربةُ قاتلةٌ ، ومخيمنا هو نصف الغربةِ ،

وهو ، الى الآن ، الاسلمُ .
فادخـــلْ.

ـ هل حدود الارض بيت في مخيمْ ؟
ـ أولا تعلمْ ؟
نصف بيتي ورق والليل حبرٌ للكتابه
نصف بيتي جسدي والفجر غابه
واكتشفت الضّحِكـا
لستُ نورَ اللهِ ،
لستُ الولدَ الاوحدَ حتى ،
ليس لي حقٌ على هذي السحابه
ثم غالبتُ البُكـا .

أمشيتَ اليـك ؟
ادخلتَ مخيمك المحسوبَ عليك ؟

ضقتُ بالعجل السمينْ
صحت : يكفيني ابتزازاً ،
من رأى الجوع امتيازا فليجعْ ،
قلت : ولكن المخيم
ليس بيتا ساكنا بل عربه
وفلسطين محكّ التجربه
فبكت أمي وقالت : أنا افهـمْ
ورمتني جارتي بالياسمينْ
وبهذا ادخل الآن المخيمْ.

هل يوما دخت من الحر المسعور فشاجرت الجيرانْ
فاذا فتحوا بابا للصلح صحوت على هدب رطب يتكسر في عينيك ؟.

ادخل الآن المخيم
ليس لي حسٌّ سياحيٌّ ،
ولكن دمي يجري مشوبا بغبار البيت والشاي ،
ومصحوبا باولاد المخيمْ

ليس لي حسٌّ سياحيٌّ ولكني افتقدتُ البحرَ ،

أمي ألّفتْ بحراً ، وضيعت الزوراقْ
زمنـــاً .
هل كنت اعلمْ
ان عيداً من بنادقْ
يجمع البحرَ ؟..

يجيء البحر الشائبْ
فيلاعبني ،
واجيءُ البحرَ الشائبْ
فأسلّي وحدتَـهُ .
كبر الولـدُ
ما عاد البحر الغائبْ
يكفيه ويغسل غربتهُ
كبر الولـدُ .

وتحسّسَ شيئا من دفءٍ في ركنٍ غادره العصفورُ العصفورْ
يا احمد يحبورْ
ها انت ترى ، ابتعد الولدُ
ومسافةَ موت او موتين وبعثٍ يقتربُ البلدُ
هل يلتقيان اذن ، هل يلتقيان ؟
حدّقْ من ثقب الباب الان
ماذا تجدُ ؟
حدّقْ من ثقب الباب واخبرني ماذا تجدُ ؟ .

بطرس حلاق

الدائرة في نجمة اغسطس

سطح الدائـــرة *

منذ الصفحة الاولى وحتى السطر الاخير من روايـــة صنع الله ابراهيم ، « نجمـــة اغسطس » ، (١) يطغى عليك شعور عام : استحالة الولوج المباشر الـــى هذا العالم · فعند كل خطوة تخطوها في هذا الاتجاه ، تلقى قوى تصدك بعنف لتبقيك على السطـح ، على ظاهر الامور ·

تبدأ القراءة بشغف ، تستقل القطار مع الرواية ، فاذا بك بعد فترة لا تزال مكانك تقابل جزئيات الامور وكانك ترى عرضا سينمائيا لتفاصيل احداث بسيطة لا ترى بينها ترابطا ، وربما تذكرك ببعض شرائط شارلي شابلن ايام كانت السينما صامتة · وتأتي الفواصـــل الخطية تتخلل النصوص اعتباطا ، فتعيدك الى المنطلق في كل مرة · وهكذا يتقـدم القطار وتبقى انت لا تريم ·

تتقدم بضع صفحات وتلمس خيطا رفيعا تأمل ان يقودك الى بعض العمق ، فاذا بـــك امام نص محاط بفاصلين خطيين لا ترى مبررا لوجودهما ، اللهم الا بعض التداعـــي في المفردات ، فتعود الى المنطلق من جديد ·

وتستأنف القراءة وتأنس بعض الشيء الى احداث تراها مترابطة فتظن ان المنفذ قريب ، فاذا بهذه الاحداث تتفكك بدورها تحت وطأة جزئيات الاحداث المتكررة ، واذا بك مـــن جديد على السطح ·

---

* القسم الاول من دراسة نقدية لرواية صنع الله ابراهيم نجمة اغسطس ، أما القسمان الاخران فهما : « مركز الدائرة او انفلاشها » و « تخلخل الدائرة او الفتح والمازق » ·

(١) ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب · دمشق ١٩٧٤ ·

تبلغ الجزء الثاني من الرواية فاذا بك منذ اول كلمة وحتى اخر كلمة امام جملة واحدة تمزج صورا ، سبق لك ان رأيتها ، باخرى (سوف تراها في الجزء الثالث) ، بخيالات جنسية وتاريخية تمنحك شعورا غامضا بأمر عظيم ، ولكنها تدعك على سطحها ترتقب منفذ كلمة للدخول الى باطن الجملة ٠

وتقرأ القسم الثالث فتدرك ان الرحلة تستأنف نحو الجنوب الى اقاصي مصر ، ولكنك تجد نفسك من جديد امام نفس العالم الذي شهدته في الجزء الاول من الرواية وان اختلفت الاحداث ومرادها ٠ ثم ترى الراوي يباشرك الحديث مباشرة لم تعهدها من قبل ، وتشعر انه اصابته بعض السأمة من التكرار فاراد ان يبلغك بالكلمة الصريحة ما حاول سابقا ان يبلغك اياه بالايحاء ، ولكنك تشعر كذلك بانقطاع الحركة الاولى ، وسرعان ما تدرك ان هذه وسيلة للاسراع في الانحدار : الانحدار من قمة ، قمة النص (اذ يبدأ الترقيم من ٤) ، وقمة الرحلة (اذ الجديد قليل في ما ترى) ، حتى القطار ، ومنه الى القاهرة ٠ هكذا تقودك الرحلة بحركة دائرية الى المنطلق وانت لا تزال على سطح الدائرة ٠

وقد يدفعك فشلك في فهم الرواية الى التساؤل : اهي حقا رواية ؟ اليست مذكرات او يوميات هزيلة تتخللها بعض الذكريات وبعض الخواطر الانسانية ؟ غير ان الصفحتين الاخيرتين الملحقتين بالنص تصفعانك ، اذ يعلن المؤلف فيهما ان عمله هذا انما هو رواية ، كأنما استشعر في كل قارىء هذا الفشل الذي ادركته ٠

عمل ليس بمذكرات وليس برواية كما عهدتها في الادب العربي وفي اكثر الاداب الاجنبية ، ويقحم المؤلف نفسه فيه بشراسة ليؤكد لك انه كذا ٠ اذن لا بد ان ميزته الرئيسية هي هذه العناصر التي صدتك الى سطح الدائرة ، فلا بد ان فيها ايضا المنفذ الى قلب الدائرة ٠

□

اولا : الدائرة

١ ـ الرحلة او ابعاد الدائرة

انها رحلة في اعماق مصر ٠ رحلة بشكل الدائرة متعددة الابعاد ، من اداني مصر الى اقاصيها ٠

فجغرافيا ينطلق بنا القطار مع الراوي من شمال مصر ، من القاهرة الى اسوان ، ومنها تستأنف الرحلة على النيل حتى اقصى الجنوب ؛ حتى ابي سنبل ٠ القاهرة : المركز الحديث للدولة ، ابو سنبل : المركز الروحي القديم للدولة المندثرة ٠ وان لم نصل فعلا الى حدود مصر الجغرافية : الاسكندرية شمالا ، وحدود السودان جنوبا ، فاننا نرافق الراوي اليها عبر الذكريات (الاسكندرية) او عبر الحلم (ألم يحلم الراوي انه يهرب الى السودان مع ذهني ؟) وتنتهي الرحلة من حيث ابتدأت : القاهرة ، يحاول الراوي ان يفلت من هذه الحدود فيستقل الحلم نحو الجنوب هربا من الحركة الدائرية لكنها تشرقه ٠ محاولة يعبر فيها اللاوعي عن احكام هذه الحركة الدائرية ٠

وتاريخيا تنطلق من احد ايام اوغسطس عام ١٩٦٥ ، عام تحويل النيل ، ونعود شيئا

فشيئا الى الوراء مرورا بايام الطفولة ، وحرب السويس ، وثورة الضباط الاحـــرار والنضال الوطني ايام الملك ، وقبله ايام الانكليز ، ونمر بسرعة على احتلال الانكليز لمصر وثورة عرابي وحكم محمد علي وحملاته على بلاد النوبه · ونستقر فترة طويلة في ظـل رعمسيس الثاني ، فكأننا ننطلق من ظل « خروتشوف وعبد الناصر » الى ظل رعمسيس حتى نعود من جديد الى ظل الدولة الجديدة في القاهرة · وعبثا يحاول الراوي ان يطيـل المكوث عند بعض اللحظات المشرقة : ثورة السودان افتداء لعرابي ، النضال الوطني ايام الانتداب ، وذلك الوجه المشرق باثار الجدري اذ يعود بنا الزمن دون رحمـة ، بحركـة دائرية مصيرية الى الاجل المحتوم ·

وتغتني هذه الرحلة الجغرافية ـ التاريخية بابعاد اخرى توحي بهـا الرواية دون ان تتوقف عندها كثيرا · منها التجربة الانسانية الفردية ، اذ ننطلق من العامل الضحية فـي السد ونعود الى الوراء الى شهدي عطية ، فالى الثورة العمالية الاولى ، وقد آلت الـى ما آلت اليه ، الى ميكيل انجلو ، المعذب لانه رأى ، الى المسيح ، الراقد في حضن أمـه لانه اراد ان يفعل ، الى الفنان الذي نحت تماثيل رعمسيس ، المجهول لانه حقق شيئـا ، وعودة الى شهدي عطية المغتال خلسة في السجن لانه آمن وأمل ·

ومنها البعد الجيولوجي ، اذ ننطلق من حصاة السد ونعود الى تمثال نهضة مصر الذي اخذ منها ، والى الانصاب التي بنيت منها قديما ، والى اختمارها الوف السنين في جوف الارض حتى تعود اليوم تطفو على السطح ، ليبنى منها السد ·

وتتمثل هذه الحركة الدائرية المحتومة وكأنها قدر صارم رهيب ، تتمثل باجلى معانيهـا في معمارية النص · ننطلق في القسم الاول من الرقم ١ حتى الرقم ٤ ، ونتوقف قليلا على قمة هذا الرقم ونعود ننحدر في القسم الثالث من الرقم ٤ الى الرقم ١ اي من حيـث انطلقنا · هنا تتكلم السلطة المطلقة في العصر الحديث (والسلطة محور اساسي فـي الرواية) ، اي الرياضيات ، بسلطان اين منه سلطان الوحي والنبوة ، ليجلو الحقيقـة جلاء لا يحجبه عن اي عين اية غشاوة · انها صرامة الالة (وهي المسيطرة الاولى فـي الرواية) . اين منها صرامة المنطق · هي تتكلم والباقي ابكم (لا كلمات في العناوين)· ها اذا رحلة الشكل الرواثي (معمارية النص) تصاقب الرحلة الجغرافية ولتاريخيـة والانسانية والجيولوجية ·

الا يوحي هذا الشكل بشكل هندسي طالما عرفته ارض مصر وتاريخ مصر ، الشكـل الهرمي ؟ وهل الشكل الهرمي غير الشكل الهندسي المبسط للشكل الاهليجي ، شكـل البيضة ·

وهل البيضة سوى محل الحياة ، حياة الجنين خاصة ؟ وفي افضـل الحالات ، هـل يوحي هذا الشكل الا بالدائرة ، دائرة التاريخ الاغريقي المتكرر ، تكرر فعل الجنين ؟ افـلا يزال اذا تاريخ مصر ، بل تاريخ الانسانية في « بيضة الحياة » في مرحلة الجنين ؟ ربما · المهم اننا في هذه الرواية ، تكاد لا تتجاوز رحلتنا شكل الدائرة ·

٢ ـ الفنية او اعماق الرحلة

من الركائز الفنية الاساسية في الرواية الرؤية (٢) · والمقصود بالرؤية هنا كيفية بلوغ القارىء الى احداث الرواية ، او بتعبير اخر : من اية زاوية ومن اي منظور تظهر احداث الرواية لقارئها · فقد تظهر بشكل سطحي افقي (رؤية سطحية) او بشكل عمودي عميق (رؤية عميقة) · وان ظهرت بالشكل الاول قد يختلف مدى الافق المنبسط امام القارىء (رؤية سطحية ضيقة او رحبة) · وان ظهرت بالشكل الثاني فقد يختلف مدى العمق (رؤية عميقة جدا او قليلا) · هذه زاوية الرؤية ·

لكن مهما يختلف نوع هذه الزاوية ، فقد يختلف المنظور · فقد تظهر الاحداث للقارىء من منظور الكاتب (الرواية التي لا يتكلم فيها سوى الكاتب) او راوي (الرواية التي يخبر فيها شخص آخر غير الكاتب بكل ما يجري) ، وقد يمتزج الكاتب بالراوي احيانا (السيرة الذاتية) ، وقد تصل الاحداث من منظور اي شخص من شخصيات الرواية (منظور أحادي) ، او من منظور عدة اشخاص فيجمع بين كل ما سبق (منظور متفرع) ·

وفي كل رواية يمتزج منظور برؤية : منظور أحادي برؤية عميقة او سطحية ، منظور متفرع برؤية عميقة او سطحية ··· على اختلاف درجات السطحية والعمق والتفرع ··· فالرواية الكلاسيكية مثلا ـ والرواية العربية كلاسيكية الشكل في معظمها ـ يتراكب فيها المنظور المتفرع بالرؤية العميقة · وتميل اكثر الروايات الحديثة الى عكس هذا · فما هو الامر بالنسبة لروايتنا هذه ؟·

المنظور

عبر من تصلنا احداث الرواية ؟ ·

عبر شخص واحد يستعمل ضمير المتكلم ينقل الينا كل ما نعرف · نسميه الراوي · لا وجود حقيقي ، روائيا ، لشخص آخر · نعم هناك بعض الاشخاص يستخدمون ضمير المتكلم على حيز غير ضئيل من النص : سعيد ، تانيا ، جرجس ، خليل ··· لكن هذا الضمير المتجلي في كلامهم لا يصلنا الا عبر ضمير الراوي ، فهو وحده ينقل الينا ما سمع ورأى ، واحيانا دون ان يفهمه · فالمنظور المتفرع بعض الشيء في الواقع ، اي بالنسبة للراوي ، يصبح آحاديا في الرواية ، اي بالنسبة للقارىء ·

ومما يقوى الطابع الاحادي في هذا المنظور ، كون الراوي شخصا من اشخاص الرواية· ففي اغلب الروايات يقف الراوي خارج حدود الشخصيات يشرح لنا المواقف ويعلق عليها ويقربها الى اذهاننا ويقدم لنا مختلف الشخصيات لتتكلم كل منها بضمير المتكلم فنكون والحالة هذه امام منظور متفرع : الراوي والشخصيات · اما هنا فالراوي والشخصية الرئيسية ممتزجان تماما · فالمنظور اذا احادي بشكل صارم · ·

---

(٢) ـ راجع كتاب تودوروف : « **الانشائية** » (او الصناعة) ص ٥٦ ـ ٦٣ ·

T. Todorov : Poétique dans « **Qu est - ce - que le Structualisme** » Ed. du Seuil . COLL . « Points » Paris 1968 .

الرؤيـــة

في الرواية العربية المسيطرة يعتمد الروائيون عادة الرؤية العميقة فيقوم الراوي بتحليل الشخصيات وتمحيص المواقف اجتماعيا او سياسيا او نفسيا · وتدعمه عادة كافة الشخصيات فتعبر عن مشاعرها من الداخل مما يعطي القارئ الطمأنينة بانه قد فهم كل ما يجري امامه ، انه دخل الى رؤية عميقة · وليست الحال هنا كذلك · فالراوي يصف لنا خارج الامور فقط :

« احتل المائدة المجاورة لي عجوز من اوروبا وزوجته المزوقة في رصانة وولدان احدهما بلحية طويلة · ثم دخلت فتاة البنطلون الاسود الشقراء في حركة مندفعة وتوقفت برهة تتلفت حولها · كان وجهها ضاحكا · نظرت انا الى المقعد الخالي في مواجهتي لكنها اعطتني ظهرها · وانضمت الى مجموعة اوروبية اخرى تتألف من شابين وفتاة ·

طلب شاب اسمر في الركن زجاجة بيرة جديدة · وكان يبدو انه من العاملين في السد العالي · واوحت ملابسه بأنه عامل ترقى الى مرتبة ملاحظ » · (ص ١٤)·

نلحظ هنا احداثا تجري امامنا لا نرى لها اي تبرير اذ انا لا نرى ما يربط بينها في الاعماق · فالرؤية سطحية جدا · طبعا لا تصل الى درجة التسطيح المطلق فالراوي يؤول لنا بعض الامور : « عجوز من اوروبا ··· اوحت ملابسه بانه عامل ترقى » · هنا يربط الراوي بين المظاهر الخارجية وبين ما ترمز اليه من حقائق · لكن برغم ذلك تبقى النظرة مسطحة جـــدا ·

هذا التسطيح لا يمس الاحداث فقط بل يتعداها الى المسموع ، الى اللغة : « ابتسمت وقالت : باجلستا ·· اخرجت علبة سجائري وقدمت لها سيجارة فتناولتها قائلة : سباسيبا » (ص ٩٤) ·

لا يهم الراوي عدم فهم القارىء للروسية · يبقى على سطح الامور وينقلها كما هي دون تأويل · هكذا يحل الراوي محل الة تصوير تنقل الينا كل ما يقع تحت الحواس بكل امانة لكن دون اي تأويل · هذه هي السطحية · ويقوى هذا الشعور بالسطحية عندما يتكلم الراوي عن نفسه بنفس الطريقة :

« انزلت قاعدة الحمام الخشبية وجلست فوقها بعد ان رفعت ملابسي · وعندما انتهيت ضغطت رافعة معدنية صغيرة الى جوار يدي اليمنى فتسللت المياه تغسلني برفق · واعتدلت واقفا ارتب ملابسي ثم استدرت اتأمل ما فعلت » · (ص ١٤) ·هو على سطح نفسه ايضا ينظر اليها من الخارج بل لا يستطيع البلوغ اليها · فما السبب في هذا العجز المطلق على التواصل حتى مع الذات ·

التشيوء الالـي

رؤية سطحية بمنظور احادي ، فيتفاقم التسطيح · والتسطيح يستتبع التجزؤ ·

« جلست الى جوار النافذة · وبعد لحظة شعرت بوطأة الحر وتجمع العرق على وجهي ففككت ازرار قميصي · وعندئذ تحرك القطار دون ان ينضم احد الى قمرتي وبدأ جهاز

التكييف يعمل ٠٠ مددت ساقي امامي مستسلما للمقعد ٠ وكنا قد خلفنا شوارع القاهرة ٠٠ احسست بحركة على باب الديوان فالتفت لارى رجلا في سترة صفراء ٠ نهضت واقفا ٠ واقترب مني الرجل ثم انحنى على المقعد دون ان يفوه بكلمة ٠ وبثانية تحول المقعد الى فراش من طابقين ٠٠٠ تطلع الي مندهشا قبل ان يغادر الديوان ويغلق الباب من خلفه ٠ اقتربت من الباب وادرت مقبضه ولدهشتي دار في يدي وتحرك مصراع الباب نحوي ٠ اعدت اغلاقه وثبته بالسلسلة المعدنية المدلاة منه ٠ وعدت الى مكاني بجوار النافذة » ٠ (ص ١١ ــ ١٢) ٠ حركات مجزأة متتالية تبدو كل منها كأنها مستقلة بنفسها ، لا تستدعي اية واحدة منها الاخرى ٠ فكأنك امام شريط سينمائي بدائي لا يظهر الحركة الا مجزأة وعليك ان تحدق بصرك حتى تضطره الى الربط بين الاجزاء ٠ هذا التجزؤ يوحي بالتشيوء بالالية ٠ ولذا لا نرى وصف الالة يختلف كثيرا عن وصف الاحداث الانسانية :

« تراجعت الى الكباشة الى الخلف حتى اوشك قاعها ان يلتصق بالصندوق بينما اتجهت حافة اسنانها الى الارض ٠ وهجمت الكباشة ولكنها اخطأت الهدف ٠ فارتدت الى الوراء لتعاود الهجوم ٠ وفي هذه المرة اصابت كوم الصخور وصعدت فيه ٠ واستقرت فيها قطع من الصخور بينما تدحرجت على جانبيها قطع اخرى كبيرة الحجم ٠

دار صندوق الحفارة فجأة الى اليسار دورة سريعة حملت الكباشة في الهواء حتى صارت تطل على مؤخرة شاحنة ٠ وتبدت في الصندوق فتحة جلس خلفها السائق يحرك المقابض ٠ وتقدمت الشاحنة بمؤخرها في حذر حتى اصبحت في متناول الكباشة »٠ (ص ٦١) ٠

حركات مجزأة متتالية تشبه الى حد كبير الحركات الصادرة عن الانسان ٠ ولا ريب ان الذي يدعم هذا الشعور هو وصف الراوي المسطح لها وكأنها هي التي تتحرك بذاتها لا بقوة خارجة عنها ، اذ انه لا يؤول تحركها واسبابه ٠

ها هي الالة والانسان يتشابهان في الحركة والتصرف ٠ هل الانسان اصبح الة ، او الالة انسانا ؟ لا ندري ٠ ندري فقط انهما يمتزجان الى حد الاندماج ٠ « توقفت الكباشة فجأة عن الحركة ٠ وتدلى فكها يروح ويجيء في حركة متتابعة ٠ ولمحت السائق يرفع زجاجة الى شفتيه ٠ وشرع عدد من العمال يكومون الصخور بفؤوسهم المعدنية امام الحفارة » ٠ (ص ٦٣) ٠

من الشارب : الالة ام السائق ؟

« اشار احد الملاحظين للسائق فشرعت الماز تتحرك الى الامام وما زال صندوقها معلقا في الهواء ٠ ثم انطلقت خفيفة وصندوقها يهبط رويدا حتى عاد الى وضعه ٠ ومن الناحية الاخرى اتجه احد البلدوزرات الى كوم الرمال الجديدة » (ص ١٥٩) ٠

السائق يرى فتفهم الالة ٠ يحرك السائق فتتحرك الالة ٠ وقد تمرض الالة فتعالجها الة اخرى (راجع ص ١٨٧) ٠

هنا تنتفي المسافة بين عالم الانسان وعالم الالة ٠ الالة تتحرك بنفسها ، تنجز ، تعالج٠ والانسان يصبح مجزأ الحركة ، مجزأ اللغة بل مجزأ التواصل :

« سمعته يقول لسعيد ان البيغوم اغا خان تتصل به دائما عندما تأتي الى اسوان ٠ وقال انه يفكر في جمع المحاضرات التي يلقيها عن الاشتراكية في اعضاء الاتحاد

الاشتراكي بصفته رئيسا له واصدارها في كتاب ليستفيد منه باقي المواطنين في القطر » ٠ (ص ١٠٤) ٠

ما العلاقة بين هذه العناصر ؟ هل تترابط اكثر من ترابط حركات الة ؟ ٠

« احضر لنا فقير ليمونا مثلجا في الترموس ٠ وسمعته ينعي لسعيد اخلاق هذه الايام٠ وقال انه رأى بنفسه الفستان القصير في اسوان » ٠ (ص ١١٠) ٠

هنا اصبح الانسان لا يستحق حتى ضمير المتكلم ٠ الليمون المثلج وكلام فقير في نفس المقام ٠ بل ان اعمق العواطف الانسانية وابعدها غورا في الانسان كالجنس والحماسة ٠٠ تصبح مجزأة تافهة كحركات الالة ٠ ففي المقطع المثبت صفحة ٧١ ــ ٧٢ ، نرى حمـــاس فوزي وساق فتاة الدرج يتتابعان بنفس السطحية تتابع حركة الالة ٠ وليست الحماسة لامر هز وجدان انسان في فترة ما وجعله يأنف عن كل رفاهية وحياة هنيئة ، باعمق او باهـم من رؤيتك عن بعد ساق فتاة ليس لها اسم (لا تنتمي الى شيء الا الى الدرج « فتـــاة الدرج ») وبعد فترة تغيب عنك ، او بالاحرى يغيب ساقها عنك فتغيب معه الى غير رجعة٠

الالة تانسنت ؟ الانسان اصبح الة ؟ الجواب غير مهم ٠ المهم ان جو الرواية يسوده هذا التساؤل مع ما يحمل في طياته من شعور بالاحباط والموت ٠ وليس عبثا ان يختـــار المؤلف اطارا لروايته فترة في تاريخ مصر وتاريخ السد العالي هي الاوج في التصنيع : المرحلة الثانية من بناء السد حيث انتهت اسبقية العمل الانساني المباشر واضطلعت الالة بكل امر محتلة مكان الانسان : « كان السد يموج بالوف العمال اما اليوم ، فالعمل اصبح فنيا اكثر » (ص ٧٣) ٠ الالة سيطرت في السد كما في ابي سنبل (ص ٣٣٤ : النهـــر والتفجير والحقن) ٠ كما سيطرت في النقوش التي تنقذها الالة من الغرق (المنظـــور ص ٣٤٢) ٠

هي الالة تفرغ كل شيء من ابعاده حتى لا تبقي الا على الادوار الخارجية التي يضطلع بها كل انسان ، وكل مخلوق انسان ، اي البعد الافقي المسطح ، فيستوي عندها الانسان ومخلوقه ٠ فلا نستطيع ان ننبيء عن اي منها الا بعدسة تصوير واحدة (منظور أحادي) تدور على مختلف الاجزاء وتختزن عنها الصور الخارجية دون اي تركيب (رؤية مسطحة) هكذا توحي فنية الرواية بالتشيوء بالالية ٠ وتأتي لغة الرواية مسطحة موضوعية جافة وكأنها تحقيق شرطة او معاينة طبية ، فتدعم هذا الشعور بالتشيوء والآلية ٠

هذه الالة السيد هي مولى هذا العصر كما كانت مولى عصر رعمسيس تعيد التاريخ في حركة دائرية محتومة ٠ هكذا تعيد فنية الرواية دائرية المرحلة ٠

٣ ــ علاقات الدائرة

في هذه الدائرة عنصران لا بد من التمييز بينهما ، لان لكل منهما وظيفتـه الخاصة ٠ اولهما هو العنصر المتعلق بالرحلة مباشرة : الانطلاق ، زيارة السد ، زيارة ابي سنبل ، انه السرد المباشر لمجريات الرحلة ٠ وثانيهما هو ما ضمن في هذا السرد من عناصر خارجية لا تتعلق مباشرة بالرحلة « الحقيقية » : القسم الثاني ، النصوص التي تعترض ، السرد في القسمين الاخرين ٠ ولكل منهما مستوى خاص من العلائق ٠ ففي الدائـــرة مستويان من العلائق ، المستوى الاول (ويقابل الرحلة) ، هـــو مستوى « الحقيقي »

و « الواقعي » (٣) ، « الحقيقي » لانه يمكننا التحقق منه موضوعيا (انطـــلاق القطار ، توقيته ، وكيفيته ، حالة السد في تاريخ كذا ٠٠٠) ، « والواقعي » لانه قريب من الواقع او يمكن وقوعه (علاقات العمل ، نظرة الناس الى الصحافي ، نفوذ المستغلين والانتهازيين٠٠) هذا المستوى هو الذي يربط المتلقي بالرواية ، فهو يحيلهما الى « واقع » خارجي هو ايضـا عالم المتلقي ٠ المستوى الثاني (ويقابل العنصر الذي لا يتعلق بالرحلة مباشرة) هـــو المستوى الرمزي الذي لا علاقة اساسية له ، بالنسبة للمتلقي ، الاصح المستوى الاول فـلا وجود مترابط له الا عبر المستوى الاول ٠ ونحن في هذا الفصل نقتصر على دراســـة المستوى الاول « الواقعي والحقيقي » ٠

يموج هذا المستوى بالشخصيات العديدة والمتنوعة ، تندرج في فئات رئيسية وفرعيـة بينها علاقات خاصة ٠ بالاعتماد على اهم هذه الفئات سنحاول الاحاطة باهم العلاقـات التي تساعدنا على فهم الخطوط الرئيسية في الرواية ٠

١ ـ العالم العابر

عالم الرواية عالمان : مقيم وعابر ٠ فالعالم المقيم هو عالم العمل المنصب على السد : العاملون في السد وفي ابي سنبل مباشرة كالعمال والمهندسين ، او مداورة كالمضطلعيـن باعباء النقليات والتنظيم والاعمال التقليدية فـي اسوان وغيرهـا (عمال الفنـادق ، الحلاقون ٠٠٠) والخدمات (طب ، مباحث ٠٠٠) ٠ والعالم العابر هو العالم الذي يعبـر هذا العالم دون ان تربطه به هذه العلاقة العضوية الاساسية ، علاقة العمل ٠ نواتـه الاساسية السياح وخاصة السائحات يأتون من اوروبا الغربية للتمتع بمشاهد واحساسات لا وجود لها في بلادهم ، لا نراهم الا في المقاصف او متهالكين على العشب يندمجون بالطبيعة بينما يتهالك العمال على الطرقات والاغبرة ٠ والنساء منهم يمثلن الجنس المحض بعيدا عن كل مفهوم انساني ، او بالاحرى الخيالات الجنسية التي لا وجود لها في اكثـر الاحيان الا في مخيلة الرائي المتلهف ٠ ليس لهن وجود كانسان بل كجنس ، ولذا ليس لهن اسم : فتاة الدرج ، فتاة جلد النمر ، فتاة السروال ، الفرنسية ، الفخذان ، ٠٠٠ واحيانا تتبلور خيالات الرائي الجنسـية حول فتاة معينة تتفرد بتمثيل الجنس بالنسبة لكافة المقيمين في بقعة معينة فيكون لها اسم (ريختا) هو اشبه بالاسم العام المطلق على ظاهرة مرضية شاملة كاوديب مثلا ٠ وهل تمثل كلمة ريختا بالنسبة لاذن وفم عربيين اكثر مـن عالم هو ابعد من المتناول هو عالم المجهول ، عالم الجنس المثالي ، الذي يكون غريـــزة اساسية في الانسان ، وقد يمثل هنا اكثر من هذا : حلم الفردوس الضائع ، رحم الام ٠

فلا عجب اذا ، والحالة هذه ، ان لا يعبأ الا بالنساء من السياح ، والا بنساء اوروبـا الغربية العاطلات عن العمل ٠ فهن يمثلن هذا الجنس الصرف الـــذي لا تقوى الفتـاة الروسية التي تعمل طوال يومها ان تمثله : الجنس والفراغ او الجنس الذي يرعى نفسه طوال وقت الفراغ ٠ هاته النساء بشكل خاص ، وهذه الفئة من العالم العابر بشكل عام،

---

(٣) ـ اجع كتاب
Francoi Van Rossin — guyu « **Critique de Roman** » gallimand , Idées 1970 Paris .

لا علاقة عضوية لها مع عالم العمل ، الا هذا الدور الذي ذكرنا : التسلية ، وتحديدا الجنس ٠

هذا العالم القادم من الشمال والعابر نحو الجنوب ، يستدعي عالما اخر قادما من الجنوب وعابرا نحو الشمال ٠ انه عالم الحجاج الافريقيين الاتين من نيجيريا ووجهتهم مكة لاداء فريضة الحج، واغلبهم من النساء ايضا٠ لكنهن لا جنس لهن٠ انهن يمثلن « ابتغاء وجه ربك » ٠ انهن النزعة او الغريزة الدينية (عالم الايمان) الصاعدة من اعماق افريقية، اعماق العالم الثالث ، تتقاطع عند السد بالنزعة الجنسية (عالم التسلية) الهابطة من قلب العالم المتصنع ٠ الله والجنس يتقاطعان باتجاه متعاكس ، ويتواجدان في نقطة واحدة دون ان يدري احدهما بالاخر ٠ انهما متعاصران ومتوازيان عكسا في قلب عالم السد ٠

الى جانب هاتين الفئتين التي تمثل الواحدة منهما عكس الاخرى ، هناك وجهان متعاكسان ايضا يستدعي احدهما الاخر : الراوي وذهني المغامر ٠ الاثنان يعبران عالم السد وليس لهما علاقة عضوية به ٠ الراوي يدعي الصحافة وذهني يدعي التجوال ٠ وما هذا الادعاء الا ذريعة يتذرعان بها لعبور السد ٠ يتوازيان فترة على ظهر الصندل ويحاول احدهما اقناع الثاني بالسير مسيرته فيما يتخفى بسيرة الاول (يعزف ذهني نفسه بانه مساعد لراوي) ، ولكنه لقاء لحظة ، لقاء تقاطع ايضا ٠ اذ ان ذهني القادم من الشمال يتابع رحلته جنوبا بخط افقي صارم له افقية النيل ٠ ذهني المغامر يسلك طريق كافة المغامرين في ارض مصر : يصعد النيل ٠ بينما الراوي القادم من اعماق مصر يتابع رحلته نحو اعماقها الاخرى ٠ انه الخط العمودي الضارب في تاريخ مصر وعبقريتها ٠ انه وعي مصر ٠ ذهني المغامرة والراوي الوعي يتقاطعان كالخطين العمودي والافقي ويعبران عالم السد ٠

ب ـ العالم المقيم

هو العالم الذي تنتظمه رابطة اساسية هي العمل ٠ ينقسم بدوره الى عالمين متفاوتين في العدد وفي الاهمية : عالم النكرات وعالم الاشخاص ٠

١ ـ عالم النكرات او العمال

هذه الفئة هي الاكثر عددا اذ تلمح الرواية في اماكن شتى الوف العمال الذين يقومون بالاعمال اليدوية البسيطة التي لا تتطلب اي تدرب او تخصص ، وقد كانت اعدادهم في المرحلة اضعاف ما هي عليه الان ، حيث ان العمل انتقل الى قلب السد ٠ غير ان المتعهد ما يزال يمد السد بالالاف منهم كل يوم ٠ هم الاكثر ، لكنهم يشغلون في الرواية بعض اسطر بين الحين والحين ترينا اياهم يعملون ، يصفقون (بين الجامع وصورة عبد الناصر) ، ويموتون : « الاصابات الان محصورة في نطاق العمال والصعايدة ، وهؤلاء وهؤلاء سيواجهون الموت بشعار : العمر واحد ، والاجل محدود » (ص ١٧٢) ٠ ولانعرف لاي منهم وجها او اسما ٠ لا اسم لهم رغم كثرة الاسماء في الرواية ٠ هم عالم النكرات ، لا يعرفون الا بالمتعهد الذي « يبيعهم » كل يوم ولا يعرف عنهم سوى خمسة القروش التي يتلقاها عن كل نفر منهم صباح كل يوم ٠ (ص ١١٥) ٠

٢ ـ عالم الاشخاص

وهو عالمان : طارىء واصيل ٠

العالم الطارىء : يتكون من كافة الذين اتى بهم العمل الى منطقة السد وابي سنبـــل ولولاه لما وصلوا الى تلك المنطقة ٠ منهم :

جهاز الخدمات : ـ الاطباء ، وهم يأتمرون بأوامر الحكومة ٠

ـ الصحافيون (سعيد ، سامية ٠٠٠) والعاملون في وسائل الاعـــلام والدعايـــة (سينمائيون : ايهاب نافع ، ماجدة ٠٠٠) ، يقومون بما يطلب منهم واهمه تزويق الدعاية واغلبها كاذبة ، في البلاد عن السد :

« عدت الى موضوع القصص الانسانية ٠ كان كاتبه يقول ان كل من يعمل في الســـد يستطيع ان يقوم باجازة حينما يشاء ولكن احدا لا يرغب في ذلك ٠ وكل سائق اعطـــي ترمسا للشاي كما زود بوسادة من المطاط تمتص العرق وتجنبه الاصابة بالروماتيـــزم وبنظارة انيقة تحمي عينيه من وهج الشمس » ٠

سألني السائق (٠٠٠) : « انت شفت سيادتك سواق لابس نظارة شمس وشايل ترموس ؟» (ص ١٢٧) ٠

واخبار اخرى تثير غضب العمال ونقمتهم (راجع ايضا ص ١٢٣ و ١٣١) ٠

ومع هذا يتهالك عليهم المسؤولون وصغار العمال والاخصائيون رغبة في البروز ٠ وهم يستغلون سلطتهم هذه للوصول الى مآربهم : الحصول على سيارة ، الوصول الى فتاة ٠٠

ـ المباحث ، يملؤون المكان بوجههم الواحد الذي لا يتغير ، يسألون عن كل ما هب ودب ليخبروا عنه ، ويقرأون السطور وما بينها ليرسلوا عنها التقارير ، مما يشيع بين الناس عامة الخوف والاتهام المتبادل (راجع ص ١٣٨ ، ١١١) ٠

ـ السلطة ، ابتداء بالجندي البسيط المغتر بسلطته فيبديها في كل مناسبة بحركـــة اصبعه الآمرة (ص ١١٢) ، الى العسكري المتقاعد المسؤول عن الاليات الذي يبني علاقته مع الاخرين على الخوف والخضوع (٨٨ ـ ٩٠) ، الى قائد سلاح الحدود الذي يستغـل هيبته وسلطته للوصول الى الفتيات (١٤٤) ، الرابط الوحيد بين مختلف فئات جهـــاز الخدمات هذا هو السلطة ٠ الجميع يهدف الى استعمالها واظهارها واستغلالها ارضـــاء لغروره او تنفيذا لمطامحه ٠

المسؤولون المصريون : يتوزعون الى :

ـ الساعي وراء الارتقاء الاجتماعي والمادي ، يمثله عويس ونبيل : « ان السد ساعـد الكثيرين على بناء حياتهم » (ص ٤٠) ٠

ـ المنتفع بوظيفته ولا هم له الا الاستزادة من جمع المال وتجنب المشاكل ٠ منهم فوزي : « هنا المكان حساس وانا في الخمسين ولا اريد اية متاعب » (ص ٧٥) ، حتى الطبيب في ابي هنا كالسجن ولولا النقود لما بقيت هنا لحظة واحدة » (ص ٧٥) ، حتى الطبيب في ابـي سنبل وقد بدا حياته بالحماسة : « انا هنا لاني اريد ان اجمع شيئا من المال افتح بـــه عيادة فهذه هي اللغة الوحيدة التي تتكلمها البلد كلها الان » (ص ٣٦٢) ٠

(راجع ايضا : عباس ص ١٣٧ ، فريد سلامة ص ١٠٣ ، خليل ص ٣٦١) ٠

ـ المستغل الانتهازي الذي يتلون بكافة الالوان حتى يبلغ مأربه ، يمثله افضل تمثيل المتعهد الذي يرأس الاتحاد الاشتراكي (ص ٣٦٢) ، ووكيل الوزارة الذي خدم في كافة الحكومات منذ ايام الانكليز وهو الان رئيس لفرع اخر للاتحاد الاشتراكي (ص ١٠٤) ، والسائق الذي « يرأس نقابة العمال في الشركة ولجنة الاتحاد الاشتراكي فيها ٠٠٠ ولا يشكو من شيء ٠٠٠ ويملك قطعة ارض في قرية ابي ريش المجاورة » (ص ١١٤) ٠

ـ المكرهون على العمل في السد ٠ هم الذين توفر لهم امكانياتهم وامكانيات اسرهم السابقة للثورة حياة كريمة فلا يضطرون كالباقين الى العمل في السد للحصول على راتب اكبر ٠ شأن هذا الشاب الذي له « اسم يوحي بانه لاحد العائلات الاقطاعية القديمة » : « كان عندي مكتب هندسة وكنت اكسب وفي خلال هذه السنوات الاربع كنت ساعوض شيئا مما اخذته الحكومة » (ص ٢٦٤) ٠

ـ المتحمسون المخلصون لعملهم هؤلاء عادة ليسوا من العمال ولا من المسؤولين الكبار٠ انهم رجال ادارة ، وهم شباب تدفعهم ايديولوجية لم تأت من البلد : « ملاحظون من الذين تدربوا في الاتحاد السوفياتي ٠ اكبر واحد فيهم لا يزيد على اثنتين وعشرين سنة٠٠ كلهم حماسة وثقة » (ص ١٣١) ٠

واضح ان ما يجمع بين هؤلاء جميعا (ما عدا الفئة الاخيرة منهم) هو السعي وراء المال ابتغاء للراحة او الراحة والسلطة معا ٠ الم يقلها الطبيب في ابي سنبل : « المال هو اللغة الوحيدة التي تتكلمها البلد كلها الان » ، ولا احد يريد ان يعيش بلا لغة ، حتى ذلك الرجل الذي بدا حياته بالحماسة والاحلام العريضة ٠ وان نجا منهم احد فلانه يتكلم لغة اخرى اقتبسها من خارج البلد (الاتحاد السوفياتي) ويبدو ان الزمن قمين بان يعيده الى اللغة المشتركة كما اعاد اخرين قبله مروا بهذه « المرحلة الاولى » من الايديولوجية ٠

الاجانب : يجمع بينهم جميعا ، من اوروبا الغربية كانوا او من الاتحاد السوفياتي ، حبهم للعمل المخلص الدؤوب ٠ فكم نرى من اخصائي سوفياتي يقوم بابسط الاعمال التي يترفع عنها العامل المصري المختص ، او يتابع عمله بعد انتهاء الدوام ، وقد تركه المصريون أن حان الموعد ٠٠٠ اما الاخصائي السويدي « فلا ينام مع زوجته الا مرة واحدة في الشهر ليحافظ على طاقته للعمل » (ص ٣٧٤) ٠ ها هم الاجانب لا يعملون طلبا للسلطة او للمال بل حبا بالعمل ٠

غير ان للسوفيات طابعا عاما يميزهم عن غيرهم : حذرهم في التعامل مع المصريين ، وان تعاملوا ، فبموقف رسمي لا يظهر فيه الا موقف الحكومة « ان العمال المصريين يمتازون بالذكاء وان الطيور تأتي من الاتحاد السوفياتي في كل عام دليلا على الصداقة » (ص ١٥٧) ، هذا مجمل قول المديرة ٠ ثم البيروقراطية ، فللادلاء ببعض المعلومات البسيطة عن السد لا بد من البلوغ الى اعلى المسؤولين ، ومن تجنيد عدة مسؤولين منهم ٠

هذا هو العالم الطارىء : تسلط ، اثراء ، عمل في ظل الالة ٠

العالم الاصيل : يتكون من اهل الصعيد والنوبة الذين لم يأتوا من الخارج بل كانوا في تلك البقعة عندما دهمتهم الالة التي تبني السد ، وتنقذ الاثار ، فماذا جنى منها ؟ جنى منها أولا الوف النكرات الذين لم يدخلوا عالمها فبقوا عبيدا لها وخدما تصعقهم الكهرباء،

يهبط عليهم النفق ، تنقض عليهم الكوليرا ، ويموتون دون ان نعرف لهم وجها او اسما ٠

وجنى منها ثانيا اقتلاع الجذور والاغتراب ، فالسد الذي سوف يعود بالخير العميم على مصر كلها لم يحمل لهذه البقعة الا الغرق :

« قال : حتفوت على بلدي بلانة

قلت : هي قبل ابو سنبل والا بعدها ؟

قـال : بعدهـــا

قلت : يمكن ٠ واشوف البيت اللي انت كنت عايش فيه ٠

قال مواصلا هز رأسه : ما حتلاقيه ٠ المية غطت كل حاجة ٠

رفعت عيني اليه عندما لمست رنة الحزن في صوته ٠ قلت بعد لحظة :

لكن الكل بيقولوا ان المعيشة في القرى الجديدة احسن بكثير من القديمة ؟

قال : والنيل ؟ البيوت الجديدة بعيد عنه خالص ٠٠٠ النيل ضاع منا خـــلاص ٠ مش حنشوفه تاني ابدا ٠ » (ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣) ٠

« والنيل » صرخة اسى واذعان لمقدر من الامور ٠ ضاع النيل منهم فضاعت القريـــة مركز اللحمة الاجتماعية ، ومراكب الصيد (شايف مراكبنـــا ٠٠٠ ص ٢٧٤) ، والارض (ص ٢٩٦) ، اداة التعيش والحضن الرؤوم ، ولم يبق الا الصخر الشحيح بأي خير ٠

هذه هي الالة بالنسبة اليهم : اقتلاع جذور ، طمس معالم والتشتيت في مختلف البقاع ٠ هو سد مأرب الثاني ٠ اصبحت حياتهم اسنة شان مياه النيل التي بعد جريان وعذوبـــة تحولت الى ركود ٠ ماتوا مع النيل في بيوتهم المغمورة وها هم الان يعيشون حياة ثانيـة هي ظل للاولـــى ٠

انها ظل للاولى لان هذه الالة طمست معالمهم ولكنها لم تبدل قلوبهم ٠ فهاهم لا يزالون يحيون في عالم الاساطير والجن ٠ فجريس لا يزال يحيا عالم الشاطر حسن (ص ٣٠٨) والاحاجي (ص ٢٨٧) والاساطير (ص ٢٨٧) ٠ اما العم مهدي ربان الصندل فلا علم له بساعة وصول الصندل الى ابي سنبل لان ذلك « علم الله احنا في البحر ملك ايديه ٠ فيه ملايكة شايلين البحر على سلاسل وفي ايديهم كل حاجة » (ص ٣١٤) ، والاساطير والقناعـــة ٠

انهم يعيشون في هذا العالم الذي دهمته الالة ، لكنهم لا يلجون عالمها هي ٠ في احسن حالاتهم يقفون على اعتابها ٠ فعالم الصندل صعيدي والغريب الوحيد فيه هو الميكانيكي : «دول فلاحين ٠ الميكانيكي ابن بلد ولابس افرنجي » (ص ٣٠٠) ٠ اما فهمي واحمد الصعيديان فيدعيان السيطرة على الالة ، (ص ٢٧٩) ، بينما هما في الحقيقة خادمان في مطعم حديث في ابي سنبل ٠ كذلك فقير تحضنه الالة من كل صوب ولم يدخل عالمها ٠ واما جريس المتناظف الى ابعد الحدود فلا يأمل من حياته اكثر من ان يصبح خادما في القاهرة لدى الراوي ٠ النوبة عالم السحر والقناعة والاساطير ومقلع العبيد والخدم ، اقتلعتـــه الالة من جذوره ولم تبدله ، وهو لم يطأ عالمها الا لماما ٠ فاصبح العدد الاكبر منه نكرات وخدما بلا جذور ، ولم يظهر الا نفر قليل وقف على اعتابها ٠ هذا هو العالم التقليدي لا

شيء يربطه بالعالم الطارىء الا الالة وان كان فعلها فيهما عكسيا ٠

ج ـ معنى هذه العلاقات

هذه أهم العلاقات التي تسود عالم السد ، نستطيع ان نمثلها بهذا الرسم :

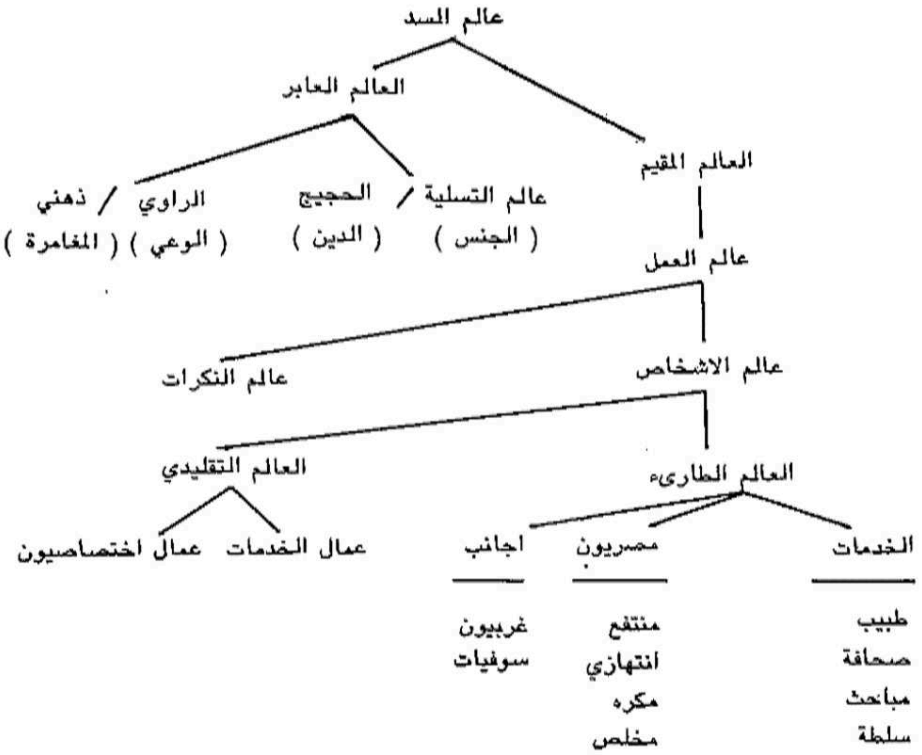

١ ـ الالـــة

المنظم والجامع لهذا العالم هو الالة ٠ هي مركز الدائرة تقسم الفئات انطلاقا من ذاتها، توزع الادوار ، تنظم العلاقات بين مختلف الفئات ٠ فهي حد ٠ حد بين العـــالم المقيم ، المركز على الالة ، يعيش في الحدود التي رسمتها ، والعالم العابر الذي يعيش خارج هذه الحدود : ما بعدها (عالم التسلية) ، ما قبلها (عالم الحجيج) ، الى جانبها (ذهني)، يتأملها (الراوي) ٠ وهي حد بين عالم الاشاخص الذين وطئوا عتبتها فتعرفوا اليهـــا فوجدوا ، وعالم النكرات الذين لم يلجوها فوطأتهم ٠

وهي حد بين العالم الطارىء الذي تملكها وتملكته ، والعالم التقليدي المتغير الـــذي طمست معالمه ووقف هو على اعتابها ٠

فهي لذلك تخلق عالما ذا طبقات ، متدرجا في الوجود والكينونة :

في القمة : عالم التسلية	ما بعد الالة ·
يليه : العالم الطارىء	في زمن الالة ·
يليه : العالم التقليدي	على اعتاب الالة ·
يليه : عالم النكرات	ما قبل الالة ·
واخيرا : عالم الايمان	خارج حدود الالة وعالمها ·

فالذي في القعر يتهالك على الطريق ووجهته الكعبة ، له منطق خاص لم تخل به الالة ، له منفذ وان كان معظمه الى الابدية ·

والذي قبله لا منطق له ولا منفذ ، بل لا وجود له ، سحقته الالة ·

والذي فوقه قسم من دنياه محققه الالة وبقي قسم اخر وقف على الاعتاب وكل همه ان يدخل الى الحضرة ، ان يتشبه بالعالم الطارىء · فهل عبثا كان تنكر فهمي واحمد لعملهما الحقيقي وادعاؤهما بانهما ميكانيكيان · وهل عبثا كان حلم جرجس بمرافقة الراوي الى القاهرة · محط امالهم جميعا عالم الالة اذ لا منفذ اخر غيره امامهم ·

والذي فوقه يسيطر على ما تحته ، يغزوه (يأخذ منه الخدم) ، يغير معالمه (يدخل اليه الباحث والسلطة والبيروقراطية) ، ويأخذ منه النيل ، ولكن نظره عالق ابدا بما فوقه، عالم التسلية · فهو قد ملك الالة وملك الجنس معها ·

العالم المقيم يحيط به العالم العابر ، من القاعدة عالم الايمان ومن القمة عالم الجنس· فالايمان يتغلغل صعودا بضع درجات ، والجنس يتغلغل نزولا بضع درجات · ونسبة تغلغل احدهما عكسية لنسبة تغلغل الاخر · والايمان يتضاءل مع تفاقم الالة ، بينما يتفاقم طغيان الجنس مع تفاقم الالة ·

٢ـ الجنس ـ الالة الحلم

هذه العلاقة بين الجنس والالة اساسية · فنحن لا نرى نزوعا الى الجنس الا لدى العالم الطارىء · ولكن الجنس اذاك يملأ كل جوانبه ·· فتبدأ الاشارات الجنسية منذ الصفحة الثالثة ويندر ان لا يظهر عند كل شخصية من شخصيات هذا العالم ابتداء من الساعي وراء الارتقاء الاجتماعي (نبيل) ، مرورا بالمسؤول البسيط (سعيد) ، ووصولا الى المسؤولين الكبار (الدكتور فريد) · وهو يداهمك في كل لحظة : في الحديث عن الحياة في السد ، في المقصف ، في المقابلة الصحفية ، في استياء المسؤول من الصحافة ، في وقوف الصندل امام باخرة ، في شرح تاريخ رعمسيس وتاريخ مصر ··· وهي تحبو على السطح وتأخذ مكان الصدارة في كل مناسبة : هزليا كان الحديث او مهما · وهو حلم كافة الشخصيات ، وعندما يستحيل يتحول الى حلم يقظة (راجع قصص خليل الزيرية) ·

فالجنس هنا وسواس يساور الرواية بمناسبة وغير مناسبة ، بمبرر وغير مبرر · فظهور المرأة يستدعي الجنس ، تماما كغيابها · والعمل يستدعي الجنس تماما كالفراغ ، وكذلك المال والسلطة ونقيضهما ···

وسواس مرتبط بالالة ، فكأن لا وجود الا لوسواسين : الدين والجنس · وهنا انتفى الدين فبقي الجنس ، بقي ربما كمنفذ وحيد لعالم احاطت به الالة من كل جوانبه وقننته · بقي هو السبيل الوحيد للحلم ، في مرحلة التقنية المتطورة · في مرحلة اولى ، على حد قول فوزي (ص ٧٠) لم يكن الاشخاص يحلمون بالمال ولا بالنساء ، كان حلمهم الالة · واتى عصر الالة المتطورة الخانقة فثابوا الى الجنس يمتطونه منفذا الى الحلم ·

انه منفذ الى الحلم ، بل انه هو نفسه الحلم · فلو كان فقط منفذا للحلم لعلق به عالم التسلية والاجانب قبل العالم المطارىء · ولو كان منفذا للحلم فقط لكان أقرب الى واقع الراكضين وراءه والى ممارستهم · والواقع انهم يحلمون به وحدهم ، ونادرا ما يحققونه فعلا · انه فقط انعكاسات ما في النفس من رغبات واحباطات ، وهذا هو تحديد الوسواس · انه حلم قريب من حلم هذا العالم نفسه بالالة · فالذي يختفي وراء الالة ووراء الجنس على السواء ، انما هو حلم واحد وان تعددت الاشكال · انه سراب الحياة الجديدة ، سراب الانسان الجديد · ألم تتكرر هذه العبارة كلازمة وكعنوان للسد ؟ (ص ٧٨، ١٢٣ ···) · حلم الانسان الجديد ، ذكريات الفردوس الضائع ، تطلبه في عالم الالة الوافدة من بعيد ، من اوروبا ، زينه الخيال والفقر ببهرجة العيد وزخرفه · تدخل فيه كما تدخل في عرس ، مرتقبا عالما جديدا سحريا يوفر لك ما لم توفره ظروفك السابقة وكل ما حاكه خيالك ، فيقلب بذلك حياتك رأسا على عقب ، فاذا بك امام متطلبات اقتصادية وفنية قاسية تستنفذ كل جهدك واذا الحلم قد طار · فتقوم لتركض وراءه · وتعكسه من جديد على نفس العالم الوافد من نفس الاتجاه : العالم الاوروبي المتزي هنا بزي الجنس فتأخذ تحلم به حلمك بالمخلص الذي غدرك مرة اولى فلم يأت مع الالة · وهكذا يبدو الجنس مرحلة ثانية من الحلم ، ليس له ، واقعيا ، وجود فعلي ·

٣ ـ المرحلة الاولى

وفي الوقت نفسه الذي تدفعك فيه الالة الى الحلم بعالم ات ، بل بحلم ات ، تغرس فيك الحنين الى عالم مضى ، الى حلم مضى · فانت ترى كل شخص قاربته الالة يحلم « بمرحلة اولى » سعيدة انقضت ماسوفا عليها ، لتحل محلها مرحلة ثانية حزينة · فكان العصر الذهبي قد انهار ليقوم مقامه عصر الحديد ويقوم معه الحزن والملل :

« سمعت فوزي يقول : ليس ما يحدث الان شيئا · السد كان في المرحلة الاولى ··· مال علي فوري وهو يهز اصبعه في وجهي : لا تظن اننا لم نكن سعداء في المرحلة الاولى· لم نكن نملك وقتا للتفكير لا في عائلاتنا او المستقبل او النساء · كان لدينا عمل واضح محدد هو هدم الصخور ثم نقلها والقاؤها في النهر حتى تعترض مجراه · وكان هناك هدف محدد هو سد النيل وفتح قناة جديدة في ان واحد · الذين شاهدوا موقع العمل في المرحلة الاولى ينكرونه الان · كان النهر يعج بالحركة والحماسة طول الوقت · الجميع يتسابقون للحاق بيوم ١٤ مايو ١٩٦٤ وجميعهم على استعداد للتضحية بحياتهم ، ببساطة (ص ٧٠) هذه المرحلة انقضت الان نهائيا ·

« قال : لا اظن ان في امكاني ان افعل شيئا كهذا الان · لا اعرف لماذا · ربما لان العمل تغير في المرحلة الثانية · اصبح في اماكن متباعدة · ولم نعد نتركز فيمجموعات كبيرة فنوقد حماسة بعضنا بعضا » (ص ٧٢) ·

ولعل اهم الاسباب في ذلك هو الالة والفراغ الذي تخلقه :

قلت له اننا نعقد مقارنة بين المرحلتين ٠

قال : العمل الان اصبح فنيا اكثر ويحتاج الى دقة متناهية ٠ ولم تعد المشـــكلة من هو اسرع في النقل او من ينقل اكثر من غيره ٠

قال فوزي : هذا صحيح ٠ نحن الان نقوم بتوسيع مدخل القناة ٠٠٠ وهذه العملية تستلزم تفجير الصخور على جانبي القناة بدقة متناهية ٠٠٠

قال مهندس الخرسانة : ولكن العمل الان فقد لذته ٠

قال فوزي : الان لدينا وقت اكثر للتفكير ٠

سألته : في ماذا ؟ ٠

اجاب :« في اشياء كثيرة ٠ مثلا : هل كانت ضحايا المرحلة الاولى ضرورة ؟» (ص ٧٣)٠ « الفنية » مترابطة مع « فقدان اللذة » و « التفكير » ٠ الالة والوعي والملل ٠ وهذا هو رأي الصحافي ايضا : « كلنا بدانا بأحلام عريضة ثم ما لبث كل شيء ان جف (ص ٧٨) ورأي الطبيب (ص ٣٦٢) والمسؤول الروسي الكبير (ص ٩٨) ، وهذا الحنين عند اصحـاب العالم الطارىء يطالعنا بغير وجه عند اصحاب العالم التقليدي الذين لا يصلون قراهم ومراكبهم المغمورة وعالمهم الضائع ونيلهم : « خلاص ، النيل ضاع منا خالص » ٠

الالة تصاقب عالم الحنين ، تستقر فيستقر معها ٠ هل هي التي خلقته ؟ نعم ، خلقتـــه مباشرة عند اصحاب العالم التقليدي بما انها بدلت دنياهم ، اما عند الذين تملكوها فقد ناسب تفاقمها ظهور الوعي ٠ ففي المرحلة الاولى كانت النظرة البكر هي السائدة : حماس واندفاع والنظر الى الحاضر من خلال المستقبل المتوقع بل المحلوم به ٠ اما في المرحلـة الثانية فقد زالت البكارة او البراءة وظهر الوعي بكافة ثغرات المرحلة الاولى ، كما بوضع المرحلة الراهنة نفسها ، هو وضع ما قبل الحماس ، ما قبل المرحلة الاولى ، فالمجتمـــع القديم اغتصب هذا الحماس لمآربه الخاصة ٠

٤ ـ السلطة ـ الالة ـ الدائرة

فطبيب ابي سنبل كان يحلم بالذهاب الى الريف متطوعا في خدمة الفلاحين ، فاذا بـــه الان لا يرى هدفا اخر غير تجميع المال ٠ ان حسه هذا ليس فشلا فرديا ، بل جماعيـــا، سياسيا ، الم يقل انه خلق للسياسة (ص ٣٦١) ٠ ولكن اين دوره الان ، و « مقـــاول الانفار » يرأس لجنة الاتحاد الاشتراكي ؟ كان يحلم بعلائق اجتماعية جديدة ، فـــاذا بالعلائق القديمة هي المسيطرة ٠ سقط القناع عن وجه الثورة وظهر الوجه القديم ٠ فالطبيب في هذه المرحلة يلمح البنية الاجتماعية التي ظهرت لنا في مطلع هذا الفصل ٠

غير ان هذا الوجه القديم لم تكسبه « الثورة » الا عنصرا جديدا واحدا : السلطة ٠ انها تهيمن على اجواء الرواية هيمنة الالة ٠ انهما توامان ٠ نلمحها على مستوى مختلف الشخصيات : المتعهد ، المقاول ، العسكري المتقاعد ، الجندي ٠٠٠ الكل يستمدها مـــن اعلى ليفرضها على من تحته خدمة لمآربه ٠ غير ان هذه السلطة المنبثقة ليست سوى خيالا

للسلطة الاولى ، للمنبع ، المتمثلة في الحاكم ، الحاكم يبث عيونه ورقباءه في كل مكان ، يملأ سجونه ويحشدها بجميع رعاياه وجلهم من المناضلين ، فمذكـــــرات السجن التي تملأ جوانب الرواية (وسوف نعود اليها) لا تدل الا عليه ، الحاكم الذي تسيطر رمـوزه على اجواء السد واجواء البلاد سيطرة المئذنة على ما حولها من البشر ٠

« استوقفنا احد رجال جنود البوليس الحربي ثم تركنا نمر ٠ وبرزت امامنا مئذنـــة جامع وتحتها جموع من البشر لا حصر لها ٠ وابصرت باللوحة الشهيرة ٠٠٠ كانت ٠٠٠ بتوقيع كل من عبد الناصر وخروشوف ٠» (ص ٤٩) ٠

رمز السلطة الذي يقابل هنا المئذنة ، يقابل في اماكن اخرى صـــورة ستالين وداود ورعمسيس ٠ وفضله على السلطة الاستعمارية انه وطني ، وعلى سلطة المجتمع التقليدي انه مقترن بالالة ، فاذا بالسلطة تصبح اشرس وادهى لان الالة عقلنتها فجعلتها اكثـــر فعاليـــة ٠

غير ان مقابلة السلطة الحديثة للسلطة القديمة في تاريخ مصر تعيد اغلاق الدائـــرة فتتضاعف وطأتها شدة ٠ فعالم القسم الثالث من الرواية يطابق عالم القسم الاول ، فصور العمل في ابي سنبل صورة له في السد : الركض وراء الجنس والثروة هـــو نفسه ، والالة الحاكمة هي نفسها ، وعلائق الاستغلال هي نفسها ،والسلطة هي نفسهـا ٠ ولكن صورة ابي سنبل تعكس داخلها صورة اخرى هي صورة العمل في مصر القديمة : الالة (فن المنظور ص ٣٤٢) ، والاستغلال (السخرة ص ٣٤٤) ، والجنس (ص ٣٧٢)، وفوق ذلك كله السلطة ، رسم رعمسيس الذي يعلو كل شيء ٠

عالم تقليدي تعتمله الثورة ، وتتبرج بصورة الالة ٠ يستقبلها ، فتدهمه ، تسحق قسمـا منه وترسل القسم الاخر حلم اخر هو الجنس ٠ لا تغير اسسه ، اي بنية علائقـــه الداخلية ، بل تسيطر عليه فتسطحه وتجزئه فتشيئه ، وتتقمص السلطة فتجددها وتعطيهـا فعالية وعزما جديدا لا ادهى ولا اشرس ٠ فاذا بهذا المجتمع المجزأ المشيأ يحكمه ربان ، الالة والسلطة ، واذا به تكرار لفعل قديم قدم التاريخ ٠ فأين المراحل الاولى ، واين النظرة البكر : اين حلم الثورة من هذا ؟ وهل يبقى سوى الدوار ؟ ٠

جـدول بالعـمليات العسكريـة لقوات الثورة الفلسطينية من ١٥-٦ - ١٦-٩-١٩٧٨

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعهـا	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	الصدى ـ البلاغ العسكري رقم	تاريخ
١	١٥ـ٦ـ٧٨	٢٠ر١٩	القدس ـ باب الزاهرة موقـف سيارات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ تم اعطاب وتدمير عدد من السيارات	—	—	—	٧٨ـ٧٢	١٦ـ٦ـ٧٨
٢	١٧ـ٦ـ٧٨	١٥ر٠٠	العيزرية ـ طريق القدس ـ اريحا	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة محطة البنزين الواقعة على الطريق العام . ـ تلف الاسترلحة التابعة لقسم السياحـة وتحطم معظم محتوياتها . ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو .	—	—	—	٧٨ـ٦٨	١٨ـ٦ـ٧٨
٣	١٨ـ٦ـ٧٨	٣ر٠٠	بيتاح تكفاء ـ مطعم « مجبـاش يسرائيلي »	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو المتواجدين داخل المطعم . ـ تدمير جزء من المطعم .	—	—	—	٧٨ـ٦٩	١١ـ٦ـ٧٨
٤	١٥ـ٦ـ٧٨	٢٢ر٠٠	القدس ـ احد اليامصات التابعـة لشركة نقل صهيونية .	تفجير	عبوات ناسفة	—	غير محدد	ـ تدمير اليامص تدميرا تاما . ـ اعطاب ثلاث ياصات . ـ اصابة بعض افراد العدو المكلفين بحراسـة الموقف .	—	—	—	٧٨ـ٦٩	١٩ـ٦ـ٧٨
٥	١٩ـ٦ـ٧٨	١٩ر٠٥	بتاح تكفا ـ الاستراحة الواقعـة على مدخل المستوطنة من جهة تـل ابيب .	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو . ـ تحطيم معظم محتويات الاستراحة وتصدع احد جدرانها . ـ اصابة المحلات التجارية المجاورة .	—	—	—	٧٨ـ٧٠	٢٢ـ٦ـ٧٨
٦	٢١ـ٦ـ٧٨	١٥ر٠٠	القدس ـ مجمع اتاييب النداز في حي القشمون .	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	غير محدد	غير محدد	ـ تدمير الشقة المجاورة للمجمع تدميرا تاما وقتل وجرح من فيها . ـ اصابة عدد من الفواجدين داخل الشقق . ـ امتدت النسة اللهب الى الشوارق العليا .	—	—	—	٧٨ـ٧١	٢٣ـ٦ـ٧٨
٧	٢٥ـ٦ـ٧٨	٢٣ر٠٠	حيفا ـ مدخل مبنى مقابـــرات العدو شارع هرتسل ـ هدار كرمل .	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	١	ـ اصابة عدد من افراد مخابرات العدو . ـ تدمير مدخل المبنى وتدمير وتصدع جدران الطابق الاول منه . ـ اصابة احد الحراس المعهاينة .	—	—	—	٧٨ـ٧٢	٢٤ـ٦ـ٧٨
٨	٢٥ـ٦ـ٧٨	١ر٠٠ فجرا	القدس ـ مدخل مكتب مخابـرات العدو شارع روتيرس القرب مـن شارع ـ معني بيهودا .	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ تدمير المكتب الملاصق للمدخل تدميرا تاما . ـ قتل وجرح جميع من في داخله .	—	—	—	٧٨ـ٧٣	٢٧ـ٦ـ٧٨
٩	٢٧ـ٦ـ٧٨	٨ر٣٠ صباحا	مدينة غرلكرم ـ مدخل فرع بنـك اليومي .	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار	غير محدد	غير محدد	ـ تدمير واجهة البنك ومدخله تماما . ـ قتل وجرح عدد من افراد العدو	—	—	—	٧٨ـ٧٤	٢٨ـ٦ـ٧٨
١٠	٢٩ـ٦ـ٧٨	١٠ر١٨ صباحا	القدس ـ مرق معني بيهودا .	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	٨	٣٥	ـ تدمير ثلاثة معملات تدميرا تاما واتلاف عدد من محتويات المحلات المجاورة . ـ اصابة واعطاب عدد من السيارات المتوقفة في المنطقة .	—	—	—	٧٨ـ٧٥	٢٩ـ٦ـ٧٨

١١	٨-٧-٧٨	٢٠ر١٥	حيفا ـ مبنى حرس الحـــدود الصهيوني شارع هعلوتس ٠	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد حـــرس الحدود التواجدين في المبنى ٠ ـ تدمير احدى الشقق تدميرا تاما ٠ ـ تحطيم زجاج المبنى بكامله ٠	—	—	—	٧٨-٧-١٠	٧٨-٧-٧٦
١٢	٩-٧-٧٨	١٨ر٠٠	الحرش هاكرمتيلبالشقة الجبلية الشرقية على مدينة حيفا ٠	تفجير	عبوات عارقة موقوتة	—	—	ـ تكبد العدو خسائر مادية وبشرية كبيرة جدا تقدر بملايين الليرات ٠	—	—	—	٧٨-٧-١٠	٧٨-٧-٧٧
١٣	١٠-٧-٧٨	٢٢ر١٥	مستوطنة بيت شان ـ مي الياهو سيارة عسكرية للشرطة ٠	هجوم	قنبلة يدوية	غير محدد	غير محدد	ـ جرح جميع افراد الشرطة التواجدين بداخلها ـ اعطاب السيارة العسكرية ٠	—	—	—	٧٨-٧-١١	٧٨-٧-٧٨
١٤	١٨-٧-٧٨	٨ر٥	بيت لحم ـ مكتب التصاريح الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	—	غير محدد	ـ جرح عدد غير محدد من افراد العدو ـ اصابة المبنى باضرار بالغة	—	—	—	٧٨-٧-١٨	٧٨-٧-٧٩
١٥	١٨-٧-٧٨	١٢ر١٥	اسدود ـ المركز التجاري الواقع على الشاطىء	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اتلاف جزء كبير من محتويات المركز ـ اصابة المركز بخسائر كبيرة وتحطم زجاج الابنيـــة المجاورة وقتل وجرح عدد من افراد العدو	—	—	—	٧٨-٧-١٩	٧٨-٨٠
١٦	١٨-٧-٧٨	١٤ر١٥	ناتانيا ـ محطة اليامسات الفرعية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو ـ تحطم زجاج عدد من المحلات القريبة من المحطة	—	—	—	٧٨-٧-١٩	٧٨-٨١
١٧	٢٠-٧-٧٨	٢٢ر٥	عسقلان ـ مكاتب ضباط المدينة	تفجير	عبوات عارقة موقوتة	—	غير محدد	ـ اصابة عدد من حراس المبنى بجراح مختلفة ـ اتلاف معظم ملفات ومحتويات المكاتب ـ تصدع اخر جدران المبنى	—	—	—	٧٨-٧-٢١	٧٨-٨٢
١٨	٢-٨-٧٨	٢٠ر١٢	تل ابيب ـ سوق الكرمل	تفجير	عبوات ناسفة مشركة	مقتل وجرح اكثر من (٤٠) من افراد المسعو		ـ اصابة عدد من السيارات باضرار بالغة ـ تدمير عدد من المحلات التجارية واتلاف محتوياتها	—	—	—	٧٨-٨-٣	٧٨-٨٣
١٩	٤-٨-٧٨	٢١ر٥٠	الخليل ـ بنك اللومي	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	—	غير محدد	ـ اصابة البنك باضرار بالغة ـ تحطم معظم محتوياته من جراء الانفجار ـ وقوع جرحى بين حراس البنك	—	—	—	٧٨-٨-٦	٧٨-٨٤
٢٠	٥-٨-٧٨	٢ر٣٠	نابلس ـ بنك اللومي	تفجير	عبوات ناسفة مشركة	—	غير محدد	ـ اصابة بنك اللومي باضرار جسيمة ـ اصابة عدد من افراد الامن الكلفين بحراسة المبنى	—	—	—	٧٨-٨-٦	٧٨-٨٤
٢١	١٢-٨-٧٨	١١ر٣٠	القدس ـ نقطة الدراقبة المركزية في ساحة فنـــدق انتركونتيننتال	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح ما يزيد عن سبعـة افراد من الشرطة		ـ اصابة المبنى باضرار جسيمة ـ تدمير واعطاب ياص وثلاث سيارات تابعة للشرطة ـ قتل وجرح ما يزيد عن سبعة من افراد الشرطة	—	—	—	٧٨-٨-١٢	٧٨-٨٥
٢٢	١٢-٨-٧٨	١٤ر٢٠	القدس ـ مكتب مخابرات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	(٦)	(٤)	ـ قتل احد خبراء المتفجرات وجرح الثاني ـ اصابة ثلاثة من افراد العدو بالشظايا	—	—	—	٧٨-٨-١٢	٧٨-٨٦
٢٣	١٤-٨-٧٨	٧ر١٥	القدس ـ المحطة الرئيسية لليامسات العسكرية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من جنود العدو المجازين ـ تحطم احد اكشاك الشرطة العسكرية ـ تدمير احد اليامسات العسكرية	—	—	—	٧٨-٨-١٤	٧٨-٨٧
٢٤	١٥-٨-٧٨	٦ر٢٥	جبعات كراح ـ كراح الشرطة	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	—	غير محدد	ـ اصابة عدد من حراس الكاراج ـ اصابة سيارتين للشرطة وتحطم زجاج عدد اخر من السيارات الواقفة	—	—	—	٧٨-٨-١٥	٧٨-٨٨
٢٥	١٧-٨-٧٨	١١ر١٥	تل ابيب ـ شارع رقم ٤٠	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	١	١	ـ وقوع خسائر مادية كبيرة وتدمير احد الحوانيت ـ مقتل خبير متفجرات وجرح آخر	—	—	—	٧٨-٨-١٨	٧٨-٨٩

٢٦	١٧-آ-٧٨	١٠ر٠٠	ديمونا ـ سيارة احد ضباط مخابرات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	٤	ـ تدمير السيارة تدميرا كاملا ـ اصابة اربعة من افراد العدو	ـ	ـ	ـ	٩٠-آ-٧٨	١٨-آ-٧٨
٢٧	١٦-آ-٧٨	٢٠ر٠٠	مرتسابا ـ شارع رفقيم	اطلاق عيارات نارية	اسلحة رشاشة	ـ	١	ـ اصابة احد ضباط المخابرات	ـ	ـ	ـ	٩١-آ-٧٨	١٨-آ-٧٨
٢٨	٢٠-آ-٧٨	٩ر٢٠	الرملة ـ الاستراحة الكبرى داخل محطة الباصات المركزية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	١	٣	ـ مقتل خبير التفجيرات ـ اصابة ثلاثة من افراد شرطة العدو	ـ	ـ	ـ	٩٢-آ-٧٨	٢٠-آ-٧٨
٢٩	٢٠-آ-٧٨	٥ر١٧	القدس ـ منطقة ابو طور	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوة من قبل خبراء التفجيرات	ـ	ـ	ـ	٩٢-آ-٧٨	٢١-آ-٧٨
٣٠	٢٠-آ-٧٨	١٧ر٢٥	القدس ـ احد الحواجز الصهيونية في منطقة ابو طور	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من جنود العدو المتواجدين على الحاجز	ـ	ـ	ـ	٩٢-آ-٧٨	٢١-آ-٧٨
٣١	٢١-آ-٧٨	١٣ر١٥	تل ابيب ـ معطة البنزين العسكرية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوات وابطل مفعولها	ـ	ـ	ـ	٩٤-آ-٧٨	٢١-آ-٧٨
٣٢	٢٢ ٨-٧٨	ـ	القدس القديمة ـ مركز الشرطة الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوات قبيل انفجارها بوقت قصير	ـ	ـ	ـ	٩٥-آ-٧٨	٢٢-آ-٧٨
٣٣	٢٢-آ-٧٨	٢٠ر٢٥	تل ابيب ـ شارع كشتير	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح ما لا يقل عن (٧) من افراد العدو		ـ قتل وجرح ما لا يقل عن سبعة من افراد العدو ـ تدمير واعطاب ثلاث سيارات للشرطة ـ تدمير احد المحلات التجارية في السوق	ـ	ـ	ـ	٩٦-آ-٧٨	٢٣-آ-٧٨
٣٤	٢٤-آ-٧٨	صباحا	كريات اربع ـ المنشآت العسكرية ومحل الشرطة	قصف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	ـ تكبيد العدو خسائر مادية وبشرية كبيرة	ـ	ـ	ـ	٩٧-آ-٧٨	٢٤-آ-٧٨
٣٥	٢٤-آ-٧٨	٢٢ر٢٠	القدس ـ منطقة تلبيوت ـ احد باصات شركة ايجد	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	مقتل وجرح ما لا يقل عن (٥) من افراد العدو		ـ تدمير الباص تدميرا تاما ـ قتل وجرح ما لا يقل عن (٣) من افراد العدو	ـ	ـ	ـ	٩٨-آ-٧٨	٢٥-آ-٧٨
٣٦	٢٤-آ-٧٨	١٠ر٢٠	تل ابيب ـ مبنى رحفوت المركزي	تفجير	عبوات موقوتة	١	غير محدد	ـ مقتل خبير التفجيرات ـ اصابة عدد من افراد القوة بجراح	ـ	ـ	ـ	٩٩-آ-٧٨	٢٥-آ-٧٨
٣٧	٢٥-آ-٧٨	١٠ر٩	القدس ـ سيارة بالقرب من مركز الرقابة امام فندق بانورام	تفجير	عبوات ناسفة متحركة	ـ	ـ	ـ تدمير السيارة تدميرا تاما ـ تحطم معظم زجاج الفندق والابنية المجاورة	ـ	ـ	ـ	١٠٠-آ-٧٨	٢٥-آ-٧٨
٣٨	٢٤-آ-٧٨	ـ مساء	نابلس ـ مكتب العمل الصهيوني	هجوم	قنابل حارقة	ـ	١	ـ اصابة المكتب واندلاع النيران بداخله ـ اصابة احد العراس المكتفين بحراسته	ـ	ـ	ـ	١٠١-آ-٧٨	٢٦-آ-٧٨
٣٩	٢٧-آ-٧٨	٧ر٢٠	القدس ـ سيارة صهريج للوقود	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	قتل وجرح (١٠) من افراد العدو		ـ تدمير الصهريج تدميرا تاما ـ وقوع اضرار مادية بمحطة الوقود ـ قتل وجرح عشرة من افراد العدو	ـ	ـ	ـ	١٠٢-آ-٧٨	٢٧-آ-٧٨
٤٠	٢٦-آ-٧٨	٨ر٢٠	جنين ـ مكتب العمل الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوات قبيل انفجارها وتم تفجيرها في المكان الذي وجدت فيه	ـ	ـ	ـ	١٠٣-آ-٧٨	٢٧-آ-٧٨
٤١	٢٧-آ-٧٨	ليلا	المنطقة الشمالية من الساحل الفلسطيني المحتل	مراقبة بحرية	رشاشات وقذائف	ـ	ـ		ـ	ـ	ـ آصابة زورق استطلاع	١٠٤-آ-٧٨	٢٨-آ-٧٨
٤٢	٢٧-آ-٧٨	صباحا	نابلس ـ مخيم بلاطة	هجوم	قنابل يدوية اسلحة رشاشة	ـ	٣	ـ اصابة ثلاثة من افراد الدورية ـ اصابة المجاورة باضرار بالغة	ـ	ـ	ـ	١٠٥-آ-٧٨	٢٩-آ-٧٨
٤٣	٢٨-آ-٧٨	١٥ر١٥	رحفوت ـ مستودع مصنع الاخشاب لصناديق المعلبات	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوات وانفجرت بعيدا عن الهدف ـ تكبد العدو خسائر مادية لحقت بواجهة مبنى المصنع	ـ	ـ	ـ	١٠٦-آ-٧٨	٢٩-آ-٧٨
٤٤	٢٩-آ-٧٨	٢٢ر٢٠	نابلس ـ مدخل مكتب ضابط التربية الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اتلاف محتويات المكتب وتصدع جدرانه	ـ	ـ	ـ	١٠٧-آ-٧٨	٣٠-آ-٧٨
٤٥	٣٠-آ-٧٨	١٦ر٥٠	القدس ـ الغرفة المركزية لشركة المياه الصهيونية « مكروت »	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير محدد	غير محدد	ـ اصابة عدد غير محدد من افراد العدو ـ اصابة عدد من الات الشركة باضرار ـ انقطاع المياه عن عدد من الاحياء في المدينة	ـ	ـ	ـ	١٠٨-آ-٧٨	٣٠-آ-٧٨

٤٦	٧٨-٩-٣٠	ليلا	تايلس ـ بنك الثرمي، مكتب العمل الصهيوني في تايلس	هجوم	قنابل يدوية حارقة	ـ	٤	ـ اصابة اربعة من افراد العدو ـ تدمير واصابة اجزاء كبيرة من واجهتي البنيين	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٠-٩	٧٨-٩-١
٤٧	٧٨-٩-١	٧٫٢٠	احد بامسات شركة ايجد العاملة بين تل ابيب تل ابيب وضواحيها الشمالية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اصابة الناس باضرار مادية ـ اصابة المباني المجاورة وتحطم نوافذها	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٠	٧٨-٩-١
٤٨	٧٨-٩-١	٢٢٫١٥	القدس ـ حاجز الشرطة القابل لمستشفى (هوسبيس)	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير معدد	غير معدد	ـ تدمير سيارة شرطة ـ اصابة عدد من افراد الشرطة بجراح	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١١	٧٨-٩-٢
٤٩	٧٨-٩-٢	٨٫٠٠	تل ابيب ـ حي (شموئات هاكفا)	تفجير	عبوة ناسفة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوات واحدث اكتشافها حالة من الذعر في صفوف الشرطة	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٢	٧٨-٩-٢
٥٠	٧٨-٩-٥	٩٫٤٠	القدس ـ حي البقعة ـ مستودعات الغاز التابعة لشركة (امشرا غاز)	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	٢	ـ اصابة خبير المتفجرات بجروح خطيرة ـ جرح عدد غير معدد من رجال الشرطة ـ اصابة احد الموظفين العاملين في الشركة	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٣	٧٨-٩-٥
٥١	٧٨-٩-٥	١٢٫١٠	القدس ـ باب الخليل ـ احد الباصات الكفة بنقل المياه	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	١	ـ تدمير جزء كبير من الباص ـ اصابة السائق بجراح خطيرة	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٩٤	٧٨-٩-٥
٥٢	٧٨-٩-٧	٢١٫٠٠	القدس ـ مركز مخابرات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	٢	ـ اصابة اثنين من حرس المكتب بجراح ـ تدمير مدخل البناية وتصدع معظم جدران الطابق	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٥	٧٨-٩-٨
٥٣	٧٨-٩-٨	ليلا	القدس ـ القطاع الشرقي	هجوم	قنابل حارقة	قتل وجرح (٦) من افراد العدو		ـ قتل وجرح معظم افراد الدورية وعددهم (٦) ـ تدمير السيارة تدميرا تاما واشتعال النيران فيها	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٦	٧٨-٩-٩
٥٤	٧٨-٩-٩	٤٧٫١٥	رام الله ـ حاجز حرس الحدود ميدان المغتربين	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير معدد	غير معدد	ـ اصابة عدد غير معدد من افراد حرس الحدود ـ تدمير سيارة عسكرية تابعة للحاجز ـ تحطم زجاج مركز السيامة	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٧	٧٨-٩-١١
٥٥	٧٨-١٠-١	ـ	القدس ـ كرتات متاهيل مدخل مركز مخابرات العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	غير معدد	غير معدد	ـ اصابة افراد العدو وجميعهم بجراح بالغة	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٨	٧٨-٩-١١
٥٦	٧٨-٩-١٢	٢٢٫٢٠	قلقيلة ـ احد حواجز التفتيش والوقائية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	٥	ـ اصابة خمسة من جنود العدو بجراح بالغة ـ اعطاب سيارة جيب عسكرية	ـ	ـ	ـ	٧٨-١١٩	٧٨-٩-١٤
٥٧	٧٨-٩-١٢	٢٤٫٠٠	طولكرم ـ مكتب العمل الصهيوني	تفجير	عبوات ناسفة حارقة	ـ	ـ	ـ تدمير جزء من المكتب ـ اتلاف معظم محتوياته	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٢٠	٧٨-٩-١٤
٥٨	٧٨-٩-١٣	١١٫١٥	القدس ـ موقف باصات العدو العسكرية	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	ـ	ـ	ـ اكتشفت العبوات وتم اخلاء الموقف من الجنود	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٢١	٧٨-٩-١٤
٥٩	٧٨-٩-١٥	٨٫٣٠	برديس كاتس ـ احدى ضواحي تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح ما لا يقل عن (٤) من شرطة العدو		ـ اعطاب سيارة متوقفة ـ مقتل وجرح ما لا يقل عن اربعة من شرطة العدو	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٢٢	٧٨-٩-١٦
٦٠	٧٨-٩-١٦	٩٫٠٠	القدس ـ نقطة مراقبة قرب مدخل باب الخليل	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح اربعة من افراد شرطة العدو		ـ الحاق اضرار مادية بسيارة جيب تابعة لشرطة العدو ـ مقتل وجرح (٤) من شرطة العدو	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٢٣	٧٨-٩-١٧
٦١	٧٨-٩-١٦	١٠٫٠٠	القدس ـ تجمع لافراد العدو	تفجير	عبوات ناسفة موقوتة	قتل وجرح عشرة من افراد العدو		ـ مقتل وجرح (١٠) من افراد العدو بينهم عدد من افراد شرطته وحرس حدوده .	ـ	ـ	ـ	٧٨-١٢٤	٧٨-٩-١٧

٧٨ـ٧٥ اعترف العدو بالعملية في برنامج الظهيرة يوم الخميس بقوله : « يوم الخميس يوم السوق ، فقتلان و ٤٢جريحا اصابات معظمهم خفيفة · منظمة التحرير الفلسطينية اعلنت مسؤوليتهاعن الحادث»·

(رصد اذاعة اسرائيل ، برنامج الظهيرة ، ص ٤٤٤ ، الخميس ٢١ـ٦ـ٧٨، العدد ١٥٢٣) ·

٧٨ـ٧٦ جاء نبأ العملية في اذاعة العدو بقوله : « انفجرت الليلة عبوة ناسفة في هدار كرمل في حيفا ، على مدخل مسكن ايلي مويال ، في الطبقة الرابعة من البناية في شارع هاحالوتس ـ ٥٢ · ووقعت اضرار بالغة في الشقة ومطلع الدرج» ·

(رصد اذاعة اسرائيل ، الساعة ٠٠ر٧ ، ص ١٢٦ ، الاحد ٩ـ٧ـ١٩٧٨ ، العدد ١٥٢١) ·

٧٨ـ٨٣ اعترف العدو بالعملية في اذاعته في برنامج الظهيرة بقوله : (انفجار في تل ابيب ، (٠٠٠٠) · على اي حال استؤنفت قبل دقائق حركة السير في الطرقات المجاورة لسوق الكرمل ، وما زالت منطقة السوق مقفلة امام الحركة · تسبب الانفجار بجرح زهاء ٤٠ شخصا ،)

(ر١٠١٠ ، برنامج الظهيرة ، الخميس ٣ـ٨ـ١٩٧٨ ، ص ٦٤ ، العدد ١٥٤٨)·

٧٨ـ٨٤ جاء في اعتراف العدو بهذه العملية قوله : (انفجرت قرب فرع بنك ليئومي في الخليل ، عشية يوم السبت ، عبوة ناسفة ، ولم يبلغ عن اصابات ، لكن المبنى والبيوت المجاورة اصيبت باضرار)·

(ر١٠١٠· السبت مساء ٥ـ٨ـ١٩٧٨ ، ص ١٢٦ ، العدد ١٥٥٠) ·

٧٨ـ٨٨ اعلن عن العملية في نشرته الاخبارية نهار الاثنين ، وجاء فيها : « انفجرت عبوة ناسفة الليلة الماضية على مدخل منزل احد سكان جبعات كواح ،قرب روش هعاين (رأس العين) · وتسبب الانفجار باضرار طفيفة للمنزل وبعض الاثاث فيه) ·

(ر١٠١٠ الاثنين ١٤ـ٨ـ١٩٧٨ ، ص ٣٦٨ العدد ١٥٥٧) ·

٧٨ـ٨٧ اعترف العدو بالعملية بقوله : « في الساعة ٦ر٠٢ صباح اليوم ،وبالقرب من محطة لنقل الجنود ، في المخرج الجنوبي من القدس باتجاه الخليل ، انفجرت عبوة ناسفة بجوار الطريق ، لم تقع اضرار ولا اصابات) ·

(ر١٠١٠ الاثنين ، ١٤ـ٨ـ١٩٧٨ ، ص ٣٦٢ ، العدد ١٥٥٧) ·

٧٨ـ٩٠ اعترف العدو بعملية ديمونا ، في نشرته الاخبارية نهار الاحد بقوله : (في حوالي منتصف الليل ، وقع في ديمونا انفجار تحت سيارة تابعة لشخص يدعى الون اداي من سكان هي هتساحون · فقد وضعت تحت السيارة شحنة ناسفة ، فانفجرت والحقت بها اضرارا فادحة) ·

(ر١٠١٠ ، الاحد ١٣ـ٨ـ١٩٧٨ ، ص ٣٢٦ ، العدد ١٥٥٦) ·

٧٨ـ١١١ حول العملية ، ادعى العدو انه تم اعتقال ثلاثة اشخاص قائلا : (اعتقل في القدس ثلاثة متهمين بوضع عبوة ناسفة قرب مستشفى هوسبس اول امس وان اخر المتهمين مصاب بيديه وجسمه) ·

(ر١٠١٠ ، الاحد ٣ـ٩ـ٧٨ ، ص ٢٩ ، العدد ١٥٧٤) ·

٧٨ـ١١٢ اعترف العدو بالعملية بعد ساعتين من وقوعها وجاء في نشرته الاخبارية : « انفجرت منذ ساعتين ، عبوة ناسفة في محطة الغاز التابعة لشركة ، اميشراغاز في حي البقعة في القدس ، واصيب شخصان بجروح ، وهما خبير المتفجرات في الشرطة وموظف في الشركة) ·

(ر١٠١٠ ، الثلاثاء ٥ـ٩ـ٧٨ ، ص ٦٣ ، العدد ١٥٧٥) ·

٧٨ـ١١٤ اعترف العدو بانفجار عبوة، لكنه نفي وقوع اصابات وذلك بقوله : (انفجرت عبوة اخرى في القدس ، ولم تقع اصابات · وقع الانفجار قبل اقل من ساعة ، في باص للسائحين ، ولكنه كان خاليا تماما ، ويقف بالقرب من باب يافا في القدس) ·

(ر١٠١٠ ، الثلاثاء ٥ـ٩ـ٧٨ ، ص ٦٤ ، العدد ١٥٧٥) ·

مروان نجم

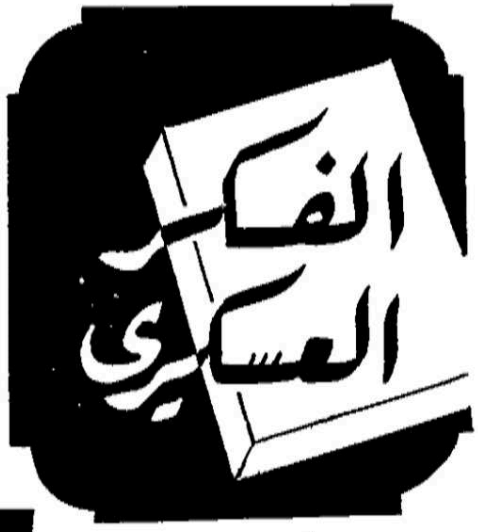

مجلة فصلية تعالج القضايا الاستراتيجية

تصدر في سورية عن الأكاديمية العسكرية العليا

يشارك في تحريرها بالإضافة الى هيئة التحرير مجموعة من كبار الكتاب واساتذة الجامعات والمفكرين العسكريين

الاشتراكات :

- الاشتراك السنوي في ج.ع.س ٣٥ ل.س
- الاشتراك السنوي في البلاد العربية ٥٠ ل.س او ١٤ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها
- الاشتراك السنوي خارج البلاد العربية ١٤ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها
- قيمة العدد في سوريا ٤ ل.س . في لبنان والبلاد العربية ٤ ل.س

لعنوان : مجلة الفكر العسكري . دمشق . المهابرت . هاتف : ٧٧٢٩٣٨ دمشق.

- المراسلات البريدية والبرقية : مجلة الفكر العسكري ص.ب/٤٢٥٩/دمشق.

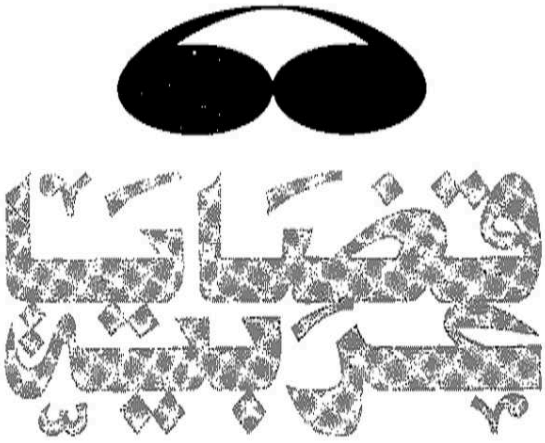

شهـرية فكرية مفتوحـة لمختلف الاتجاهـــات التقدمية

يكتب فيها أبرز الكتاب والمفكرين العرب من كافة اقطـار الوطن العربي ـ تعالج اهم المشكلات والقضايا المعاصرة للامة العربية بروح الالتزام والبحث العلمي وفي مختلف المواضيع : السياسية ، الاقتصـــادية ، التـــاريخية ، الادبية ، الثقـــافية والفنية ـ أبـواب شهـرية ثابتـة : عرض أهم الكتب ـ فن تشكيلي ـ سينما ـ وثائق ـ ببليوغرافيا شهرية : القضايا العربية في الدوريات العربية .

رئيس التحرير : د . عبدالوهاب الكيالي

مستشار التحرير : رجاء النقاش

المراســـلات : ماهـــر الـــكيالي ـ ص . ب . ٥٤٦٠
بيروت/ لبنان العنوان البرقي : موكيالي ـ ت : ٣١٢١٥٦ .